

الأغاني

الجزء الثالث والعشرون



شركة أبناء شريف الانصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

المكتبة الجبصية

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

الدار السنوية

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

الطبعة الجبصية

بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١ م - ١٤٣٢ هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان
مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو
بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير،
أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من
الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه تصلح لهذا الكتاب

ينكر الانتساب إلى الحارث :

قد تقدم نسبه في أخبار الحسن بن وهب أخيه، وانتماؤه في بني الحارث بن كعب، وأن أصلهم من قرية يقال لها سافريقا من طسوج خُسن سابور من سواد واسط، وكان سليمان بن وهب ينكر الانتساب إلى الحارث بن كعب على أخيه الحسن، وعلى ابنه أبي الفضل أحمد بن سليمان بن وهب، لشدة تعلقهما به .
أخبرني بذلك محمد بن يحيى وغيره من شيوخنا ومن مشيخة الكتاب .

الوزير :

أخبرني الصولي قال : حدثني الحسين بن يحيى وعون بن محمد الكندي :
أن جعفر بن محمود كان وزيراً للمهتدي في أول أمره، فبلغه عنه تشيع، فكرهه وقال : هذا رافضي لا حاجة لي فيه، واستوزر جعفر بن محمد بن عمار، فلم يزل على وزارته حتى مضت سنة من خلافة المهتدي، ثم قدم موسى بن بغا من الجبل، وكتبه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله، فاستوزر المهتدي سليمان بن وهب، ولُقِّبَ الوزير حقاً، لأن من كان قبله كان غير مستحق للوزارة ولا مستقل بها .

ينصفه ويعطيه :

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال :
لما استوزر سليمان بن وهب جلس للناس، فدخل عليه شاعر يقال له :
هارون بن محمد البالسي، فذكر مظلمة له ببلده ثم أنشده :

زيد في قدرك العليّ علوّ	يا ابنَ وهبٍ من كاتب ووزير
[أنت عين الإمام والقرم موسى	بك تفتّر عابسات الأمور]
أسفر الشرق منك والغرب عن ضو	من العدل فاق كل البدور

أَنْشَرَ النَّاسَ غِيْثُكُمْ بَعْدَ مَا كَا نُورُفَاتَا مِنْ قَبْلِ يَوْمِ النُّشُورِ
شَرَّدَ الْجَوْرَ عَذْلُكُمْ فَسَرَحْنَا مِنْكُمْ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ
[الخفيف]

فوقع في ظلامته بما أراد ووصله بمائتي دينار .

يزيد المهلب يمدح سليمان :

أخبرني محمد بن يحيى قال :

حدثنا أحمد بن الخصب قال : لعهدي بيزيد بن محمد المهلب عند سليمان بن وهب ، بعد ما استوزره المهدي ، وقد أجلسه إلى جانبه وهو ينشد قوله :

وَهَبْتُمْ لَنَا يَا آلَ وَهَبٍ مَوْدَةً فَأَبَقْتُ لَنَا جَاهًا وَمَجْدًا يُؤْتَلُ
فَمَنْ كَانَ لِلْأَثَامِ وَالذَّلِّ أَرْضُهُ فَأَرْضُكُمْ لِلْأَجْرِ وَالْعَزِّ مَنْزَلُ
رَأَى النَّاسُ فَوْقَ الْمَجْدِ مَقْدَارَ مَجْدِكُمْ فَقَدْ سَأَلُوكُمْ فَوْقَ مَا كَانَ يُسْأَلُ
يُقَصِّرُ عَنْ مَسْعَاكُمْ كُلِّ آخِرٍ وَمَا فَاتَكُمْ مِمَّنْ تَقْدَمُ أَوَّلُ
بَلَغْتُ الَّذِي قَدْ كُنْتَ أَمَلْتَهُ لَكُمْ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَبْلُغْ بِكُمْ مَا أُؤَمِّلُ
[الطويل]

فقطع عليه سليمان الإنشاد وقال له : يا أبا خالد ، فأنت والله عندي كما قال عُمارة بن عقيل لابنه :

أَقَهْقَه مَسْرُورًا إِذَا أَبَتْ سَالِمًا وَأَبْكِي مِنَ الْإِشْفَاقِ حِينَ تَغِيبُ
[الطويل]

فقال له يزيد : فيسمع مني الوزير آخر الشعر لا أوله ، وتمم فقال :

وَمَا لِي حَقٌّ وَاجِبٌ غَيْرَ أَنْنِي بِجُودِكُمْ فِي حَاجَتِي أَتَوَسَّلُ
وَأَنْكُمْ أَفْضَلْتُمْ وَبَرَرْتُمْ وَقَدْ يَسْتَتِمُّ النِّعْمَةُ الْمُتَفَضَّلُ
وَأُولَيْتُمْ فِعْلًا جَمِيلًا مُقَدِّمًا فَعُودُوا فَإِنَّ الْعُودَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ
وَكَمْ مُلْحِفٍ^(١) قَدْ نَالَ مَا رَامَ مِنْكُمْ وَيَمْنَعُنَا مِنْ مِثْلِ ذَاكَ التَّجْمُلُ
وَعُودْتُمُونَا قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَ الْغِنَى وَلَا بَذْلَ لِلْمَعْرُوفِ وَالْوَجْهَ يُبْذَلُ
[الطويل]

فقال له سليمان : لا تبرح والله إلا بقضاء حوائجك كائنة ما كانت ، ولو لم

(١) المُلْحِف: الذي ذهب شيء من ماله .

أستفد من كتبه أمير المؤمنين إلا شكرك لرأيت جنابي بذلك مُمرعاً، وغرسي مثمراً. ثم وقّع له في رقاع كثيرة كانت بين يديه .

رجل من ذوي حرفته يطلب عملاً:

أخبرني محمد قال: حدثنا الحزنبل قال:

لما ولّى المهتدي سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجل من ذوي حرفته فقال: أنا أعز الله الوزير خادمك، المؤمل دولتك، السعيد بأيامك، المطوي القلب على ودك، المنشور اللسان بمدحك، المرتهن بشكر نعمتك، وقد قال الشاعر:

وَقَيْتَ كُلَّ أَدِيبٍ وَدَنْيَ ثَمَنًا إِلَّا الْمُؤَمَّلَ دَوْلَاتِي وَأَيَّامِي
فَإِنِّي ضَامِنٌ أَلَا أَكْفِئُهُ إِلَّا بِتَسْوِغِهِ فَضْلِي وَإِنْعَامِي
[البسيط]

وإني لكما قال القيسي: ما زلت أمتطي النهار إليك، وأستدلّ بفضلك عليك، حتى إذا جئني الليل، فقبض البصر، ومحا الأثر، أقام بدني، وسافر أُملي، والاجتهاد عذر، وإذا بلغتك فهو مرادي فقط، فقال له سليمان: لا عليك فإني عارف بوسيلتك، محتاج إلى كفايتك، ولست أؤخر عن يومي بدء النظر في أمرك، وتوليتك ما يحسن أثره عليك.

أعجب خبر:

وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال:

ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب، ولا أحسن أدباً، خرجنا نلتقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بغا، فقال لي: هات الآن يا أبا الحسن حدثني بعجائبكم بعدي، وما أظنك تحدثني بأعجب من خبر ضرطة أبي وهب بحضرة القاضي وما سُير من خبرها وقيل فيها، حتى قيل:

ومن العجائب أنها بشهادة القضاة فليس يزيلها الإنكار
[الكامل]

وجعل يضحك.

العباس بن ثوابة:

قال علي بن الحسين الأصبهاني: حضرت أبا عبد الله الباقر وهو يتقلد ديوان المشرق، وقد تقلد ابن أبي السلاسل ما سبّذان ومهرجا نقذف، وجاءه ليأخذ

كتبه، فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين العمال، فقال ابن أبي السلاس: كأنك استكثرت لي هذا العمل أنت أيضاً، قد كنت تكتب لأبي العباس بن ثوابه، ثم صرت صاحب ديوان، فقال له الباقتائي: يا جاهل يا مجنون، لولا أنه قبيح عليّ مكافأة مثلك لراجعت الوزير أيده الله في أمرك حتى أزيل يدك، ومن لي أن أجد مثل ابن ثوابه في هذا الزمان فأكتب له ولا أريد الرياسة.

ثم أقبل علينا يحدثنا فقال: دخلت مع أبي العباس بن ثوابه إلى المهتدي، وكان سليمان بن وهب وزيره، وكان يدخل إليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتاب فيعملون بحضرته، فيوقع إليهم في الأعمال، فأمر سليمان أن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة إلى جماعة من العمال، فأخذ سليمان بيد أبي العباس بن ثوابه ثم قال له: أنت اليوم أحدُ ذُنُنَا مني، فهلّمّ نتعاون، فدخلنا بيتاً ودخلت معهما، وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف آخر، فكتبنا الكتب التي أمر بها سليمان، ما احتاج أحدهما إلى نسخِهِ، وقرأ كل واحد منهما ما كتب به صاحبه فاستحسنه وقرظه، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي، فقال له وقد قرأها: أحسنت يا سليمان، ونعم الرجل أنت لولا المُعَجَّل والمُؤَجَّل، وكان سليمان إذا ولى عاملاً أخذ منه مالاً معجلاً، وأجَّلَ له مالاً إلى أن يتسلم عمله، فقال له: يا أمير المؤمنين، هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلاً، فإن كان باطلاً فليس مثلك من يقوله، وإن كان حقاً وقد علمت أن الأصول محفوظة، فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل إليهم من برٍّ، من غير تحيُّف^(١) للرعية، ولا نقص للأموال. فقال: إذا كان هذا هكذا فلا بأس، ثم قال له: اكتب إلى فلان العامل يقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده، بباقي ما عليه من المصادرة، فقال له أبو العباس بن ثوابه: كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك، وكلنا حاطبٌ في حَبْلِكَ، وساع فيما أرضاك وأيد ملكك، أفنمضي ما تأمر به على ما خيَّلت أم نقول بالحق؟ قال: بل قل الحق يا أحمد، فقال: يا أمير المؤمنين، المَلِكُ يقين، والمصادرة شك، أفترى أن أزيل اليقين بالشك؟ قال: لا، قال: فقد شهدت للرجل بالملك، وصادرته عن شك فيما بينك وبينه، وهل خانك أم لا، فتجعل المصادرة صلحاً، فإذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلت اليقين بالشك، فقال له: صدقت، ولكن كيف الوصول إلى المال؟ فقال له: أنت لا بد لك من عمال على أعمالك، وكلهم يرتزق ويرتفق، فيحوز رِفَقَهُ ورزقه إلى منزله، فاجعله أحد عمالك ليصرف هذين الوجهين إلى ما عليه، ويسعفه معاملوه، فيتخلص

(١) التَّحْيِيفُ: الجور والظُّلم.

بنفسه وضيعته، ويعود إليك مالك، فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك، فلما خرجا من حضرة المهدي قال له سليمان: عهدي بهذا الرجل عدوك، وكل واحد منكما يسعى على صاحبه، فكيف زال ذلك حتى ثُبَّتَ عنه في هذا الوقت نيابةً أحييته بها، وتخلّصت نفسه ونعمته؟ فقال: إنما كنت أعاديه وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف مني، فأما وهو فقير إليّ فلا، فهذا مما يحظره الدين والصناعة والمروءة، فقال له سليمان: جزاك الله خيراً، أمّا والله لأشكرنّ هذه النية لك، ولأعتدّنك من أجلها أخاً وصديقاً، ولأجعلنّ هذا الرجل لك عبداً ما بقي.

ثم قال الباقرائي: فمن كان هذا وزنه وفعله يعاب من يكتب له؟

يذكر نكبته أيام الواصل:

أخبرني محمد بن يحيى قال:

حدثنا الحسين بن يحيى الباقرائي قال: كنت ألف سليمان بن وهب كثيراً وأخدمه وأحادثه، وكان يخصني ويأنس بي، فأنشدني لنفسه يذكر نكبته في أيام الواصل:

صوت

نوائب الدهر أدبتني وإنما يُوعظ الأريب^(١)
قد ذقت حلواً وذقت مُراً كذاك عيش الفتى ضروب
ما مرّ بؤس ولا نعيم إلا ولي فيهما نصيب
فيه رمل محدث لا أعرف صانعه.

[مخلع البسيط]

جفوة واعتذار:

وذكر يحيى بن علي بن يحيى أن جفوة نالت أباه من سليمان بن وهب، فكتب إليه:

جفاني أبو أيوب نفسي فداؤه فعاتبته كيما يريع^(٢) ويُعتبأ^(٣)

(١) الأريب: العاقل.

(٢) يريع: يرجع.

(٣) يُعتبأ: يُرضى.

فوالله لولا الضنُّ مني بوذه لكان سهيلاً من عتابيه أقربا
[الطويل]

فكتب إليه سليمان :

ذكرت جفائي وهو من غير شيمتي وإنني لدانٍ من بعيدٍ تقرِّبا
فكيف بخلٍ لي أضنُّ بوذه وأصفيه ودّاً ظاهراً ومُغيباً
عليّ بن يحيى لأعدمْتُ إخاءه فما زال في كلّ الخصال مهذباً
ولكنَّ أشغالاً عَرَّت وتواترت فلما رأيت الشغل عاق وأتعبا
رَكُنْتُ إلى عُذرِ الأخلاء إنهم كرامٌ وإن كان التواصل أوجبا
فإن يطلُبَن مني عتابك أوبة ببرِّ تجدني بالأمانة مُعْتَبَا
[الطويل]

سليمان يتعشق إبراهيم بن سوار :

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن عمه قال :

كان سليمان بن وهب وهو حدث يتعشق إبراهيم بن سوار بن ميمون، وكان من أحسن الناس وجهاً وأملحهم أدباً وظرفاً، وكان إبراهيم هذا يتعشق جارية مغنية يقال لها: رخاص، فاجتمعوا يوماً، فسكر إبراهيم ونام، فرأت رخاص سليمان يقبله، فلما انتبه لأمرته وقالت: كيف أضفو لك وقد رأيت سليمان يقبلك؟ فهجره إبراهيم، فكتب إليه سليمان :

قل للذي ليس لي من جَوَى هَوَاهِ خِلاصُ
إن لثمتك سِراً وأبصرتني رخاصُ
وقال في ذاك قومٌ على اغتيابي حِراصُ
هجرتني وأتتني شتيمَةٌ وانتقاصُ
وسرَّ ذاك أناساً لهم علينا اخْتِراصُ^(١)
فهناك فاقتصَّ مني إن الجروح قِصاصُ

[المجث]

وأهدى سليمان إلى رخاص هدايا كثيرة، فكانوا بعد ذلك يتناوبون، يوماً عند سليمان ويوماً عند إبراهيم، ويوماً عند رخاص.

(١) الإختراص: الإفتراء والكذب.

ولاية ومائتا دينار :

أخبرني الصولي قال :

حدثنا أحمد بن الخصيب قال : حضرت سليمان بن وهب وقد جاءته رقعة من بعض من وعده أن يُصرِّفه من أصحابه ، وفيها :

هَبْنِي رَضِيْتُ مِنْكَ بِالْقَلِيلِ أَوْ خَبِرْ جَاءَ عَنِ الرَّسُولِ
أَوْ حُجَّجَةٍ فِي فِطْرِ الْعُقُولِ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ رَجُلٍ جَلِيلِ
عَالٍ لَهُ حِظٌّ مِنَ الْجَمِيلِ يَنْقُصُ مَا أَشَاعَ بِالتَّطْوِيلِ
وَالْقَوْلِ دُونَ الْفِعْلِ بِالتَّحْصِيلِ لَيْسَ كَذَا وَصَفَ الْفَتَى النَّبِيلِ

[الرجز]

قال : فكتب له بولاية ناحية ، وأنفذ إليه مائتي دينار ، وكتب في رقعته :

لَيْسَ إِلَى الْبَاطِلِ مِنْ سَبِيلٍ إِلَّا لِمَنْ يَعْدِلُ عَنْ تَعْدِيلِ
وَقَدْ وَفِينَا لَكَ بِالتَّحْصِيلِ فَاطُورِ الَّذِي كَانَ عَنِ الْخَلِيلِ
فَضْلًا عَنِ الْخَلِيطِ وَالنَّزِيلِ وَعُدَّ مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الْجَمِيلِ
وَعَفَّ فِي الْكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ تَحُظُّ مِنَ الرَّثْبَةِ بِالْجَزِيلِ

[الرجز]

ما الذي تخطب أيها الباذل؟

أخبرني محمد بن يحيى .

عن عبد الله بن الحسين بن سعد ، عن بعض أهله : أنه كتب إلى سليمان بن وهب وهو يتولى شيئاً من أعمال الضياع :

أَطَالَ اللَّهْ إِسْعَادُ كُ فِي الْآجِلِ وَالْعَاجِلِ
أَمَّا تَرَعَى لِمَنْ أَمَلْ فَضْلاً حُرْمَةَ الْأَمَلِ
وَعِنْدِي عَاجِلٌ مِنْ رَشْدٍ وَهُوَ يَتَّبِعُهَا الْآجِلِ
وَأَنْتَ الْعَالَمُ الشَّاهِدُ أَنِّي كَاتِبُ عَامِلٍ
فَوَلَّ الْكَافِلَ الْبَاذَ لَ دُونَ الْعَاجِزِ الْبَاخِلِ
فَمَا أَفْشَى لَكَ السَّرَفُ فَعَالَ الْأَخْرَقِ الْجَاهِلِ

[الهزج]

قال: فضحك وأجلسه وكتب في رقعته:

أَبْنُ لِي مَا الَّذِي تَخْطُ بَ شَرْحاً أَيُّهَا الْبَاذِلُ
وَمَا تُعْطِي إِذَا وُلِّيَ تَ تَعْجِلاً وَمَا الْآجِلُ
أَفِي الْإِسْلَافِ تَنْقِصُ أَمِ الْوِزْنَ لَهُ كَامِلُ
وَفِي الْمَوْقُوفِ تَضْمِينُ أَمِ الْوَعْدِ بِهِ حَاصِلُ
وَهَلْ مِيقَاتِهِ الْعَلَّةُ فِي الْعَامِ أَوِ الْقَابِلُ
أَبْنُ لِي ذَاكَ وَارْدُ رُقَى عَتِي يَا كَاتِباً عَامِلُ

[الهجج]

فلما قرأها الرجل قطع ما بينه وبينه، وردَّ الرقعة عليه، وولاه سليمان ما التمس.

يهدي سلال رطب:

أخبرني محمد بن يحيى، عن موسى البربري قال:

أهدى سليمان بن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلال رطب من ضيعته، وكتب إليه يقول:

أَذِنَ الْأَمِيرُ بِفَضْلِهِ وَبِجُودِهِ وَبِنَيْلِهِ
لَوْلِيَّهِ فِي بَرِّهِ بِجَنَاهُ سَكَّرَ نَخْلِهِ
فَبَعَثَتْ مِنْهُ بَسَلَّةٌ تَحْكِي حَلَاوَةَ عَذْلِهِ

[مجزوء الكامل]

القلم يصرّ في يده:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الباقر بن قال:

كتب سليمان بن وهب بقلم صُلب، فاعتمد عليه اعتماداً شديداً، فصَرَ القلم في يده فقال:

إِذَا مَا جَدَدْنَا وَانْتَضَيْنَا قَوَاطِعاً أَصَمَّ الذَّكْيَ السَّمْعَ مِنْهَا صَرِيرُهَا
تَظَلَّ الْمَنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعاً تَدُورُ بِمَا شِئْنَا وَتَمْضِي أُمُورُهَا
تَسَاقُطُ فِي الْقُرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمِثْلِ اللَّالِي نَظْمُهَا وَنَشِيرُهَا
تُقَوِّدُ أَبْيَاتَ الْبَيَانِ بِفُطْنَةٍ تَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْبَلَاغَةِ نُورُهَا
[إِذَا مَا خُطِبُ أَرْخِيتَ] مِنْ] سَتُورِهَا تَجَلَّتْ بِنَا عَمَّا تُسِرُّ سَتُورِهَا

[الطويل]

يرثي أخاه :

قال : وأنشدني له يرثي أخاه الحسن :

مضى مُدْ مَضَى عَزَّ المعالي وأصبحت
وَأَضْحَى نَجِيَّ الفكر بعد فراقه
لآلي الحجا والقول ليس لها نَظْمٌ
إذا همَّ بالإفصاح منطقَه كَظْمٌ^(١)
[الطويل]

المال يتلف ربه :

وذكر ابن المسيب أن جماعة تذكروا لما قبض الموفق على سليمان بن وهب وابنه عبيد الله أنه إنما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بغا وودائعه، فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة مالهما، فقال ابن الرومي وكان حاضراً:
ألم تر أن المال يُتَلَفُ رَبَّهُ
ومن جاور الماء الغزير مَجْمُهُ
إذا جُمَّ^(٢) آتِيه وسُدَّ طريقُهُ
وسُدَّ طريق الماء فهو غريقُهُ
[الطويل]

البحثري يرثي سليمان :

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مطالب، فرثاه جماعة من الشعراء، فمن جود في مرثيته البحثري حيث يقول :

هذا سليمان بن وهب بعدما
وتنصَّف الدنيا يدبر أمرها
أغرث به الأقدارُ بعثَ مُلَمَّةٍ
أبلغ عبيد الله فارغ مذحج
أن الرزية في الفقيد فإن هفاً
ومتى وجدت الناس إلا تاركاً
بلغ الإرادة إذ فداك بنفسه
لو ينجلي لك دُخْرُها من نكبة
طالت مساعيه النجوم سُموكا
سبعين حولاً قد تَمُنَّ ذَكِيكا^(٣)
ما كان رَسُّ^(٤) حَدِيثها مَأْفوكا^(٥)
شرفاً ومُعْطى فضليها تَمليكا
جَزَعُ بَلْبِكَ فالرزية فيكا
لحميمه في التُّرْب أو متروكا؟
وتودُّ لو تَفديهِ لا يفديكا
جليل لأضحك الذي يُبكيكا
[الكامل]

(٢) جَمَّ : تَجَمَّع .

(٤) رَسُّ الحديث : ابتداء الحديث .

(١) الكظم : الإمساك والحبس .

(٣) ذكيك : تام وكامل .

(٥) مأفوك : مكذوب .

صوت

لقد برّز الفضل بن يحيى ولم يزل
 يراه أمير المؤمنين لملكه
 قضى بالتّي شدّت لهارون ملكه
 لئن كان من أسدى القريض أجاده
 يُسامي من الغايات ما كان أرفعا
 كفيلاً لما أعطى من العهد مقنعا
 وأحيّت ليحيى نفسه فتمتعا
 لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعا
 [الطويل]

الشعر لأبان بن عبد الحميد اللاحقي يقوله في الفضل بن يحيى لما قدم
 بيحيى بن عبد الله بن الحسين على أمان الرشيد وعهده، والغناء لإبراهيم الموصلي
 ثاني ثقل بالبنصر عن أحمد بن المكي، وكان الرشيد أمره أن يغني في هذا الشعر،
 وإياه عنى أبان بقوله :

لقد صاغ إبراهيم فيه فأوقعا

أخبار أبان بن عبد الحميد اللاحقي ونسبه

اسمه ونسبه :

أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عُفْر مولى بني رقاش .

قال أبو عبيدة : بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، واسمها رقاش ، وهم مالك وزيد مناة وعامر . بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

يُنقل كتاب كليلة ودمنة :

أخبرني عمي قال : حدثنا الحسين بن عليل العنزي قال : حدثني أحمد بن مهران مولى البرامكة قال :

شكا مروان بن أبي حفصة إلى بعض إخوانه تغير الرشيد عليه وإمساك يده عنه ، فقال له : ويحك ، أتشكو الرشيد بعدما أعطاك؟ قال : أو تعجب من ذلك؟ هذا أبان اللاحقي قد أخذ من البرامكة بقصيدة قالها واحدة مثل ما أخذته من الرشيد في دهري كله ، سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدها .

وكان أبان نقل للبرامكة كتاب كليلة ودمنة فجعله شعراً ، ليسهل حفظه عليهم ، وهو معروف ، أوله :

هذا كتاب أدبٍ ومحنه وهو الذي يدعى كليل دمنه
فيه احتيالات وفيه رُشد وهو كتابٌ وضعته الهند
[الرجز]

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئاً ، وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك؟ وعمل أيضاً القصيدة التي ذكر فيها مبدأ الخلق ، وأمر الدنيا ، وشيئاً من المنطق ،

وسماها: ذات الحُلل، ومن الناس من ينسبها إلى أبي العتاهية، والصحيح أنها لأبان.

إبان وأبو نواس يتهاجيان:

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال: حدثنا أبو هفان قال: حدثني الجمّاز قال:

كان يحيى بن خالد البرمكي قد جعل أمر الشعراء وامتحان أشعارهم وترتيبهم في الجوائز إلى أبان بن عبد الحميد اللاحقي، فلم يرض أبو نواس المرتبة التي جعله فيها أبان، فقال يهجوّه بذلك:

جالستُ يوماً أباناً	لا درّ درّ أبان
حتى إذا ما صلاة الأو	للى دنت لأوان
فقام ثمّ بها ذو	فصاحّة وبیان
فكلّما قال قلنا	إلى انقضاء الأذان
فقال كيف شهدتم	بذا بغير عيان
لا أشهد الدهر حتى	تُعاین العینان
فقلت سبحان ربي	فقال سبحان ماني

[المجث]

فقال أبان يجيبه:

إن يكن هذا النواسي	بلا ذنب هجانا
فلقد نكناه حيناً	وصفّعناه زمانا
هانئ الجؤن أبوه	زاده اللّه هوانا
سائل العباس واسمع	منه في أمك شانا
عجنوا من جلبان	ليکیدوك عجانا

[مجزوء الرمل]

قال: جلبان أم أبي نواس وتزوجها العباس بعد أبيه.

شرهما بينهما:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد قال:

كان أبان اللاحقي صديقاً للمعدّل بن غيلان، وكانا مع صداقتهما يتعابثان

بالهجاء، فيهجوه المعذل بالكفر، وينسبه إلى الشؤم، ويهجوه أبان اللاهتي وينسبه إلى الفساء الذي تهجى به عبد القيس، وبالقصر، وكان المعذل قصيراً، فسعى في الإصلاح بينهما أبو عيينة المهلب، فقال له أخوه عبد الله وكان أسنّ منه: يا أخي، إن في هذين شراً كثيراً، ولا بد من أن يُخرجاه، فدعهما ليكون شرهما بينهما، وإلا فرّقه على الناس، فقال أبان يهجو المعذل:

أحاجيكم ما قوسُ لحمٍ سِهامُها من الرّيح لم تُوصَلْ بِقَدٍّ^(١) ولا عَقَبٍ^(٢)
وليسَتْ بِشَرِيَانٍ وليسَتْ بِشَوْحَطٍ وليسَتْ بِبَنَعٍ لا وليسَتْ مِنَ الْعَرَبِ^(٣)
ألا تلك قوسُ الدَّحْدَحِيِّ^(٤) مُعَذِّلٌ بها صار عَبْدِيّاً وتمّ له النّسَبُ
تصكُ خياشيم الأنوف تعمّداً وإن كان راميتها يريد بها العُقَبُ
فإن تفتخر يوماً تميمٌ بحاجب وبالقوس مضموناً لكسرى بها العربُ
فحيّ ابن عمرو فاخرون بقوسه وأسهمه حتى تُغالب من غلبُ
[الطويل]

قال أبو قلابة: فقال المعذل في جواب ذلك:

رأيت أبانا يوم فطّر مُصلّياً فقسّم فكري واستفّزني الطّربُ
وكيف يصلّي مُظلم القلب، دينُهُ على دين ماني؟ إن هذا من العَجَبُ
[الطويل]

يكسر الشعر ويقول: هذا في اللغة:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا عون بن محمد الكندي قال:

كان لأبي البصير جوارٍ يُغنين ويخرجن إلى جِلَّة أهل البصرة، وكان أبان بن عبد الحميد يهجوه بذلك، فمن هجائه قوله:

عَضِبَ الأحمق إذ مازحْتُهُ كيف لو كنا ذكرنا الممرغة^(٥)؟
أو ذكرنا أنه لاعبها لعبة الجِدِّ بمزح الدَّغدغة؟

(١) القَدّ: السير.

(٢) العَقَبُ: العصب يصنع منه الأوتار.

(٣) الشريان، الشوخط، النبع، العرب: ضرب من الأشجار.

(٤) الدَّحْدَحِيّ: نسبة إلى الدَّحْدَح وهو القصير القامة.

(٥) الممرغة: من معانيها المعى الأعور لأنه يُرمى به، والمراد هنا كل ما يدنس العِرض، ويقال مَرَّغ العِرض أي دنسه.

سَوَّدَ اللَّهَ بِخُمْسٍ وَجْهَهُ رُعْنٌ^(١) أَمْثَالُ طَيْنِ الرَّدْغَةِ^(٢)
خُنْفَسَاوَانٍ وَبِنْتَا جُعَلٍ والتي تَفْتَرُّ عَنْهَا وَزَعَهُ
يَكْسِرُ الشُّعْرَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ في مَجَالٍ قَالَ: هَذَا فِي اللُّغَةِ
[الرملة]

في ستر المثنوي:

وَأَنْشَدَنِي عَمِي قَالَ: أَنْشَدَنِي الْكَرَانِي قَالَ:
أَنْشَدَنِي أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْلاَحِقِي لَجْدَهُ أَبَانُ فِي هِجَاءِ أَبِي الْبَصِيرِ [وَأَخْبَرَنِي الصَّوْلِي
إِنَّهُ وَجَدَهَا بِخَطِّ الْكَرَانِي]:

إِذَا قَامَتْ بِوَآكِيكَ وَقَدْ هَتَّكَنَ أَسْتَارَكَ
أَيْثْنَيْنِ عَلَى قَبْرِكَ أَمْ يَلْعَنُ أَحْجَارَكَ؟
وَمَا تَتْرَكَ فِي الدُّنْيَا إِذَا زُرْتَ غَدَاً نَارَكَ؟
تَرَى فِي سَقَرِ الْمَثْوَى وَإِلَيْسَ غَدَاً جَارَكَ
لِمَنْ تَتْرَكَ زَقْيِكَ وَدَنْيُكَ وَأَوْتَارَكَ؟
وَحُمْسًا مِنْ بَنَاتِ اللَّيْلِ قَدْ أُلْبِسْنَ أَطْمَارَكَ؟
تَعَالَى إِلَهُ مَا أَقْبَحَ لُقْيَاكَ وَإِدْبَارَكَ
[الهجج]

[قَالَ: وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:]

قِيَانُ أَبِي الْبَصِيرِ مُثَلَّجَاتٌ غِنَاءٌ مِثْلُ شَعْرِ أَبِي الْبَصِيرِ
فَلَا هَمَّذَا نَ حِينَ تَصِيفُ تَبْغِي وَلَا الْمَاهَيْنِ أَيَّامَ الْحُرُورِ
وَلَا تَبْغِي بِقَرْمِيسِينَ رَوْحاً وَلَا تُبْلِي الْبَغَالَ مِنَ الْمَسِيرِ
فَإِنْ رُمْتَ الْبَقَاءَ لَدَيْهِ فَاصْبِرْ إِذَا مَا جِئْتَهُ لِلزَّمْهِرِيرِ
[الوافر]

بين رجله ورأسه شبر:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَلِيفَةَ وَأَبُو ذَكْوَانَ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ
النَّهْدِيُّ قَالُوا:

(١) الرُّعْنُ: المُسْتَرْخُون، لِأَنَّ الرُّعْنَ هُوَ الْإِسْتِرْخَاءُ.

(٢) الرَّدْغَةُ: الْوَحْلُ الشَّدِيدُ.

كان المعذل بن غيلان يجالس عيسى بن جعفر بن المنصور، وهو يلي حينئذ إمارة البصرة من قبل الرشيد، فوهب للمعذل بن غيلان بيضة عنبر وزنها أربعة أرتال، فقال أبان بن عبد الحميد:

أصلحك الله وقد أصلحنا إنني لا ألوك أن أنصحا
علام تُعطي مَنَوِيَّ عَنبرٍ وأحسب الخازن قد أرجحا
من ليس من قرد ولا كلبية أبهى ولا أحلى ولا أملحا
ما بين رجله إلى رأسه شبر فلا شبر ولا أفلحا؟
[السريع]

إتصالة بالبرامكة:

أخبرني الصولي قال: حدثنا أبو العيلاء قال: حدثني الحرمازي قال:

خرج أبان بن عبد الحميد من البصرة طالباً للاتصال بالبرامكة، وكان الفضل بن يحيى غائباً، فقصده فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل إليه، فتوسل إلى من وصل له شعراً، وقيل: إنه توسل إلى بعض بني هاشم ممن شخص مع الفضل وقال له:

يا غزير الندى ويا جوهر الجو هر من آل هاشم بالبطاح
إن ظني وليس يُخلف ظني بك في حاجتي سبيل النجاح
إن مَنْ دونها لمُضْمَتٌ^(١) بابٍ أنت من دون قُفله مفتاحي
تاقت النفسُ يا خليل السماح نحو بحر الندى مُجاري الرياح
ثم فكّرت كيف لي واستخرتُ اللهَ عند الإمساء والإصباح ثم فكّرت كيف لي واستخرتُ اللهَ عند الإمساء والإصباح
وامتدحت الأمير أصلحه الله بشعرٍ مُشَهَّرٍ الأَوْضاح^(٢) وامتدحت الأمير أصلحه الله بشعرٍ مُشَهَّرٍ الأَوْضاح^(٢)
[الخفيف]

فقال: هات مديحك، فأعطاه شعراً في هذا الوزن وقافيته:

أنا مَنْ بُغِيَةُ الأميرِ وكنزُ من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتبٌ حاسب خطيب أديبٌ ناصح زائدٌ على النُصّاح
شاعرٌ مفلق أخفُّ من الريد شة مما يكون عند الجناح
[الخفيف]

(١) مُضْمَتٌ: مُعْلَقٌ.

(٢) الأَوْضاح: الغرة والتحجيل، مفردهما الوضوح.

وهي طويلة يقول فيها:

إن دعاني الأمير عاينَ مني شَمَرِيًّا^(١) كالْبُلْبُل الصِّيَّاح
[الخفيف]

قال: فدعا به ووصله، ثم خصَّ بالفضل، وقدم معه، فقرب من قلب يحيى بن خالد، وصار صاحب الجماعة وزمام أمرهم.

اتصاله بالرشيد:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبی قال: حدثني علي بن محمد النوفلي:

أن أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد، وإيصال مديحه إليه، فقالوا له: وما تريد من ذلك؟ فقال: أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبي حفصة. فقالوا له: إن لمروان مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذهمهم به يحظى، وعليه يُعطى، فاسلكه حتى نفعل، قال: لا أستحل ذلك، قالوا: فما تصنع؟ لا تجيء أمور الدنيا إلا بما لا يحل، فقال أبان:

نَشَدْتُ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا أَعُمُّ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ الْعُجَمَ وَالْعَرَبُ
أَعُمُّ رَسُولَ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً لديه أم ابن العم في رُتْبَةِ النَّسَبِ؟
وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وَبِعَهْدِهِ ومن ذاله حقُّ الثُّرَاثِ بِمَا وَجَبَ
فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقُّ بِتِلْكَكُمْ وكان عليٌّ بعد ذاك عَلى سَبَبِ
فَأَبْنَاءِ عَبَّاسٍ هُمْ يَرِثُونَهُ كما الْعَمُّ لابنِ الْعَمِّ فِي الْإِرْثِ قَدْ حَجَبَ
[الطويل]

وهي طويلة قد تركت ذكرها لما فيه، فقال الفضل: ما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب من أبياتك، فركب فأنشدها الرشيد، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم، ثم اتصل بعد ذلك مدحه الرشيد وخصَّ به.

عند عنان:

أخبرنا أبو العباس بن عمار قال: حدثني أبو العيناء.

عن العباس بن رستم قال: دخلت مع أبان بن عبد الحميد على عنان جارية الناطفي، وهي في خيش، فقال لها أبان:

أَلْعِيشُ فِي الصَّيْفِ خَيْشُ^(٢)

(١) الشَّمَرِي: المجرب للأمر، المُجِدِّ. (٢) الخيش: الثياب في نسجها رقة.

فقلت مسرعة :

إِذَا لَاقِيتَ أَلَّ وَجَّيْشُ

فأنشدتها أنا لجريز قوله :

ظَلَلْتُ أُوَارِي صَاحِبِي صَبَابَتِي^(١) وَقَدْ عَلِقْتَنِي مِنْ هَوَاكَ عُلُوقُ^(٢)

[الطويل]

فقلت عنان مسرعة :

إِذَا عَقَلَ الْخَوْفُ اللِّسَانَ تَكَلَّمْتُ بِأَسْرَارِهِ عَيْنٌ عَلَيْهِ نَطُوقُ

[الطويل]

حاجتهم :

أخبرني الصولي قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل
عن عبد الله بن محمد بن عثمان بن لاحق قال :

أولم محمد بن خالد، فدعا أبان بن عبد الحميد، والعُتبي، وعبيد الله بن عمرو،
وسهل بن عبد الحميد، والحكم بن قنبر، فاحتبس عنهم الغداء، فجاء محمد بن خالد
فوقف على الباب فقال : ألكم أعزكم الله حاجة؟ يمازحهم بذلك، فقال أبان :

حَاجَتُنَا فَاغْجَلْ عَلَيْنَا بِهَا مِنَ الْحَشَاوِي^(٣) كُلَّ طُرْدَيْنِ

[السريع]

[فقال ابن قنبر :

وَمِنْ خَبِيصٍ^(٤) قَدْ حَكَتْ عَاشِقًا صَفَرُثُهُ زَيْنَ بَتَلَوَيْنِ]

[السريع]

فقال عبيد الله بن عمرو :

وَأَتَّبِعُوا ذَاكَ بِأَبْيَةٍ فَإِنَّكُمْ أَصْحَابُ أَبْيَنِ

[السريع]

فقال سهل :

دَعْنَا مِنَ الشَّعْرِ وَأَوْصَافِهِ وَاعْجَلْ عَلَيْنَا بِالْأَخَاوِينِ

[السريع]

(١) الصبابة : الشوق وريقة الهوى . (٢) العلوق : الداهية أو المنية .

(٣) الحشاوي : مفردها الحشوة، وهي هنا كناية عن الطعام الذي يحشى باللحم والأرز والتوابل .

(٤) خبيص : الخليط المعمول من التمر والسمن .

فأحضر الغداء، وخلع عليهم ووصلهم.

هو في كيت وكيت:

أخبرني الصولي قال: حدثنا محمد بن زياد قال:

حدثني أبان بن سعيد الحميدي بن أبان بن عبد الحميد قال: إشتري جارٌ لجدي أبان غلاماً تركياً بألف دينار، وكان أبان يهواه ويُخفي ذلك عن مولاه، فقال فيه:

ليتني، والجاهل المغـ رورٌ من غُرِّ بَلَيْتِ
نَلْتُ مَمَّنْ لَا أَسْمِي وهو جاري بَيْتَ بَيْتِ
قُبْلَةَ تُنْعَشْ مَيْتاً إِنْ نِي حَيِّ كَمَيْتِ
نَتَسَاقَى الرِّيقَ بَعْدَ الشَّرْبِ مِنْ رَاحِ كُمَيْتِ
[لَا أَسْمِيهِ وَلَكِنْ هُوَ فِي كَيْتٍ وَكَيْتِ]

[مجزوء الرمل]

وكان اسمه يتك.

محمد زوج عمارة:

وقال أبو الفياض سوار بن أبي شراعة:

كان في جوار أبان بن عبد الحميد رجل من ثقيف يقال له: محمد بن خالد، وكان عدواً لأبان، فتزوج بَعْمَارَةَ بنت عبد الوهاب الثقفي، وهي أخت عبد المجيد الذي كان ابن مناذر يهواه ورثاه، وهي مولاة جنان التي يشبب بها أبو نواس ويقول فيها:

خرجت تشهد الزفاف جنانُ فاستمالت بحُسنها النَّظَّارَ
قال أهل العروس لَمَّا رَأَوْهَا مادهاناً بها سوى عَمَّارَ
[الخفيف]

قال: وكانت موسرة، فقال أبان بن عبد الحميد يهجوهِ ويحذِّرها منه:

لَمَّا رَأَيْتِ الْبَزَّ وَالشَّارَ والفرشَ قد ضاقتُ به الحَارَ
واللوز والسَّكَّرُ يُرْمَى بِهِ من فوق ذي الدارِ وذِي الدَّارَ
وَأَحْضَرُوا الْمُلْهَيْنِ لَمْ يَتْرَكُوا طَبْلاً وَلَا صَاحِبَ رَمَّارَ

قلت لماذا قيل أعجوبة مُحَمَّد زُوجَ عَمَّارَه
لاَ عَمَرَ اللّٰهَ بِهَا بَيْتَه ولا رَأَتْهُ مُدْرِكاً ثَارَه
ماذا رأت فيه وماذا رَجَتْ وهي من النسوان مُخْتَارَه
أسود كالسَّفُود^(١) يُنْسَى لَدَى التَّنُّورِ بِلِ مِحْرَاكُ قَيَّارَه^(٢)
يُجْرِي عَلَى أَوْلَادِهِ خَمْسَه أَرْغَفَه كَالرَّيْشِ طَيَّارَه
وأهله في الأرض من خوفه إن أفرطوا في الأكل سَيَّارَه
وَيَحْكُ فِرِّي وَأَعْصَبِي ذَاكَ بِي فَهَذِهِ أُخْتُكَ فَرَّارَه
إذا غفا بالليل فاستيقظي ثم اطفري إنك طَفَّارَه^(٣)
فَصَعَّدَتْ نَائِلَه سُلَّمَا تخاف أن تصعده القَارَه
سُرُورُ غَرَّتْهَا فَلَا أَفْلَحَتْ فإنها اللّٰخْنَاءُ^(٤) غَرَّارَه
لَوْنِلْتُ مَا أَبْعَدْتُ مِنْ رِيقِهَا إن لها نفثه سَحَّارَه

[السريع]

قال: فلما بلغت قصيدته هذه عمارة هربت، فحرم الثقفى من جهتها مالا عظيماً.

قال: والثلاثة الأبيات التي أولها:

فصعدت نائلة سلماً

زادها في القصيدة بعد أن هربت.

أطبأوه على الطرق:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني أبو وائلة قال:

كان أبان اللاحقي يولع بابن مناذر ويقول له: إنما أنت شاعر في المراثي، فإذا متّ فلا ترثني، فكثر ذلك من أبان عليه حتى أغضبه، فقال فيه ابن مناذر:

عُنْجَ أَبَانَ وَلِيْنُ مَنْطِقِهِ يُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّهُ حَلَقِي^(٥)

(١) السَّفُود: حديدة يُسَوَّى بها.

(٢) القَيَّارَة: ما يوضع فيها القار (الزفت).

(٣) الطَّفَّارَة: الوثابة.

(٤) اللّٰخْنَاء: الأمة التي لم تختن.

(٥) الحَلَقِي: المأبون.

دَاءَ بِهِ تُعْرِفُونَ كُلُّكُمْ يَا آلَ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي الْأَفُقِ
حَتَّى إِذَا مَا الْمَسَاءَ جَلَّلَهُ كَانَ أَطْبَبَاؤُهُ عَلَى الطُّرُقِ
فَفَرَّجُوا عَنْهُ بَعْضَ كُرْبَتِهِ بِمُسْبَطَرٍ^(١) مُطَوَّقَ الْعُنُقِ
[المنسرح]

قال: وهجاه بمثل هذه القصيدة، ولم يجبه أبان خوفاً منه، وسعي بينهما فأمسك عنه.

هو وأهله يهود:

أخبرني الصولي قال: حدثني محمد بن سعيد عن عيسى بن إسماعيل قال: جلس أبان بن عبد الحميد ليلة في قوم، فثلب أبا عبيدة فقال: يقدح في الأنساب ولا نسب له، فبلغ ذلك أبا عبيدة، فقال في مجلسه: لقد أغفل السلطان كل شيء حين أغفل أخذ الجزية من أبان اللاحقي، وهو وأهله يهود، وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة، وليس فيها مصحف، وأوضح الأدلة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعي حفظ التوراة، ولا يحفظ من القرآن ما يصلي به، فبلغ ذلك أبان فقال:

لَا تَنْمَنَّ عَنْ صَدِيقٍ حَدِيثاً وَاسْتَعِذْ مَنْ تَسْرُرُ النَّمَامِ
وَاخْفُضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بَلِيلٍ وَالتَفْتُ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
[الخفيف]

كان كافراً:

أخبرنا أبو الحسن الأسدي قال:

حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: كنا في مجلس أبي زيد الأنصاري، فذكروا أبان بن عبد الحميد فقالوا: كان كافراً، فغضب أبو زيد وقال: كان جاري، فما فقدت قرآنه قط.

يرجف بموت جاره فيموت:

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثني دماذ غسان قال: كان لأبان بن عبد الحميد جار، وكان يعاديه، فاعتلَّ علّةً طويلة، وأرجفَ أبانُ

(١) المُسْبَطَر: الطويل السريع.

بموته، ثم صَحَّ من عِلَّتِهِ وخرج، فجلس على بابهِ، وكان اعتلَّ بَعْلَةُ السِّل، وكان يكنى أبا الأطول، فقال له أبان:

أبا الأطولِ طَوَّلْتَ	وما يُنجيك تطويلُ
بك السِّل ولا واللَّه ما يَبرأُ مَسْلُو	
فلا يَغُرُّكَ مِنْ طَنُّكَ أَقْوالُ أبطِيلُ	
أرى فيك علاماتٍ	ولأسباب تأويلُ
هَذَا لَقَدْ بَرى جِسمَ	ك والمسلولُ مهزولُ
وَذَبَاناً حَواليك	فموقود ^(١) ومقتولُ
وحُمى منك في الظَّهْرِ	فأنت الدهرَ مملولُ
وأعلاماً سَوى ذاك	تُوارِيها السراويلُ
ولو بالفيلِ مَمابٍ	ك عُشْرُ ما نجا الفيلُ
فما هذا على فيك	قُلاع ^(٢) أم دماميل ^(٣) ؟
وما بالُ مُناجيك	يُولي وهو مَبْلولُ؟
لئن كان من الجَوفِ	لقد سال بك النِّيلُ
وذا داءٌ يُوحِيكَ	فلا قال ولا قيلُ

[الهزج]

فلما أنشده هذا الشعر أرعد واضطرب، ودخل منزله، فما خرج منه بعد ذلك حتى مات.

صوت

ما تزال الدِّيارُ في بُرْقَةِ النَّجْـ	دِ لِسُعْدَى بِقَرَقَرَى ^(٤) تُبْكِينِي
قد تحيَّلتُ كي أرى وجهه سعدي	فإذا كلُّ حيلةٍ تُعْيِينِي
قلت لما وقفتُ في سُدَّةِ البـ	بِ لِسُعْدَى مِقالَةَ المِسْكِينِ

(١) الموقود: المشرف على الهلاك من ضرب شديد.

(٢) القلاع: مفردها القلاعة وهي بثرة تكون في جلدة الفم واللسان.

(٣) الدماميل: مفردها الدمل وهي الخراج.

(٤) قَرَقَرَى: موضع.

إفعلني بي يا ربّة الخِدرِ خيراً ومن الماء شَرْبَةً فاسقِيني
 قالت الماء في الرّكيّ^(١) كثيرٌ قلت ماء الرّكيّ لا يُرويني
 طرحتُ دوني السّتورَ وقالت كلّ يوم بعِلَّةٍ تأتيني؟
 [الخفيف]

الشعر لتؤيت اليمامي ، والغناء لأبي زكار الأعمى رمل بالوسطى ابتداءً من نشيد من
 رواية الهشامي .

(١) الرّكيّ: مفردا الركيّة وهي البئر .

أخبار تويت ونسبه

اسمه ونسبه :

تُويت لقب، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولي، من أهل اليمامة، لم يقع لي غير هذا [من نسبه]، وجدته بخط أبي العباس بن ثوابة [يذكره] عن عبد الله بن شبيب من أخبار رواها عنه.

وتُويت أحد الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبني أبي حفصة وذويهم، ولم يفد إلى خليفة، ولا وجدت له مديحاً في الأكابر والرؤساء، فأخمل ذلك ذكره، وكان شاعراً فصيحاً، نشأ باليمامة وتوفي بها.

يهوى سعدى :

قال عبد الله بن شبيب :

كان تويت يهوى امرأة من أهل اليمامة يقال لها: سعدى بنت أزهر، وكان يقول فيها الشعر، فبلغها شعره من وراء وراء، ولم تره، فمرّ بها يوماً وهي مع أتراب لها، فقلن: هذا صاحبك، وكان دميماً، فقامت إليه وقمن معها فضربنه وخرقن ثيابه، فاستعدى عليهن فلم يُعِدِه الوالي، فأنشأ يقول:

إن الغواني جَرَحْنَ في جسدي من بعد ما قد فرغن من كبدي
وقد شققن الرداء ثُمَّتَ لم يُعْدِ عليهنّ صاحبُ البلدِ
لم يُعْدِنِي الأحول المَشُوم وقد أبصر ما قد صَنَعَنَ في جسدي
[المنسرح]

قال: فلما جرى هذا بينه وبينها عقد له في قلبها رِقَّة، وكانت تتعرض له إذا مرّ بها، واجتاز يوماً بفنائها فلم تتوار عنه، وأرته أنها لم تره، فلما وقف مَلِيّاً سترت وجهها بخمارها، فقال تويت:

ألا أيها الساري الذي ليس نائماً على تِرّة^(١) إن متّ من حُبّها غداً

(١) التّرّة: الظلم أو المكروه والانتقام.

خُذُوا بدمي سُعدى فسعدى مُنيَّتُها غداة النِّقا صادت فؤاداً مُقَصِّداً^(١)
 بأية ما رَدَّتْ غداة لقيتها على طَرْفِ عينيها الرِّداء المورِّداً
 [الطويل]

يأخذ بخطام بعيرها:

قال ابن شبيب:

ولقيها راحلة نحو مكة حاجَّةً، فأخذ بخطام بعيرها وقال:

قل لـلتي بكرتْ تريد رحيلاً للـحجِّ إذ وجدت إليه سبيلاً
 ما تصنعين بحجَّةٍ أو عُمرَةٍ؟ لا تُقْبَلانِ وقد قتلتِ قتيلاً
 أخِي قتيـلـك ثم حجِّي وأنسـكـي فيكون حجُّك طاهراً مقبولاً
 [الكامل]

فقالت له: أرسل الخطام خيِّك الله وقبِّحك، فأرسله وسارت.

يهجو زوجها يحيى:

قال عبد الله بن شبيب:

ثم تزوجها أبو الجنوب يحيى بن أبي حفصة، فحجبها وانقطع ما كان بينها وبين
 تويت، فطفق يهجو يحيى فقال:

عناء سيق للقلب الطُّروب فقد حجَّتْ مُعَذِّبَةُ القلوبِ
 أقول وقد عرفت لها محلاً ففاضت عَبْرَةُ العَيْنِ السَّكوبِ
 ألا يا دارَ سُعدى كَلِّمينا وما في دارِ سُعدى من مجيبِ
 ولما ضَمَّها وحوَى عليها تركتُ له بعاقبة نصيبِ
 وقلت زحامٌ مثلك مثل يحيى لعمرِك ليس بالرأي المُصِيبِ
 فمالك مثل لَمَّتْهُ تُدرى ومالك مثل بُخل أبي الجنوبِ
 إذا فقد الرغيف بكى عليه وأتبع ذاك تشقيقَ الجُيوبِ
 يُعَذِّبُ أهله في القُرْصِ^(٢) حتى يَظْلُومنه في يومٍ عَصِيبِ
 [الوافر]

(١) المُقَصِّد: المكسر نصفين.

(٢) القُرْص: تلُّ بأرض غسان.

وقال أيضاً:

ألا في سبيل الله نفس تقسمت
أفاقت قلوب كُنْ غُذِّبْنَ بالهوى
سرقَتِ فؤادي ثم لا ترجعينه
عروفاً الهوى بالوعد حتى إذا جرت
ورَدَّتْ جمال الحيّ وانشقت العصا
ندمت على ألا تكوني جزيّتي
لعلك أن ننأى جميعاً لفرقة
عصيت بك الناهين حتى لو أنني

شعاعاً وقلبي للحسانِ صديقُ
زماناً وقلبي ما أراه يُفِيقُ
وبعض الغواني للقلوبِ سرُّوقُ
ببَيْنِكَ غريباً لهن نَعِيقُ
وآذَنَ بالبَيْنِ المُشِيتِ صَدُوقُ
رَعَمْتُ وكلُّ الغانيات مَذُوقُ^(١)
تذوقين من حرّ الهوى وأذوقُ
أموت لما أزعى عليّ شَفِيقُ
[الطويل]

من شعره في سعدى:

ومن مختار قول تويت في سعدى هذه مما أخذته من رواية عبد الله بن شبيب
من قصيدة أولها:

سنُرضي في سُعيدى عاذِلِينَا
بعاقبة وإن كَرُمْتُ عَلَيْنَا
[الوافر]

يقول فيها:

لقيتُ سُعيدَ تمشي في جوارِ
سلبن القلب ثم مضين عني
فقلت وقد بقيت بغير قلب
فما تجزين يا سعدى محبباً
فقلت إذ شكوت المَطلَ منها:
ومن هذا الذي إن جاء يشكو
فهنّ فواعلٌ بي غير شكٍّ
بعُروة والذي بِسَهامِ هُنْدٍ

بجرعاء النِّقا فلقيت حِينَا
وقد ناديتهن فما لَوِينَا
بقلبي يا سُعيدى أين أِينَا؟
يهيم بكم ولا تقضين دِينَا
لعمرك من سمعت له قَضِينَا
إلينا الحب من سَقَمِ شَفِينَا
كما قبلي فَعَلَنْ بِصَاحِبِينَا
أُصِيبَ فما أَقْدَنْ ولا وَدِينَا
[الوافر]

(١) المَذُوق: غير المخلص في ودّه.

ومن مختار قوله فيها :

سَلِ الْأَطْلَالَ إِن نَفَعَ السَّوَالُ
عَنِ الْخَوْدِ الَّتِي قَتَلْتُكَ ظُلْمًا
أَصَابَكَ مُقْلَتَانِ لَهَا وَجِيدٌ
أَعَارَكَ مَا تَبَلَّتْ بِهِ فَوَادِي
أَيَا ثَارَاتٍ مَن قَتَلْتُهُ سَعْدِي
أَرْقُ لَهَا وَأُشْفَقُ بَعْدَ قَتْلِي
وَمَا جَادَتْ لَنَا يَوْمًا بِبَذْلِ

ومن قوله فيها أيضاً :

يَا بِنْتَ أَزْهَرَ إِن تَأْرِي طَالِبُ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِرَاكِبٍ مُتَعَصِّبٍ
فَلَأَنْتِ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ رَمَيْتَنِي
لَا تَأْمَنِي شُمَّ الْأَنْوَفِ وَتَرْتِهِمْ^(٢)
مَنْ كَانَ أَصْبَحَ غَالِبًا لَهْوَى الَّتِي
قَالَتْ وَأَسْبَلَتْ الدَّمْعَ لِتَرْبِهَا
قَوْلِي لَهُ بِاللَّهِ يُطْلِقُ رَحْلَهُ

وقال فيها أيضاً :

أَرْقَ الْعَيْنَ مِنَ الشُّوقِ السَّهَرُ
واعتَرَّتْنِي فِكْرَةٌ مِنْ حُبِّهَا
قَدَرٌ سَيِّقُ فَمَنْ يَمْلِكُهُ
كُلُّ شَيْءٍ نَالَنِي مِنْ حُبِّهَا -

وقال أيضاً :

يَا لِرَجَالِ لِقَلْبِكَ الْمُتَطَرِّفِ

وإن لم يَزْبَعْ الرِّكْبُ الْعِجَالُ
وليس بها إذا بطئت قتالُ
وأشْنَبُ^(١) بَارِدٌ عَذْبٌ زُلَالُ
من العَيْنِينَ وَالْجِيدِ الْغَزَالُ
دَمِي - لَا تَطْلُبُوهُ - لَهَا حِلَالُ
عَلَى سَعْدِي وَإِنْ قَلَّ النَّوَالُ
يَمِينٌ مِنْ سُعَادٍ وَلَا شِمَالُ
[الوافر]

بدمي غداً والثأرُ أجهدُ طَالِبِ
ينعَى قَتِيلَكَ فافزعي للراكِبِ
عن قوسٍ مَتْلَفَةٍ بِسَهْمٍ صَائِبِ
وَتَرَكْتَ صَاحِبَهُمْ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ
يَهْوَى فَإِنْ هَوَاكَ أَصْبَحَ غَالِبِي
لَمَّا اغْتَرَرْتُ وَأَوْمَأْتُ بِالْحَاجِبِ
حَتَّى يُزَوِّدَ أَوْ يَرْوَحَ بِصَاحِبِ
[الكامل]

وصبا القلبُ إلى أُمِّ عُمَرَ
ويح هذا القلب من طول الفِكْرِ
أَيْنَ مَنْ يَمْلِكُ أَسْبَابَ الْقَدَرِ؟
إِنْ نَجَتْ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ - هَذَرُ
[الرملة]

وَالْعَيْنُ إِن تَرَبَّرَقَ نَجْدٍ تَذْرِفُ

(١) الْأَشْنَبُ: كناية عن الفم الطيب ذي الأسنان البيضاء .

(٢) وَتَرْتِهِمْ: حرفتي مناخرهم .

ولحاجة يوم العبير تعرّضت
يا بنت أزهراً أراك مُثبّتي
إني وإن خُبّرت أن حياتنا
لَيُظِلُّ قلبي من مخافة بينكم
وأظِلُّ في مجرى الأحبة طالباً
كأخي الفلاة يغره من مائها
أهراق نُطفته فلما جاءها
كبرت فردّ رسولها لم يُسعفِ
خيراً على وُدّي لكم وتلطّفي
في طرف عينك هكذا لم تطرفِ
مثل الجناح مُعلّقاً في نُفُفِ^(١)
لرضاك مما حار إن لم تسعفِ
قَطَعَ السراب جرى بقاع صَفْصَفِ^(٢)
وجد المنيّة عندها لم تُخلفِ
[الكامل]

صوت

أُمِئْتُ بإذن الله من كلّ حادث
إمام حوى إرث النبيّ محمد
بقرّبك من خير الورى يا ابن حارث
فأكرم به من ابن عمّ ووارث
[الطويل]

الشعر والغناء لمحمد بن الحارث بن بسخر خفيف رمل بالبنصر مطلق من
جامع أغانيه وعن الهشامي .

(١) النُّفُف: الهواء، وكل مهوى بين جبلين .

(٢) الصفصف: المستوي من الأرض .

أخبار محمد بن الحارث

أبوه رفيع القدر:

مولى المنصور، وأصله من الرّي، من أولاد المرازية، وكان الحارث بن بسخر أبوه رفيع القدر عند السلطان، من وجوه قواده، وولاه الهادي، ويقال الرشيد الحرب والخراج بكور الأهواز كلها.

فأخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال:

حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال: كنت بالدير، وكان رجل من أهلها يعرض عليّ الحوائج، ويخدمني فيكرمني، ويذكر قديمنا، ويترحم على أبي، فقال لي رجل من أهل تلك الناحية: أتعرف سبب شكر هذا لأبيك؟ قلت: لا، قال: فإن أباه حدثني - وكان يعرف بابن بانة - بأن أباك الحارث بن بسخر اجتاز بهم يريد الأهواز، فتلقاه بدجلة العوّاء، وأهدى له صقوراً وبواشق صائدة، فقال له: الحقّ بي بالأهواز، ففعل، فقال له يوماً: إني نظرت في أمور الأعمال بالأهواز فوجدت ليس فيها شيء يرتفق منه بما قدّرت أن أبرّك به، وقد ساومني التجار بالأهواز بالأرز، وقد جعلته لك بالسعر الذي بذلوه، وسيأتونني، فأعلمهم بذلك [فسيخلصونه منك بربح فلا تغبن، فصار القوم إليه فأعلمهم] فجاؤوا وخلصوه منه بأربعين ألف دينار، فصرت إلى الحارث فأعلمته، فقال لي: أرضيت بذلك؟ فقلت: نعم، قال: فانصرف.

ولما قفل الحارث من الأهواز مرّ بالمدائن، فلقيه الحسين بن محرز المدائني

المغني فغناه:

قد علم الله على عرشه أني إلى الحارث مشتاق
[السرّيع]

فقال له: دعني من شوقك إليّ وسلني حاجة فإنني مبادر فقال له: عليّ دين مائة ألف درهم، فقال: هي عليّ، وأمر له بها، وأصعد.

من المتعصبين لإبراهيم بن المهدي:

وكان محمد بن الحارث من أصحاب إبراهيم بن المهدي والمتعصبين له على

إسحاق، وعن إبراهيم بن المهدي أخذ الغناء، ومن بحره استقى، وعلى منهاجه جرى.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثني محمد بن هارون الهاشمي.

قال: حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال:

كان المأمون قد ألزم أبي رجلاً ينقل إليه كل ما يسمعه من لفظ جِداً وهزلاً، شعراً وغناء، ثم لم يثق به، فألزمه مكانه محمد بن الحارث بن بسخنر فقال له: أيها الأمير، قل ما شئت، واصنع ما أحببت، فوالله لا بلغته عنك أبداً إلا ما تحب. وطالت صحبتته له حتى آمنه وأنس به، وكان محمد يغني بالمعزفة، فنقله أبي إلى العود، وواظب عليه حتى حذقه، ثم قال له محمد بن الحارث يوماً: أنا عبدك وخريجك وصنيعتك، فاخصمني بأن أروي عنك صنعتك، ففعل، وألقى عليه غناءه أجمع، فأخذه عنه، فما ذهب عليه شيء منه ولا شذ.

قليل الصنعة:

وقال العتابي: حدثني محمد بن أحمد بن المكي قال: حدثني أبي قال:

كان محمد بن الحارث قليل الصنعة، وسمعته يغني الواثق في صنعة في شعر له ومدحه به وهو:

أَمِئْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ بِقُرْبِكَ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى يَا ابْنَ حَارِثٍ
[الطويل]

فأمر له بألفي دينار.

وذكر علي بن محمد الهشامي قال: حدثني حمدون بن إسماعيل قال:

كان محمد بن الحارث قد صنع هزجاً في هذا الشعر.

صوت

أَصْبَحْتُ عَبْدًا مُسْتَرْقَا أَبْكِي الْأُلَى سَكَنُوا دِمَشْقَا
أَعْطَيْتَهُمْ قَلْبِي فَمَنْ يَبْقَى بِلا قَلْبٍ فَأَبْقَى؟
[مجزوء الكامل]

وطرحه على المسدود فغناه، فاستحسنه محمد بن الحارث منه لطيب مسموع

المسدود ثم قال: يا مسدود أتحب أن أهبه لك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، فكان يغنيه ويدعيه، وهو لمحمد بن الحارث.

وقال العتابي: حدثني شروين المغني المداوي:

أن صنعة محمد بن الحارث بلغت عشرة أصوات، وأنه أخذها كلها عنه، وأن منها في طريقة الرمل - قال وهو أحسن ما صنعه -:

صوت

أَيَا مَنْ دَعَانِي فَلَبَّيْتُهُ بِبَذْلِ الْهَوَى وَهُوَ لَا يَبْذُلُ
يُذِلُّ عَلَيَّ بِحُبِّي لَهُ فَمَنْ ذَاكَ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ؟
[المقارب]

لحن محمد بن الحارث في هذا الصوت رمل مطلق، وفيه ليزيد حوراء ثقيل أول، وفيه لسليم لحن وجدته في جامع أغانيه غير مجنس.

يستضيف عبد الله بن العباس الريعي:

أخبرني الحسن بن علي قال: [حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال:]
حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو توبة صالح بن محمد.

عن عمرو بن بانة قال: كنت عند محمد بن الحارث بن بسخر في منزله، ونحن مصطبحون في يوم غيم، فبينما نحن كذلك إذ جاءتنا رقعة عبد الله بن العباس الربيعي، وقد اجتاز بنا مُصْعِداً إلى سرٍّ من رأى، وهو في سفينة، ففضها محمد وقرأها وإذا فيها:

مُحَمَّدٌ قَدْ جَادَتْ عَلَيْنَا بَوْدَقُهَا^(١) سَحَائِبُ مُزْنٍ بَرَقُهَا يَتَهَلَّلُ
وَنَحْنُ مِنَ الْقَاطُولِ^(٢) فِي مُتَرَبِّعٍ لَهُ مَسْرَحُ سَهْلٍ الْمَحَلَّةُ مُبْقِلُ
فَمُرُّ فَائِزاً تَفْدِيكَ نَفْسِي يُعَنَّي أَعَنْ طُعْنِ الْحَيِّ الْأَلَى كُنْتَ تَسْأَلُ؟
وَلَا تَسْقِنِي إِلَّا حَلَالاً فَإِنِّي أَعَافُ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يُحَلِّلُ
[الطويل]

فقام محمد بن الحارث مستعجلاً حافياً حتى نزل إليه فتلقاه، وحلف عليه حتى

(١) الودق: المطر.

(٢) القاطول: موضع على دجلة.

خرج معه، وصار به إلى منزله، فاصطحبها يومئذٍ، وغناه فائز غلامه هذا الصوت، وكان صوته عليه، وغناه محمد بن الحارث وجواريه وكل من حضر يومئذٍ، وغناه عبد الله بن العباس الربيعي أيضاً أصواتاً، وصنع يومئذٍ هذا الهزج فقال:

يا طيب يومي بالمطيرة مُعمِلاً للكأس عند محمد بن الحارث
في فتية لا يسمعون لعاذلٍ قولاً ولا لمُسَوِّفٍ^(١) أو رائثٍ^(٢)
[الكامل]

الزم عجائز الحارث :

حدثني وسواسة [واسمه محمد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي] قال :

حدثني حماد بن إسحاق قال : كان أبي يستحسن غناء جواري الحارث بن بسخر، ويعتمد على تعليمهن لجواريه، وكان إذا اضطرب على واحدةٍ منهن أو على غيرهن صَوْتُ، أو وقع فيه اختلاف، اعتمد على الرجوع فيه إليهن، ولقد غنى مخارق يوماً بين يديه صوتاً، فتزايد فيه الزوائد التي كان يستعملها، حتى اضطرب، فضحك أبي وقال : يا أبا المُهَنَّا، قد ساء بعدي أدبك في غنائك، فالزم عجائز الحارث بن بسخرن يَقُومُنْ أودك^(٣) :

صوت

بنانٌ يدُ تُشير إلى بنانٍ تجاوبَتَا وما يتكلَّمانِ
جرى الإيماء بينهما رسولاً فأحكم وحيه المتناجيانِ
فلو أبصرته لغضضت طرفاً عن المتناجيين بلا لسانِ
[الوافر]

الشعر لماني الموسوس، والغناء لعمر الميداني هزج، وفيه لعريب لحن من الهزج أيضاً.

(١) المسوِّف : الذي يؤجل الأمور .

(٢) الرائيث : المبطل .

(٣) الأود : الإعوجاج .

أخبار ماني الموسوس

اسمه ونسبه :

هو رجل من أهل مصر يكنى أبا الحسن واسمه محمد بن القاسم، شاعر لين الشعر رقيقه، لم يقل شيئاً إلا في الغزل. وماني لقب غلب عليه، وكان قدم مدينة السلام، ولقيه جماعة من شيوخنا، منهم أبو العباس بن عمار، وأبو الحسن الأسدي وغيرهما.

مليح الإنشاد رقيق الشعر :

فحدثني أبو العباس بن عمار قال: كان ماني يألفني، وكان مليح الإنشاد حلوه؛ رقيق الشعر غزله، فكان ينشدني الشيء ثم يُخالط فيقطعه، وكان يوماً جالساً إلى جنبي، فأنشدني للعريان البصري :

ما أنصفتك العيون لم تكفِ	وقد رأيت الحبيب لم يقفِ
فأبك دياراً حل الحبيب بها	فباع منها الجفاء باللطفِ
ثم استعارت مسامعاً كسد اللوم عليها من عاشق كلفِ	شمطاء ما تستقل من خرفِ
كأنها إذ تقنعت بيلي	غضبان يزوي بوجه منصرفِ
يا عين إماً أريتني سكناً	في شخص راض علي منصرفِ
فمثليه للقلب مبتسماً	فأنت أشقى منه به فصفي
إن تصفيه للقلب منقبضاً	كيف وصبري يموت من كلفِي؟
يُقال بالصبر قتل ذي كلفِ	فأئي جفن يقول لا تكفِي؟
إذا دعى الشوق عبرة لهوى	مُقلّة في حافتيه مؤتلفِ
ومُستراد للهو تنفسح الـ	لا مُئن بالندى ولا أسفِ
قَصَرْتُ أيامه على نَفَرٍ	يسعى عليهم بالكأس ذا نُطفِ ^(١)
بحيث إن شئت أن ترى قمرأ	

[المنسرح]

(١) النُطف: مفردها النطفة ومن معانيها اللؤلؤة.

قال: فسألته أن يملئها عليّ، ففعل، ثم قال: اكتب: فعارضه أبو الحسن المصري، يعني ماني نفسه فقال:

أَقْفَرُ مَغْنَى الدِّيارِ بِالنَّجَفِ وَحُلْتُ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ لَطْفِ
طَوَيْتُ عَنْهَا الرِّضَا مُذَمِّمَةً لَمَّا انطوى غَضُّ عَيْشِهَا الْأُنْفِ^(١)
حَلَلْتُ عَنْ سَكْرَةِ الصَّبَابَةِ مَنْ خَوْفِ إِلَهِي بِمَعَزِلِ قُذْفِ^(٢)
سِئْمْتُ وَرَدَ الصُّبَا فَقَدْ يَسْتُ مِنْ بِنَاتِ الْخُدُورِ وَالْخَرْفِ
سَلَوْتُ عَنْ نُهْدِ نُسْبِنَ إِلَى حُسْنِ قَوَامِ وَاللَّحْظِ فِي وَطْفِ^(٣)
يَمْدَدَنْ حَبْلَ الصُّبَا لِمَنْ أَلْفَتْ رِجْلَاهُ قَدَّ الْمُجُونِ وَالذَّنْفِ^(٤)
وَمُدْنَفٍ عَادَ فِي النُّحُولِ مِنَ الْوَجْدِ بِإِلَى مِثْلِ رِقَّةِ الْأَلْفِ
يَشَارِكُ الطَّيْرَ فِي النُّحَيْبِ وَلَا يَشْرِكُنِي فِي النُّحُولِ وَالْقَضْفِ^(٥)
وَمُسْمَعَاتٍ نَهَكْنَ^(٦) أَعْظَمَهُ فَهُوَ مِنَ الضُّيْمِ غَيْرُ مُنْتَصِفِ
مَفْتَخِرَاتٍ بِجَوْرِهِنَّ كَمَا يَفْخَرُ أَهْلُ السَّفَاهِ بِالْجَنْفِ^(٧)
وَقَهْوَةٍ مِنْ نِتَاجِ قُطْرُبُلٍ تَخْطِفُ عَقْلَ الْفَتَى بِلا عُنْفِ
تُرْجِعُ شَرْخَ^(٨) الشَّبَابِ لِلْخَرْفِ الـ فَنَانِي وَتُدْنِي الْفَتَى مِنَ الشَّغْفِ
[المنسرح]

عطط ولا تمطمط :

قال: فبينما هو ينشد إذ نظر إلى إمام المسجد الذي كنا بإزائه قد صعد المئذنة ليؤذن، فأمسك عن الإنشاد ونظر إليه، وكان شيخاً ضعيف الجسم والصوت، فأذن أذاناً ضعيفاً بصوت مرتعش، فصعد إليه ماني مسرعاً حتى صار معه في رأس المئذنة، ثم أخذ بلحيته، فصفعه في صلعته صفعة ظننت أنه قد قلع رأسه، وجاء لها صوت

(١) الأُنْفُ مِنَ الرِّيَاضِ: مَا لَمْ يَرَعَهُ أَحَدٌ وَنَقُولُ: غَابَةُ أَنْفٍ، أَيِ عِذْرَاءٍ.

(٢) الْقُذْفُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي رَلَّ عَنْهُ وَهُوَي، وَالْجَانِبُ.

(٣) الْوَطْفُ: كَثْرَةُ شَعْرِ الْحَاجِبِينَ.

(٤) الذَّنْفُ: الْمَرَضُ الْمَلَازِمُ.

(٥) الْقَضْفُ: الدَّقَّةُ وَالنَّحَافَةُ.

(٦) نَهَكَ: غَلَبَ وَأَجَدَ.

(٧) الْجَنْفُ: الْجَوْرُ وَالظُّلْمُ وَالْمِيلُ عَنِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

(٨) الشَّرْخُ: أَوَّلُ الشَّبَابِ.

منكر شديد، ثم قال له: إذا صعدت المنارة لتؤذن فعطِّعْ^(١) ولا تَمْطِمْطْ. ثم نزل ومضى يعدو على وجهه.

ولقيتُ عَنَتاً من عتب الشيخ وشكواه إِيَّايَ إلى أبي ومشايخ الجيران، يقول لهم: هذا ابنُ عمار يجيء بالمجانين فيكتب هذيانهم، ويسلِّطهم على المشايخ فيصفعونهم في الصوامع إذا أذَّنوا، حتى صرت إلى منزله فاعتذرت وحلفت أنني إنما أكتب شيئاً من شعره، وما عرفت ما عمله ولا أحطت به علماً.

عند محمد بن عبد الله بن طاهر:

ونسخت من كتاب لأبي البراء: حدثني أبي قال:

عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الصَّبوح، وعنده الحسن بن محمد بن طالوت فقال [محمد: كنا نحتاج أن يكون معنا ثالث نأنس به ونلتذ بمحاورته فمن ترى أن يكون؟ فقال أبو طالوت:] قد خطر ببالي رجل ليس علينا في منادمته ثقل، قد خلا من إبرام المجالسين وبرئ من ثقل المؤانسين، خفيف الوطأة إذا أدنيتَه، سريع الوثبة إذا أمرته، قال: من هو؟ قال: ماني الموسوس، قال محمد: ما أسأت الاختيار، ثم تقدم إلى صاحب الشرطة بطلبه وإحضاره، فما كان بأسرع من أن قبض عليه صاحب الشرطة بربع الكرخ، فوافي به باب محمد بن عبد الله، فأدخل ونُظِّف وأُخذ من شعره، وألبس ثياباً نظافاً، وأدخل على محمد بن عبد الله، فلما مثل بين يديه سلم، فردَّ عليه وقال له: أما حانَ لك أن تزورنا مع شوقنا إليك؟ فقال له ماني: أعز الله الأمير، الشوق شديد، والودُّ عتيد، والحجاب صعب، والبواب فظٌّ، ولو سهل لنا الإذن لسهلت علينا الزيارة، فقال له محمد: لقد لطفت في الاستئذان، وأمره بالجلوس فجلس. وقد كان أطمع قبل أن يدخل، فأتى محمد بن عبد الله بجارية لإحدى بنات المهدي يقال لها: منوسة، وكان يحب السماع منها، وكانت تكثر أن تكون عنده، فكان أول ما غنَّته:

ولستُ بناسٍ إذْ غَدَوْا فتحمَّلوا دموعي على الخدين من شدَّةِ الوجدِ
وقولي وقد زالتْ بعيني حُمولُهُم بواكرُ تُحْدِي لا يكن آخرَ العَهْدِ
[الطويل]

فقال ماني: أياذن لي الأمير؟ قال: فيماذا؟ قال: في استحسان ما أسمع، قال: نعم، قال: أحسنتِ والله، فإن رأيتَ أن تزيدني مع الشعر هذين البيتين:

(١) عَطِّعَ: تابع، لأن العططة تتابع الأصوات واختلاطها.

وقمْتُ أداري الدمع والقلبُ حائرٌ بمقلّةٍ موقوفٍ على الضّرّ والجهدِ
ولم يُعِدني هذا الأميرُ بعدله على ظالمٍ قد لجّ في الهجر والصّدِّ
[الطويل]

فقال له محمد: ومن أي شيء استعديت يا ماني؟ فاستحيا وقال: لا من ظلم
أيها الأمير، ولكن الطرب حرّك شوقاً كان كامناً فظهر، قال: ثم غنّت:

حجّبوها عن الرياح لأنّي قلت: يا ريحُ بلّغيها السلامَا
لو رُضُوا بالحجاب هان ولكنْ مَنعوها يوم الرياح الكلامَا
[الخفيف]

قال: فطرب محمد، ودعا برطل، فقال ماني: ما كان على قائل هذين البيتين لو
أضاف إليهما هذين البيتين:

فتنقّستُ ثم قلتُ لطيفي: ويك إن زُرْتَ طيفها إمامَا
حيّها بالسلام سرّاً وإلاً مَنعوها لشقوتي أن تنامَا
[الخفيف]

فقال محمد: أحسنت يا ماني، ثم غنّت:

يا خليلي ساعةً لا تريمَا وعلى ذي صباية فأقيمَا
ما مرزنا بقصر زينب إلا فضحّ الدمعُ سرّك المكتوما
[الخفيف]

قال ماني: لولا رهبة الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع
سامع ذي لب فيصدران إلا عن استحسان لهما، فقال محمد: الرغبة في حسن ما تأتي
به حائلة عن كل رهبة، فهات ما عندك فقال:

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخر بطرفٍ لغادرته هشيما وإذا ما تبسمت خلّت ما يبدو من الثغر لؤلؤاً منظوما
[الخفيف]

فقال محمد: إن أحسن الشعر ما دام الإنسان يشرب ما كان مكسوراً لحناً حسناً
تغني به منوسة وأشباهها، فإن كسيت شعرك من الألحان مثل ما غنّت قبله طاب.
فقال: ذلك إليها، فقال له ابن طالوت: يا أبا الحسن، كيف هي عندك في حسنها
وجمالها وغنائها وأدبها؟ قال: هي غاية ينتهي إليها الوصف ثم يقف، قال: قل في
ذلك شعراً، فقال:

وكيف صبرُ النفس عن غادةٍ تَظْلِمُهَا إِنْ قَلَّتْ طَاوُوسُهُ
وَجُرَتْ إِنْ شَبَّهَتْهَا بَانَةً^(١) فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَغْرُوسُهُ
وغيرُ عَدْلٍ إِنْ عَدَلْنَا بِهَا لَوْلَاةٌ فِي الْبَحْرِ مَنُفُوسُهُ
جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَمَا فِكْرُهُ تَلَحُّقُهَا بِالنَّعْتِ مَحْسُوسُهُ
[السريع]

فقال له ابن طالوت: قد وجب شكرك يا ماني. فساعدك دهرُك، وعطف عليك
إلفُك، ونلت سرورك، وفارقت محذورُك، واللَّه يديم لنا ولك بقاء من ببقائه اجتمع
شملنا، وطاب يومنا، فقال ماني:

مُدْمِنُ التَّخْفِيفِ مَوْصُولٌ وَمُطِيلُ اللَّبِثِ مَمْلُولٌ
[الرملي]

فأنا أستودعكم الله، ثم قام فانصرف، فأمر له محمد بن عبد الله بصلة، ثم
كان كثيراً ما يبعث يطلبه إذا شرب فيبره ويصله ويقيم عنده.

يهيم بسلام جميل:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني المبرد قال:

حدثني بعض الكتاب ممن كان يُكرمه ويكثر عنده قال: لقيني يوماً ماني بعد
انقطاع طويل عني، فقال: ما قطعني عنك إلا أني هائم، قلت: بمن؟ قال: بمن إن
شئت أن تراه الساعة رأيته فعذرتني، قلت: فأنا معك، فمضى حتى وافى باب الطاق،
فأراني غلاماً جميل الوجه، بين يدي بزاز^(٢) في حانوته، فلما رآه الغلام عدداً فدخل
الحانوت، ووقف ماني طويلاً ينتظره فلم يخرج، فأنشأ يقول:

ذنبِي إِلَيْهِ خَضُوعِي حِينَ أَبْصَرُهُ وَطُولُ شَوْقِي إِلَيْهِ حِينَ أَذْكَرُهُ
[وما جرحْتُ بلحظ العين بهجته إِلَّا وَمِنْ كِبْدِي يَقْتَصُّ مَحْجَرُهُ^(٣)]
نَفْسِي عَلَى بُخْلِهِ تَفْدِيهِ مِنْ قَمَرٍ وَإِنْ رَمَانِي بِذَنْبٍ لَيْسَ يَغْفِرُهُ
وَعَاذِلْ بِاصْطِبَارِ الْقَلْبِ بِأَمْرِي فَقُلْتُ مَنْ أَيْنَ لِي قَلْبٌ أَصْبَرُهُ؟
[البسيط]

(١) البانة: شجرة لحب ثمرها دهن طيب وحبّه نافع للبرش والنمش والبهق وتقرّش الجلد.

(٢) البزاز: صانع البرز، الخياط.

(٣) المَحْجَر: ما دار بالعين وجمعها محاجر، والمراد هنا لحظ العين الذي أشار إليه في صدر البيت
من الشعر: وما جرحت (بلحظ العين)...

[ومضى يعدو ويصيح: الموت مخبوء في البيت].

صوت

وشادنٍ قلبي به معمود^(١) شيمته الهجران والصدود
 لا أسأّم الحرص ولا يجود والصبر عن رؤيته مَفقود
 زُناره في خصره معقود كأنه من كبدي مقود
 [الرجز]
 عروضه من الرجز، والشعر لبكر بن خارجة، والغناء للقاسم بن زررور، خفيف
 رمل بالوسطى.

(١) المعمود: الذي هدّه العشق.

أخبار بكر بن خارجة

ورّاق :

كان بكر بن خارجة رجلاً من أهل الكوفة، مولى لبني أسد، وكان ورّاقاً ضيق العيش، مقتصرأً على التكسب من الوراقة، وصرف أكثر ما يكسبه إلى النيذ، وكان مُعاقراً للشرب في منازل الخُمّارين وحاناتهم، وكان طيب الشعر، مليحاً مطبوعاً طبعاً ماجنأً.

يتعشق هدهداً :

فذكر أبو العنيس الصيمري :

أن محمد بن الحجاج حدثه قال : رأيت بكر بن خارجة يبكر في كل يوم بقنينتين من شراب إلى خراب من خرابات الحيرة، فلا يزال يشربه فيه على صوت هدهد كان يأوي إلى ذلك الخراب إلى أن يسكر ثم ينصرف، قال : وكان يتعشق ذلك الهدهد .

كأنه من كبدي مقدود :

وحدثني عمي عن محمد بن القاسم بن مهرويه، عن علي بن عبد الله بن سعد قال :

كان بكر بن خارجة يتعشق غلاماً نصرانياً يقال له : عيسى بن البراء العبادي الصيرفي، وله فيه قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصاري وشرائعهم وأعيادهم، ويُسمّي دياراتهم، ويفضلهم .

قال : وحدثني [من شهد دعبلأً] وقد أنشد قوله في عيسى بن البراء العبادي :

رُئِرُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ كَأَنَّهُ مِنْ كَبْدِي مَقْدُودٌ
[الرجز]

فقال دعبل : ما يعلم الله أنني حسدت أحداً قطّ كما حسدت بكراً على هذين البيتين .

كيف صبري عن بعض نفسي؟

وحدثني عمي عن الكراني قال:

حرم بعض الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خماري الحيرة، وركب فكسر نبذهم، فجاء بكر بن خازجة ليشرب عندهم على عادته، فرأى الخمر مصبوبة في الرّحاب والطرق، فبكى طويلاً، ثم أنشأ يقول:

يا لقومي لما جنى السلطان لا يكونن لما أهان الهوان
صَبَّها في التراب من حَلَب الكَر م عُقاراً كأنها الزعفرانُ
صَبَّها في مكان سوء لقد صا دَفَّ سَعْدُ السَّعُودِ ذاك المكانُ
من كُمَيْتٍ يُبدي المِزاجُ لها لُؤ لُؤْ نَظْمٍ والفصلُ منها جُمانُ
فإذا ما اصطبحتها صَغُرَتْ في الـ قَدَّرَ عِنْدِي من أجلها الخيزرانُ
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يَصُد بِر عن بعض نفسه الإنسانُ؟

[الخفيف]

قال: فأنشدتها الجاحظ فقال: إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً، وما أقدر على ذلك إلا أن تَعْمِدَنِي^(١)، وقد كان تقوس، فَعَمَدَتْه، فقام فكتبها قائماً.

الخمر تفسد عقله:

وقال محمد بن داود بن الجراح [في كتاب الشعراء: قال لي محمد بن الحجاج:] كانت الخمر قد أفسدت عقل بكر بن خازجة في آخر عمره، وصار يمدح ويهجو بالدرهم والدرهمين ونحو هذا، فاطَّرح، وما رأيت قط أحفظ منه لكل شيء حسن، ولا أروى منه للشعر.

قال: وأنشدني بعض أصحابنا له في حال فساد عقله:

هَبْ لي فديتك درهماً أو درهمين إلى الثلاثه
إنني أُحِبُّ بني الطُّفِيـ ل ولا أُحِبُّ بني عُلائه

[مجزوء الكامل]

يخاف أن يظنه الكلب غزاًلاً:

[قال ابن الجراح: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال:

(١) تَعْمِدَنِي: تسندني كالعمود.

حدثني بعض أصحابنا الكوفيين قال: حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي وبتنا عنده، فنمت فما أنبهني إلا صياح بكر يستغيث من العطش، فقلت له: ما لك؟ قُمْ فاشرب، فالدار مليء ماء، قال: أخاف، قلت: من أي شيء؟ قال: في الدار كلب كبير، فأخاب أن يظنني غزلاً فيثب عليّ ويقطعني ويأكلني، فقلت له: ويحك، أنت بالحمير أشبه منك بالغزال، قُمْ فاشرب إن كنت عطشان فأنت آمن، وكان عقله قد فسد من كثرة الشراب.

منزلة القراطيس:

قال: وأنشدني له وقد رأى صديقاً له قرأ رقعة من صديق له آخر ثم حرقها:

لم يَقَوَّ عندي على تحريق قرطاسي إلا امرؤ قلبه من صخرة قاسي
إن القراطيس من قلبي بمنزلة كالسمع [والعقل] والعينين في الرأس [البسيط]

عدوه بين أضلاعه:

ومما يغنى فيه من شعر بكر بن خارجة:

صوت

قلبي إلى ما ضرّني داعي يُكثر أحزاني وأوجاعي
لَقَلَّ ما أبقي على ما أرى يوشك أن ينعاني الناعي
كيف احتراسي من عدوّي إذا كان عدوّي بين أضلاعي؟
أسلمني الحبُّ وأشياعي لمّا سعى بي عندها الساعي
لَمّا دعاني حبُّها دعوة قلت له: لَبَّيك من داعي
[السريع]

الغناء لإبراهيم بن المهدي، ثقیل أول، وفيه لعبد الله بن العباس هزج، جميعاً عن الهشامي، وقيل: إن فيه لحناً لابن جامع.

وقد ذكر الصولي في أخبار العباس بن الأحنف وشعره أن هذه الأبيات للعباس بن الأحنف، وذكر محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان أنها لبكر بن خارجة.

صوت

ويُلي على ساكن شَطِّ الصَّراهِ^(١) من وجنتيه شَمْتُ بَرْق الحَياهِ
 ما تنقضي من عجب فِكْرتي في خَصْلَةٍ فَرَطَ فيها الوُلاه
 تركُ المُحبين بلا حاكمٍ لم يُقْعِدوا للعاشقين القُضاءَ
 [السريع]

الشعر لإسماعيل القراطيسي، والغناء للعباس بن منقار خفيف رمل بالوسطى.

(١) الصَّراة: المَحْفَلَة.

أخبار إسماعيل القراطيبي

مألف للشعراء :

هو إسماعيل بن معمر الكوفي، مولى الأشاعثة، وكان مألماً للشعراء، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم وطبقتهم يقصدون منزله، ويجتمعون عنده يقصفون^(١)، ويدعو لهم القيان وغيرهن من الغلمان ويساعدهم، وإياه يعني أبو العتاهية بقوله :

لقد أمسى القراطيبي رئيساً في الكشّاخين^(٢)
[الهنج]

[يعني الكشّاخنة].

وفي هذه الأبيات التي فيها الغناء يقول القراطيبي :

وقد أتاني خبرٌ ساءني مقالها في السرِّ واسوأته
أمثل هذا يبتغي وُضْلنا أما يرى ذا وجهه في المِراه؟
[السريع]

أنظر إلى وجهك ثم اعشق :

أخبرني ابن عمار قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني علي بن عمران قال :

قال القراطيبي : قلت للعباس بن الأحنف : هل قلت في معنى قولي :

وقد أتاني خبرٌ ساءني مقالها في السرِّ واسوأته
[السريع]

قال : نعم وأنشدني :

جارية أعجبها حسنُها
خَبَرْتُها أني مُحبٌّ لها
ومثلها في الناس لم يُخلَقْ
فأقبلت تضحك من منطقي

(١) يَقْصِفُونَ : يلهون ويلعبون .

(٢) الكشّاخين : مفردها الكشخان وهو الدبّوث .

والتفتت نحو فتاة لها قالت لها: قل لي لهذا الفتى
كالرَّشَاءِ^(١) الوَسْنان في قُرْطُقٍ^(٢) أنظر إلى وجهك ثم اعشّق
[السريع]

وادي غير ذي زرع:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهبويه قال: حدثني أحمد بن بشر
المرثدي قال:

مدح إسماعيل القراطيبي، الفضل بن الربيع فحرمه، فقال فيه:
ألا قُلْ للذي لم يَهْـمَ دِهَ اللّٰه إلى نفعِ
لئن أخطأتُ في مَدْحِيْـمَ لك ما أخطأتُ في مَنْعِيْـمَ
لقد أحللتُ حاجاتي بوادي غير ذي زرع
[الهج]

إلى بيت القراطيبي:

أخبرني محمد بن جعفر صهر المبرد قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهبويه
قال: حدثني أبو هفان عن الجمّاز قال:
اجتمع يوماً أبو نواس وحسين الخليع وأبو العتاهية في الحمام، وهم
مخمورون، فقالوا: أين نجتمع؟ فقال القراطيبي:

ألا قوموا بآجمعكم إلى بيت القراطيبي
لقد هَيَّأَ لنا النُّزْلَ غلامٌ فارهٌ طُوسِي
وقد هَيَّأَ الزَّجَاجَاتِ لنا من أرض بلقيسِ
وألواناً من الطَّيْرِ وألواناً من العيسِ
وقَيْنَاتٍ من الحُورِ كأمثالِ الطواويسِ
فنيكوهنَّ في ذاكُم وفي طاعة إبليسِ
[الهج]

(١) الرشاء: الظبي إذا قوي ومشى مع أمه، جمعها أرشاء.

(٢) القُرْطُق: بُسُّ معرَب: كُرْته.

صوت

أبكي إذا غضبت حتى إذا رضيْتُ بكيْتُ عند الرضا خوفاً من الغضبِ
فالويل إن رضيْتُ والعولُ إن غضبت إن لم يتمَّ الرضا فالقلبُ في تعبِ
[البسيط]

الشعر لأبي العبر الهاشمي، أنشدنيه الأخفش وجماعة من أصحابنا، وذكره له
محمد بن داود بن الجراح.

والغناء لعلية بنت المهدي ثاني ثقل بالوسطى عن الهاشمي.

أخبار أبي العبر ونسبه

اسمه ونسبه :

هو أبو العباس محمد بن أحمد ويلقب بحمدون الحامض بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس [بن عبد المطلب . وكان صالح الشعر مطبوعاً يقول الشعر] المستوي وهو غلام إلى أن ولي المتوكل الخلافة فترك الجِدَّ وعدل إلى الحمق والشهرة به ، وقد نَيْفَ على الخمسين ، ورأى أن شعره مع توسّطه لا يَنْفُقُ مع مشاهدته أبا تمام الطائي والبحري وأبا السمط بن أبي حفصة ونظراءهم .

كسب بالحمق أضعاف ما يُكسب بالجد :

حدثني عمُّ أبي ، عبدُ العزيز بن أحمد قال : سمعت حمدون الحامض يذكر أن ابنه أبا العبر ولد بعد خمس سنين خلت من خلافة الرشيد ، قال : وعُمِّرَ إلى خلافة المتوكل ، وكسب بالحمق أضعاف ما كسبه كل شاعر كان في عصره بالجدِّ ، وَنَفَقَ نَفَاقاً عظيماً ، وكسب في أيام المتوكل مالاً جليلاً ، وله فيه أشعار حميدة يمدحه بها ، ويصف قصره ، وبرج الحمام والبركة ، كثيرة المحال ، مفرطة السقوط ، لا معنى لذكرها لا سيما وقد شهرت في الناس .

فحدثني محمد بن أبي الأزهر قال : حدثني الزبير بن بكار قال : قال لي عمي : ألا يأنف الخليفة لابن عمه هذا الجاهل مما قد شهر به وفضح عشيرته؟ والله إنه ليعرُّ بني آدم جميعاً فضلاً عن أهله الأذنين ، أفلا يردعه ويمنعه من سوء اختياره؟ فقلت : إنه ليس بجاهل كما تقدّر ، وإنما يتجاهل ، وإن له لأدباً صالحاً ، وشعراً طيباً ثم أنشدته قوله :

لا أقول الله يظلمني	كيف أشكو غير مُتَّهِمٍ
وإذا ما الدهر ضعضعني ^(١)	لا تجدني كافر النعم
قنعت نفسي بما رزقت	وتناهت في العلا هممي
ليس لي مال سوى كرمي	وبه أُمْنِي من العدم

[المديد]

(١) ضَضَعَ: خضع وأذلّ، ويقال: «تضضع به الدهر» أي أذله.

فقال لي: ويحك، فلم لا يلزم هذا وشبهه؟ فقلت له: واللّه يا عم لو رأيت ما يصل إليه بهذه الحماقات لعذرته، فإن ما استملحت له لم ينفق به، فقال عمي وقد صعب عليه هذا القول: أنا لا أعذره في هذا ولو حاز به الدنيا بأسرها، لا عذرني اللّه إن عذرته إذن.

وحدثني مدرك بن محمد الشيباني قال:

حدثني أبو العنيس الصيمري قال: قلت لأبي العبر ونحن في دار المتوكل: ويحك، أيش يحملك على هذا السخف الذي قد ملأت به الأرض شعراً وقصصاً وخطباً وأنت أديب ظريف مليح الشعر؟ فقال لي: يا كشخان، أتريد أن أكسد أنا وتنفق أنت؟ أنت أيضاً أديب شاعرٌ فهم متكلم قد تركت العلم وصنعت في الرقاعة نيفاً وثلاثين كتاباً، أحب أن تخبرني: لو نفق العقل، أكنت تقدم على البحري وقد قال في الخليفة بالأمس:

عن أي ثغر تبتم وبأي طرف تحتكم
[مجزوء الكامل]

فلما خرجت أنت عليه وقلت:

في أي سلح ترتطم وبأي كف تلتطم
أدخلت رأسك في الرحم وعلمت أنك تنهزم
[مجزوء الكامل]

فأعطيت الجائزة وحرّم، وقربت وأبعد، في جر أمك، وجر أم كل عاقل معك. قال: فتركته وانصرفت.

قال مدرك: ثم قال لي أبو العنيس: قد بلغني أنك تقول الشعر، فإن قدرت أن تقول جيداً جيداً وإلا فليكن بارداً بارداً مثل شعر أبي العبر، وإياك والفاتر فإنه صفع كله.

كذب المأبون:

حدثني جعفر بن قدامة قال:

حدثني أبو العيّن قال: أنشدت أبا العبر:

ما الحب إلا قبله وغمز كف وعَضْد
أو كُتب في هارقي أنفذ من نفث العُقْد

من لم يكن ذا حُبِّه فإنما يبغى الولد
ما الحُبُّ إلا هكذا إن نكح الحُبُّ فسَدَ

[مجزوء الرجز]

فقال لي: كذب المأبون وأكل من خراي رطلين وربعاً بالميزان، فقد أخطأ وأساء، ألا قال كما قلت:

وباض الحب في قلبي فواويلي إذا فَرَّخُ
وما ينفعني حُبِّي إذا لم أكنس البَرِيخُ^(١)
وإن لم يطرح الأصلعُ خُرجيه على المَطْبَخُ

[الهج]

ثم قال: كيف ترى؟ قلت: عجباً من العجب، قال: ظننت أنك تقول لا، فسأبل يدي وأرفعها. ثم سكت، فبادرت وانصرفت خوفاً من شره.

مجلس عجيب:

حدثني عبد العزيز بن أحمد عم أبي قال:

كان أبو العبر يجلس بسر من رأى في مجلس يجتمع عليه فيه المُجَّان يكتبون عنه، فكان يجلس على سُلَّم وبين يديه بلاعة فيها ماء وحمأة، وقد سد مجراها، وبين يديه قصبة طويلة، وعلى رأسه خفّ، وفي رجليه قَلَنَسِيتان، ومُستمليه في جوف بئر، وحوله ثلاثة نفر يدقون بالهواوين، حتى تكثر الجلبة ويقلّ السماع، ويصبح مستمليه من جوف البئر من يكتب عذبك الله، ثم يملي عليه، فإن ضحك أحد ممن حضر قاموا فصبوا على رأسه من ماء البلاعة، إن كان وضعياً، وإن كان ذا مروءة رَشَّشَ عليه هو بالقصبة من مائها، ثم يحبس في الكنيف إلى أن ينفذ المجلس، ولا يخرج منه حتى يغرم درهمين، قال: وكانت كنيته أبا العباس فصيرها أبا العبر، ثم كان يزيد فيها في كل سنة حرفاً حتى مات، وهي أبو العبر طرد طيل طيري بك بك بك.

ماذا يعمل بالسمكة؟

حدثني جحظة قال: رأيت أبا العبر بسر من رأى، وكان أبوه شيخاً صالحاً، وكان لا يكلمه، فقال له بعض إخوانه: لم هجرت ابنك؟ قال: فضحني كما تعلمون

(١) البريخ: مجرى للماء من الخزف أو ما شاكله.

بما يفعله بنفسه، ثم لا يرضى بذلك حتى يهجنني^(١) ويؤذيني ويضحك الناس مني، فقالوا له: وأي شيء من ذاك؟ وبماذا هجنتك؟ قال: اجتاز عليّ منذ أيام ومعه سلّم، فقلت له: ولأي شيء هذا معك؟ فقال: لا أقول لك، فأخجلني وأضحك بي كل من كان عندي، فلما أن كان بعد أيام اجتاز بي ومعه سمكة، فقلت له: أيش تعمل بهذه؟ فقال: أنيكها. فحلفت لا أكله أبداً.

كلام ليس في الدنيا أحقق منه:

أخبرني عمّ أبي، عبدُ العزيز قال: سمعت رجلاً سأل أبا العبر عن هذه المحالات التي يتكلم بها: أي شيء أصلها؟ قال: أبكر فأجلس على الجسر، ومعني دواة ودرج^(٢)، فأكتب كل شيء أسمع من كلام الزاهب والجائي والملاحين والمكاريين، حتى أملأ الدرّج من الوجهين، ثم أقطعه عرضاً، وألصقه مُخالفاً، فيجيء منه كلام ليس في الدنيا أحقق منه.

يصطاد بجميع جوارحه:

أخبرني عمّي قال: رأيت أبا العبر واقفاً على بعض آجام سرّ من رأى، وبيده اليسرى قوس جلاّهق^(٣)، وعلى يده اليمنى باسق، وعلى رأسه قطعة رثّة في حبلٍ مشدود بأنشودة^(٤)، وهو عريان، في أيره شعر مفتول مشدود فيه شصّ، قد ألّقه في الماء للسمك، وعلى شفته دوشاب^(٥) ملطّخ، فقلت له: خرب بيتك، أيش هذا العمل؟ فقال: أصطاد يا كشيخان يا أحقق بجميع جوارحي، إذا مر بي طائر رميته عن القوس، وإن سقط قريباً مني أرسلت إليه الباسق، والرثّة التي على رأسي يجيء الحدأ ليأخذها فيقع في الوهق^(٦)، والدوشاب أصطاد به الذباب فأجعله في الشص فيطلبه السمك ويقع فيه، والشصّ في أيري فإذا مرت به السمكة أحسست بها فأخرجتها.

المتوكل يعث به:

قال: وكان المتوكل يرمي به في المنجنيق إلى الماء وعليه قميص حرير، فإذا علا في الهواء صاح: الطريق الطريق، ثم يقع في الماء، فتخرجه السُّبّاح.

(١) يهجنني: يقبحني.

(٢) الدرّج: ما يكتب فيه.

(٣) الجلاّهق: هي القوس التي يرمى بها البندق.

(٤) أنشودة: عقدة يسهل إنحلالها كعقدة التّكة.

(٥) الدوشاب: يمكن أن يكون نوعاً من المصائد يُصطاد بها الذباب.

(٦) الوهق: الحبل يُرمى في أنشودة، فتؤخذ به الدابة والإنسان، جمعها أوهاق.

قال: وكان المتوكل يجلسه على الزلاّقة، فينحدر فيها حتى يقع في البركة، ثم يطرح الشبكة فيخرجه كما يخرج السمك، ففي ذلك يقول في بعض حماقاته:

ويأمر بي المَلِكُ فيطرحني في البرك
ويصطادني بالشَّبَك كأني من السمك
[ويضحك كك كك كك كك كك ...]

[المتقارب]

امتخط حوت:

وحدثني جعفر بن قدامة قال:

قدم أبو العبر بغداد في أيام المستعين، وجلس للناس، فبعث إسحاق بن إبراهيم فأخذه وحبسه، فصاح في الحبس: لي نصيحة، فأخرج، ودعا به إسحاق فقال: هات نصيحتك، قال: على أن تؤمنني، قال: قد آمنتك، قال: الكشكية أصلحك الله لا تطيب إلا بالكشك، فضحك إسحاق وقال: هو فيما أرى مجنون. فقال: لا هو امتخط حوت، قال: أيش هو امتخط حوت؟ [قال: زعمت أني مججت نون، وما فعلت إلا امتخطت حوت] ففهم ما قاله وتبسم، ثم قال: أظن أني فيك مأثوم، قال: لا ولكنك في ماء بصل، فقال: أخرجوه عني إلى لعنة الله ولا يقيم ببغداد فأردّه إلى الحبس، فعاد إلى سر من رأى.

يخاطب غلاماً أمرد:

وله أشعار ملاح في الجدّ، منها ما أنشدنيه الأخفش له يخاطب غلاماً أمرد:

أيها الأمرد المولّع بالهـج رَأْفَقْ مَا كَذَا سَبِيلُ الرِّشَادِ
فكأنني بِحُسْنِ وجهك قد أُلِّج بِسِيسِ فِي عَارِضِيكَ ثُوبِ جِدَادِ
وكأنني بعاشقك وقد بُدِّلَتْ فيهم من خُلْطَةِ بَبْعَادِ
حين تنبو العيون عنك كما يند قَبْضُ السَّمْعِ عَنْ حَدِيثِ مُعَادِ
فاغتتم قبل أن تصير إلى كا ن وَتُضْجِي فِي جَمْلَةِ الْأُضْدَادِ
[الخفيف]

يحيي موته قُبلة:

وأنشدني محمد بن داود بن الجراح له، وفيه رمل طنبروري محدث أظنه لجحظة:

صوت

داء دفين وهوى بادي
يا واحد الأمة في حسنه
قد كدت مما نالني في الهوى
عبدك يُحيي مَوْتَه قُبْلَهُ
أظلم فجازيك بمرصاد
أشمت بي صدك حُسَّادي
أخفى على أعين عَوَّادي
تجعلها خاتمة الزاد
[السريع]

كان أديباً ثم تحامق :

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال :
حدثني أحمد بن علي الأنباري قال : كنا في مجلس يزيد بن محمد المهلبى بسرّ
من رأى ، فجرى ذكر أبي العبر ، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه ، فقلت ليزيد :
كيف كان عندك فقد رأيته ؟ فقال : ما كان إلا أديباً فاضلاً ، ولكنه رأى الحماقة أنفق
وأنفق له فتحامق ، فقلت له : أنشدك أبياتاً له أنشدنيها ، فانظر لو أراد دعبل فإنه أهجى
أهل زماننا أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيد على ما قال ، قال : أنشدنيها ،
فأنشدته قوله :

رأيت من العجائب قاضيين
هما اقتسما العمى نصفين قدّاً
هما فآل الزمان بهلك يحيى
وتحسب منهما من هزّ رأساً
كأنك قد جعلت عليه دناً^(١)
هما أحدى في الخافقين
كما اقتسما قضاء الجانبيين
إذا فُتح القضاء بأعورين
لينظر في مواريت ودين
فتحت بُزّاله^(٢) من فرد عَيْن
[الوافر]

فجعل يضحك من قوله ويعجب منه ، ثم كتب الأبيات .

نصيحة :

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال :
حدثني ابن أبي أحمد قال : قال لي أبو العبر : إذا حدثك إنسان بحديث لا

(١) الدَّن : الراقود العظيم .

(٢) البُزّال : موضع البُزّل من إناء الخمر ، والبُزّل هو الشق أو الثقب من الإناء .

تشتهي أن تسمعه فاشتغل عنه بنتف إبطك ، حتى يكون هو في عمل وأنت في عمل .

سبب ميته :

وقال محمد بن داود : حدثني أبو عبد الله الدوادى قال :

كان أبو العبر شديد البغض لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وله في العلويين هجاء قبيح ، وكان سبب ميته أنه خرج إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع الرماة من أهلها في آجامهم ، فسمعه بعض الكوفيين يقول في علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قولاً قبيحاً استحل به دمه فقتله في بعض الآجام وغرقه فيها .

صوت

لا تَلْمَنِي أَنْ أَجْزَعَا	سَيِّدِي قَد تَمَنَّعَا
وَابْلَائِي إِنْ كَانَ مَا	بَيْنَنَا قَدْ تَقَطَّعَا
إِنْ مَوْسَى بِفَضْلِهِ	جَمَعَ الْفَضْلَ أَجْمَعَا

[مجزوء الخفيف]

الشعر ليوسف بن الصيقل والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالبنصر .

أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه

اسمه ونسبه :

هو يوسف بن الحجاج الصيقل، يقال: إنه من ثقيف، ويقال: إنه مولى لهم، وذكر محمد بن داود بن الجراح أنه كان يلقب: لَقْوَة، وأنه كان يصحب أبا نواس ويأخذ عنه ويروي له.

وأبوه الحجاج بن يوسف محدث ثقة، وروى لنا جماعة من شيوخنا عنه، منهم ابن منيع، والحسن بن الطيب الشجاع، وابن عفير الأنصاري. وكان يُوسف بن الصيقل كاتباً، ومولده ومنشؤه بالكوفة.

ستون ألف درهم من الهادي :

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال أحمد بن صالح الهاشمي:

قال لنا يوسف بن الصيقل يوماً، وقد رأى الشعراء بأيديهم الرِّقَاع يطوفون بها، فقال: صنع الله لكم، ثم أقبل على إبراهيم الموصلي فقال له: كنا نهزل فنأخذ الرغائب، وهؤلاء المساكين الآن يَجِدُون فلا يُعْطَوْنَ شيئاً، ثم قال لإبراهيم: أتذكر ونحن بجرجان مع موسى الهادي، وقد شرب على مستشرف عال جداً، وأنت تغنيه هذا الصوت:

واستدارت رِحَالُهُمْ بِالرُّدَيْنِي^(١) شُرْعَا

[مجزوء الخفيف]

فقال: هذا لحن مليح، ولكنني أريد له شعراً غير هذا، فإن هذا شعر بارد، والتفت إليّ فقال: اصنع في هذا الوزن شعراً، فقلت:

لا تلمني أن أجزعا سيدي قد تمنّعا

[مجزوء الخفيف]

(١) الرُّدَيْنِي: الرمح، نسبة إلى رُدَيْنَة وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرّماح.

وَعَثَّيْتَهُ فِيهِ بِذَلِكَ اللَّحْنِ، وَمَرَّتْ بِهِ إِبِلٌ يُثْقَلُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: أَوْقَرُوهَا لِهَما مَالاً، فَأَوْقَرَتْ مَالاً، وَحُمِلَ إِلَيْنَا فَاقْتَسَمْنَاهُ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: نَعَمْ، وَأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سِتُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ.

نسبة هذا الصوت الذي غناه

صوت

فَارَسٌ يَضْرِبُ الْكُتَيْبَةَ حَتَّى تَصْدَعَا	فَارَسٌ يَضْرِبُ الْكُتَيْبَةَ حَتَّى تَصْدَعَا
فِي الْوُغَى حِينَ لَا يَرَى	صَاحِبُ الْقَوْسِ مَنزَعَا
وَاسْتَدَارَتْ رِحَالُهُمْ	بِالرُّكْنَيْنِ شُرْعَا
ثُمَّ ثَارَتْ عَجَاجَةٌ ^(١)	تَحْتَهَا الْمَوْتُ مُنْقَعَا

[مجزوء الخفيف]

في هذه الأبيات رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى سباط، وفيه لابن جامع خفيف رمل بالبنصر.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن محمد بن عبد الله العبدى.

فذكر مثل هذه القصة، إلا أنه حكى أنها كانت بالركة لا بجرجان وأن الرشيد كان صاحبها لا موسى.

يكمن للرشيد:

أخبرني الحسن بن علي العنزي قال: حدثني محمد بن يونس الربيعي قال: حدثني أبو سعيد الجندي سابوري قال:

لما ورد الرشيد الرقة خرج يوسف بن الصيقل، وكمن له في نهر جاف على طريقه، وكان لهارون خدم صغار، يسميهم النمل، يتقدمونه، بأيديهم قسي البندق، يرمون بها من يعارضه في طريقه، فلم يتحرك يوسف حتى وافت قبة هارون على ناقة، فوثب إليه يوسف، وأقبل الخدم الصغار يرمونه، فصاح بهم الرشيد رحمه الله تعالى: كفوا عنه، فكفوا، وصاح به يوسف يقول:

(١) العجاجة: الإبل الكثيرة العظيمة والعجاجة أيضاً الغبار أو الريح التي إذا اشتدت أثارت الغبار.

صوت

أغِيثاً تَحْمِلُ الناقِـةُ أم تَحْمِلُ هَارُونَا؟
 أم الشَّمْسُ أم البَدْرُ أم الدُّنْيَا أم الدِّينَا؟
 ألا كُـلُّ الَّذِي عَدَدَ ت قد أصبح مقرونَا
 على مَفْرَقِ هَارُونِ فداه الأدميـونَا

[الهزج]

فمد الرشيد يده إليه وقال له: مرحباً بك يا يوسف، كيف كنت بعدي؟ اذنُ مني، فدنا، وأمر له بفرس فركبه وسار إلى جانب قبته ينشده ويحدثه، والرشيد يضحك، وكان طيب الحديث، ثم أمر له بمال، وأمر بأن يغنى في الأبيات.
 الغناء في هذه الأبيات لابن جامع خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي.

يجاهر باللواط:

وقال محمد بن داود:

كان يوسف فاسقاً مجاهرًا باللواط، وله فيه أشعار فمنها قوله:

لا تبخلنَّ على النديـمِ م بردف ذي كَشَحٍ هَضِيمِ
 تعلو وينظر حَسْرَةً نَظَرَ الحِمَارِ إِلَى القَضِيمِ
 وإذا فرغت فلا تَقُـمِ حتّى تُصَوِّتَ بالنديـمِ
 فإذا أجاب فقلْ هَلُمَّ إلى شهادة ذي الغريمِ
 واتبع للذِّتِّك الهوى ودع الملامَةَ لِلْمُـلِيمِ
 [مجزوء الكامل]

قال: وهذا الشعر يقوله لصديق له رآه قد علا غلاماً له، فخاطبه به.

ومن مشهور قوله في هذا المعنى:

لا تنيكن ما حييـة ت غلاماً مكابِـرة
 لا تمرََّنَّ بأسـتـه دون دَفْعِ المُمُؤامِـرة
 إن هذا اللواط دِيـة ن تـراه الأُسـاورِـة
 وهمُّ فيه منصفو ن بحُسن المعاشِـرة

[مجزوء الخفيف]

ومن قوله في هذا المعنى أيضاً هذه الأبيات :

صَعُ كَذَا صَدْرَكَ لِي يَا سَيِّدِي وَأَتَّخِذُ عِنْدِي إِلَى الْحَشْرِ يَدًا
إِنَّمَا رَدَفَكَ سِرَجٌ مُذْهَبٌ كُشِفَ الْبَزِيُونَ^(١) عَنْهُ فَبَدَا
فَأَعْرَضْنِيهِ وَلَا تَبْخُلْ بِهِ لَيْسَ يُبْلِيهِ رَكُوبِي أَبَدًا
بَلْ يُصَفِّئِهِ وَيَجْلُوهُ وَلَا أَثَرُ تَرَاهُ فِيهِ أَبَدًا
فَاذْنُ يَا حَبِّ وَطْبُ نَفْسًا بِهِ إِنَّ ذَاكَ الدَّيْنَ تُقْضَاهُ غَدًا
[الرملة]

يهجو القيان :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدثني عمر بن شبّة، عن أحمد بن صالح الهاشمي قال :

هجا يوسف بن الصيقل القيان فقال :

إِخْذَرْ فِدَيْتَكَ مَا حَيَّيْ تَ حَبَائِلَ الْمُتَشَاكَلاتِ
فَلَهُنَّ يُفْلِسُنَ الْفَتَى وَكَفَى بِهِنَّ مُفْلَسَاتِ
وَيْلَ امْرِئٍ غَرَّ تَجِيهِ رِقَاعُهُنَّ مُخْتَمَاتِ
وَرِقَاعُهُنَّ إِلَيْهِمْ بِرُقَى الْقِحَابِ^(٢) مُسْطَرَاتِ
وَعَلَى الْقِيَادَةِ رُسُلُهُ نَّ إِذَا بُعِثْنَ مُدْرَبَاتِ
يَهْدِمْنَ أَكْيَاسَ الْعَنِيِّ مِنَ الْمَمْنُونَةِ وَالْهَبَاتِ
حَفَرَ الْعُلُوجَ سَوَاقِيَاً لِّلْمَاءِ فِي الْأَرْضِ الْمَوَاتِ
فِيَصِيرُ مِنْ إِفْلَاسِهِ وَمِنَ النَّدَامَةِ فِي سُبَاتِ
[مجزوء الكامل]

قال : وشاعت هذه الأبيات وتهادها الناس ، وصارت عبثاً بالقيان لكل أحد ، فكانت المغنية إذا عثرت قالت : تعس يوسف .

ثلاثة آلاف دينار :

أخبرني الحسن بن علي قال : أخبرني عيسى بن الحسن الأدمي قال : حدثني أحمد بن أبي فنن قال :

(١) البزيون : السُّندس .

(٢) القِحَاب : مفردتها القحبة ، وهي الفاسدة الجوف من داء والفاجرة .

أحضر الرشيد عشرة آلاف دينار من ضرب السَّنة ففرقها حتى بقيت منها ثلاثة آلاف دينار، فقال: ابغوني شاعراً أهبها له، فوجدوا منصوراً النمري ببابه، فأدخل إليه، فأنشده، وكان قبيح الإنشاد، فقال له الرشيد: أعانك الله تعالى على نفسك، انصرف، فقال: يا أمير المؤمنين، قد دخلت إليك دخلتين لم تعطني فيهما شيئاً، وهذه الثالثة، ووالله لئن حرمتني لا رفعت رأسي بين الشعراء أبداً. فضحك الرشيد، وقال: خذها، فأخذها، ونظر الرشيد إلى الموالى ينظر بعضهم بعضاً، فقال: كأني قد عرفت ما أردتم [إنما أردتم] أن تكون هذه الدنانير ليوسف بن الصيقل، وكان يوسف منقطعاً إلى الموالى يناديهم ويمدحهم، فكانوا يتعصبون له، فقالوا له: إي والله يا أمير المؤمنين، فقال: هاتوا ثلاثة آلاف دينار، فأحضرت، فأقبل على يوسف فقال: هات أنشدنا. فأنشده يوسف:

تصدت له يوم الرصافة زينب

فقال له: كأنك امتدحتنا فيها، فقال: أجل والله يا أمير المؤمنين، فقال: أنت ممن يوثق بنيته ولا تُتهم مولاته، هات من ملحك ودع المديح، فأنشده قوله:

صوت

ألعفو يا غضبان	ما هكذا الخلال
هبني ابتليت بذنب	أماله غفران؟
وإن تعاضم ذنب	ففوقه الهجران
كم قد تقربت جهدي	لوي نفع القربان
يا رب أنت على ما	قد حل بي المستعان
ويلي ألسن تراني	أهذي بها يا فلان

[المجث]

فقال الرشيد: ومن فلان هذا ويلك؟ فقال له الفضل بن الربيع: هو أبان مولاك يا أمير المؤمنين، فقال له الرشيد: ولم لم تنشدي كما قلت يا نبطي؟ فقال: لأنني غضبان عليه. قال: وما أغضبك؟ قال: مدت دجلة فهدمت داري وداره، فبنى داره وعلاها حتى سترت الهواء عني، فقال: لا جرم ليعطينك الماص بظر أمه عشرة آلاف درهم حتى تبني بناء تعلو به على بنائه فتستر أنت الهواء عنه، ثم قال له: خذ في شعرك، فأنشده نحواً من هذا الشعر، فقال للفضل بن الربيع: يا عباسي، ليس هذا

بشعر ما هو إلا لعب، أعطوه ثلاثة آلاف درهم مكان الثلاثة الآلاف الدينار، فانصرف الموالي إلى صالح الخازن فقالوا له: أعطه ثلاثة آلاف دينار كما أمر له أولاً، فقال: استأمره ثم افعل، فقالوا له: أعطه إياها بضماننا، فإن أمضيت له وإلا كانت في أموالنا، فدفعتها إليه بضمانهم، فأمضيت له. فكان يوسف يقول بعد ذلك: كنا نلعب فنأخذ مثل هذه الأموال، وأنتم تقتلون أنفسكم فلا تأخذون شيئاً.

صوت

لقد طال عهدي بالإمام محمدٍ وما كنت أخشى أن يطول به عهدي
فأصبحت ذا بُعْدٍ وداري قريبة فواعجبا من قرب داري ومن بُعدي
فيا ليت أن العيدَ لي عاد مرَّةً فإنني رأيت العيدَ وجهك لي يُبدي
رأيتك في بُرْدِ النَّبِيِّ محمدٍ كبدر الدُّجى بين العِمامة والبُرْدِ
[الطويل]

الشعر لمروان بن أبي حفصة الأصغر، والغناء لبنان خفيف رمل بالبنصر.

أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر

اسمه ونسبه :

هو مروان بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة . قد تقدم خبره ونسبه، ويكنى مروان الأصغر أبا السمط، وكان يتشبه بجده في شعره، ويمدح المتوكل، ويتقرب إليه بهجاء آل أبي طالب، فتمكن منه وقرب إليه، وكسب معه مالا كثيرا، فلما أفضت الخلافة إلى المنتصر تجنب مذهب أبيه في كل أمر، فطرده وحلف ألا يدخل إليه أبدا لما كان يسمعه منه في أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - .

مائة ألف درهم من المتوكل :

فأخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالاً: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال :

دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل فأنشده قوله :

سلام على جُمْلٍ وهيهات من جُمْلٍ ويا حبّذا جُمْلٍ وإن صرمت حَبْلِي
[الطويل]

وهي من مشهور شعره، وفيها يقول :

أبوكم عليّ كان أفضل منكم وساء رسول الله إذ ساء بنته
وساء رسول الله إذ ساء بنته أراد على بنت النبي تزوجاً
فدّم رسول الله صهر أبيكم فذمّ رسول الله صهر أبيكم
وحكم فيها حاكمين أبوكم وحكم فيها حاكمين أبوكم
وقد باعها من بعده الحسن ابنه وقد باعها من بعده الحسن ابنه
وخلّيتموها وهي في غير أهلها وخلّيتموها وهي في غير أهلها
[الطويل]

فوهب له المتوكل مائة ألف درهم .

المتوكل يحشو فاه بالجوهر :

وقال محمد بن داود بن الجراح : حدثني محمد بن القاسم قال : حدثني أبو هاشم الجُبَّائي قال :

دخل أبو السمط على المتوكل فأنشده قوله :

أَلصَّهْرُ لَيْسَ بِوَارِثٍ	وَالْبِنْتُ لَا تَرِثُ الْإِمَامَةَ
لَوْ كَانَ حَقُّكُمْ لَهُمْ	قَامَتْ عَلَى النَّاسِ الْقِيَامَةُ
أَصْبَحْتَ بَيْنَ مُحَبِّكُمْ	وَالْمُبْغِضِينَ لَكُمْ عِلَامَةَ

[مجزوء الكامل]

فحشا المتوكل فاه بجوهر لا يُدْرَى ما قيمته .

من كان الرسول؟

وحدثني أحمد بن جعفر جحظة قال :

أنشد أبو السمط المتوكل قوله :

إِنِّي نَزَلْتُ بِسَاحَةِ الْمُتَوَكِّلِ وَنَزَلْتُ فِي أَقْصَى دِيَارِ الْمُوَصِّلِ
[الكامل]

فقال الفتح بن خاقان : فإذا كانا متباعدين هكذا فمن كان الرسول؟ فقال أبو العنبر الصيمري : كانت لها طيور هدى تحمل إليها كتبه . فضحك المتوكل حتى ضرب برجله الأرض وأجزل صلة الصيمري : ولم يعط أبا السمط شيئاً ، فماتا متهاجرين .

يمدح المتوكل وولاة العهود الثلاثة :

أخبرني عمي والحسن بن علي قالا : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنا حماد بن أحمد البتي قال : أخبرني أبو السمط مروان بن أبي الجنوب قال : لما صرت إلى المتوكل ومدحته ومدحت ولادة العهود الثلاثة ، وأنشدته ذلك في قولتي :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامَ عَلَى نَجْدٍ	وَيَا حَبِّدَا نَجْدٌ عَلَى النَّأْيِ وَالْبَعْدِ
نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَغْدَادُ دُونَهَا	لَعَلِّي أَرَى نَجْدًا وَهِيَهَاتَ مَنْ نَجْدِ
بِلَادَ بِهَا قَوْمٌ هَوَاهُمْ زِيَارَتِي	وَلَا شَيْءَ أَشْهَى مِنْ زِيَارَتِهِمْ عِنْدِي

[الطويل]

فلما استتممتها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه .

ما القصة؟

أخبرني علي بن أبي العباس بن أبي طلحة قال : حدثني إبراهيم بن محمد أبو إسحاق قال :

حدثني خالد بن يزيد الكاتب قال : دعاني المتوكل ليلة وقد غنى عنده عمر الطنبوري في قولي :

يا مقلتي قتلتماني فبقيتُ رحمةً من براني
من ذا ألوم وأنتما بيد الهوى أسلمتاني؟
[مجزوء الكامل]

قال : ولم يغنه البيت الثالث وهو :

لعبت بنا أيدي الخطو ب وغاننا ريبُ الزمانِ
[مجزوء الكامل]

كراهة أن يتطير منه ، فجعل ينظر إليّ وأنا واقف ، ثم قال لي : ويلك يا خالد ، تهرب منا ونحن نطلبك وأنت في غيابات صبواتك وغزلك . يا غلام اسقه ثلاثة أقداح في القدح المبرم - وهو الذي لا قرار له ، فإذا أخذه الإنسان لم يقدر أن يضعه من يده - فقلت :

سيدي لا تسقني أكثر من رطل نبيذٍ
إن شُربي للذي يؤلمني غير لذيذٍ
[مجزوء الرجز]

فقال : يا غلام ، إن لم يشرب فاصفعه ، فقلت :

سيدي حوصلتي^(١) ضيقة عن شرب رطلٍ
فمتى زدت عليه خفت أن يذهب عقلي
[مجزوء الرمل]

فقال الفتح : هو كما قال يا سيدي لا يطيق الشرب ، وحضر ابن أبي حفصة ، فقال لنا المتوكل : قولاً على البديهة . فقلت له : هو يا سيدي شيخ الشعراء ومادحك ، وآبؤه مداح آبائك . فأنشأ يقول :

(١) الحوصلة : هي من الطير كالمعدة للإنسان .

يَا لَيْتَ [لِي] أَلْفَ عَيْنٍ عَيْنَايَ لَا تَكْفِيَانِ

[المجث]

فقلت له: سخنت عينك^(١)، أنا لي عين واحدة أدعو الله عليها بالعمى منذ ستين سنة أقول:

يَا عَيْنَ أَنْتَ بَلَيْتَنِي فَأَرَا حَنِي الرَّحْمَنِ مِنْكَ

[مجزوء الكامل]

وأنت تتمنى ألف عين، ثم قال لي المتوكل: اهجه. فقلت: إن الرجل لم يعرض لي. فأقبل هو عليّ وقال: قل ما شئت، وما عسى أن تقول؟ فقلت:

زَادَ الْبَرْدُ يَوْمَيْنِ فَقَالَ النَّاسُ: مَا الْقَصَّةُ

فَقُلْنَا: انْشَدُونَا شَعْرَ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ

فَتَى مِنْ شَهْوَةِ النَّيْكِ بِحُلُقُومِ اسْتَهَ غَصَّهْ

وَلَوْ يُرْمَى بِبَطِيخٍ لَوَافِي دُبْرَهُ رَصَّهْ

[الهزج]

قال: فضحك المتوكل حتى صفق برجليه الأرض، وأقحم مروان، ثم أمر لي بجائزة وانصرفت.

المتوكل يأمر بإحضاره:

قال ابن أبي طاهر: حدثني مروان بن أبي الجنوب قال: لما استخلف المتوكل بعثت إلى ابن أبي دؤاد بقصيدة مدحته فيها وذكرت فيها ابن الزيات ببيتين وهما:

وَقِيلَ لِي الزِّيَاثُ لَا قَى حِمَامِهِ^(٢) فَقُلْتُ أَتَانِي اللَّهُ بِالْفَتْحِ وَالنُّصْرِ

لَقَدْ حَفَرَ الزِّيَاثُ بِالْبَغْيِ حَفْرَةَ فَأَلْقَاهُ فِيهَا اللَّهُ بِالْكَفْرِ وَالْغَدْرِ

[الطويل]

قال: فذكرني ابن أبي دؤاد للمتوكل، فأمر بإحضاري. فقيل له: نفاه الوثائق إلى اليمامة، وذلك لميله إليك. فقال: يُحْمَلُ، فقال له ابن أبي دؤاد: عليه ستة آلاف دينار دين. فقال: يكتب له بها إلى عامل اليمامة. فكتب لي بها وبالحملان والمعونة، فقدمت عليه وأنشدته قولِي:

(١) سخنت عينك: يقال سخنت عينك أي أبكاك الله لأن سخونة العين نقيض قُرَّتْهَا.

(٢) الحِمَام: ما قُدِّرَ وقُضِيَ أو الموت.

صوت

رحل الشبابُ وليته لم يرحلِ والشيبُ حلّ وليته لم يحلّ
[الكامل]

فلمّا بلغت إلى هذا البيت :

كانت خلافة جعفر كنبوّة جاءت بلا طلب ولا بتمحّل^(١)
وهب الإله لك الخلافة مثل ما وهب النبوة للنبي المرسل
[الكامل]

فأمر لي بخمسين ألف درهم .

وفي أول هذه القصيدة لعريب ثاني ثقیل بالوسطى .

والصوت المذكور في أول هذه الأخبار من قصيدة قالها أبو السمط في المنتصر
لمّا وَلِيَ الخلافة .

الكافر ابن الزانية :

أخبرني بخبره فيها جماعة من أصحابنا منهم محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد
والحسن بن علي قالاً : حدثنا محمد بن موسى قال : حدثني القاسم بن محمد الكاتب قال :

حدثني المرزبان بن الفروران حاجب المنتصر قال : إن مروان بن أبي حفصة
الأصغر المكنى أبا السمط استأذن على المنتصر لمّا وَلِيَ الخلافة ، فقال : والله لا
أذنت للكافر ابن الزانية ، أليس هو القائل :

وحكّم فيها حاكمين أبوكم هما خلعاها خلع ذي النعل للنعل
[الطويل]

قولوا له : لا وصلت إليّ أبداً . فلما بلغه هذا القول عمل هذا الشعر .

لقد طال عهدي بالإمام محمد

وذكر الأبيات كلها .

قال : وسأل بنان بن عمرو فصنع فيه لحناً وغطى به المنتصر ، فلما سمعه سأل
عن قائلها ، فأخبرته ، فقال : أما الوصول إليّ فلا سبيل إليه ، ولكن أعطوه عشرة آلاف
درهم يتحمل بها إلى الإمامة .

(١) التّمحّل : الاحتيال والتكلف .

بين علي بن الجهم وأبي السمط :

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال : حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال : حدثني أحمد بن الفضل الكاتب قال :

لما قال علي بن الجهم هذه القصيدة في المتوكل :

إِغْتَنِمَ جِدَّةَ الزَّمَانِ الْجَدِيدِ واجعل المهرجان أيمن عيدٍ
[الخفيف]

أنشدها وأبو السمط بن أبي حفصة حاضر، فغمزه المتوكل على علي بن الجهم وأمره أن يُعَيِّته، فقال له : يا علي، أخبرني عن قولك :

واجعل المهرجان أيمن عيدٍ

أَوْ يَوْمٌ لَهُوَ [يجعل عيداً؟] إنما العيد ما يُعَبِّدُ اللَّهُ به الناس مثل الفطر والأضحى والجمعة وأيام التشريق . فأما المهرجان والنيروز فإنما هما أعياد المجوس ، لا يجوز أن يقال لخليفة الله في عبادته وخليفة رسوله في أمته : اجعل المهرجان عيداً . فلم يلتفت إليه وأنشد حتى بلغ قوله :

نَحْنُ أَشْيَاعُكُمْ مِنْ آلِ خِرَاسَا نَ أُولُو قُوَّةٍ وَبِأَسِّ شَدِيدِ
نَحْنُ أَبْنَاءُ هَذِهِ الْخِرْقِ السُّو دِ وَأَهْلُ التَّشْيِيعِ الْمَحْمُودِ
[الخفيف]

فقال له مروان : لو كنتم من أهل التشيع المحمود ما قَتَلَ قحطبةُ جدَّك وصلبه في عداوة بني العباس . فقال له المتوكل : ويلك ، أقتل قحطبةُ جدَّك؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، فأقبل على محمد بن عبد الله بن طاهر فقال له : بحياتي الأمر كما قال مروان؟ فقال له محمد : وإن كان كما قال ، فأبي ذنب لعلي بن الجهم؟ قد قتل الله أعداءكم وأبقى أولياءكم . فضحك المتوكل وقال : شهدت والله بها عليه . فقال مروان في ذلك :

غضب ابنُ الجهم من قلبي له إن في الحق لقوم مَعْضَبَهُ
يا ابنَ جهم كيف تهوى معشراً صلبوا جدَّك فوق الخشبهِ؟
يا إمام العدل نصحي لكم نُصَحَ حق غير نصح الكذبهِ
إن جدِّي مَنْ رفعتم ذكره بكراماتٍ لشكري مُوجِبَهُ
وابن جهم من قتلتم جدَّه وتولَّى ذاك منه قحطبَهُ

فخراسان رأث شيعةًكُم أنه أهلٌ لضرب الرقبة
أتراه بعدها ينصحكُم لا ورب الكعبة المحتجبه
[الرملة]

ابن الجهم لا يجيبه أنفة منه :

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال : حدثني جعفر بن هارون قال :
حدثني أحمد بن حمدون بن إسماعيل قال :

بلغ المتوكل أن علي بن الجهم خطب امرأة من قريش فلم يزوجه، فسأل
عن السبب في ذلك وعن قصته، وعن نسب سامة بن لؤي، فحدث بها، ثم انتهى
حديثهم بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما - لم يدخلهما في قريش، وأن عثمان
- رضي الله عنه - أدخلهم فيه، وأن علياً - رضي الله عنه - أخرجهم منه، فارتدوا
مع الحارث، وأنه قتل من ارتد منهم، وسبى بقيتهم، وباعهم من مضقلة بن
هُبيرة، فضحك المتوكل، وبعث إلى علي بن الجهم فأخبره بما قال القوم، وقال :
تَعَزَّه. فأنكر ذلك وقال : هذه الدعوى من الرافضة. وشم القوم، وكان منهم أبو
السمط فقال له :

إن جَهماً حين تنسبه ليس من عجم ولا عرب
لجَّ في شتمي بلا سبب سارق للشعر والنسب
من أناس يدعون أباً ماله في الأرض من عقب
[المديد]

فغضب علي بن الجهم ولم يجبه، لأنه كان يحتقره ويستركه، وأوماً إليه
المتوكل أن يزيده فقال :

أنتم من قريش يا ابن جهم وقد باعوكم في من يزيد
أترجو أن تكاثرنا جهاراً بنسبتكم وقد بيع الجدود؟
[الوافر]

قال : وما زال مروان يهجو ابن الجهم فما أجابه عن شيء من شعره أنفة منه .

مروان ينشد ابن أبي دواد :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال :
حدثني الجمّاز أبو عبد الله قال :

دخل مروان الأصغر على أحمد بن أبي دؤاد وقد أصابه الفالج وتماثل قليلاً،

فأنشده:

لِسَانُ أَحْمَدَ سَيْفٌ مَسَّهُ طَبَعٌ^(١) مِنْ عِلَّةٍ فَجَلَاهُ عَنْهُ جَالِيهَا
مَا ضَرَّ أَحْمَدَ بَاقِي عِلَّةٍ دَرَسَتْ^(٢) وَاللَّهُ يُذْهِبُ عَنْهُ رُسْمَ بَاقِيهَا
قَدْ كَانَ مُوسَى عَلَى عِلَّاتٍ مَنْطِقَهُ رَسَائِلُ اللَّهِ إِذْ جَاءَتْ يُؤَدِّيَهَا
مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ لَمْ يَنْقُصْ نَبَوَّتَهُ ضَعْفُ اللِّسَانِ وَقَدْ مَأْكَانُ يُمَضِّيَهَا

[البسيط]

فوصله أحمد [رحمه الله تعالى] واعتذر إليه .

خمسون ألف درهم من ابن طاهر:

أخبرني عمي قال: حدثني متوج قال:

قال أبو السمط: دخلت على عبد الله بن طاهر فقال: إني تذكرت في ليلتي هذه ذا اليمينين، فبت أرقاً حزيناً باكياً، فازَّيْتُهُ في مقامك هذا بأبيات تجعل لي طريقاً إلى شفاء عتلي ولك حكمك. ففكرت هنيهة ثم قلت:

إِنْ الْمَكَارِمَ إِذْ تَوَلَّى طَاهِرٌ قَطَعَ الزَّمَانُ يَمِينَهَا وَشِمَالَهَا
لَوْ كَافَحْتُهُ يَدُ الْمُنُونِ مَجَاهِرًا لَاقَتْ لَوْقَعَ سَيْوفِهِ آجَالَهَا
أَرْسَى عِمَادَ خَلِيفَةٍ فِي هَاشِمٍ وَرَمَى عِمَادَ خِلَافَةٍ فَأَزَالَهَا
بَكَتِ الْأَعْنَةُ وَالْأُسْنَةُ طَاهِرًا وَلَطَالَمَا أَرَوَى النَّجِيعَ^(٣) نِهَالَهَا^(٤)
لَيْتَ الْمُنُونِ تَجَانَبَتْ عَنْ طَاهِرٍ وَلَوْتُ بِذِرْوَةِ مَنْ تَشَاءُ حِبَالَهَا
مَا كُنْتُ لَوْ سَلِمْتُ يَمِينًا طَاهِرٍ أَدْرِي وَلَا أَسْأَلُ الْحَوَادِثُ مَالَهَا

[الكامل]

فقال: أحسنت والله فاحتكم. فقلت له: خمسون ألف درهم أقضي منها ديناً،

وأصلح حالي، وأبتاع ضيعة تلاصق ضيعتي. فأمر لي بها وقال: ربحتنا وخسرت، ولو لم تحتكم لزدتكم، ولك عندنا عدٌّ وعدٌّ بعد عدٍّ.

(١) الطَّع: الصدأ.

(٢) دَرَسَتْ: عفت.

(٣) النجيع: هو النافع ومن الطعام والشراب ما نفع البدن، ويقال ماء نجيع أي مريء.

(٤) النَّهَال: التَّهْل أول الشرب والنَّهَال هي الإبل التي تشرب أولاً.

صوت

هَبَّتْ قُبَيْلَ تَبْلُجِ الْفَجْرِ هَنَدُ تَقُولُ وَدَمْعُهَا يَجْرِي
أَنْتَى اعْتِرَاكَ وَكُنْتَ عَهْدِي لَا سَرِبَ الدَّمْعُ وَكُنْتَ ذَا صَبْرِ
[الكامل]

الشعر لرجل من الشُّرَاة يقال له عَمْرُو بن الحصين مولى بني تميم، يقوله في
عبد الله بن يحيى الذي تسميه الخوارج: طالب الحق، ومن قتل من أصحابه معه
يرثيهم، والغناء لعبد الله بن أبي العلاء ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
عن الهشامي.

خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله

نبوءة :

أخبرني بذلك الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، عن محمد بن أبي محمد الخزامي، وخلاّد بن يزيد وعبد الله بن مصعب، وعمرو بن هاشم، وعبد الله بن محمد الثقفي، ويعقوب بن داود الثقفي، وحُرَيْم بن أبي يحيى .

إن عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمرو بن معاوية كان من حضرموت، وكان مجتهداً عابداً، وكان يقول قبل أن يخرج: لقيني رجل فأطال النظر إليّ وقال: ممن أنت؟ فقلت: من كندة، فقال: من أيهم؟ فقلت: من بني شيطان، فقال: والله لتملكنّ ولتبلغنّ خيلك وادي القرى، وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك، فقد ذهبت، وأنا أتخوف ما قال وأستخير الله .

يشاور الإباضية في الخروج :

فرأى باليمن جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً، وسيرة في الناس قبيحة، فقال لأصحابه: ما يحلّ لنا المّقام على ما نرى، ولا يسعنا الصبر عليه، وكتب إلى عبدة بن مسلم بن أبي كريمة الذي يقال له كُودين مولى بني تميم، وكان ينزل في الأزد، وإلى غيره من الإباضية بالبصرة، يشاورهم في الخروج، فكتبوا إليه: إن استطعت ألاّ تقيم يوماً واحداً فافعل فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك، ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه، ويختص بالشهادة منهم من يشاء .

وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي أحد بني سلمة وبلج ابن عقبة السقوري في رجال من الإباضية، فقدموا عليه حضرموت، فحثوه على الخروج، وأتوه بكتب أصحابه: إذا خرجتم فلا تَعْلُوا ولا تَغْدروا، واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا سيرتهم، فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم .

فدعا أصحابه فبايعوه وقصدوا دار الإمارة، وعلى حضرموت إبراهيم بن

جبله بن مخرمة الكندي، فأخذوه فحبسوه يوماً ثم أطلقوه، فأتى صنعاء.

طالب الحق:

وأقام عبد الله بن يحيى بحضرموت، وكثر جمعه، وسموه طالب الحق، فكتب إلى من كان من أصحابه بصنعاء: إني قادم عليكم، ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي، وتوجه إلى صنعاء، سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين، وبلغ القاسم بن عمر - أخا يوسف بن عمر - وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء، مسير عبد الله بن يحيى، فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل، وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعدة وجمع كثير، فعسكر على مسيرة يوم من أبين. وخلف فيها الأتقال، وتقدمت المقاتلة، فلقه عبد الله بن يحيى بلحج، قرية من أبين، قريباً من الليل، فقال الناس للقاسم: أيها الأمير، لا تقاتل الخوارج ليلاً، فأبى وقتلهم، فقتلوا من أصحابه بشراً كثيراً، وانهزموا ليلاً، فمر بعسكره، فأمرهم بالرحيل، ومضى إلى صنعاء فأقام يوماً، ثم خرج فعسكر قريباً من صنعاء وخندق، وخلف بصنعاء الضحاك بن زمل، فأقبل عبد الله بن يحيى فنزل جوين، على ميلين من عسكر القاسم، فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن، فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا، فرجع يزيد إلى القاسم فاستأذنه في بيتهم، فأبى أن يأذن له، فقال يزيد: والله إن لم تُبَيِّتْهم لِيُعْمُتْكَ، فأبى أن يأذن له، وأقاموا يومين لا يلتقون، فلما كان في الليلة الثالثة أقبل عبد الله بن يحيى فوافاه مع طلوع الفجر، فقاتلهم الناس على الخندق، فغلبتهم الخوارج عليه، ودخلوا عسكرهم، والقاسم يُصَلِّي فركب، وقاتلهم الصلت بن يوسف فقتل في المعركة، وقام بأمر الناس يزيد بن الفيض، فقاتلهم حتى ارتفع النهار، ثم انهزم أهل صنعاء فأراد أبرهة بن الصباح اتباعهم، فمنعه عبد الله بن يحيى، واتبع يزيد بن الفيض القاسم بن عمر فأخبره الخبر، فقال القاسم:

ألا ليت شعري هل أذودنَّ بالقنا وبالهندونيات^(١) قبل مماتي
وهل أصبحنَّ الحارثيين كليهما بطعن وضرب يقطع اللّهوات
[الطويل]

قال: ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء، فأخذ الضحاك بن زمل، وإبراهيم بن جبله بن مخرمة فحبسهما، وجمع الخزائن والأموال فأحرزها، ثم أرسل إلى الضحاك

(١) الهندوانيات: السيوف المنسوبة إلى الهند.

وإبراهيم فأرسلهما وقال لهما: حبستكما خوفاً عليكما من العامة، وليس عليكما مكروه، فأقيما إن شئتما أو أشخصا. فخرجا.

خطبته بعد أن استولى على اليمن:

فلما استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناس، فحمد الله جل وعز وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ووعظ وذكر وحذر ثم قال:

إننا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه، وإجابة من دعا إليهما. الإسلام ديننا، ومحمد نبينا، والكعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا، رضينا بالحلال حلالاً، لا نبغي به بديلاً، ولا نشترى به ثمناً قليلاً، وحرمانا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإلى الله المشتكى وعليه المعول، من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك في أنه كافر فهو كافر، ندعوكم إلى فرائض بينات، وآيات محكمات، وآثار مُقتدى بها، ونشهد أن الله صادق فيما وعد، عدل فيما حكم، وندعو إلى توحيد الرب، واليقين بالوعد والوعد، وأداء الفرائض، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والولاية لأهل ولاية الله، والعداوة لأعداء الله. أيها الناس، إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى، يقتلون على الحق في سالف الدهور شهداء، فما نسيهم ربهم، وما كان ربك نسيّاً. أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به، فأبْلُوا لله بلاء حسناً في أمره وذكره، أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

عبد الله يوجه المختار إلى مكة:

قالوا: وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء أشهراً، يحسن السيرة فيهم، ويلين جانبه لهم، ويكف عن الناس، فكثرت جمعه، وأتته الشُّراة^(١) من كل جانب، فلما كان وقت الحج وجهه أبا حمزة المختار بن عوف وبلج بن عُقبة وأبرهة بن الصباح إلى مكة في تسعمائة، وقيل بل في ألف ومائة، وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس، ويوجهه بلجاً إلى الشام، وأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية، وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وأمّه بنت عبد الله بن خالد بن أسيد، فكره قتالهم.

(١) الشُّراة: الخوارج.

أول أمر المختار :

وحدثنا من هذا الموضع بخبر أبي حمزة، محمد بن جرير الطبري قال : حدثنا العباس بن عيسى العجلي قال : حدثنا هارون [بن محمد] بن موسى القروي قال : حدثنا موسى بن كثير مولى الساعديين قال :

كان أول أمر أبي حمزة وهو المختار بن عوف الأزدي ثم السلمي من أهل البصرة، أنه كان يوافي في كل سنة يدعو إلى خلاف مروان بن محمد وآل مروان، فلم يزل يختلف كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة، فقال له : يا رجل، إني أسمع كلاماً حسناً، وأراك تدعو إلى حق، فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي .

فخرج به حتى ورد حضرموت، فبايعه أبو حمزة على الخلافة، قال : وقد كان مرّ أبو حمزة بمعدن بني سليم، وكثير بن عبد الله عامل على المعدن، فسمع بعض كلامه، فأمر به فجلد أربعين سوطاً، فلما ظهر أبو حمزة بمكة تغيب كثير، حتى كان من أمره ما كان، ثم رجع إلى موضعه، قال : قلما كان في العام المقبل تمام سنة تسع وعشرين، لم يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود خرمية في رؤوس الرماح، وهم سبعمائة . هكذا قال .

الهدنة بينهم وبين عبد الواحد :

هذا، وذكر المدائني أنهم كانوا تسعمائة أو ألفاً ومائة، ففزع الناس منهم حين رأوهم وقالوا لهم : ما لكم؟ وما حالكم؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان، والتبرؤ منهم، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان، وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم، ودعاهم إلى الهدنة، فقالوا : نحن بحجنا أضنّ، وعليه أشحّ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير .

وأصبحوا من غد فوقفوا على حدة بعرفة، ودفع عبد الواحد بالناس، فلما كانوا بمنى قالوا لعبد الواحد : إنك قد أخطأت فيهم، ولو حملت عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس، فنزل أبو حمزة بقرن الثعالب من منى، ونزل عبد الواحد منزل السلطان، فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن حسن بن حسن بن علي عليهم السلام، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبيد الله بن عمرو بن حفص العمري، وربيع بن عبد الرحمن في رجال من أمثالهم، فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مسالح أبي حمزة، فأخذوهم، فدخل بهم

على أبي حمزة، فوجدوه جالساً، وعليه إزار قطري قد ربطه الحَوْرَة^(١) في قفاه، فلما دنوا تقدم إليه عبد الله بن حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو، فنسبهما، فلما انتسبا له عبس في وجهيهما وبسر، وأظهر الكراهة لهما، ثم تقدم إليه بعدهما البكري والعُمري، فنسبهما، فلما انتسبا له هَشَّ إليهما وتبسم في وجوههما، وقال: واللَّه ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويكما، فقال له عبد الله بن حسن: واللَّه ما جئناك لتفاضل بين آبائنا، ولكن بعثنا إليك الأمير برسالة، وهذا ربيعةٌ يُخبرُكها، فلما ذكر ربيعةً نقضَ العهود قال بلج وإبراهيم - وكانا قائدين له -: الساعةُ الساعةُ، فأقبل عليهما أبو حمزة وقال: معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيس به، واللَّه لا أفعل ولو قطعت رقبتني هذه، ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم، فلما أبى عليهم خرجوا فأبلغوا عبد الواحد، فلما كان النفر الأول نَفَرَ عبدُ الواحد وخَلَّى مكة لأبي حمزة، فدخلها بغير قتال.

شاعر يهجو عبد الواحد:

قال هارون: وأنشدني يعقوب بن طلحة الليثي أبياتاً هُجِّي بها عبد الواحد لشاعر لم يُحْفَل باسمه:

زار الحجيجَ عصابةً قد خالفوا دين الإله ففرَّ عبدُ الواحدِ
ترك الإمارة والحلائل هارباً ومضى يُخَبِّط كالبعير الشاردِ
لو كان والده تَخْيَرُ أمه لَصَفَتْ خلائقه بعِرْق الوالدِ
[الكامل]

قال: ثم مضى عبد الواحد، حتى دخل المدينة، فدعا بالديوان، وضرب على الناس البعث، وزادهم في العطاء عشرة عشرة.

إنتصار أبي حمزة في قديد:

قال هارون: أخبرني بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض أنه كان فيمن اكتتب، قال: ثم محوت اسمي.

قال هارون: وحدثني غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس، فخرجوا، فلما خرجوا وكانوا بالحرّة لقيتهم جُزُرٌ منحورة، فمضوا، فلما كانوا بالعقيق تعلق لؤاؤهم بِسُمْرة فانكسر الرمح، وتشاءم الناس بالخروج، ثم ساروا حتى نزلوا قُديداً فنزلوها ليلاً،

(١) الحَوْرَة: ما تحت الكُور من العمامة.

وكانت قرية قُدَيْد من ناحية القصر والمنبر اليوم، وكانت الحياض هناك، فنزل قوم مُعْتَرُونَ، ليسوا بأصحاب حرب، فلم يَرُعْهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من الفصل.

فزعم بعض الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم، وأدخلوهم عليهم فقتلوهم، وكانت المقتلة على قريش، وهم كانوا أكثر الناس، وفيهم كانت الشوكة، فأصيب منهم عدد كثير.

أهل اليمن يشمتون بقريش:

قال العباس: قال هارون: فأخبرني بعض أصحابنا:

أن رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن يقول: الحمد لله الذي أقرَّ عيني بمقتل قريش، فقال له ابنه: الحمد لله الذي أذلَّهم بأيدينا، فما كانت قريش تظنُّ أن من نزل على عمان من الأزْد عربي. قال: وكان هذان الرجلان مع أهل المدينة، فقال القرشي لابنه: يا بني، هلمَّ نبداً بهذين الرجلين، قال: نعم يا أبت، فحملا عليهما فقتلاه، ثم قال لابنه: أي بني، تقدَّم، فقاتلا حتى قُتِلَا.

وقال المدائني:

القرشي كان عمارة بن حمزة بن مُصْعَب بن الزبير، والمتكلم بالكلام مع ابنه رجل من الأنصار.

لهف غير نافعة:

قال: ثم ورد فُلَّال الجيش المدينة، وبكى الناس قتلاهم، فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح، فلا تزال المرأة يأتيها الخبر بمقتل حميمها فتنصرف، حتى ما يبقى عندها امرأة، فأنشدني أبو ضمرة هذه الأبيات في قتلى قُديد الذين أُصيبوا من قومه لبعض أصحابهم:

يا لهفَ نفسي ولهفٌ غيرُ نافعةٍ على فوارس بالبطحاء أنجادٍ^(١)
عمرؤ وعمرؤ وعبدُ الله بينهما وابناهما خامسٌ والحارثُ السَّادي
[البسيط]

غاق باق:

قال المدائني في خبره:

كتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكة، فكتب

(١) أنجاد: مفردها التجد وهو الشجاع الماضي فيما يُعجز عنه.

مروان إلى عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز، وهو عامله على المدينة، يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة، فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والأنصار والتجار أغمار^(١) لا علم لهم بالحرب، فخرجوا في المصبغات والثياب الناعمة واللهو، لا يظنون أن للخوارج شوكة، ولا يشكون أنهم في أيديهم، وقال رجل من قريش: لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء، ولكنهم داهنوا في أمر الله تعالى. والله أن ظفرنا لنسيرن إلى أهل الطائف فلنسيبهم، ثم قال: من يشتري من سبني أهل الطائف؟ فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل من يشتري مني سبي أهل الطائف في أول المنهزمين، فدخل منزله، وأراد أن يقول لجاريته: اغلقي الباب فقال لها: غاق باق، دهشاً. ولم تفهم الجارية قوله حتى أوماً إليها بيده فأغلقت الباب. فلقبه أهل المدينة بعد ذلك: غاق باق.

أيهما أصبر:

قال: وكان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز يعرض الجيش بذي الحليفة، فمرّ به أمية بن عنبسة بن سعيد بن العاصي، فرحب به وضحك إليه، ومر به [عمارة بن] حمزة بن مصعب بن الزبير فلم يكلمه ولم يلتفت إليه، فقال له عمران بن عبد الله بن مطيع وكان ابن خالته - أمّاهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أسيد -: سبحان الله، مرّ بك شيخ من شيوخ قريش فلم تنظر إليه ولم تكلمه، ومرّ بك غلام من بني أمية فضحكت إليه ولاطفته، أما والله لو قد التقى الجمعان لعلمت أيهما أصبر، قال: فكان أمية بن عنبسة أول من انهزم، ونكّب فرسه ومضى، وقال لغلامه: يا مجيب، أما والله لئن أحرزت نفسي هذه الأكلب من الشّراة إني لعاجز.

وقاتل يومئذ [عمارة بن] حمزة بن مصعب حتى قتل وتمثل:

وإنني إذا ضنّ الأمير بإذنه على الإذن من نفسي إذا شئتُ قادِرُ
[الطويل]

والشعر للأغرّ بن حماد اليشكري.

أبو حمزة ينصح أصحابه:

قال: ولما بلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينة إليه استخلف على مكة أبرهة بن الصباح، وشخص إليهم، وعلى مقدمته بلج بن عقبة، فلما كان في الليلة التي وافاهم في صبيحتها، وأهل المدينة نزول بقديد قال لأصحابه: إنكم ملاقو قومكم غداً،

(١) أغمار: مفردها الغمر، وهو من لم يجرب الأمور.

وأمرهم فيما بلغني ابنُ عثمان أول من خالف سيرة الخلفاء، وبدل سنة رسول الله ﷺ، وقد وضع الصبح لذي عينين، فأكثرُوا ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، ووطنوا أنفسهم على الصبر.

وصبّحهم غداة الخميس لتسع أو لسبع خلون من صفر، سنة ثلاثين ومائة. فقال عبد العزيز لغلامه: ابغنا علفاً، قال: هو غال. قال: ويحك، البواكي علينا غداً أغلى.

أبو حمزة يرسل بلجاً ليدعو أهل المدينة:

وأرسل إليهم أبو حمزة بلج بن عقبة ليدعوهم، فأتاهم في ثلاثين راكباً، فذكرهم الله تعالى، وسألهم أن يكفوا عنهم، وقال لهم: خلوا لنا سبيلنا لنسير إلى من ظلمكم، وجار في الحكم عليكم، ولا تجعلوا حدنا بكم، فإننا لا نريد قتالكم. فشتهم أهل المدينة وقالوا: يا أعداء الله، أنحن نخليكم وندعكم تفسدون في الأرض؟ فقالت الخوارج: يا أعداء الله، أنحن نفسد في الأرض؟ إنما خرجنا لنكف أهل الفساد، ونقاتل من قاتلنا واستأثر بالفيء، فانظروا لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة، فإنه لا طاعة لمن عصى الله، وادخلوا في السلم، وعاونوا أهل الحق. فقال له عبد العزيز: ما تقول في عثمان؟ قال: قد برئ المسلمون منه قبلي وأنا متبع آثارهم ومقتد بهم، قال: فارجع إلى أصحابك فليس بيننا وبينهم إلا السيف، فرجع إلى أبي حمزة فأخبره، فقال: كفوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم بالقتال. فوافقوهم ولم يقاتلوهم.

حل قتالهم:

فرمى رجل من أهل المدينة في عسكر أبي حمزة بسهم، فجرح رجلاً، فقال أبو حمزة: شأنكم الآن بهم، فقد حل قتالهم، فحملوا عليهم، وثبت بعضهم لبعض، وراية قريش مع إبراهيم بن عبد الله بن مطيع، ثم انكشف أهل المدينة، فلم يتبعوهم، وكان على مجنبتهم ضمير بن صخر بن أبي الجهم بن حذيفة، فكر وكر الناس معه، فقاتلوا قليلاً ثم انهزموا، فلم يُبعدوا حتى كروا ثالثة، وقاتلهم أبو حمزة فهزمهم هزيمة لم تُبقي منهم باقية، فقال له علي بن الحصين: اتبع القوم أو دعني أتبعهم فأقتل المُدبر وأدْفُف^(١) على الجريح، فإن هؤلاء شر علينا من أهل الشام، فلو قد جاؤوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره. فقال: لا أفعل، ولا أخالف سيرة أسلافنا.

(١) أدْفَف: أجهز عليه أو أقضي عليه.

وأخذ جماعة منهم أسرى، فأراد إطلاقهم، فمنعه علي بن الحصين وقال له: إن لأهل كل زمان سيرة، وإن هؤلاء لم يؤسروا وهم هُرَّاب، وإنما أُسِروا وهم يقاتلون، ولو قُتِلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم، وكذلك الآن قتلهم حلال، فدعا بهم، فكان إذا رأى من قريش رجلاً قتله، وإذا رأى رجلاً من الأنصار أطلقه، فأُتِيَ بمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فنسبه، فقال: أنا رجل من الأنصار، فسأل الأنصار عنه فشهدوا له، فأطلقه، فلما ولى قال: واللَّهِ إني لأعلم أنه قرشي، وما حذاوة هذا حذاوة أنصاري، ولكن قد أطلقته.

قتلى قديد:

قال: وبلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً، منهم من قريش أربعمئة وخمسون رجلاً، ومن الأنصار ثمانون، ومن القبائل والموالي ألف وسبعمئة.

قال: وكان في قتلى قريش من بني أسد بن عبد العزى أربعون رجلاً، وقتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، خرج يومئذ مقتعاً، فما كلم أحداً وقاتل حتى قتل، وقُتِلَ يومئذ سُمَيُّ مولى أبي بكر - رضي الله عنه - الذي يروي عنه مالك بن أنس، ودخل بلج المدينة بغير حرب، فدخلوا في طاعته، وكف عنهم.

ورجع أبو حمزة إلى مكة، وكان على شرطته أبو بكر بن عبد الله بن عمرو من آل سُرَاقَة من بني عدي، فكان أهل المدينة يقولون: لعن الله السُّراقِيَّ ولعن بلجاً العراقيَّ.

نائحة أهل المدينة تبكيهم:

وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم:

مَالِ لَزْمَانٍ وَمَالِيَهُ	أَفْنَتِ قُدَيْدُ رِجَالِيَهُ
فَلَأَبْكِيَنَّ سَرِيرَةً	وَلَأَبْكِيَنَّ عَلَانِيَهُ
وَلَأَبْكِيَنَّ إِذْ خَلَوْ	تُ مَعَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَهُ
وَلَأُثْنِيَنَّ عَلَى قُدَيْدٍ	دَ بِسَوْءِ مَا أَبْلَانِيَهُ

[مجزوء الكامل]

في هذه الأبيات هزج قديم يشبه أن يكون لطويس أو بعض طبقته.

عمرو بن الحصين يذكر وقعة قديد:

وقال عمرو بن الحصين الإباضي الكوفي مولى بني تميم يذكر وقعة قديد، وأمر

مكة ودخلهم إياها، وانشدنيها الأخفش عن السكري والأحول وثعلب لعمره هذا، وكان يستجدها ويفضلها:

يَمْرِي^(١) سَوَابِقَ دَمْعِكَ الْمَتَسَاكِبِ
عَبْرَى^(٢) تَسَرَّ بِكُلِّ نَجْمٍ دَائِبِ
لَمْ أَقْضِ مِنْ تَبَعِ الشُّرَاةِ مَآرِبِي
عَبْلُ الشَّوَى أَشْرَانُ ضَمُرِ الْحَالِبِ
مَاءُ الْحَسِيكِ^(٥) مَعَ الْجِلَالِ اللَّاتِبِ^(٦)
بُوراً^(٧) إِلَى جَبْرِیَّةٍ وَمَعَايِبِ
لَفَّ الْقِدَاحُ يَدَ الْمُفِیضِ^(٨) الضَّارِبِ
كَأْسُ الْمُنُونِ تَقُولُ: هَلْ مِنْ شَارِبِ؟
سُمُرٍ وَمُرْهَفَةِ النَّصُولِ^(٩) قَوَاضِبِ
نَجْلَاءِ^(١٠) بَيْنَ رَهَائِبِ^(١١) وَتَرَائِبِ^(١٢)
ظُبَّتَا سِنَانٍ كَالشَّهَابِ الثَّاقِبِ
حَفْضُ^(١٤) لِقَاءٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ الْعَاصِبِ
نَفْسِي الْمُنُونُ لَدَى أَكْفٍ أَقَارِبِي
فَخَذَلْتَهُمْ وَلَبَّسَ فَعَلَ الصَّاحِبِ
نَاراً تُسَعِّرُهَا أَكْفُ حَوَاطِبِ

مَا بَالُ هَمِّكَ لَيْسَ عَنْكَ بَعَازِبِ
وَتَبِيتُ تَكْتَلِيءُ النُّجُومِ بِمَقْلَةٍ
حَذَرُ الْمُنِيَّةِ أَنْ تَجِيءَ بَدَاهَةً
فَأَقُودَ فِيهِمْ لِلْعِدَا شَنِجَ النَّسَا
مَتَخَدِّدًا^(٣) كَالسَّيِّدِ^(٤) أَخْلَصَ لَوْنَهُ
أَرْمِي بِهِ مِنْ جَمْعٍ قَوْمِي مَعْشَرًا
فِي فَتِيَّةٍ صُبِرَ أَلْفُهُمْ بِهِ
فِيذُودَ عَزْوُهُمْ وَفِيَمَا بَيْنَنَا
فِيظَلِّ يَسْقِيهِمْ وَيَشْرَبُ مِنْ قَنَا
بَيْنَا كَذَلِكَ نَحْنُ جَارَتِ طَعْنَةٍ
خَرَقَاءَ مُنْهَرَةٍ مَرَى تَامُورَهَا^(١٣)
أَهْوَى لَهَا شِقَّ الشُّمَالِ كَأَنَّنِي
يَا رَبِّ أَوْجِبْهَا وَلَا تَتَعَلَّقَنْ
كَمْ مِنْ أُولَى مِقَّةٍ^(١٥) صَحْبَتْهُمْ شُرُورًا
مَتَأَوَّهِينَ كَأَنَّ فِي أَجَوَافِهِمْ

(٢) عَبْرَى: دَامِغَةٌ أَوْ بَاكِیَّةٌ.

(٤) السَّيِّدُ: الذَّنْبُ.

(٥) الْحَسِيكِ: نَبَاتٌ عِنْدَ وَرْقِهِ شَوْكٌ مَلَزَزٌ صَلْبٌ وَلَهُ ثَمَرٌ وَشَرْبُهُ يَفْتَتِ حَصَّ الْكَلْبَتَيْنِ وَعَصِيرُهُ جَيِّدٌ لِعَسْرِ الْبُولِ وَنَهَشِ الْأَفَاعِي.

(٧) الْبُورُ: الْفَاسِدُونَ الَّذِينَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ.

(٩) النَّصُولُ: مَفْرَدُهَا النَّصْلُ وَهُوَ الرَّمْحُ.

(٨) الْمُفِیضُ: الدَّافِعُ بِالشَّيْءِ إِلَى الْأَمَامِ.

(١٠) طَعْنَةُ نَجْلَاءَ: طَعْنَةُ نَافِذَةٍ.

(١١) الرَّهَائِبُ: مَفْرَدُهَا الرَّهْبَةُ، وَهِيَ عَظْمُ الصَّدْرِ الْمُشْرِفُ عَلَى الْبَطْنِ.

(١٢) التَّرَائِبُ: مَفْرَدُهَا التَّرِيبَةُ وَهِيَ عَظْمُ أَعْلَى الصَّدْرِ.

(١٣) التَّامُورُ: الدَّمُ.

(١٤) الْحَفْضُ: مَتَاعُ الْبَيْتِ الْمَهْيَأُ لِلْحَمْلِ.

(١٥) الْمِقَّةُ: الْحَبُّ.

أو ساجد متضرّع أو ناحِب
 فيجودها مَرِيّ المَرِيّ^(١) الحالِبِ
 للصدّع ذي النبا الجليل مدائب
 خصل المكارم أتقياء أطايب
 حدّ الطُباة بأنفٍ وحَواجِبِ
 فرمى بهم لَقَمَ^(٢) الطريقِ اللاحِبِ^(٣)
 أسدٌ على لُحِقِ^(٤) البُطونِ سَلاهِبِ^(٥)
 تنفي عداها جانباً عن جانبِ
 لَّه أكرمُ فتيةٍ وأشايِبِ
 يحكين واردةً اليمام القارِبِ
 إلا تركنهم كأمسِ الذاهِبِ
 فلقٌ وأيدٍ علقت بمناكبِ
 تخبرك عن وقعاتها بعجائبِ
 [الكامل]

تلقاهم فتراهم من راعع
 يتلوقوارعَ تَمَتَرِي عِبراته
 سُيَرٍ لجائفة الأمور أطبّة
 ومُبرّئين من المعايِبِ أحرزوا
 عَرَوْا صوارم للجلاد وباشروا
 ناطوا أمورهم بأمرٍ أخٍ لهم
 مُتسربلي حلق الحديد كأنهم
 قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل
 تحمي أعنتها وتَحوي نهبها
 حتى ورذن حياض مَكّة قُطْناً
 ما إن أتين على أخي جَبْرِية
 في كلّ معترك لها من هامهم
 سائل بيوم قُديدٍ عن وقعاتها

أبو حمزة يدخل المدينة ويخطب فيها:

وقال هارون بن موسى في رواية محمد بن جرير الطبري عن العباس بن عيسى

عنه :

ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام، فرقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أهل المدينة سألناكم عن ولايتكم هؤلاء فأسأتم لعمر الله فيهم القول، وسألناكم: هل يقتلون بالظن؟ فقلتم: نعم، وسألناكم: هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام؟ فقلتم: نعم، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم ففناشدهم الله أن يتنحّوا عنا وعنكم، ليختار المسلمون لأنفسهم، فقلتم: لا تفعلون، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم لنقاهم، فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يُقيم

(١) المَرِيّ: عرق عند الناقة يمتلئ ويدّر اللبن.

(٢) اللَقَم: وسط الطريق.

(٣) اللاحِب: الطريق الواضح الواسع.

(٤) لُحِق البُطون: ضوامر البُطون.

(٥) السلاهِب: الطوال الشداد.

فينا كتاب الله وسنة نبيه، وإن نظفر نعدل في أحكامكم، ونحملكم على سنة نبيكم، ونقسم فيئكم بينكم، فأبيتهم وقتلتمونا دونهم فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم يا أهل المدينة، مررت بكم في زمان الأحوال هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم، فكتب بوضعها عنكم، فزاد الغني غنى وزاد الفقير فقراً. فقلت: جزاك الله خيراً فلا جزاه الله خيراً ولا جزاكم.

قال هارون: وأخبرني يحيى بن زكريا:

أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة:

وفي المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: تعلّموا يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً^(١) ولا بطراً، ولا عبثاً ولا لهواً، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا ثأراً قديم نيل منا، ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت، وعنف القاتل بالحق وقتل القائم بالقسط، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله، ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٣٢] فأقبلنا من قبائل شتى، النفر منا على بعير واحد، عليه زادهم وأنفسهم، يتعاورون لحافاً واحداً، قليلون مستضعفون في الأرض، فأوانا الله وأيدنا بنصره، وأصبحنا - والله حميدٌ - بنعمته إخواناً، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان، شتان لعمر الله ما بين الغي والرشد، ثم أقبلوا يُهرعون ويَرْقون، قد ضرب الشيطان فيهم بجراحه^(٢)، وغلت بدمائهم مراجله، وصدق عليهم ظنه، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب، بكل مهتد ذي رونق، فدارت رحانا واستدارت رحاهم، بضرب يرتاب منه المبطلون، وأنتم يا أهل المدينة، إن تنصروا مروان وآل مروان يُسجّتكم^(٣) الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، ويشف صدور قوم مؤمنين، يا أهل المدينة إن أولكم خير أول، وآخركم شر آخر، يا أهل المدينة، الناس منا ونحن منهم إلا مشركاً عابداً وثناً، أو كافراً من أهل الكتاب، أو إماماً جائراً، يا أهل المدينة، من زعم أن الله تعالى كلّف نفساً فوق طاقتها، أو سألها عما لم يؤتها فهو لله عدو ولنا حرب، يا أهل المدينة، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القوي - على حبه - للضعيف، فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد، فأخذ جميعها لنفسه، مكابراً

(١) الأشر: البطر والمرح.

(٢) الجران: تطلق للفرس والبعير وهي مقدّم عنقه من مذبحة إلى منحره، جمعها جُرُن.

(٣) يُسجّتكم: يكسبكم أو يلزمكم.

محارباً لربه، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله؟ يا أهل المدينة، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلت: هم شباب أحداث، وأعراب جُفَاة، ويحكم يا أهل المدينة، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً أحداثاً، شبابٌ والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشرِّ أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم، قد باعوا أنفسهم بموت غداً، بأنفس لا تموت أبداً، قد خلطوا كلالهم بكلالهم، وقيامَ ليالهم بصيام نهارهم، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفاً من النار، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد انتضيت، وإلى الرماح قد أشرعت، وإلى السهام قد فوّقت، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفّوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله، ولم يستخفّوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة، فطوبى لهم وحسن مآب، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راعياً وساجداً، أقول قولِي هذا، وأستغفر الله من تقصيرنا، وما توفّقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

قال هارون: وحدثني جدي أبو علقمة قال:

سمعت أبا حمزة على منبر النبي ﷺ يقول: «من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شك أنه كافر فهو كافر».

برح الخفاء فأين ما بك يُذهَبُ

قال هارون: قال جدي: كان أبو حمزة قد أحسن السيرة في أهل المدينة، حتى استمال الناس وسمع بعضهم كلامه في قوله: من زنى فهو كافر.

قال هارون: قال جدي: وسمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل المدينة ما لي رأيت رسم الدين فيكم باقياً، وآثاره دارسة؟ لا تقبلون عليه عظة، ولا تفقهون من أهله حُجَّة، قد بليت فيكم جدّته، وانطمست عنكم سُنَّته، ترون معروفه منكراً، والمنكر من غيره معروفاً، إذا انكشفت لكم العبر، وأوضحت لكم النذر، عميت عنها أبصاركم، وصُمّت عنها أسماعكم، ساهين في غمرة، لاهين في غفلة، تنبسط قلوبكم للباطل إذا نُشِر، وتقبض عن الحق إذا ذُكِر، مستوحشة من العلم، مستأنسة بالجهل، كلما وقعت عليها موعظة زادت عنها الحق نفوراً، تحملون منها في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة، أو لم تلن لكتاب الله الذي لو أنزل على جبل لرأيتَه خاشعاً متصدعاً من خشية الله؟ يا أهل المدينة ما تغني عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم، إن الله قد جعل لكل شيء سبباً غالباً يقاد له، ويطيع أمره، وجعل القلوب غالباً على الأبدان، فإذا مالت القلوب

مَيْلاً كَانَتْ الْأَبْدَانُ لَهَا تَبْعاً، وَإِنَّ الْقُلُوبَ لَا تَلِينَ لِأَهْلِهَا إِلَّا بِصَحَّتْهَا، وَلَا يَصَحُّهَا إِلَّا الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ وَقُوَّةُ النِّيَّةِ وَنَفَازُ الْبَصِيرَةِ، وَلَوْ اسْتَشَعَرْتَ تَقْوَى اللَّهِ قُلُوبُكُمْ لَاسْتَعْمَلَتْ بَطَاعَةَ اللَّهِ أَبْدَانَكُمْ. يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، دَارَكُمْ دَارُ الْهَجْرَةِ، وَمَثْوَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَمَّا نَبَتْ بِهِ دَارُهُ، وَضَاقَ بِهِ قَرَارُهُ، وَأَذَاهُ الْأَعْدَاءُ وَتَجَهَّمَتْ لَهُ، فَنَقَلَهُ [إِلَيْكُمْ بَل] إِلَى قَوْمٍ لَعَمْرِي لَمْ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ، مُتَوَازِينَ مَعَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَمُخْتَارِينَ لِلْأَجْلِ عَلَى الْعَاجِلِ، يَصْبِرُونَ لِلضَّرَاءِ رَجَاءً ثَوَابِهَا، فَنَصَرُوا اللَّهَ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِهِ، وَأَوَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَصَرُوهُ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ، وَآثَرُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ بِهِمْ خِصَاصَةٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ وَلَا مِثَالَهُمْ وَلَمَنْ اهْتَدَى بِهِدَاهُمْ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحْمَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩، التغابن: ١٦] وَأَنْتُمْ أَبْنَاؤُهُمْ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ خَلْفِهِمْ، تَتْرَكُونَ أَنْ تَقْتَدُوا بِهِمْ، أَوْ تَأْخُذُونَ بِسِنْتِهِمْ، عُمِّي الْقُلُوبُ، صُمِّ الْأَذَانُ، اتَّبِعْتُمُ الْهَوَى، فَأَرْدَاكُمْ عَنِ الْهَدَى، وَأَسْهَأَكُمْ، فَلَا مَوَاعِظَ الْقُرْآنَ تَزْجُرْكُمْ فَتَزْجُرُوا، وَلَا تَعْظُمُكُمْ فَتَعْتَبِرُوا، وَلَا تَوْقُظُكُمْ فَتَسْتَيْقِظُوا، لَبِئْسَ الْخَلْفُ أَنْتُمْ مِنْ قَوْمٍ مَضَوْا قَبْلَكُمْ، مَا سَرْتُمْ بِسِيرَتِهِمْ، وَلَا حَفَظْتُمْ وَصِيَّتَهُمْ، وَلَا احْتَذَيْتُمْ مِثَالَهُمْ، لَوْ شَقَّتْ عَنْهُمْ قُبُورُهُمْ، فَعَرِضْتُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَكُمْ، لَعَجَبُوا كَيْفَ صُرِفَ الْعَذَابُ عَنْكُمْ.

قال: ثم لعن أقواماً.

قال هارون: وحدثني داود بن عبد الله بن أبي الكرام وأخرج إليّ خطّ ابن فالة النحوي بهذا الخبر:

أَنْ أَبَا حَمْزَةَ بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَعِيبُونَ أَصْحَابَهُ لِحِدَاثَةِ أَسْنَانِهِمْ، وَخَفَةَ أَحْلَامُهُمْ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ وَعَلِيهِ كِسَاءٌ غَلِيظٌ وَهُوَ مَتْنَكِبٌ قَوْساً عَرَبِيَةً، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، قَدْ بَلَغْتَنِي مَقَالَتَكُمْ فِي أَصْحَابِي، وَلَوْ لَا مَعْرِفَتِي بِضَعْفِ رَأْيِكُمْ، وَقِلَّةِ عَقُولِكُمْ، لَأَحْسَنْتُ أَدَبَكُمْ، وَيَحْكُمُ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، وَبَيَّنَّ لَهُ فِيهِ السَّنَنَ، وَشَرَعَ لَهُ فِيهِ الشَّرَائِعَ، وَبَيَّنَّ لَهُ فِيهِ مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ، فَلَمْ يَكُنْ يَتَقَدَّمُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَا يَحْجُمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﷺ، وَقَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ، لَمْ يَدْعُكُمْ فِي شَبْهَةِ مَنْ أَمْرَكُمْ، ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِسُنَّتِهِ، وَقَاتَلَ أَهْلَ الرَّدَةِ، وَشَمَّرَ فِي أَمْرِ اللَّهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَالْأَمَّةُ عَنْهُ رَاضُونَ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَغْفَرَتُهُ، ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ عُمَرُ فَأَخَذَ بِسُنَّةِ صَاحِبِهِ وَجُنْدِ الْأَجْنَادِ، وَمَصْرَ الْأَمْصَارِ، وَجَبَى الْفِيءَ فَقَسَمَهُ بَيْنَ أَهْلِهِ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعِهِ، وَضَرَبَ فِي الْخَمْرِ ثَمَانِينَ، وَقَامَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَغَزَا الْعَدُوَّ فِي بِلَادِهِمْ، وَفَتَحَ الْمَدَائِنَ وَالْحَصُونِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَالْأَمَّةُ

عنه راضون، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان، فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه، ثم أحداثاً أحداثاً أبطل آخر منها أولاً فاضطرب حبل الدين بعده، فطلبها كل امرئ لنفسه، وأسر كل رجل منهم سريرة أظهرها الله وأبداها منهم حتى مضوا على ذلك، ثم ولي علي بن أبي طالب فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع له مناراً، ومضى، ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله ﷺ وابن لعينه، وجلف^(١) من الأعراب، وبقيّة من الأحزاب، مؤلف طليق، فسفك الدم الحرام، واتخذ عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، وبغى دينه عوجاً ودغلاً^(٢)، وأحل الفرج الحرام، وعمل بما يشتهي حتى مضى لسبيله، فعل الله به وفعل، ثم ولي بعده ابنه يزيد، يزيد الخمر، ويزيد الصقور، ويزيد الفهود، ويزيد الصيود، ويزيد القروء، فخالف القرآن، واتبع الكهان، ونادم القرد، وعمل بما يشتهي، حتى مضى على ذلك، لعنه الله، وفعل به وفعل. ثم ولي مروان بن الحكم طريداً لعين رسول الله ﷺ وابن لعينه، فاسق في بطنه وفرجه، فالعنوه والعنوا آباءه، ثم تداولها بنو مروان بعده، أهل بيت اللعنة، طرداء رسول الله ﷺ، وقوم من الطلقاء، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا التابعين بإحسان، فأكلوا مال الله أكلاً، ولعبوا بدين الله لعباً، واتخذوا عباد الله عبيداً، ويورث ذلك الأكبر منهم الأصغر، فيا لها أمة ما أضعفها وأضعفها، فالحمد لله رب العالمين، ثم مضوا على ذلك من أعمالهم، واستخفافهم بكتاب الله تعالى، قد نبذوه وراء ظهورهم، لعنهم الله فالعنوهم كما يستحقون، وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز فبلغ ولم يكد، وعجز عن الذي أظهره، حتى مضى لسبيله - ولم يذكره بخير ولا شر - ثم ولي بعده يزيد بن عبد الملك، غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين، لم يبلغ أشده، ولم يؤنس رشده، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، فأمر أمة محمد في أحكامها وفروجها ودمائها أعظم من ذلك كله، وإن كان ذلك عند الله عظيماً، مأبون^(٣) في بطنه وفرجه، يشرب الحرام، ويأكل الحرام، ويلبس الحرام، ويلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقل، قد أخذت من غير حلها، وصرفت في غير وجهها، بعد أن ضربت فيها الأبشار^(٤)، وحلقت فيها

(١) الجلف: الرجل الجافي.

(٢) الدغل: ما يدخل في الأمر فيخالفه ويُفسده.

(٣) المأبون: المتهم بالشر.

(٤) الأبشار: جمع البشر وهو الجلد.

الأشعار، واستحل ما لم يحل الله لعبد صالح ولا لنبي مرسل، ثم يجلس حَبَابَة عن يمينه وسَلَامَة عن شماله، تغنيانه بمزامير الشيطان، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصّاً بعينها، حتى إذا أخذت مأخذها فيه، وخالطت روحه ولحمه ودمه، وغلبت سَوْرَتَهَا^(١) على عقله، مزّق حُلَّتَه، ثم التفت إليهما فقال: أتأذنان لي أن أطير؟ نعم، فطر إلى النار، إلى لعنة الله وناره حيث لا يردك الله.

ثم ذكر بني أمية وأعمالهم وسيرتهم فقال: أصابوا إمرة ضائعة، وقوماً طغاماً^(٢) جهالاً، لا يقومون لله بحق، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى، ويرون أن بني أمية أرباب لهم، فملكوا الأمر، وتسלטوا فيه تسلط ربوية، بطشهم بطش الجبابة، يحكمون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويأخذون بالظن، ويعطّلون الحدود بالشفاعات، ويؤمنون الخونة، ويُقْصُونَ ذوي الأمانة، ويأخذون الصدقة في غير وقتها على غير فرضها، ويضعونها في غير موضعها، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله، فالعنوهم، لعنهم الله.

وأما إخواننا من هذه الشيعة فليسوا بإخواننا في الدين، لكن سمعت الله عز وجل قال في كتابه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] شيعة ظهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب، قد قلدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه، وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم، غيًّا كان أو رشداً، أو ضلالة أو هدى، ينتظرون الدُّول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدعون علم الغيب لمخلوقين لا يعلم أحدهم ما في داخل بيته، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أو يحويه جسمه، ينقمون المعاصي على أهلها، ويُعْمَلُونَ إذا ظهروا بها ولا يعرفون المخرج منها، جفاة في الدين، قليلة عقولهم، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة، وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة، قاتلهم الله أنى يؤفكون، فأى هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون؟ أو بأي مذاهبهم تقتدون؟ وقد بلغني مقاتلكم في أصحابي، وما عبتموه من حادثة أسنانهم، ويحكم، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ المذكورون في الخير إلا أحداثاً شباباً؟ [شباب] والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة، قد نظر الله إليهم في جوف الليل، منحنية أصلابهم

(١) السُّورَة: الحِجَّة.

(٢) الطغام: أوغاد النَّاس.

على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً وكلما مر بآية من ذكر النار شهق خوفاً، كأن زفير جهنم بين أذنيه: قد أكلت الأرض جباههم ورُكَبهم، ووصلوا كلال الليل بكلال النهار، مصفرة ألوانهم، ناحلة أجسامهم من طول القيام وكثرة الصيام، أنضاء عبادة، موفون بعهد الله، منتجزون لوعد الله، قد شروا أنفسهم لله، حتى إذا التقت الكتبتان، وأبرقت سيوفها، وفوقت سهامها، وأشرعت رماحها، لقوا شبا الأسنة، وشائك السهام، وظباة السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قُدماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، واختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه الطير من السماء، وتمزقته سباع الأرض، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله؟ وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فُلق بعمد الحديد؟

ثم بكى وقال: آه آه على فراق الإخوان، رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل الله أرواحهم الجنان.

مروان يرسل له جيشاً:

قال هارون بلغني أنه بايعه بالمدينة ناس، منهم إنسان هذلي وإنسان سُراقِي وبِشْكُسْت الذي كان معهم معلم النحو، ثم خرج وخلف بالمدينة بعض أصحابه، فسار حتى نزل الوادي، وكان مروان قد بعث ابن عطية.

قال هارون: حدثني أبو يحيى الزهري:

أن مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف، استعمل عليهم ابن عطية، فأمره بالجد في السير، وأعطى كل رجل من أصحابه مائة دينار، وفرساً عربياً، وبغلاً لثقله، وأمره أن يمضي فيقاتلهم.

وقال المدائني:

بعث عبد الملك بن عطية السعدي، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلاف، معه فرسان من أهل الشام ووجوههم، منهم شعيب البارقي، ورومي بن ماعز المري، وقيل: بل هو كلابي، وفيهم ألف من أهل الجزيرة، وشرطوا على مروان أنهم إذا قتلوا عبد الله بن يحيى وأصحابه رجعوا إلى الجزيرة، ولم يقيموا بالحجاز، فأجابهم إلى ذلك، قالوا: فخرج حتى نزل بالمُعَلَّى، فكان رجل من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى أبي الغيث يقول: لقيني وأنا غلام في ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية، فسألني: ما اسمك يا غلام؟ فقلت: العلاء، فقال: ابن من؟

فقلت: ابن أفلح، قال: أعربي أم مولى؟ قلت: بل مولى، قال: مولى من؟ قلت: مولى أبي الغيث، قال: فأين نحن؟ قلت: بالمعلّى، قال: فأين نحن غداً؟ قلت: بغالب، قال: فما كلمني حتى أردفني خلفه، ثم مضى بي حتى أدخلني على ابن عطية، فقال: سلّ هذا الغلام ما اسمه، فسألني فرددت عليه القول الذي قلت، فسُرّ بذلك، ووهب لي دراهم.

وقال أبو صخر الهذلي حين بلغه قدوم ابن عطية:

قل للذين استضعفوا لا تعجلوا أتاكم النصر وجيشٌ جَحْفَلُ
عشرون ألفاً كلهم مُسْرَبَلُ يقدّمهم جَلْدُ القُوَى مُسْتَبْسَلُ
دونكمُ ذا يمينٍ فأقبلوا وواجهوا القوم ولا تستخجلوا
عبد المليك القلبي الحوّل أقسم لا يُفْلَى ولا يُرَجَّلُ
حتى يبيد الأعور المضلل ويُقتل الصباح والمفضّل
[الرجز]

الأعور عبد الله بن يحيى رئيسهم.

مقتل بلج وهزيمة أصحابه:

قال المدائني عن رجاله:

وبعث أبو حمزة، بلج بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك بن عطية، فلقبه بوادي القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة، فتواقفوا ودعاهم بلج إلى الكتاب والستّة، وذكر بني أمية وظلمهم، فشتّمهم أهل الشام، وقالوا: أنتم يا أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم وقتلتم، فحمل عليهم بلج وأصحابه فانكشفت طائفة من أهل الشام، وثبت ابن عطية في عصابة صبروا معه ونادى: يا أهل الشام يا أهل الحِفاظ، ناضلوا عن دينكم وأميركم. فكروا وصبروا صبراً حسناً، وقاتلوا قتالاً شديداً، فقتل بلج وأكثر أصحابه، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به، فقاتلهم ابنُ عطية ثلاثة أيام، فقتل منهم سبعين رجلاً، ونجا ثلاثون، فرجعوا إلى أبي حمزة، ونصب ابن عطية رأس بلج على رمح. قال: واغتمّ الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القرى إلى المدينة، وهم الثلاثون، وجزعوا من انهزامهم، وقالوا: فررنا من الزحف، فقال لهم أبو حمزة: لا تجزعوا فأنا لكم فئة وإليّ انحرتم.

المدينة تخلو من الشراة :

قال المدائني :

وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة واستخلف رجلاً يقال له المفضل عليها، فدعا عمر بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الناس إلى قتالهم، فلم يجد كثير أحد، لأن القتل قد كان شاع في الناس، وخرج وجوه أهل البلد عنه، فاجتمع إلى عمر البربر والزنج وأهل السوق والعبيد، فقاتل بهم الشراة، فقتل المفضل وعامة أصحابه، وهرب الباقيون، فلم يبق بالمدينة منهم أحد، فقال في ذلك أبو البيضاء سهل مولى زينب بنت الحكم بن [أبي] العاصي :

ليت مروان رآنا يوم الاثنين عشيّه
إذ غسلنا العار عنا وانتضينا المشرفيّه

[مجزوء الرمل]

قال : فلما قدم ابن عطية المدينة أتاه عمر بن عبد الرحمن بن أسيد فقال له : أصلحك الله، إني جمعت قضي وقضيضي، فقاتلت هؤلاء، فقتلنا من امتنع من الخروج، وأخرجنا الباقي. فلقبه أهل المدينة بقضيضي وقضي.

هزيمة الخوارج وصلب أبي حمزة :

قال : وأقام ابن عطية بالمدينة شهراً، وأبو حمزة مقيم بمكة، ثم توجه إليه، فقال له علي بن حصين العنبري : إني قد كنت أشرت عليك يوم قديد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلهم، فلم تفعل، وعرفت أنك أنهم سيغدرون، فلم تقبل، حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين بالمدينة، وأنا أشير عليك اليوم أن تضع السيف في هؤلاء، فإنهم كفره فجرة، ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا أشد عليك منه. فقال : لا أرى ذلك لأنهم قد دخلوا في الطاعة، وأقروا بالحكم، ووجب لهم حق الولاية، قال : إنهم سيغدرون، فقال : أبعدهم الله ﴿فَمَنْ تَكْتَفَانِمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح : ١٠]، قال : وقدم عبد الملك بن عطية مكة، فصير أصحابه فرقتين، ولقي الخوارج من وجهين، فصير طائفة بالأبطح، وصار هو في الطائفة الأخرى بإزاء أبي حمزة، فصار أبو حمزة أسفل مكة، وصير أبو حمزة أبرهة بن الصباح بالأبطح في ثمانين فارساً، فقاتلهم أبرهة، فانهزم أهل الشام إلى عقبة منى، فوقفوا عليها، ثم كرّوا وقتلواهم فقتل أبرهة، كمن له ابن هبار القرشي، وهو على خيل دمشق، عند بئر ميمون، فقتله، وتفرق الخوارج، وتبعهم أهل الشام يقتلونهم حتى دخلوا المسجد، والتقى أبو

حمزة وابن عطية بأسفل مكة، فخرج أهل مكة مع ابن عطية، فقتل أبو حمزة على فم الشعب، وقتلت معه امرأته وهي ترتجز وتقول:

أنا الجُعِيداءُ^(١) وبنْتُ الأعْلَمِ من سَالٍ عن إسمي فإسمي مَرِيْمُ
بَعْتُ سِواريَّ بِسِيفٍ مِخْذَمٍ^(٢)

[الرجز]

قال: وتفرقت الخوارج، فأسر أهل الشام منهم أربعمائة، فدعا بهم ابن عطية فقال: ويلكم، ما دعاكم إلى الخروج مع هذا؟ قالوا: ضمن لنا الكفّة، يريدون الجنة، وهي لغتهم، فقتلهم، وصلب أبا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من أصحابهم على فم الشعب، شعب الخيف، ودخل علي بن الحصين داراً من دور قریش، فأحرق أهل الشام بالدار فأحرقوها، فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار فقاتلهم، وأسر، فقتل وصلب مع أبي حمزة.

ولم يزلوا مُصَلِّينَ حتى أفضى الأمر إلى بني العباس، وحج مهلهل الهجيمي في خلافة أبي العباس فأنزل أبا حمزة ليلاً فدفنه ودفن خشبته.

سبلت وصعتره:

قال المدائني:

وكان بمكة مخنثان يقال لأحدهما سبلت وللآخر صعتره، فكان صعتره يُرجف بأهل الشام، وكان سبلت يُرجف بالإباضية، فعرف الخوارج أمرهما، فوجهوا إلى سبلت فأخذوه فقتلوه، فقال صعتره: يا ويله هو والله أيضاً مقتول، وإنما كنت أنا وسبلت نتكايد ونتكاذب فقتلوه، وغداً يجيء أهل الشام فيقتلونني، فلما دخل ابن عطية مكة عرف خبرهما فأخذ صعتره فقتله.

نأكل مال اليتيم ونفجر بأمه!!

وقال هارون في خبره: أخبرني عبد الملك بن الماجشون قال:

لما التقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة: لا تقاتلوهم حتى تختبروهم، فصاح بهم: ما تقولون في القرآن والعمل به؟ فصاح ابن عطية: نضعه في جوف الجوالق، قال: فما تقولون في مال اليتيم؟ قال: نأكل ماله ونفجر بأمه. في أشياء بلغني أنه سأله عنها، فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم حتى أمسوا، فصاحت الشُّراة:

(٢) المِخْذَم: القاطع البتار.

(١) الجُعِيداء: المجعّدة الشعر كثيفته.

ويحك يا ابن عطية إن الله جل وعز قد جعل الليل سكناً فاسكن ونسكن، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً.

أبو حمزة يودع أهل المدينة:

قال هارون: أخبرني موسى بن كثير:

أن أبا حمزة خطب أهل المدينة وودعهم ليخرج إلى الحرب، فقال: يا أهل المدينة، إنا خارجون لحرب مروان، فإن نظهر نعدل في أحكامكم، ونحملكم على سنة نبيكم، ونقسم بينكم، وإن يكن ما تمثون لنا فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

قال: ووثب الناس على أصحابه حين جاءهم قتله فقتلوه، فكان بشكست ممن قتلوا، طلبوه فرقي في درجة كانت في دار أذينة، فلحقوه فأنزلوه منها، وهو يصيح: يا عباد الله، فيم تقتلونني؟

قال: وأنشدني بعض أصحابنا:

لقد كان بشكست عبد العزيز من أهل القراءة والمسجد
فبعداً لبشكست عبد العزيز وأما القرآن فلا يبعد
[المقارب]

قال هارون: وأخبرني بعض أصحابنا أنه رأى رجلاً واقفاً على سطح يرمي بالحجارة ف قيل: ويلك أتدري من ترمي مع اختلاط الناس؟ قال: والله ما أبالي من رميت، إنما هو شام وشار، والله ما أبالي أيهما قتلت.

عبد الله يقاتل ابن عطية:

وقال المدائني: لما قتل ابن عطية أبا حمزة بعث برأسه مع عروة بن زيد بن عطية إلى مروان، وخرج إلى الطائف فأقام بها شهرين، وتزوج بنت محمد بن عبد الله بن أبي سويد الثقفي، واستعمل على مكة رومي بن عامر المُرِّي، وأتى فل أبي حمزه إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء، فأقبل معه أصحابه - وقد لقبوه طالب الحق - يريد قتال ابن عطية، وبلغ ابن عطية خبره، فشخص إليه، فالتقوا بكشة، فأكثر أهل الشام القتل فيهم، وأخذوا أثقالهم وأموالهم، وتشاغلو بالنهب، فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم، فقتل منهم نحو مائة رجل، وقتل قائداً من قوادهم يقال له يزيد بن حمل القشيري من أهل قيسرين فدَمَرَهُمْ^(١) ابن عطية فكَرَّوا، وانضم بعضهم إلى بعض

(١) دَمَر: حَتَّ على الأمر مع اللوم ليحْضَهُ على الجِدِّ فيه.

وقاتلوا حتى أمسوا، فكف بعضهم عن بعض، ثم التقوا من غد في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان، فطال القتال بينهم، واستحز^(١) القتل في الشراة، فترجل عبد الله بن يحيى في ألف فارس، فقاتلوا حتى قُتلوا جميعاً عن آخرهم، وانهزم الباقيون فتفرقوا في كل وجه، ولحق من نجا منهم بصنعاء، وولّوا عليهم حُمَانَة فقال أبو صخر الهذلي:

قتلنا دُعَيْساً والذي يَكْتَنِي الكُنَى أبا حمزة العَاوي المُضِلّ اليماني
وأبرهة الكنديّ خاضت رماحنا وبَلَجاً صبحناه الحُتوف القَواضيا
وما تركت أسيفنا منذ جُرِدَتْ لمروان جَبَّاراً على الأرض عاديّا
[الطويل]

ابن عطية يبعث رأس عبد الله إلى مروان:

قال المدائني:

وبعث عبدُ الملك بنُ عطية رأسَ عبد الله بن يحيى مع ابنه يزيد بن عبد الملك إلى مروان.

وقال عمرو بن الحصين - ويقال الحسين - العنبري مولى لهم يرثي عبد الله بن يحيى وأبا الحمزة، وهذه القصيدة التي في أولها الغناء المذكور أول هذه الأخبار:

هَبَّتْ قُبَيْلَ تَبَلَّجِ الفجرِ هَنَدٌ تقول ودمعها يجري
إن أبصرت عيني وأدمعها يَنهَلُ وإِكْفُهَا على النحرِ
أَنْى اعتراك وكنت عهدي لا سَرِبَ الدموع وكنت ذا صبرِ
أَقْدَى بعينك ما يفارقها أم عَائِرٌ أم مالها تُذْري؟
أم ذكر إخوان فُجعت بهم سلكوا سبيلهم على خُبْرِ
فأجبتها بل ذكر مصرعهم لا غيرُه عبراتها تَمْري
يارب، فاسلُكْنِي سبيلهم ذا العَرْش واشدُّ بالتقى أْزري
في فتية صَبَرُوا نُفوسَهُمْ لِمَشْرِفِيَّة^(٢) والقنا^(٣) السُّمْرِ
تالَّه ألقى الدهرَ مثلهم حتى أكون رَهينَةَ القبرِ

(١) استحز: كثر، حمي.

(٢) المشرفية: السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام وقيل لموضع في اليمن أيضاً.

(٣) القنا: مفردها القناة وهي الرمح.

أَوْقَى بِذِمَّتِهِمْ إِذَا عَقَدُوا
 مَتَأَهْلِينَ لِكُلِّ صَالِحَةٍ
 صُمِتَ إِذَا احْتَضَرُوا مَجَالِسَهُمْ
 إِلَّا تُحَيَّيَهُمْ فَلِإِنَّهُمْ
 مَتَأَوْهَيْنَ كَأَن جَمَرَ غَضًا
 تَلْقَاهُمْ إِلَّا كَأَنَّهُمْ
 فَهْمٌ كَأَنَّ بِهِمْ جَوَى مَرَضٍ
 لَا لَيْلَهُمْ لَيْلٌ فَيَلْبَسُهُمْ
 إِلَّا كَذَا خَلَسًا وَأَوْنَةً
 كَمَ مِنْ أَخٍ لَكَ قَدْ فَجَعَتْ بِهِ
 مَتَأَوُّهُ يَتَلَوُّ قَوَارِعَ مِنْ
 نَصِبٍ تَجِيْشَ بِنَاتٍ مُهْجَتِهِ
 ظِمَانٍ وَقْدَةٍ كُلِّ هَاجِرَةٍ
 تَرَاكَ مَا تَهْوَى النَفُوسُ إِذَا
 [وَمَبْرَأٌ مِنْ كُلِّ سَيِّئَةٍ
 وَالْمَصْطَلِي بِالْحَرْبِ يَسْعَرُهَا
 يَخْتَاضُهَا بِأَفْلٍ ذِي شُطْبٍ
 لَا شَيْءٍ يَلْقَاهُ أَسْرًا لَهُ
 نَجَاءٌ مُنْهَرَةٍ تَجِيْشَ بِمَا
 كَخَلِيلِكَ الْمَخْتَارِ أَذْكَ بِهِ
 خَوَاضَ غَمْرَةٍ كُلِّ مَتْلَفَةٍ
 تَرَاكَ ذِي النَخَوَاتِ مَخْتَضِبًا
 وَابْنَ الْحَصِينِ وَهَلْ لَهُ شَبَهُ

وَأَعَفَّ عِنْدَ الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 نَاهِيْنَ مِنْ لَاقُوا عَنْ التُّكْرِ
 أُذُنٍ لِقَوْلٍ خَطِيبَهُمْ وَفَرِ
 رُجِفَ الْقُلُوبَ بِحَضْرَةِ الذِّكْرِ
 لِلْخَوْفِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ يَسْرِي
 لِحَشْوَعِهِمْ صَدَرُوا عَنِ الْحَشْرِ
 أَوْ مَسَّهِمْ طَرْفٌ مِنَ السَّحْرِ
 فِيهِ غَوَاشِي النُّومِ بِالسُّكْرِ
 حَذَرَ الْعِقَابِ وَهُمْ عَلَى دُعْرِ
 قَوَّامٍ لَيْلَتِهِ إِلَى الْفَجْرِ
 آيِ الْقُرْآنِ مَفْزَعِ الصَّدْرِ
 بِالْمَوْتِ جَيْشَ مُشَاشَةِ الْقِدْرِ
 تَرَاكَ لَذَّتِهِ عَلَى قَدْرِ
 رُغْبِ النَفُوسِ دَعَتْ إِلَى النَّدْرِ
 عَفَّ الْهَوَى ذُو مِرَّةٍ^(١) شَزْرٍ^(٢)
 بَغْبَارِهَا وَبِفَتْيَةٍ سَعْرِ
 عَضْبٍ^(٣) الْمَضَارِبِ قَاطِعِ الْبَثْرِ
 مِنْ طَعْنَةٍ فِي ثَغْرَةِ النَّحْرِ
 كَانَتْ عَوَاصِي^(٤) جَوْفِهِ تَجْرِي
 مِنْ مُغْتَدٍ فِي اللَّهْ أَوْ مُسْرِي
 فِي اللَّهْ تَحْتَ الْعِثِيرِ^(٥) الْكُذْرِ
 بِنَجِيْعِهِ بِالطَّعْنَةِ الشَّزْرِ
 فِي الْعُرْفِ أُنَى كَانَ وَالنُّكْرِ

(١) ذُو مِرَّةٍ: ذُو أَصَالَةٍ وَإِحْكَامٍ وَقُوَّةٍ.

(٢) الشَّزْرُ: الشَّدَّةُ وَالصَّعُوبَةُ.

(٣) الْعَضْبُ: الْقَطْعُ.

(٤) الْعَوَاصِي: مَفْرُودُهَا الْعَاصِي وَهُوَ الْعِرْقُ الَّذِي لَا يَرْقَأُ.

(٥) الْعِثِيرُ: التَّرَابُ، وَالْأَثَرُ الْخَفِيُّ.

بَسَامَةٍ لَمْ تُخْنِ أَضْلَعَهُ
 طَلَقَ اللِّسَانَ بِكُلِّ مُحْكَمَةٍ
 لَمْ يَنْفَكِكْ فِي جَوْفِهِ حَزَنٌ
 تَرَقَّى وَأَوْنَةً يُخَفِّضُهَا
 وَمُخَالَطِي بَلَجٍ وَخَالِصَتِي
 نِكَلِ الْخُصُومِ إِذَا هُمْ شَغِبُوا
 وَالْخَائِضِ الْغَمَرَاتِ يَخْطُرُ فِي
 بِمُشْطَبٍ أَوْ غَيْرِ ذِي شُطَبٍ
 وَأَخِيكَ أَبْرَهَةَ الْهَجَانِ أَخِي الـ
 بِمُرْشَسَةٍ فَرَغَ^(١) تَثْجُ^(٢) دَمًا
 وَالضَّارِبِ الْأَخْدُودِ لَيْسَ لَهَا
 وَوَلِيَّ حَكْمِهِمْ فُجِعَتْ بِهِ
 قَوَالٍ مُحْكَمَةٍ وَذِي فَهَمٍ
 وَمُسَيِّبٍ فَادْكَرْ وَصِيَّتَهُ
 فَكَلَاهُمَا قَدْ كَانَ مُحْتَسِبًا
 فِي مُخْبَتَيْنِ وَلَمْ أُسَمِّهِمْ
 وَهُمْ مَسَاعِرُ^(٥) فِي الْوَعْيِ رُجُحٌ
 حَتَّى وَقَوْا لِلَّهِ حَيْثُ لَقُوا
 فَتَخَالَسُوا مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ
 وَأَسِنَّةَ أَثْبَتْنَ فِي لُدُنٍ
 تَحْتَ الْعَجَاجِ^(٧) وَفَوْقَهُمْ خِرْقٌ
 فَتَفَرَّجَتْ عَنْهُمْ كَمَا تُثْهِمُ

لِذَوِي أَخَوَاتِهِ عَلَى غَمْرِ
 رَأْبِ صَدْعِ الْعَظْمِ ذِي الْوَقْرِ
 تَغْلِي حَرَارَتَهُ وَتَسْتَشْرِي
 بِتَنْفُّسِ الصُّعْدَاءِ وَالزُّفْرِ
 سَمِّ الْعَدُوِّ وَجَابِرِ الْكَسْرِ
 وَسِدَادِ ثَلَمَةِ عَوْرَةِ الثَّغْرِ
 وَسَطِ الْأَعَادِي أَيْمًا خَطَرِ
 هَامِ الْعِدَا بِذُبَابِهِ يَفْرِي
 حَرْبِ الْعَوَانِ مُلْقِحِ الْجَمْرِ
 ثَجَّ الْعَوِيَّ سَلَاقَةَ الْخَمْرِ
 حَدُّ يَنْهَنُهَا^(٣) عَنِ السَّحْرِ^(٤)
 عَمْرٍو فَوَاكِبِي عَلَى عَمْرٍو
 عَفَّ الْهَوَى مَتَثَبَّتِ الْأَمْرِ
 لَا تَنْسِ إِمَّا كُنْتَ ذَا دُكْرِ
 لِلَّهِ ذَا تَقْوَى وَذَا بَرٍّ
 كَانُوا يَدِي وَهُمْ أُولُو نَصْرِي
 وَخِيَارِ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْعَفْرِ^(٦)
 بَعْهُودٍ لَا كَذِبٍ وَلَا غَدْرِ
 وَعُدَاتِهِمْ بِقَوَاضٍ بُثِّرِ
 خَطِيئَةٍ بِأَكْفَفِهِمْ زُهْرِ
 يَخْفَقْنَ مِنْ سُودٍ وَمِنْ حُمْرِ
 لَمْ يُغْمِضُوا عَيْنًا عَلَى وَثْرِ

(١) الفرغ: الطعنة الواسعة التي يسيل الدم منها.

(٢) تَثْجُ: تسيل.

(٣) يَنْهَنُهَا: يَكْفُهَا.

(٤) السَّحَر: الرِّثَّةُ جمعها سحور وأسحار.

(٥) المساعِر: التراب.

(٦) العَفْر: الغبار.

(٧) الْعَجَاج: الغبار.

فشعارُهُم نيران حربهم ما بين أعلى السَّحَرِ^(١) والنَّحْرِ^(٢)
صرعى فحاجِلَةٌ^(٣) تنوبهم وخوامِعٌ^(٤) لُحْمَانُهُم تَبْرِي
[الكامل]

ابن عطية يتبع الخوارج:

قال المدائني: وكتب مروان إلى ابن عطية يأمره بالمسير إلى صنعاء ليقاتل من بها من الخوارج، فاستخلف ابنه محمد بن عبد الملك على مكة، وعلى المدينة الوليد بن عروة بن عطية، وتوجه إلى صنعاء، ورجع أهل الجزيرة جميعاً إلى بلدهم، وكذلك كان مروان شرط لهم، فلما قرب من صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها، فأخذ أهل صنعاء أثقاله وحملين من مال كان معه، فسلموا ذلك إلى ابن عطية. وتتبع أصحاب عبد الله بن يحيى في كل موضع يقتلهم، وأقام بصنعاء أشهراً، ثم خرج عليه رجل من أصحاب عبد الله بن يحيى من آل ذي الكلاع يقال له: يحيى بن عبد الله بن عمرو بن السباق في جمع كثير في الجند، فبعث إليه ابن عطية ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية، فلقاه بالحرب فهزمه، وقتل عامة أصحابه وهرب منه فنجاً، وخرج عليه يحيى بن كرب الحميري بساحل البحر، وانضمت إليه شذاذ الإباضية، فبعث إليه أبا أمية الكندي في الوضاحية، فالتقوا بالساحل، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل، وتحاجزوا عند المساء، فهربت الإباضية إلى حضرموت، وبها عامل لعبد الله بن يحيى يقال له: عبد الله بن سعيد الحضرمي فصار في جيش كثير، واستفحل أمره، وبلغ ابن عطية الخبر، فاستخلف ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية على صنعاء، وشخص إلى حضرموت، وبلغ عبد الله بن سعيد مسيراً عبد الملك إليهم، فجمعوا الطعام وكل ما يحتاجون إليه في مدينة شبام، وهي حصن حضرموت، مخافة الحصار، ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت، في عدد كثير في فلاة، وأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومه كله، فلما أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام، حذر عسكره في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً، ثم أصبح فقاتلهم قتالاً شديداً حتى انتصف النهار، ثم تحاجزوا، فلما أمسوا تبع عسكره، وأصبح الخوارج فلم يروا للقوم أثراً فاتبعوهم وقد سبقوهم إلى الحصن، فأخذوا جميع ما فيه وملكوه، ونصب ابن عطية عليهم المسالحي، وقطع عنهم المياه والميرة، وجعل يقتل من يقدر عليه، ويسبي ويأخذ الأموال.

(٢) النَّحْر: أعلى الصدر.

(١) السَّحَر: الرِّثَّة.

(٤) الخوامِع: الضَّبَاع.

(٣) الحاجلة: الطيور المحجلة.

مقتل ابن عطية :

ثم ورد عليه كتاب مروان بن محمد يأمره بالتعجل إلى مكة ليحج بالناس، فصالح أهل حضرموت، على أن يرد عليهم ما عرفوا من أموالهم، ويولي عليهم من يختارون، ويسالmon، فرضي بذلك وصالحهم. وشخص إلى مكة متعجلاً مُخَفّاً، ولما نَفَذَ كتابُ مروان ندم بعد ذلك بأيام وقال: إِنَّا لِلَّهِ، قَتَلْتُ وَاللَّهِ ابْنَ عَطِيَّةَ، هُوَ الْآنَ يَخْرُجُ مُخَفّاً متعجلاً ليلحق الحج فيقتله الخوارج، فكان كما قال، تعجّل في بضعة عشر رجلاً، فلما كان بأرض مراد تَلَفَّفَتْ عليه جماعة، فمن كان من تلك الجماعة إباضياً عرفه، فقالوا: ما ننتظر بهذا أن ندرك ثأر إخواننا فيه، ومن لم يكن إباضياً ظنه من الإباضية وأنه منهزم، فلما علم أنهم يريدونه قال لهم: ويحكم، أنا عامل أمير المؤمنين على الحج، فلم يلتفتوا إلى ذلك وقتلوه، ونصبت الإباضية رأسه، فلما فتشوا متاعه وجدوا فيه الكتاب بولايته على الحج، فأخذوا من الإباضية رأسه ودفنوه مع جسده.

حُمَانَةُ يَنْتَقِمُ لِلخَوَارِجِ :

قال المدائني :

خرج إليه حُمَانَةُ وسعيد ابنا الأخنس، في جماعة من قومهما من كندة، وعرفه حُمَانَةُ لِمَا لَقِيَهُ، فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من همدان يقال له: رُمانَة وثلاثة من مراد، وخمسة من كندة، وقد توجّه في طريقٍ مع أربعة نفر من أصحابه، وتوجه باقيهم في طريق آخر، فقصدوا حيث توجّه ابنُ عطية، ووجهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلاً منهم، فأدركوهم فقتلوهم، وأدرك سعيدٌ وحُمَانَةُ وأصحابهما ابنَ عطية، فعطف عبد الملك على سعيد فضربه، وطعنه حُمَانَةُ فصرعه عن فرسه، ونزل إليه سعيد فقعد على صدره، فقال له ابن عطية: هل لك يا سعيد في أن تكون أكرم العرب أسيراً؟ فقال: يا عدو الله، أترى الله كان يمهلك؟ أو تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وأبا حمزة وبلجاً وأبرهة؟ فقتله وقتل أصحابه جميعاً، وبعثوا برأسه إلى حضرموت، وبلغ ابن أخيه وهو بصنعاء خبره، فأرسل شُعيباً البارقي في الخيل، فقتل الرجال والصبيان، وبَقَرَ بطون النساء، وأخذ الأموال، وأخرب القرى، وجعل يتتبع البريء والنَّطْفَ^(١) حتى لم يبق أحد من قتلة ابن عطية ولا من الإباضية إلا قتله، ولم يزل مقيماً باليمن إلى أن أفضى الأمر إلى بني هاشم، وقام بالأمر أبو العباس السفاح.

(١) النَّطْف: المتهمة بريية وشر.

خبر عبد الله بن أبي العلاء

ظريف شكل :

هو عبد الله بن أبي العلاء، رجل من أهل سرّ من رأى، وكان يأخذ عن إسحاق وطبقته فبرع، وله صنعة يسيرة جيدة.

وابنه أحمد بن عبد الله بن أبي العلاء أحد المحسنين المتقدمين، أخذ عن مخارق وعلويه وطبقتهما، وعُمّر إلى آخر أيام المعتضد، وكانت فيه عريضة.

وكان عبد الله بن أبي العلاء حسن الوجه والزيّ ظريفاً شكلاً.

حدثني ذكاء وجه الرزة قال: قال لي ابن المكي:

كان المرتجل كان يقوم دابة عبد الله بن أبي العلاء وثيابه إذا ركب ألف دينار.

قال: وقال لي ابن المكي: حدثني أبي قال:

نظر أحمد بن يوسف الكاتب إلى عبد الله بن أبي العلاء عند إسحاق وهو يطارحه، فأقام عند إسحاق، وسأله احتباس عبد الله عنده، فأمره بذلك، فاعتلّ عليه وقال: أريد أن أشيع غازياً يخرج من جيراننا، فقال له أحمد بن يوسف:

لا تخرجنّ مع العُزاة مُشيّعاً إن العَزِيّ يراك أفضل مغنم
ودع الحجيج ولا تُشيع وفدهم أخشى عليك من الحجيج المُحرم
ما أنت إلا غادة^(١) ممكورة^(٢) لولا شواربك المحيطة بالفم

[الكامل]

وقد روي أن هذا الشعر لسعيد بن حميد في عبد الله بن أبي العلاء، وهو

الصحيح.

فأقسم عليه إسحاق أن يقيم فأقام.

أحمد بن يوسف يتعشقه :

وقال لي جعفر بن قدامة، وقد تجاذبنا هذا الخبر: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه:

(٢) الممكورة: المطوية الخلق من النساء.

(١) الغادة: المرأة الناعمة الحسناء.

أن العشرة اتصلت بين عبد الله وبين أحمد بن يوسف، وتعشقه، وأنفق عليه جملة من المال حتى اشتهر به، فعابته محمد بن عبد الملك الزيات في ذلك فقال له:

لا تعدلني يا أبا جعفر عدل الأخلاء من اللوم
إن استه مشربة حمرة كأنها وجنة مَكْظوم
[السريع]

وقد قيل: إن هذين البيتين لأحمد بن يوسف في موسى بن عبد الملك.

أبوه سالم السقاء:

وكان بعض الشعراء قد أولع بعبد الله بن أبي العلاء يهجو، ويذكر أن أباه أبا العلاء هو سالم السقاء، وفيه يقول هذا الشعر:

كنت في مجلس أنيق جميل فأتانا ابنُ سالم مختالا
فتغننى صوتاً فأخطأ فيه وابتداً ثانياً فكان محالا
وابتغى خلعة على ذاك منّا فخلعنا على قفاه النُّعالا
[الخفيف]

وفيه يقول هذا الشاعر، أنشدناه ابنُ عمار وغيره:

إذا ابن أبي العلاء أقيم عئاً فأهلاً بالمجالس والرحيق
قفاه على أكف الشرب وقف وجلدة وجهه مِيدانُ ريق
[الوافر]

صوت

أفاطم حُييت بالأسعد متى عهدنا بك لا تبُعدي
تبارك ذو العرش ماذا نرى من الحسن في جانب المسجد؟
فإن شئت آليت بين المَقا م والركن والحجر الأسود
أنسأك ما دام عقلي معي أمُدُّ به أمد السرمد
[المتقارب]

الشعر لأمية بن أبي عائد، والغناء لحكم الوادي هزج خفيف بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه للأبجر ثقیل أول بالوسطى عن عمرو، وقال ابن المكي: فيه هزج ثقیل بالبنصر لعمر الوادي، وفيه لفليح لحن من رواية بذل، ولم يذكر طريقته.

نسب أمية بن أبي عائد وأخباره

اسمه ونسبه :

أمية بن أبي عائد العُمري، أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في سائر النسخ، وكان أمية أحد مدّاحي بني مروان، وله في عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان قصائد مشهورة.

يمدح عبد العزيز بن مروان :

فذكر ابن الأعرابي وأبو عبيدة جميعاً :

أنه وفد إلى عبد العزيز إلى مصر قاصداً له، وقد امتدحه بقصيدته التي أولها :

ألا إن قلبي مع الطاعنيننا حزينٌ فمن ذا يُعزّي الحزيننا
فيا لك من روعة يوم بانوا بمن كنت أحسب ألا يبيننا
[المقارب]

في هذين البيتين للحسين بن محرز خفيف ثقیل عن الهشامي، وفي هذه القصيدة يقول :

إلى سيد الناس عبد العزيز ز أعملت للسير حَرْفاً أمونا
صُهَابِيَّةُ^(١) كَعَلَاةُ^(٢) الْقِيُو^(٣) نِ مِنْ ضَرْبِ جَوْهَرٍ مَا يُخْلِصُونَا
إذا أزبدت من تَبَارِي الْمَطِي خَلْتُ بِهَا خَبْلاً أَوْ جَنُونَا
تَوْمُ النِّوَاعِشِ وَالْفَرْقَدَيْنِ تُنْصَبُ لِلْقَصْدِ مِنْهَا الْجَبِينَا
إلى معدن الخير عبد العزيز تُبَلِّغُنَا ظُلْعاً قَدْ حَفِينَا

(١) الصُّهَابِيَّةُ : الجمال والنوق المنسوبة إلى صِهَاب .

(٢) العَلَاةُ : السندان .

(٣) القِيُون : مفرداها الْقَيْن وهو الحدّاد .

ترى الأدم والعيس تحت المُسو
تسير بمدحي عبد العزيز
مُحَبَّرة من صريح الكلا
وكان امراً سيّداً ماجداً
ح قد عُدن من عَرَق الأين^(١) جونا
رُكبان مَكَّة والمُنْجِدونا
م ليس كما لَفَق المُحَدِّثونا
يُصَفِّي العتيق وَيُنْفِي الهَجينا
[المتقارب]

يتشوق إلى البادية :

قال : وطال مقامه عند عبد العزيز ، وكان يأنس به ، ووصله صلات سنية ،
فتشوق إلى البادية وإلى أهله ، فقال لعبد العزيز :

متى راكبٌ من أهل مصر وأهله
بلى إنها قد تقطع الخرق^(٢) ضَمَرُ
متى ما تُجْزها يا ابن مروان تعترف
وباتت تؤم الدار من كل جانب
فلما رأته أن لا خروج وإنما
تمطت بمجدولٍ سَبَطِرٍ فطالعت
بمكة من مِصْرَ العشيَّة راجعُ
تُباري السُرى والمُعسِفُون^(٣) الزعازُعُ^(٤)
بلادَ سُليمي وهي خوصاء^(٥) ظالع^(٦)
لتخرج واستدَّتْ عليها المصارعُ
لها من هواها ما تُجِنُّ الأضالعُ
وماذا من اللُّوح^(٧) اليماني تُطالعُ؟
[الطويل]

فقال له عبد العزيز : اشتقت والله إلى أهلك يا أمية ، فقال : نعم والله أيها
الأمير ، فوصله وأذن له .
ومما يغتنى فيه من شعر أمية :

صوت

تَمْرُ كَجندَلَة^(٨) المنجني — قِ يُرْمَى بها السُّورُ يوم القتالِ

(١) الأين : الإعياء . (٢) الخرق : الأرض الواسعة .

(٣) المُعسِفُون : السائرون بالليل خبط عشواء .

(٤) الزعازع : مفردها الزعزع وهو الرجل الذي يززع الإبل أي يحثها على العدو .

(٥) الخوصاء : الريح الحارة المرتفعة .

(٦) الظالع : المائل .

(٧) اللُّوح : كل صفيحة عريضة ، خشباً كانت أو عظماً جمعها ألواح .

(٨) الجندلة : الحجارة المجتمعة الكثيرة .

فَمَاذَا تُحْطِرُ^(١) مِنْ قُلَّةٍ وَمِنْ حَدَبٍ وَإِكَامٍ تَوَالِي
وَمِنْ سَيْرِهَا الْعَنْقُ^(٢) الْمُسْبَطُ^(٣) وَالْعَجْرَفِيَّةُ^(٤) بَعْدَ الْكَلَالِ^(٥)

[المتقارب]

الغناء لابن عائشة، وقد ذكر في أخباره مع غريبه وأحاديث لابن عائشة في

معناه .

صوت

أُمُّ نُهَيْكٍ أَوْقَعِي الظَّنَّ صَادِقاً وَلَا تَيَأْسِي أَنْ يُثْرِيَ الدَّهْرَ بَائِسُ
سَيَغْنِيكَ سِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَطْلَبِي وَبَعْلُ التِّي لَمْ تَحْظْ فِي الْحَيِّ جَالِسُ
سَأَكْسِبُ مَا لَأَوْ تَبِيتِينَ لَيْلَةً بِصَدْرِكَ مَنْ وَجَدَ عَلَيَّ وَسَاوِسُ
وَمَنْ يَطْلُبُ الْمَالَ الْمُمَنَّعَ بِالْقَنَا يَعِشُ مُثْرِيّاً أَوْ يُودِ فِيْمَا يِمَارِسُ

[الطويل]

الشعر لعبد الله بن أبي معقل الأنصاري، والغناء لسليم خفيف ثقیل بالوسطى
عن عمرو، وقد ذكر ابن المكي أن فيه لإبراهيم لحناً من الهزج بالوسطى، وذكر
الهاشمي وحش أن فيه لإبراهيم ثاني ثقیل، وذكر حبش أنه لإسحاق .

(١) تُحْطِرُ: تسرع في السير .

(٢) الْعَنْقُ: ضرب من السير .

(٣) الْمُسْبَطُ: السهل اللين .

(٤) الْعَجْرَفِيَّةُ: الشديدة .

(٥) الْكَلَالُ: التعب والعناء .

أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه

اسمه ونسبه :

هو عبد الله بن أبي معقل بن نُهَيْك بن أساف بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو - وهو النبيت - بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

شاعر مقلّ حجازي من شعراء الدولة الأموية، وكان يقال لأبيه: منهب الورق، وقيل بل جدّه المسمّى بذلك، لأنه كسب مالاً، فعجب أهل المدينة من كثرتّه، فأباحهم إياه فنهبوه .

عمه يدرك النَّبِيَّ ويصلي معه :

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال: حدثني [أبو بكر عبد الله بن جعفر بن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: حدثني] جدي مصعب بن عبد الله عن ابن القداح أنه قال: هذان البيتان، يعني قوله:

أُمُّ نُهَيْك أَوْقَعِي الظَّنَّ صَاعِداً

والذي بعده لعبد الله بن أبي معقل بن نُهَيْك بن أساف، والناس يروونهما لجده، وليس ذلك بصحيح، هما لعبد الله .

وكان عباد بن نُهَيْك بن أساف عمّه أدرك النبي ﷺ وصحبه، وصلى معه إلى القبلتين، وصلى معه الظهر، وصلى معه في ركعتين منها إلى بيت المقدس، وركعتين إلى الكعبة، وأدرك النبي ﷺ وهو شيخ كبير لا فضل فيه، فوضع عنه الغزو .

وكان نهيك بن أساف يهاجي أبا الخضرء الأشهلي في الجاهلية، وأشعارهم موجودة في أشعار الأنصار .

محسود في قومه :

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثني عبد الله بن جعفر عن جده مصعب، عن ابن القداح قال:

كان ابن أبي معقل محسوداً في قومه: يجاهرونه بالعداوة، ليساره وسعة ماله، ويحسدونه، وكان بنى قصراً في بني حارثة، وسماه: مُرغماً، وقال له قائل: ما لك ولقومك؟ فقال: ما لي إليهم ذنب إلا أنني أثريت وكنت مُعدماً، وبنيت مُرغماً، وأنكحت مَرِيماً ومَرِيماً، يعني ابنته مريم وبنت ابنه مريم، فأما ابنته مريم فتزوجها حبيب بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية، وبنت ابنه مسكين بن عبد الله بن أبي معقل [فبرعت في الجمال] وهي مريم تزوجها محمد بن خالد بن الزبير بن العوام.

مريم ومريم:

أخبرني الحرمي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عمي مصعب قال:

خطب محمد بن خالد بن الزبير وحبيب بن الحكم بن أبي العاصي إلى عبد الله بن أبي معقل ابنته مريم، فأرغبه حبيب في الصداق فزوجه إياها، ثم شبت مريم بنت مسكين بن عبد الله بن أبي معقل، فبرعت في الجمال، ولقي محمد بن خالد يوماً فقال له: يا ابن خالد، إن تكن مريم قد فاتتك فقد يَفعت مريم، وما هي بدونها في الجمال، وقد آثرتك بها، قال: فتزوجها على عشرين ألفاً.

كثير الأسفار:

وقال ابن القداح:

كان ابن أبي معقل كثير الأسفار في طلب الرزق، فلامته امرأته أم نهيك - وهي ابنة عمه - على ذلك، وقد قدم من مصر، فلم يلبث أن قال لها: جَهِّزيني إلى الكوفة إلى المغيرة بن شعبة، فإنه صديقي وقد وليها، فجَهَّزته ثم قالت: لن تزال في أسفارك هذه تتردد حتى تموت، فقال لها: أو أثري، ثم أنشأ يقول:

أُمُّ نُهَيْكٍ إِرْفَعِي الظَّنَّ صَاعِداً وَلَا تَيْأَسِي أَنْ يُثْرِيَ الدَّهْرَ بَائِسُ
[الطويل]

وهي قصيدة فيها مما يغنى فيه قوله:

صوت

فلولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى وجدّك لم أحفل متى قام رامس
فمنهن تحريك الكميت عنانه إذا ابتدر التهبّ البعيد الفوارس
ومنهن سبق العاذلات بشربة كأن أخاها - وهو يقظان - ناعس
ومنهن تجريد الأوانس كالدمى إذا ابتزّ عن أكفالهنّ الملابس
[الطويل]

الغناء في هذه الأبيات لمقاسة بن ناصح ثقيل أول بالبنصر، وفيها للحسين بن محرز خفيف ثقيل من جامع أغانيه، وهو لحن معروف مشهور.

غزوة زرنج وما أصاب منها:

قال ابن القداح:

ثم قدم المدينة، فلم يزل مقيماً بها حتى وليّ مصعب بن الزبير العراق، فوفد إليه ابن أبي معقل، ولقيه، فدخل إليه يوماً وهو يندب الناس إلى غزوة زرنج، ويقول: من لها؟ فوثب عبد الله بن أبي معقل وقال: أنا لها، فقال له: اجلس، ثم ندب الناس، فانتدب لها مرة ثانية، فقال له مصعب: اجلس، ثم ندبهم الثالثة، فقال له عبد الله: أنا لها، فقال له: اجلس. فقال له: أدنني إليك حتى أكلمك، فأدناه، فقال: قد علمت أنه ما يمنعك مني إلا أنك تعرفني، ولو انتدب إليها رجل ممن لا تعرفه لبعثته، فلعلك تحسدني إن أصبت خيراً أو أستشهد فأستريح من الدنيا وطلبها، فأعجبه قوله وجزالته فولاه، فأصاب في وجهه ذلك مالا كثيراً، وانصرف إلى المدينة، فقال لزوجته: ألم أخبرك في شعري أنه:

سيغننيك سيري في البلاد ومطلبي وبعلّ التي لم تحظ في الحيّ جالس
[الطويل]

فقالت: بلى والله لقد أخبرتني وصدق خبرك، قال: وفي هذه الغزاة يقول:

صوت

إن يعش مصعبٌ فنحن بخيرٍ قد أتانا من عيشنا ما نرجي
ملكٌ يطعم الطعام ويسقي لبن البُخْتِ^(١) في عِساس الخَلنجِ^(٢)

(١) البُخْت: الإبل الخراسانية.

(٢) عِساسُ الخَلنج: العُص: القدح أو الإناء الكبير. والخَلنج: نوع من الشجر يُصنع من خشبه أنواع العِساس أو الأقداح.

جَلَبَ الخيلَ من تِهامة حتى بلَعَتْ خيلُه قصورَ زَرْنج^(١)
[الخفيف]

صوت

يقتلُننا بحديثٍ ليس يعلمُه من يتَّقِين ولا مكنونُه بادي
فهنَّ ينبذن من قول يُصْبَن به مواقع الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي^(٢)
[البسيط]

الشعر للقُطامي، والغناء لإسحاق خفيف ثقیل أول بالوسطى، وفيه رمل
مجهول.

(١) الزَّرنَج: قصبة سجستان.

(٢) الصَّادي: العطشان.

ذكر نسب القطامي وأخباره

اسمه ونسبه :

الْقُطَامِي لقب غلب عليه ، واسمه عُمير بن شَيْيم ، وكان نصرانياً ، وهو شاعر إسلامي مُقِلّ [مجيد] .

الأخطل يود أن يسبقه :

أخبرني عمّي قال : حدثنا الكراني قال : حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن عبد الله بن عياش ، عن مجالد .
عن الشَّعْبِي قال :

قال عبد الملك بن مروان ، وأنا حاضر ، للأخطل : يا أخطل ، تحب أن لك بشعرك شعرَ شاعر من العرب ؟ قال : اللّهم لا ، إلا شاعراً منا مُغْدَفَ القِنَاع^(١) ، خامل الذكر ، حديث السن ، إن يكن في أحد خير فسيكون فيه ، ولوددت أني سبقته إلى قوله :

يقتلننا بحديثٍ ليس يعلمه من يتقين ولا مكنوئه بادي
فهنّ ينبذن من قول يُصِبْنَ به مواقعَ الماء من ذي الغُلة الصادي
[البسيط]

صريع الغواني :

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال : حدثنا محمد بن صالح النطاح قال :

القطامي أول من لقب صريع الغواني بقوله :

صَرِيْعُ غَوَانٍ راقِهِنَّ ورُقْنَه لَدُنْ شَبٍّ حتّى شاب سوْدُ الذوائِبِ
[الطويل]

أسوأ ليلة :

قال أبو عمرو الشيباني :

(١) مُغْدَفَ القِنَاع : مرسله على وجهه .

نزل القطامي في بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس، فنسبها فقالت: أنا من قوم يَشْتَوُونَ القَدَّ من الجوع، قال: ومن هؤلاء ويحك؟ قالت: محارب، ولم تَقْرِهِ، فبات عندها بأسوأ ليلة، فقال فيها قصيدة أولها:

نأثك بليلى نيّة لم تُقاربِ وما حُبّ ليلي من فؤادي بذاهبِ
[الطويل]

يقول فيها:

ولا بدّ أن الضيف يُخبر ما رأى سأخبرك الأنباء عن أمّ منزل
تلفّعت في طلّ وريح تَلْفُنِي إلى حيزبون^(٤) تُوقِد النار بعد ما
تَصَلَّى بها بَرَدَ العشاء ولم تكن فما راعها إلا بُغَامَ مَطِيَّةٍ
تقول وقد قَرَبْتَ كُوري وناقتي فلما تنازعنا الحديث سألتها
من المُشْتَوِينَ القَدَّ ممّا تراهُم فلما بدا حرّمانها الضيف لم يكن
مخبرُ أهلٍ أو مخبرُ صاحبِ تَضَيَّفَتْها بين العُذَيْبِ^(١) فَراسِبِ^(٢)
وفي طَرْمَسَاءِ^(٣) غيرِ ذاتِ كواكبِ تَلَفَّعَتِ الظلماءُ من كلِّ جانبِ
تخال وميضَ النارِ يبدؤ لراكبِ تُريح بمحسورٍ^(٥) من الصوت لاغِبِ^(٦)
إليك فلا تَدْعُرْ عَلَيَّ ركائبِي مَن الحيّ قالت معشرٌ من مُحاربِ
جِيعاً وريف الناس ليس بعازبِ عليّ مُناخُ السوءِ ضربةً لازِبِ^(٧)
[الطويل]

أول ما رفع من ذكره:

قال أبو عمرو بن العلاء:

أول ما حرك من القطامي ورفع من ذكره أنه قدم في خلافة الوليد بن عبد الملك دمشق ليمدحه، ف قيل له: إنه بخيل لا يعطي الشعراء، وقيل: بل قدمها في خلافة عمر بن عبد العزيز، ف قيل له: إن الشعر لا يَنفَق عند هذا ولا يعطي شيئاً، وهذا عبد الواحد بن سليمان فأمدحهُ، فمدحه بقصيدته التي أولها:

- (١) العُذَيْب: ماء.
(٢) راسِب: أرض.
(٣) الطَرْمَسَاء: الليلة المظلمة.
(٤) حيزبون: عجوز.
(٥) المحسور: الضعيف.
(٦) اللاغِب: المعيب إعياء شديداً.
(٧) اللازِب: اللازم الثابت.

إِنَّا مَحْيُوكَ فَا سَلَمُ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ^(١)

[البسيط]

فقال له : كم أملت من أمير المؤمنين؟ قال : أملت أن يعطيني ثلاثين ناقة، فقال : قد أمرت لك بخمسين ناقة موقرة بُراً وتمراً وثياباً، ثم أمر بدفع ذلك إليه .

وفي أول هذه القصيدة غناء نسبته :

صوت

إِنَّا مَحْيُوكَ فَا سَلَمُ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ

[البسيط]

يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازَ خَاذِلَةً وَلَا الصَّدُورَ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلُّ

[البسيط]

الغناء لسليم هزج بالبنصر، وقيل : إنه لغيره .

لو :

أخبرني ابن عمار قال : حدثنا محمد بن عباد قال : قال أبو عمرو الشيباني :

لو قال القطامي بيته :

يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازَ خَاذِلَةً وَلَا الصَّدُورَ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلُّ

[البسيط]

في صفة النساء لكان أشعر الناس، ولو قال كثير :

فقلت لها : يا عزَّ كلِّ مصيبة إِذَا وُطِّنتَ يَوْمًا لَهَا النَفْسُ ذَلَّتْ

[الطويل]

في مرثية أو صفة حُزن لكان أشعر النفس .

البطء والاستعجال :

وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدثني ميمون بن هارون قال :

حدثني رجل كان يديم الأسفار قال : سافرت مرة إلى الشام على طريق البرّ،

فجعلت أتمثل بقول القطامي :

(١) الطَّيْلُ : الدهور .

قد يُدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَّلُّ
[البسيط]

ومعي أعرابي قد استأجرت منه مركبي، فقال: ما زاد قائل هذا الشعر على أن
ثبط الناس عن الحزم، فهلاً قال بعد بيته هذا:

وربما ضرَّ بعض الناس بَطُوهُمُ وكان خيراً لهم لو أنَّهم عَجَلوا
[البسيط]

زفر يغير على أهل المصَّبَح:

وكان السبب في أسر القطامي، على ما حكاه من ذكرنا، وذكر ابن الكلبي عن
عرَّام بن حازم بن عطية الكلبي قال:

أغار زفر بن الحارث على أهل المَصَّبَح، وبه جماعة من الحاج وغيرهم، وقد
أصاب أول النهار أهل ماء يقال له حَصَف وفيه سيد بني الجُلاح مَصَّاد بن المغيرة بن
أبي جبلة، فأسره، فأتى به قَرِيسياً، ثم مَنَّ عليه، وقتل عفيف بن حسان بن حصين
من بني الجُلاح، ثم مضى زفر إلى المَصَّبَح فاجتمع من بها إلى عمير بن حسان بن
عمر بن جبلة فامتنعوا، فقال لهم زفر: إني لا أريد دماءكم، فأعطوا بأيديكم، فأبوا،
وقاتلوا فقتل منهم جماعة كثيرة، وقتل معهم رجلان من تغلب، يقال لأحدهما
جَسَّاس، والآخر غَنِي، وهو أبو جساس، وقد قالت له امرأته: يا أبا جساس، هؤلاء
قومك فأتهم حين اجتمعوا وامتنعوا، فقال: اليوم نزارني وأمس كلبي، ما أنا
بمفارقهم، فقاتل حتى قتل، فكانت القتلى يوم المَصَّبَح من كلب ثمانية عشر رجلاً،
والتغليبيين، وبقي الماء ليس فيه إلا النساء، فلما انصرف عنهن زُفر أراد النساء أن
يجررن القتلى إلى بئر يقال له كوكب، فلما أردن أن يجررن رجلاً قالت وَلِيَّتُهُ من
النساء: لا يكون فلان تحت رجالكن كلهم، فأتت أم عمير بن حسان، وهي كيسة
بنت أبي فأعلقت في رجله رداءها ثم قالت: اجسُرْ عُمير فإن أباك كان جسوراً، ثم
ألقت عليه التراب والحطب ليكون بينه وبين أصحابه شيء، ثم جعلن كلما ألقين رجلاً
ألقين عليه التراب والحطب حتى وارتهن القليب، ولما بلغ حُميد بن حُرَيْث بن بحدل
ما لقي قومه أقبل حتى أتى تدمر، ليجمع أصحابه، وليغير على قيس، فلما وقعت
الدماء نهض بنو نمير وهم يومئذ ببطن الجبل، وهو على مياه لهم إلى حميد بن
حريث بن بحدل، حتى قدم واره يتهياً للغارة، واجتمعت إليه كلب، وقالوا له: إن
كنت تُبرئنا ببراءتنا، وتعرف جوارنا، أقمنا، وإن كنت تتخوف علينا من قومك شيئاً
لحقنا بقومنا، فقال: أتريدون أن تكونوا أدلاءهم حتى تنجلي هذه الفتنة. فاحتبسهم

فيها، وخليفته في تدمير رجل من كلب يقال له مطر بن عوص، وكان فاتكاً، فأراد حميداً على قتلهم، فأبى وكره الدماء، فلما سار حميد وقد عاد زفر أيضاً مغيراً ليرُدّه عما يريده فنزل قرية له، وبلغه مسير زفر، فاغتاز وأخذ في التعبئة، فأتاه مطر وكان خرج معه مشيعاً له انتهازاً لدماء الذين في يده من النميريين، فقال: ما أصنع بهؤلاء الأسارى الذين في يدي وقد قتل أهل مصبح؟ فقال وهو لا يعقل من الوجد: اذهب فاقتلهم، فخرج مطر يركض إلى تدمر، تخوفاً لا يبدو له، فلما أتى تدمر قتلهم، وانتبه حميد بعد ذلك بساعة فقال: أين مطر حتى أوصيه؟ قالوا: انصرف، قال: أدركوا عدو الله فإني أخاف على من بيده من النميريين، وبعث فارساً يركض يمنع مطراً عن قتلهم، فأتاه وقد قتل كل من كان في يده من الأسرى إلا رجلين، وكانوا ستين رجلاً، فلما بلغه الرسول رسالة حميد قال له النميريان الباقيان: خلّ عنا فقد أمرت بتخلية سبيلنا، فقال: أبعد أهل المصبح؟ لا والله لا تخبران عنهم، ثم قتلهم، فلما بلغ زفر قتل النميريين بسط يده على كل من أدرك من كلب، واستحل الدماء، وأخذ في وادٍ يقال له وادي الجيوش، وقد انتشرت به كلب للصيد، فلم يدرك به أحداً إلا قتله، فقتل أكثر من خمسمائة، ولم يلقه حميد، ثم انصرف إلى قرقيسيا.

وذكر بعض بني نمير أن زفر أغار على كلب، يوم حَفير، ويوم المصباح، ويوم الفرس، فقتل منهم أكثر من ألف رجل، قال: وأغار عليهم زفر في يوم الإكليل فقتل منهم مقتلة عظيمة، واستاق نعماً كثيرة.

وذكر عرام قال: قتل زفر يوم الإكليل جبير بن ثعلبة من بني الجُلاح، وحسان بن حصين من بني الجلاح، ومحمد بن طفيل بن مطير بن أبي جبلة، وعمر بن حسان بن عوف من بني الجلاح، ومحمد بن جبلة بن عوف، إخوان لأمّ، وقالت امرأة من بني كلب ترثيهم:

أبعد مَنْ وَلَّيْتُ في كوكبٍ يا نفس ترجين ثواء الرّجال؟
[السرّيع]

ابن الحباب يغير على كلب:

قال لقيط: أخبرني بعض بني نمير قال:

أغار عمير بن الحباب على كلب فأصابهم يوم الغُوير ويوم الهُبَل ويوم كابة.
فأما يوم غوير فإنه أرسل رجلاً من بني نمير يقال له كليب بن سلمة، عُبنا له ليعلم له علم ابن بحدل، وكانت أم النميري كلبية، فكانت تتكلم بكلامهم، فكان

الحسام بن سالم طريداً فيهم، فندروا به فقتلوه وأخذوا فرسه، فلقي كليب بن سلمة رجلاً من بني كلب فعرفه، فقال: من أين جئت؟ فقال: من عند الأمير حميد بن حريث، قال: وأين تركته؟ قال: بمكان كذا وكذا، قال كليب: كذبت، أنا أحدث به عهداً منك، قال: فأين تركته أنت؟ قال: بغوير الضبع، قال: لكنني فارقتك أمس، فخرج النميري يسوق الكلب إلى أصحابه - قال: فوالله إني لو أشاء أن أقتله لقتلته أو آخذه لأخذه - فخرج يسوقه، حتى إذا نظر إلى القوم أنكرهم، فقال: والله ما أرى هؤلاء أصحابنا، قال: ويستدبره النميري، فيطعنه عند ناغض^(١) كتفه اليمنى حتى أخرج السنن من حلمة الثدي، وأخطأ المقتل، وحرك الكلب فرسه مولياً، فاتبعته الخيل، حتى يدفع إلى ابن بحدل فانهزم، فقتلوا من كلب مقتلة عظيمة، واتبع عمير بن بحدل فجعل يقول لفرسه:

أقدم صُداماً إنه ابنُ بَحْدَلٍ لا تُدرك الخيل وأنتَ تَدَأُلُ^(٢)
ألا تَمُرَّ مثْلَ مَرِّ الأَجْدَلِ^(٣)

[الرجز]

قال: فمضي حميد حتى يدفع إلى الغوير، وقد كاد الرمح يناله، فانطلق يريد الباب، فطعن عمير الباب وكسر رمحه فيه، فلم يُفلت من تلك الخيل غير حميد وشبل بن الخيتار، فلما بلغ ذلك بشر بن مروان قال لخالد بن يزيد بن معاوية: كيف ترى خالي طرد خالك؟ وقال عمير:

وأفَلَتْنَا رَكْضاً حَمِيدُ بْنُ بَحْدَلٍ على سَابِحِ غَوُجٍ^(٤) اللَّبَانِ مُثَابِرٍ
ونحن جلبنا الخيل قُبّاً^(٥) شَوَازِباً^(٦) دَقَاقِ الْهَوَادِي دَامِيَاتِ الدَّوَابِرِ
إذا انتقصت من شأوه^(٧) الخيل خلفه تَرَامِي به فوق الرِّمَاحِ الشَّوَاغِرِ^(٨)
تُسَائِلُ عن حَيٍّ رَفِيدَةٍ بعدما قَضَتْ وَطَرًا مِنْ عَبْدٍ وُدٍّ وَعَامِرٍ

[الطويل]

وقال شبل بن الخيتار:

نَجَّى الحُسَامِيَّةَ الْكَبْدَاءَ مُبْتَرِكاً^(٩) من جَرِيهَا وَحْثِيْتُ الشَّدِّ مُدْعَوُراً

(١) الناغض: هو أصل العنق حيث يتحرك الرأس.

(٢) تدأل: تمشي مشياً فيه ضعف وتمهل.

(٣) الأجدل: الصقر.

(٤) الغوج: الإنشاء والإنعطاف.

(٥) القُب: الضواير.

(٦) الشوازب: الهزلي.

(٧) الشأو: السبق أو الغاية.

(٨) الرِّمَاحِ الشَّوَاغِرِ: الرِّمَاحِ المختلفة الطَّعن. (٩) المبترك: المجدد المسرع.

من بعد ما التثَقَّ السربالَ طعنْتُهُ
وَلَّى حميد ولم يَنْظُرْ فوارسَه
فقد جزعت غداة الرُّوعِ إذ لَقِحتُ
يَهْدِي أوائِلَها سَمْحُ خلائقَه
يُخرجن من بَرَضِ الإكليل طالعة
كأنهن جرادُ الحَرَّةِ الزُّورُ
[البسيط]

وذكر زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب عن أشياخ قومه قال :

أغار عمير بن الحباب على كلب، فلقي جمعاً لهم بالإكليل في ستمائة أو
سبعمائة، فقتل منهم فأكثر، فقالت هند الجلاحية تحرّض كلباً :

ألا هل ثائرٌ بدماء قوم
وهل في عامرٍ يوماً نَكِيرٌ
فإن لم يثأروا من قد أصابوا
أبعد بني الجُلاح ومن تركتم
تَطِيب لغائر منكم حياة
أصابهمُ عُميرُ بن الحبابِ؟
وحيّ عبيدُودٌ أو جنابِ؟
فكانوا أَعْبُدُا لبني كلابِ
بجانب كوكب تحت الترابِ
ألا لا عيشَ للحيِّ المُصابِ
[الوافر]

فاجتمعوا فقتلهم عمير، وأصاب فيهم، ثم أغار فلقي جمعاً منهم بالجوف
فقتلهم، ثم أغار عليهم بالسماوة فقتل منهم مقتلة عظيمة، فقال عمير :

ألا يا هِنْدُ، هِنْدُ بني جُلاح
أَلَمَّا تُخْبِرِي عَنَّا بَأْناً
ألا يا هِنْدُ لو عاينتِ يوماً
غداة ندوسهم بالخيل حتّى
ولو عطففت مواساةً حُميداً
سُقِيتِ الغيثَ من قُللِ السحابِ
نَرُدُّ الكَبِشَ أَعْضَبُ^(٤) في تَبابِ^(٥)
لقومك لامتنعتِ من الشرابِ
أباد القتل حيّ بني جنابِ
لُعُودِرَ شِلْوُهُ^(٦) جَزَرَ الذئابِ
[الوافر]

(١) الوَرُسُ : ضرب من النبات يستخدم للصّغ لون زهره أصفر .

(٢) التَّقِرَّة : الثبات والسكون .

(٣) المشجور : المربوط .

(٤) الأعضب : المكسور القرن .

(٥) التَّبَاب : الهلاك .

(٦) الشَّلُو : الجسد من كل شيء .

وذكر زياد بن يزيد بن عمير بن الحباب، عن أشياخ قومه قال:

خرج عمير فأغار على قومه أيضاً يوم الغوير، فلما دنا من الغوير وصار بين حميد ودمشق دعا رجلاً من بني نمير وقال له: سر الآن حتى تأتي حميد بن بحدل، فقل له: أجب، فإن قال: من؟ فقل: صاحب عقد خرج قبل ذلك بيومين من دمشق، فإن جاء معك فلا تهجه حتى تأتيني به، فنكون نحن الذين نلي منه ما نريد أن نلي، فإنه إن ركب الحُسامية لم يُدرك، فأتاه النميري فقال: أجب، فقال: ومن؟ قال: فلان بن فلان صاحب العقد. قال: فركب ابنُ بحدل الحُسامية، ثم خرج يسير في أثر النميري، حتى طلع النميري على عمير، فقال النميري في نفسه: أقتله أنا أحب إلي من أن يقتله عمير، لقتله الحُسام بن سالم، فعطف عليه، وولى حميد، وأتبعه عمير وأصحابه، وترك العسكر، وأمرهم عمير أن يميلوا إلى القوم، فذلك حيث يقول لفرسه:

أَقْدِمُ صَدَامَ إِنَّهُ ابْنُ بَحْدَلٍ

فاستباح عسكر ابن بحدل، وانصرف.

ثم أغار عليهم يوم دهمان كما ذكر عون بن حارثة بن عدي بن جبلة أحد بني زهير عن أبيه قال:

أغار عمير على كلب، فأخذ الأموال، وقتل الرجال، وبلغ ابنُ بحدل مخرجهُ من الجزيرة، فجمع له، ثم خرج يعارضه، حتى إذا دنا منهم بعث العين يأخذ لهم أثر القوم، فأتاه العين فأخبره أن عميراً قد أتى دهمان فاستباح فيهم ثم خلف عسكره وخرج هو في طلب قوم قد سمع بهم، فقال حميد لأصحابه: تهيؤوا للبيات، وليكن شعاركم: نحن عباد الله حقاً حقاً. فبيتهم فقتل فيهم فأوجع، وانقلب عمير - حين أصبح - إلى عسكره، حتى إذا أشرف على عسكره رأى ما أنكره من كثرة السواد، فقال لأصحابه: إني أرى شيئاً ما أعرفه، وما هو بالذي خلفنا، فلما رآهم ابنُ بحدل قال لأصحابه: احملوا عليهم، فقتل من الفريقين جميعاً، فقال ابنُ مخلاة:

لَقَدْ طَارَ فِي الْآفَاقِ أَنَّ ابْنَ بَحْدَلٍ حُمَيْدًا شَفَى كَلْبًا فَقَرَّتْ عَيُونُهَا
[الطويل]

وقال منذر بن حسان:

وَبَادِيَةِ الْجَوَاعِرِ مِنْ نُمَيْرٍ تُنَادِي وَهِيَ سَافِرَةُ النِّقَابِ
تُنَادِي بِالْجَزِيرَةِ يَا لَقَيْسٍ وَقَيْسٌ بئْسَ فِتْيَانُ الضَّرَابِ

قتلنا منهم مائتين صَبْرًا وألفاً بالتَّالِعِ وبالروابي
وأفلتْنَا هَجِينِ بني سُلَيْم يُفَدِّي المُّهْرَ من حُبِّ الإِيَابِ
فلولا اللّهُ والمهرُ المُفَدَّى لَعُودَر وهو غِرْبَالُ الإِهَابِ
[الوافر]

ثم سارع عُمير، وجمع لهم أكثر مما كان تجمع، فأغار عليهم، فقتل منهم مقتلة، واستاق الغنائم وسبى، فلما سمعت كلب بإيقاعه تحملت من منازلها هاربة منه، فلم يبق منهم أحد في موضع يقدر عمير إلى الغارة عليه إلا أن يخوض إليهم غيرهم من الأحياء، ويخلف مدائن الشام خلف ظهره، وصاروا جميعاً إلى الغوير فقال عمير في ذلك:

بَشَّرَ بني القَيْنِ بَطْعَنِ شَرْجِي^(١) يُشْبِعِ أولادَ الضَّبَاعِ العُرْجِ
ما زال إِمْرَارِي لَهُم وَنَسْجِي وَعُقْبَتِي لِلْكُورِ بَعْدَ السَّرْجِ
حتى اتَّقُونِي بِالظُّهُورِ الفُلْجِ هل أَجْزَيْنَ يوماً بيومَ المَرْجِ
ويوم دُهمانَ ويوم هَرْجِ؟

[الرجز]

وقال رجل من نمير:

أخذتُ نساءَ عبد اللّهِ قهراً وما أعفيت نسوة آل كلبِ
صَبَحْنَاهُم بِخَيْلٍ مُّقْرَبَاتِ^(٢) وطعن لا كِفَاءَ لَهُ وَضَرْبِ
يُبَكِّينَ ابنَ عمرو وهو تَسْفِي عليه الرِّيحُ تُرباً بعد تُربِ
وسعدٌ قد دنا منه جِمامٌ^(٣) بأَسْمَرٍ من رماح الخَطِّ صُلْبِ
وقد قالت أُمّامة إذ رأتني بَلَيْتَ وما لقيت لقاءً صَحْبِ
وقد فقدتُ معانقتي زماناً وشَدَّ المِعْصَمِينَ فُويقَ حَقْبِ
لقد بُدِّلَتْ بعدي وجهُ سوءٍ وآثاراً بجلدِكَ يا ابنَ كعبِ
فقلت لها كذلك من يلاقي عِتاقَ الخيلِ تحمل كلَّ صعبِ
[الوافر]

وقال المجير بن أسلم القشيري:

(١) الطعن الشرجي: الطعن المنظم أو المنضد.

(٢) الخيل المقربات: المكرمات من الخيل التي يقرّب معلنها ومربطها لكرامتها.

(٣) الجمام: ما قُدِّر وقُضي أو الموت.

في ركوبي إلى منادي الصُّباح
تندبيني به لدى الأنواح
ببني عامر الطوالِ الرماح
أو سليبٍ مُشرَّد من جراح
ورجالٍ مُعَدَّةٍ وسلاح
[الخفيف]

وقال أيضاً:

وأبلغ إن عرضت بني جنابٍ
وبيضٍ لا تُفْلُ من الضُّرابِ
نُقيم بهنَّ من صَعَرِ الرِّقابِ
وعامرُها المركَّب في النُّصابِ
ومن هذا الذي يَرْجو اغتصابي؟
[الوافر]

أصبحت أمَّ مَعْمَرٍ عدلتني
فدعيني أفيدُ قومك مجدداً
كلَّ حيٍّ أذقت نَعْمَى وبُؤْسَى
وصدَمنا كلباً فبين قتيلٍ
وأتوننا بكلِّ أجرد صافٍ

وقال زفر بن الحارث:

وأصابكم مني عذابٌ مُرسَلٌ
يوم اللِّقاءِ أم الهويلُ الأوَّلُ
بالعُورِ فالأفحاص بئس المَوئِلُ^(١)
أرضٌ تَذوب بها اللِّقاخُ وتُهْزَلُ
وأبوكم أو حيثُ مُزَعٌ بحدلٍ
[الكامل]

يا كلبُ قد كَلِبَ الزمانُ عليكمُ
أيهلونا يا كلبُ أصدقُ شِدَّةٍ
إن السماوة لا سماوة فالْحَقِّي
فجنوب عكَّا فالسواحل إنها
أرض المذلَّة حيث عُقَّت أُمُّكم

وقال عمير بن الحباب:

كَأَن عُيُونَهَا قُلْبُ انتزاحٍ
وما لاقت سراً بني الجُلاح
وكلبٌ بئس فتیان الصُّباح^(٢)
[الوافر]

ورَدْن على الغُوير غويرِ كلبٍ
أقرَّ العينَ مصرعُ عبدٍ وُدٍّ
وقائمةٍ تنادي يا كَلْب

(١) المَوئِلُ: الملجأ.

(٢) الصُّباح: الغارة في وقت الصُّباح.

وقال عمير أيضاً:

حِذَارَ المَنَايَا أَوْ قَتِيلٍ مُجَدَّلٍ
عَلَى سَابِحٍ عِنْدَ الْجِرَاءِ ابْنُ بَحْدَلٍ
بَأَبْيَضِ قَطَّاعِ الضَّرِيبَةِ مِقْصَلٍ
[الطويل]

وكلب تركنا جمعهم بين هارب
وأفلتنا لما التقينا بعاقِدٍ
وأقسم لولا قيُّته لعلوته

وقال عمير أيضاً:

أَدْرَنَا عَلَيْهِمْ مِثْلَ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ
[الطويل]

وكلباً تركناهم فُلُولاً أَذَلَّةً

وقال جهم القشيري:

فَلَيْسَ فِيهَا الْجَدُّ بِالْعَاثِرِ
عَلَى طَوِيلٍ مَتْنُهُ، ضَامِرٍ
كَالْبُؤَةِ الْمَمْطُولَةِ الْكَاسِرِ
وَلَمْ تَكُنْ بِالْمَاجِدِ الصَّابِرِ؟
[السريع]

يَا كَلْبُ مَهْلًا عَنْ بَنِي عَامِرٍ
وَلَّى حُمَيْدٌ وَهُوَ فِي كُرْبَةٍ
بِالْأَمِّ يَفْدِيهَا وَقَدْ شَمَّرَتْ
هَلَا صَبَرْتُمْ لَلْقَنَا سَاعَةً

وقال عمير:

عَلَى سَابِحِ غَوْجِ اللَّبَانِ مُثَابِرٍ
تَرَامَى بِهِ فَوْقَ الرَّمَّاحِ الشَّوَاجِرِ
يَمُرُّ كَمَرِيخِ الْغُلَامِ الْمُخَاطِرِ
[الطويل]

وَأَفْلَتْنَا رَكْضًا حُمَيْدُ بْنُ بَحْدَلٍ
إِذَا انْتَقَصَتْ مِنْ شَأْوِهِ الْخَيْلُ خَلْفَهُ
لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى نَزَلْنَا عَشِيَّةً

وقال عمير:

بِلَوَى السَّمَاءِ فَالْغُؤْيَرِ مَرَادَا
غَيْرِ السَّمَاءِ فِي الْبِلَادِ بِلَادَا
وَعَدِيدَكُمْ يَا كَلْبَ حَتَّى بَادَا
يَا كَلْبُ بِالْحَرْبِ الْعَوَانِ بُعَادَا
[الكامل]

يَا كَلْبَ لَمْ تَتْرَكْ لَكُمْ أَرْمَاحُنَا
يَا كَلْبَ أَحْرَمْنَا السَّمَاءَ فَاَنْظُرِي
وَلَقَدْ صَكَّكُنَا بِالْفَوَارِسِ جَمْعَكُمْ
وَلَقَدْ سَبَقَتْ بِوَقْعَةٍ تَرَكْتَكُمْ

وقال زفر بن الحارث:

سَعِيدًا وَلَا قَتَهُ التَّحِيَّةَ وَالرَّحْبُ

جَزَى اللَّهَ خَيْرًا كَلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ

وَحَلَحَلَةُ الْمَغَوَارِ لِلَّهِ جَدُّهُ
بَنِي عَبْدِ وَدٍّ لَا نَطَالِبُ ثَارُنَا
وَلَكِنْ بِيضَ الْهِنْدِ تَسْعَرُ نَارُنَا
أَبَادَتَكُمْ فَرَسَانُ قَيْسٍ فَمَا لَكُمْ
بِأَيْدِيهِمْ بِيضُ رِقَاقٍ كَأَنَّهَا
فَسُبُّوهُمْ إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تُطَالِبُوا
وَمَا امْتَنَعَ الْأَقْوَامُ عَنَا بِنَائِهِمْ
وقال عمير :

فَلَوْ لَمْ يَنْلُهُ الْقَتْلُ بَادَتْ إِذَنْ كُلُّبُ
مِنَ النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ إِنْ شَبَّتِ الْحَرْبُ
إِذَا مَا خَبَتْ نَارَ الْأَعَادِي فَمَا تَخْبُو
عَدِيدٌ إِذَا عُدَّ الْحَصَا لَا وَلَا عَقْبُ
إِذَا مَا انْتَضَوْهَا فِي أَكْفِهِمُ الشُّهْبُ
بِثَارِكُمْ قَدْ يَنْفَعُ الطَّالِبَ السَّبُّ
سِوَاءَ عَلَيْنَا النَّأْيُ فِي الْحَرْبِ وَالْقَرْبُ
[الطويل]

شَفِيتُ الْغَلِيلَ مِنْ قِضَاعَةِ عَنُوءَ
جَزِينَاهُمْ بِالْمَرْجِ يَوْمًا مُشْهَرًّا
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا هَارِبٌ مِنْ سَيُوفِنَا
وقال ابنُ الصَّفَّارِ المحَارِبِي :

فَظِلٌّ لَهَا يَوْمَ أَغْرُ مُحَجَّلُ
فَلَاقُوا صَبَاحًا ذَا وَبَالٍ وَقُتِّلُوا
وَالَا قَتِيلٌ فِي مَكْرٍ مُجَدَّلُ
[الطويل]

عَظُمَتْ مَصِيبَةُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ
شَمَتُوا وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَخْزَاهُمْ
وَبَكُمْ بَدَأْنَا يَا آلَ كَلْبٍ قَتْلَهُمْ
أَخْنَتَ عَلَى كَلْبٍ صَدُورُ رِمَاحِنَا
وَعَرَكُنْ بِهَرَاءَ بَنِ عَمْرٍو عِرْكَةً
وقال الراعي :

حَتَّى رَأَتْ كَلْبٌ مَصِيبَتَهَا سُوَا
وَتَرِيدَ كَلْبٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا أُسَى
وَلَعَلَّنَا يَوْمًا نَعُودُ لَكُمْ عَسَى
مَا بَيْنَ أَقْبَلَةِ الْغُويرِ إِلَى سُوَا
شَفَّتِ الْغَلِيلَ وَمَسَّهُمْ مَنَا أَذَى
[الكامل]

مَتَى نَفْتَرِشْ يَوْمًا غُلَيْمًا بَغَارَةَ
وَحَيَّ الْجُلَاحِ قَدْ تَرَكْنَا بَدَارَهُمْ
وَنَحْنُ جَدَعْنَا أَنْفَ كَلْبٍ وَلَمْ نَدْعِ
قَتَلْنَا لَوْ أَنَّ الْقَتْلَ يَشْفِي صَدُورَنَا

يَكُونُوا كَعَوْصٍ أَوْ أَذَلٍّ وَأَضْرَعَا
سِوَاعَدَ مَلَقَاءَ وَهَامًا مُصْرَعَا
لِبِهْرَاءَ فِي ذِكْرِ مِنَ النَّاسِ مَسْمَعَا
بِتَدْمُرِ أَلْفَا مِنْ قِضَاعَةِ أَقْرَعَا
[الطويل]

وقال زفر بن الحارث، وذكر أبو عبيدة أنها لعقيل بن عُلفَة :

أَقْرَّ الْعَيُونَ أَنْ رَهْطَ ابْنِ بَحْدَلٍ أَذِيقُوا هَوَانًا بِالَّذِي كَانَ قُدَّمَا

صبحناها المبيض الرقاق ظبائها بجانب خبت والوشيج^(١) المقوم
وجرداء ملتها الغزاة فكلها ترى قليقاً تحت الرحالة أهضما
بكل فتى لم تأبر النخل أمه ولم يدع يوماً للغرائر معكما^(٢)
[الطويل]

وهذه الحروب التي جرت: بنات قين، فلما ألح عمير بالغارات على كلب
رحلت حتى نزلت غورى الشام، فلما صارت كلب بالموضع الذي صارت قيس،
انصرفت قيس في بعض ما كانت تنصرف من غزو كلب، وهم مع عمير، فنزلوا بثني
من أثناء الفرات بين منازل بني تغلب، وفي بني تغلب امرأة من تميم يقال لها: أم
دويل، ناكحة في بني مالك بن جشم بن بكر، وكان دويل من فرسان بني تغلب،
وكانت لها أعنز بمجنبة، فأخذوا من أعنزها، أخذها غلام من بني الحريش، فشكوا
ذلك إلى عمير فلم يشكهم، وقال: معرة الجند. فلما رأى أصحابه أنه لم يقرّهم
وثبوا على بقية أعنزها فأخذوها وأكلوها، فلما أتاه دويل أخبرته بما لقيت، فجمع
جمعاً ثم سار فأغار على بني الحريش، فلقي جماعة منهم فقاتلوه، فخرج رجل من
بني الحريش - زعمت تغلب أنه مات بعد ذلك - وأخذ دوداً لامرأة من بني الحريش
يقال: لها أم الهيثم، فبلغ الأخطل الواقعة، فلم يدر ما هي، وقال وهو بزادان:

أتاني ودوني الزابيان كلاهما ودجلة أنباء أمر من الصبر
أتاني بأن ابني نزار تهاديا وتغلب أولى بالوفاء وبالغدر
[الطويل]

فلما تبين الخبر قال:

وجاؤوا بجمع ناصري أم هيثم فما رجعوا من دودها ببعير
[الطويل]

فلما بلغ ذلك قيساً أغارت على بني تغلب بإزاء الخابور، فقتلوا منهم ثلاثة نفر،
واستاقوا خمسة وثلاثين بعيراً، فخرجت جماعة من تغلب فأتوا زفر بن الحارث
وذكروا له القرابة والجوار، وهم بقرقيسيّا، وقالوا: ائتنا برحالنا وردّ علينا نعمنا،
فقال: أما النعم فنردّها عليكم، أو ما قدرنا لكم عليه، ونكمل لكم نعمكم من نعمنا
إن لم نصبها كلها، وندي لكم القتلى، قالوا له: فدع لنا قريات الخابور، ورحل قيساً
عنها، فإن هذه الحروب لن تطفأ ما داموا مجاورينا، فأبى ذلك زفر، وأبوا هم أن

(١) الوشيج: شجر الرّماح.

(٢) المعكم: المكتنز اللحم.

يرضوا إلا بذلك، فنشاهددهم الله وألح عليهم، فقال لهم رجل من النمر كان معهم: والله ما يسرنني أنه وقاني حربَ قيسِ كلبٍ أبقع تركته في غنمي اليوم، وألح عليهم زفر يطلب إليهم ويناشدهم فأبوا، فقال عمير: لا عليك لا تُكثر، فوالله أني لأرى عيون قوم ما يريدون إلا محاربتك، فانصرفوا من عنده، ثم جمعوا جمعاً، وأغاروا على ما قرب من قرقيسياً من قرى القيسية، فلقيهم عمير بن الحباب، فكان النميري الذي تكلم عند زفر أول قتيل وهزم التغلبيين، فأعظم ذلك الحيان جميعاً قيس وتغلب، وكرهوا الحرب وشماتة العدو.

فذكر سليمان بن عبد الله بن الأصم:

أن إياس بن الخراز، أحد بني عتيبة بن سعد بن زهير، وكان شريفاً من عيون تغلب، دخل قرقيسيا لينظر ويناظر زفر فيما كان بينهم، فشدَّ عليه يزيد بن بحزن القرشي فقتله، فتذمَّ زفر من ذلك، وكان كريماً مجموراً لا يحب الفرقة، فأرسل إلى الأمير ابن قرشة بن عمرو بن ربعي بن زفر بن الحارث بن عتيبة بن بعج بن عتيبة بن سعد بن زهير بن جشم بن الأرقم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب فقال له: هل لك أن تسود بني نزار فتقبل مني الدية عن ابن عمك؟ فأجابه إلى ذلك، وكان قرشة من أشراف بني تغلب، فتلافى زفر ما بين الحيين، وأصلح بينهم، وفي الصدور ما فيها، فوفد عمير على المصعب بن الزبير، فأعلمه أنه قد أولج قضاة بمدائن الشام، وأنه لم يبق إلا حيٌّ من ربيعة أكثرهم نصارى، فسأله أن يوليه عليهم، فقال: اكتب إلى زفر فإن هو أراد ذلك وإلا ولأك، فلما قدم على زفر ذكر له ذلك فشق عليه ذلك، وكره أن يليهم عمير فيحيف بهم، ويكون ذلك، داعية إلى منافرتِه فوجَّه إليهم قوماً، وأمرهم أن يرفقوا بهم، فأتوا أخلاطاً من بني تغلب من مشارق الخابور فأعلموهم الذي وجَّهوا به، فأبوا عليهم، فانصرفوا إلى زفر، فردَّهم وأعلمهم أن المصعب كتب إليه بذلك، ولا يجد بُدّاً من أخذ ذلك منهم أو محاربتهم، فقتلوا بعض الرسل.

وذكر ابن الأصم:

أن زُفرَ لما أناه ذلك اشتد عليه، وكره استفساد بني تغلب، فصار إليهم عمير بن الحباب، فلقيهم قريباً من ماكسين على شاطئ الخابور بينه وبين قرقيسياً مسيرة يوم، فأعظم فيها القتل.

وقال الأخطل يذكر ذلك:

فليت الخيل قد وَطِئَتْ قُشِيرًا سَنَابُكُهَا^(١) وقد سَطَعَ الغُبَارُ
فنجزيهم ببغيهم علينا بني لُبْنَى بما فَعَلَ الغُدَارُ
[الوافر]

وقال الصفار:

تمنيت بالخابور قيساً فصادفتُ منايا لأسباب وفاق على قَدْرِ
[الطويل]

وقال جرير:

نبئت أنك بالخابور مُمتنعٌ ثم انفرجت انفراجاً بعد إقرار
[البسيط]

فقال زفر بن الحارث يعاتب عميراً بما كان منه في الخابور:

ألا من مُبلغ عني عُميراً رسالة عاتبٍ وعليك زَارِي
أترك حيّ ذي كَلْعٍ وكَلْبٍ وتجعل حدّ نابك في نزارِ؟
كمعتمد على إحدى يديه فخانته بِوَهْيٍ وانكسارِ
[الوافر]

زفر يطلق سراح القطامي:

ولما أَسْرَ القطامي أتى زفر بقرقيسيا فخلّى سبيله، ورد عليه مائة ناقة، كما ذكر
أدهم بن عمران العبدي. فقال القطامي يمدحه:

قفي قبل التفرق يا ضُباعاً ولا يكُ موقفٌ منك الوداعا
قفي فأدي أسيرك إن قومي وقومك لا أرى لهم اجتماعا
ألم يحزنك أن حبال قيسٍ وتغلبَ قد تباينت انقطاعا
فصاراً ما تُغْبِهُما^(٢) أمورٌ تزيد سنا حريقتها ارتفاعا
كما العظم الكسير يُهاض^(٣) حتى يَبِثُّ^(٤) وإنما بدأ انصداعا
فأصبح سيل ذلك قد تَرَقَّى إلى من كان منزله يفاعا
فلا تَبْعِدِ دِماء بني نزار ولا تَقَرَّرْ عيونك يا قُضاعا

(١) السَّنَابُكُ: مفردُها السِّنْكَ وهو طرف الحافر.

(٢) تُغْبِهُمَا: تأتي يوماً وتغيب يوماً.

(٣) يُهاض: يكسر بعد الجبور.

(٤) يَبِثُّ: ينكسر.

ومن يكن استلام إلى ثوي^(١) وقد أحسنت يا زفر المتاعا^(٢)
 أكفراً بعد ردّ الموت عني وبعد عطائك المائة الرّثاعا^(٣)
 فلو بيدي سواك غداة زلت بي القدمان لم أرج أطّاعا
 إذا لهلكت لو كانت صغار من الأخلاق تبتدع ابتدعا
 فلم أر منعمين أقلّ منا وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا
 من البيض الوجوه بني نُفيل أبت أخلاقهم إلا اتساعا
 بني القرم الذي علمت معدّ تفضّل قومها سعةً وباعا
 وقال أيضاً:

يا زفر بن الحارث ابن الأكرم قد كنت في الحرب قديم المُقْدَم
 إذ أحجم القوم ولما تحجم إنك وابنيك حفظتم محرّمي
 وحقن الله بكفّيك دمي من بعدما جفّ لساني وفمي
 أنقذتني من بطل مُعَمَّم والخيل تحت العارض المُسَوِّم
 وتغلب يدعون يا لأرقم
 وقال أيضاً:

يا نافع خبي خبأ^(٤) زوراً وقلّبي منسّمك المُغْبَرَا
 وعارضني الليل إذا ما اخضرأ سوف تُلاقين جواداً خُراً
 سيد قيس زُفَر الأغرأ ذاك الذي بايع ثم برأ
 ونقض الأقوام واستمرأ قد نفع الله به وضراً
 وكان في الحرب شهاباً مرأ
 وقال أيضاً:

كأن في المركب حين راحا بذراً يزيد البصر انفضاحا

(٢) المتاع: الزاد.

(١) الثوي: المقيم أو الضيف.

(٣) الرّثاع: الإبل الراعدة العيش.

(٤) الخبب: ضرب من المشي.

[الرجز]

ذَا بَلَجٍ سَاوَاكَ أَتَى امْتَا حَا^(١) وَقَرَّ عَيْنَا وَرَجَا الرِّبَا حَا
أَلَا تَرَى مَا غَشِيَ الْأَرْكَاحَا^(٢) وَغَشِيَ الْخَابُورَ وَالْأَمْلَا حَا^(٣)
يُصَفَّقُونَ بِالْأَكُفِّ الرَّاحَا

[الرجز]

وقال فيه أيضاً [هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور بذكر أخبار القطامي]:

مَا اعْتَادَ حُبُّ سُلَيْمَى حِينَ مُعْتَادِ وَلَا تَقْضَى بَوَاقِي دَيْنِهَا الطَّادِي^(٤)
بِيضَاءَ مَحْطُوطَةِ الْمَتْنَيْنِ بَهْكَنَةً^(٥) رِيَا الرِّوَادِفِ لَمْ تُمَغِلْ^(٦) بِأَوْلَادِ
مَا لِلْكَوَاعِبِ^(٧) وَدَعْنِ الْحَيَاةَ كَمَا وَدَّعْتَنِي وَاتَّخَذَنَ الشَّيْبَ مِيعَادِي؟
أَبْصَارُهُنَّ إِلَى الشَّبَّانِ مَائِلَةً وَقَدْ أَرَاهُنَّ عَنِّي غَيْرَ ضِدَادِ
إِذْ بَاطِلِي لَمْ تَقْشَعْ جَاهِلِيَّتُهُ عَنِّي وَلَمْ يَتْرِكِ الْخُلَّانُ تَقْوَادِي
كَنِيَّةَ الْحَيِّ مِنْ ذِي الْقِيْضَةِ احْتَمَلُوا مُسْتَحْقِبِينَ^(٨) فَوَاداً مَالَهُ فَادِي
بَانُوا وَكَانُوا حَيَاتِي فِي اجْتِمَاعِهِمْ وَفِي تَفْرِقِهِمْ قَتْلِي وَإِقْصَادِي^(٩)
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي
فَهَنْ يَنْبُذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصَبِّنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي^(١٠) الْغَلَّةِ الصَّادِي^(١١)

[البسيط]

يقول فيها في مدح زفر بن الحارث].

مَنْ مَبْلَغُ زُفَرَ الْقَيْسِيِّ مَدَحْتَهُ مِنْ الْقُطَامِيِّ قَوْلًا غَيْرَ إِفْنَادِ^(١٢)
إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلَّا ضَرْبَةُ الْهَادِي^(١٣)
مُثْنٍ عَلَيْكَ بِمَا اسْتَبْقَيْتَ مَعْرِفَتِي وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنِّي مَقْتَلُ بَادِي
فَلَنْ أَثِيبَكَ بِالنِّعَمَاءِ مَشْتَمَةً

(١) إمتاح: إرتفع.

(٢) الأركاح: الأبنية.

(٣) الأملاح: موضع.

(٤) الطادي: القديم الراسخ.

(٥) بهكنة: يقال: امرأة بهكنة أي بضعة ناعمة.

(٦) تمغل: تلد كل سنة وتحمل قبل فطام الرضيع وترضعه المغل وهو لبن المرأة وهي حامل.

(٧) الكواعب: مفردا الكاعب وهي الناهدة الثديين.

(٨) مستحقين: حاملين.

(٩) إقصادي: طعني وإصابتي.

(١٠) ذو الغلة: المحموم.

(١١) الصادي: العطشان.

(١٢) الإفناد: الكذب والإفتراء.

(١٣) الهادي: العنق.

فإن هجوتك ما تَمَّتْ مُكارمَتي وما نَسيتَ مَقَامَ الوَرْدِ تحبُّسُهُ
وإن مدحتُ فقد أحسنتَ إصفادي^(١) بيني وبين حَفيفِ الغابةِ الغادي
[البسيط]

[قال أبو عمرو: الورد: فرس كان لفر بن الحارث].

لولا كتائبُ من عمروٍ تصولُ بها إذ لا ترى العينُ إلا كُلَّ سَلْهَبَةٍ^(٣)
أزديتُ يا خيرَ مَنْ يَنْدُو^(٢) له النادي وسابح^(٤) مثل سيد^(٥) الرِّدْهَةِ^(٦) العادي
إذ الفوارسُ من قيسٍ بِشِكَّتِهِمْ^(٧) حولي شهودٌ وما قومي بِشُهادِ
إذ يعتريك رجالٌ يسألون دمي ولو أطعتهُم أبكى عُوادي
فقد عصيتهم والحربُ مقبلةٌ لا بل قدحتَ زناداً غيرَ صَلاَدٍ^(٨)
[البسيط]

صوت

زارتُك سلمى وكان السجن قد رقدا لقد وفّت لك سلمى بالذي وعدت
ولم يخف من عدو كاشح رَصدا لكنّ عقبة لم يُوفِ الذي وعدا
[البسيط]

عروضه من البسيط، الشعر لابن مفرغ الحميري، والغناء لابن سريج رمل
بالوسطى عن أحمد بن المكي. وفيه لفراد لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس. وقد
تقدمت أخبار ابن مفرغ مستقصاة فيما مضى.

والصَّيد آلُ نُفَيْلٍ خيرُ قومهمُ ألمانعون غداةَ الرَّوعِ جارهمُ
عند الشتاء إذا ما ضُنَّ بالزادِ بالمَشْرِفِيَّةِ من ماضٍ^(٩) ومُنَادٍ^(١٠)
أيام قومي مكاني مُنْصِبٌ^(١١) لهم ولا يظنون إلا أنني رادي^(١٢)

(١) الإصفاد: الإعطاء والمنح.

(٢) يندو: يجتمع.

(٣) السلهبة: الطويلة.

(٤) السابح: كناية عن الحصان الذي يمدّ يديه خلال جريه.

(٥) السَّيد: الذئب.

(٦) الرِّدْهَة: النقرة في الجبل.

(٧) الشُّكَّة: السلاح.

(٨) الصَّلاَد: الذي لا ينقدح.

(٩) الماضي: المستقيم.

(١٠) المناد: المعوج المائل.

(١١) المُنْصِب: ذو النصب والتعب.

(١٢) الرادي: الهالك.

فانتاشني لك من غَمَاء مُظْلَمَةٍ حبلٌ تَضَمَّنَ إَصْدَارِي وَإِيرَادِي
[البسيط]

صوت

ما شَأْنُ عَيْنِكَ طَلَّةَ الْأَجْفَانِ مما تَفِيضُ مَرِيضَةَ الْإِنْسَانِ
مَطْرُوفَةٌ تَهْمِي^(١) الدَّمُوعَ كَأَنَّهَا وشلّ تشلّشلّ دائِمَ التَّهْتَانِ^(٢)
[الكامل]

الشعر لعمارة بن عقيل والغناء لمتيم ثاني ثقل بالوسطى .

(١) تهمي: تسيل .

(٢) التَّهْتَان: الإنهمار والإنصباب .

أخبار عمارة بن عقيل

ولا كَرَدْكَ مَالِي بَعْدَ مَا كَرَبْتُ تُبْدي الشَّماتَةَ أَعْدائي وحسادي
فإن قَدَرْتُ على خَيْرٍ جَزَيْتُ بِهِ واللَّهَ يجعل أقواماً بمرصادٍ
[البسيط]

قال ابن سلام: فلما سمع زفر هذا قال: لا أقدرك الله على ذلك.
وقال أيضاً:

ألا مَنْ مَبْلَغُ زَفَرَ بْنِ عَمْرٍو وخيرُ القول ما نطق الحكيمُ
أبَيِّ ما يَقْأِدُ الدَّهْرَ قَسْراً ولا لِهَوَى الْمُصْرَفِ يَسْتَقِيمُ
أَنُوفٌ حِينَ يَغْضَبُ مُسْتَعِزُّ جَنُوحٌ^(١) يَسْتَبْدُّ بِهِ الْعَزِيمُ^(٢)
فَمَا آلُ الْحُبَابِ إِلَى نُفَيْلٍ إِذَا عَدَّ الْمُمَهَّلُ وَالْقَدِيمُ
كَأَنَّ أَبَا الْحُبَابِ إِلَى نُفَيْلٍ حِمَارٌ عَضَّه فَرَسٌ عَذُومٌ^(٣)
بَنَى لَكَ عَامِرٌ وَبَنُو كِلَابٍ أَرْوَمًا^(٤) مَا يُوازِيهِ أَرْوَمُ
[الوافر]

أحسن الناس ابتداء قصيد:

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني علي بن يحيى المنجم قال:
سمعت من لا أحصي من الرواة يقولون:

أحسن الناس ابتداء قصيد في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول:

ألا عِمَّ صباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي

وحيث يقول:

قفنا نَبُكٍ من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ

(١) الجَنُوح: الجادّ في الأمر.

(٢) الْعَزِيم: العدو الشديد وهو أيضاً بمعنى العزيمة.

(٣) الْعَذُوم: العضوض.

(٤) الْأَرْوَم: أصل الشيء أو الحسب وجمعها أَرْوَم.

وفي الإسلاميين القطامي حيث يقول:

إِنَّا مُحْيِيُوكَ فَاَسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ

وفي المحدثين بشار حيث يقول:

أَبَى طَلَلٌ بِالْجَزْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَمَاذَا عَلَيْهِ لَوْ أَجَابَ مُتَيَّمَا؟
وَبِالْفُرْعِ آثَارٌ لِهَنْدٍ وَبِاللَّوَى مَلَاعِبُ مَا يُعْرِفُنْ إِلَّا تَوْهُمًا

[الطويل]

ثكلت القطامي أمه:

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخراز - ولم أسمع من أحد وهو خبر فيه طول اقتصرت منه على ما فيه من خبر القطامي - قال أحمد بن الحارث الخراز: حدثني المدائني، عن عبد الملك بن مسلم قال:

قال عبد الملك بن مروان للأخطل وعنده عامر الشعبي: أتحب أن لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب أم تحب أنك قلته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين إلا أنني وددت أنني كنت قلت أبياتاً قالها رجل منا مُغْدَفِ القِنَاعِ قليل السماع، قصير الذراع، قال: وما قال؟ فأنشده قول القطامي:

إِنَّا مُحْيِيُوكَ فَاَسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خُلَّةٍ يَصِلُ
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ
إِنْ تَرَجَعِي مِنْ أَبِي عَثْمَانَ مُنْجِحَةً فَقَدْ يَهْوَنُ عَلَى الْمُسْتَنْجِحِ الْعَمَلُ
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَأُمُّ الْمَخْطِئِ الْهَبَلُ
قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضُ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجِلِ الزَّلَلُ

[البسيط]

حتى أتى على آخرها.

قال الشعبي: فقلت له: قد قال القطامي أفضل من هذا، قال: وما قال؟ قلت:

قال:

طَرَقْتُ جَنْوَبَ رِحَالِنَا مِنْ مَطَرَقٍ مَا كُنْتُ أَحْسِبُهَا قَرِيبَ الْمُعْنَقِ
قَطَعْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ جِدِّ جَدَايَةِ حَسَنٍ مُعَلَّقُ ثَوَمَتِيهِ مُطَوَّقِ
وَمُصَرَّعَيْنِ مِنَ الْكَلَالِ كَأَنَّمَا بَكَرُوا الْعَبُوقَ مِنَ الرِّحِيقِ الْمُعْتَقِ

متوسّدين ذراع كلّ شِملّة
وجثت على رُكبٍ تهذبها الصّفا
وإذا سمعن إلى هماهم رُفقة
جعلت تُميل خدودها آذانها
كالمنصّات إلى الزّمير سمعنه
فإذا نظرن إلى الطريق رأيته
وإذا تخلّف بعدهنّ لحاجة
وإذا يصيبك والحوادث جمّة
ليت الهموم عن الفؤاد تفرّجت
وَمُفَرِّجٌ عُرْقِ الْمَقْدُ مَنَوَّقٌ
وعلى كلاكِل كالنّقيّل المُطَرِّق
ومن النجوم غوابر لم تلحق
طرباً بهنّ إلى حذاء السُّوقِ
من رائع لقلوبهنّ مُشَوِّق
لهقاً^(١) كشاكلة الحصان الأبلق
حادٍ يُشسّع نعله لم يلحق
حدّث حدّاك إلى أخيك الأوثق
وَحَلَا التكلّم للسان المُطْلَقِ

[الكامل]

قال: فقال عبد الملك بن مروان: ثكلت القطاميّ أمّه، هذا والله الشعر، قال: فالتفت إليّ الأخطل فقال لي: يا شعبي، إن لك فنوناً في الأحاديث، وإنما لنا فنّ واحد، فإن رأيت ألاّ تحملني على أكتاف قومك فادعهم حرّبي، فقلت: وكرامة، لا أعرض لك في شعر أبداً، فأقلني هذه المرة، ثم التفت إلى عبد الملك بن مروان فقلت: يا أمير المؤمنين، أسألك أن تستغفر لي الأخطل، فإنني لا أعاود ما يكره، فضحك عبد الملك بن مروان وقال: يا أخطل، أن الشعبيّ في جوّاري، فقال: يا أمير المؤمنين، قد بدأتّه بالتحذير، وإذا ترك ما نكره لم نعرض له إلا بما يحب، فقال عبد الملك بن مروان للأخطل: فعليّ ألاّ يعرض لك إلا بما تحب أبداً، فقال له الأخطل: أنت تتكفل بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال عبد الملك بن مروان: أنا أكفل به إن شاء الله تعالى.

صوت

يا ابن الذين سما كسرى لجمعهم
فجلّوا وجهه قاراً بذّي قار

[البسيط]

صوت

يقتلنا بحديث ليس يعلمه
من يتقين ولا مكنونه بادي

(١) اللّهق: شديد البياض.

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذي الغلّة^(١) الصّادي^(٢)

[البسيط]

الشعر للقطامي والغناء لإسحاق خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه رمل مجهول.

دُوخُ خُرَاسَانَ بِالْجُرْدِ الْعَتَاقِ وَبِالْبِـ يَضُ الرِّقَاقُ بِأَيْدِي كُلِّ مِسْعَارٍ

[البسيط]

الشعر لأبي نجدة، واسمه لجيم بن سعد، شاعر من بني عجل.

سبب قول أبي نجدة هذا الشعر:

أخبرني بذلك جماعة من أهله.

وكان أبو نجدة هذا مع أحمد بن عبد العزيز بن دُلَفَ بن أبي دُلَفَ منقطعاً إليه،

والغناء لكنيز دبّة ولحنه فيه خفيف بالنصر ابتدأه نشيد.

وكان سبب قوله هذا الشعر أن قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز التجأ إلى

عمرو بن الليث وهو يومئذٍ بخراسان، فغمّ ذلك أحمد وأقلقه، فدخل عليه أبو نجدة

فأنشده هذين البيتين وبعدهما:

صوت

يا ابن الذين سما كسرى لجمعهم فجللوا وجهه قاراً^(٣) بذي قارٍ

[البسيط]

... إلخ.

هذا ولم يعرض لترجمة القطامي في هذا الموضع بل أخره إلى ما قبل عمارة بن

عقيل الأخير، وليس الكلام أول صفحة بل في صفحة متصلة.

يا من تيمّم عَمراً يستجير به أما سمعت ببيتٍ فيه سَيَّارٍ: ^(٤)

ألمستجيرُ بعمرٍ عند كُربتِه كالمستجير من الرَّمْضاءِ ^(٥) بالنَّارِ

[البسيط]

(١) ذو الغلّة: المحموم، المحرور غيظاً. (٢) الصّادي: العطشان.

(٣) القار: الزفت.

(٤) السَيَّار: الشائع، يقال سار الكلام أو المثل في الناس أي شاع.

(٥) الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة.

فسرَّ أحمد بذلك وسرِّي عنه، وأمر لأبي نجدة بجائزة، وخلع عليه وحمله،
وغنّى فيه كنيز لحنه هذا، وهو لحن حسن مشهور في عصرنا هذا، فأمر لكنيز أيضاً
بجائزة وخلع عليه وحمله.

سمعت أبا عليّ محمد بن المرزبان يحدث أبي رحمه الله بهذا على سبيل
المذاكرة، وكانت بيننا وبين آل المرزبان مودة قديمة وصهر.

خبر وقعة ذي قار التي فخر بها في هذا الشعر

أخبرنا بخبرها علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي عن خراش بن إسماعيل، وأضفت إلى ذلك رواية الأثرم عن أبي عبيدة، وعن هشام أيضاً عن أبيه قالوا:

كان من حديث ذي قار أن كسرى أبرويز بن هرمز لما غضب على النعمان بن المنذر أتى النعمان، هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان، فاستودعه ماله وأهله وولده وألف شِكَّةٍ ويقال: أربعة آلاف شِكَّةٍ - قال ابن الأعرابي: والشِكَّةُ السلاح كله - ووضع ودائع عند أحياء من العرب، ثم هرب وأتى طيناً لصهره فيهم، وكانت عنده فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لام، وزينب بنت أوس بن حارثة، فأبوا أن يدخلوه جبلهم، وأتته بنو رواحة بن ربيعة بن عبس فقالوا له: أبيت اللعن، أقم عندنا فإننا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا، فقال: ما أحب أن تهلكوا بسببي، وجزاهم خيراً، ثم خرج حتى وضع يده في يد كسرى، فحبسه بساباط، ويقال بخانقين، وقد مضى خبره مشروحاً في أخبار عدي بن زيد، قالوا: فلما هلك النعمان جعلت بكر بن وائل تغير على السواد، فوفد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين عبد الله بن عمرو إلى كسرى، فسأله أن يجعل له أكلاً وطعمة، على أن يضمن له على بكر بن وائل ألا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه، فأقطعهم الأبلّة وما والاها، وقال: هل تكفيك وتكفي أعراب قومك؟ وكانت له حَجْرَة فيها مائة من الإبل للأضياف، إذا نحرت ناقة ردت مكانها ناقة أخرى، وإياه غنى الشماخ بقوله:

فادْفَعْ بِالْبَانِهَا عَنْكُمْ كَمَا دَفَعَتْ عَنْهُمْ لِقَاخُ بَنِي قَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ
[البسيط]

قال: فكان يأتيه من أتاها منهم فيعطيه جُلَّةً^(١) تمر وكِرْبَاسَةً^(٢)، حتى قدم الحارث بن وعلة بن مجالد بن يثرب بن الديان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن

(١) الجُلَّة: القُفَّة الكبيرة.

(٢) الكِرْبَاسَة: ضرب من الثياب الخشنة.

ذهل بن ثعلبة، والمكسر بن حنظلة بن حيي بن ثعلبة بن سيار بن حاطبة بن أسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل بن لجيم، فأعطاهما جُلَّتِي تمر وكرباستين، فغضبا وأبيا أن يقبلا ذلك منه، فخرجا واستغويا ناساً من بكر بن وائل، ثم أغارا على السواد، فأغار الحارث على أسافل رودميسان وهي من جرد، وأغار المكسر على الأنبار، فلقيه رجل من العباديين من أهل الحيرة، قد نتجت بعضُ نوقهم، فحملوا الحُوار على ناقَةٍ وصرَّوا^(١) الإبل. فقال العبادي: لقد صَبَحَ الأنبار شرّاً، جَمَلٌ يحمل جملاً، وجَمَلٌ بُرَّتُهُ^(٢) عُودٌ، فجعلوا يضحكون من جهله بالإبل. قال: وأغار بجير بن عائذ بن سويد العجلي، ومعه مفروق بن عمرو الشيباني على القادسية وطيرناباذ وما والاها، وكلهم ملاً يديه غنيمة، فأما مفروق وأصحابه فوقع فيهم الطاعون فموتَ منهم خمسة نفر مع من مَوّت من أصحابهم، فدُفِنوا بالدجيل وهو رحلة من العذيب يسيرة، فقال مفروق:

أتاني بأنباط السواد يسوقهم إليّ وأودت رَجَلَتِي وفوارسي
[الطويل]

فلما بلغ ذلك كسرى اشتد حنقه على بكر بن وائل، وبلغه أن حلقة النعمان وولده وأهله عندهم. فأرسل كسرى إلى قيس بن مسعود وهو بالأبلة فقال: غررتني من قومك، وزعمت أنك تكفينيهم، وأمر به فُحِسَ بساباط، وأخذ كسرى في تعبئة الجيوش إليهم، فقال قيس بن مسعود وهو محبوس:

ألا أبْلُغُ بني ذهل رسولاً فمن هذا يكون لكم مكاني
أيأكلها ابنٌ وُعْلَةٌ في ظَلِيفٍ^(٣) ويأمن هَيْثُم وابننا سِنَان؟
ويأمن فيكم الذُّهْلِيُّ بعدي وقد وَسَمَوكم سِمَةَ البَيَانِ
ألا من مَبْلُغٌ قومي ومن ذا يُبَلِّغُ عن أسيرٍ في الإِوَانِ؟
[الوافر]

[يعني الإيوان].

تطاول ليله وأصاب حُزْناً ولا يرجو الفكاك مع المِنَانِ
[الوافر]

(١) صرَّوا: من صرَّ الناقة أي شدَّ ضرعها بالصَّرار لئلا يرضعها ولدها.

(٢) البرة: حلقة تجعل في أنف البعير.

(٣) الظليف: الباطل.

يعني بالهيثم وابني سنان الهيثم بن جرير بن يساف بن ثعلبة بن سدوس بن شيان بن ذهل بن ثعلبة وأبو علباء بن الهيثم، وقال قيس بن مسعود ينذر قومه:

ألا ليتني أرشو سلاحي وبغلتي لمن يخبر الأنباء بكر بن وائل
[الطويل]

ويروى: لمن يعلم الأنباء:

فأوصيهم بالله والصلح بينهم لِيُنْطَأَ معروف ويُزجر جاهلٌ
وصاةً امرئٍ لو كان فيكم أعانكم على الدهر والأيام فيها الغوائلُ
فإياكم والطف لا تَقْرُبْته ولا البحر إنَّ الماء للبحر واصلُ
ولا أَحْبَسْكُمْ عن بُغا الخير إنني سقطتُ على ضِرْغامَةٍ^(١) وهو آكلُ
[الطويل]

ورواه ابن الأعرابي فقال:

إن الماء للفقود واصلُ

أي أنه مُعين لمن يقود الخيل إليكم.

قال: وقال قيس أيضاً ينذرهم:

تَعَنَّاءُ من ليلَى مع الليل خائلُ وذكر لها في القلب ليس يُزائِلُ
أحبك حب الخمر ما كان حُبُّها إليَّ وكلُّ في فؤادي داخلُ
ألا ليتني أرشو سلاحي وبغلتي فيُخبر قومي اليومَ ما أنا قائلُ
فإنَّا ثَوَيْنَا في شُعبٍ وإنهم غزَّتهم جنودُ جَمَّةٍ وقبائلُ
وإن جُنود العُجم بيني وبينكم فيا فَلَجِي^(٢) يا قومُ إن لم تقاتلوا
[الطويل]

قال: فلما وضح لكسرى واستبان أن مال النعمان وحلقته وولده عند ابن مسعود بعث إليه كسرى رجلاً يخبره أنه قال له: إن النعمان إنما كان عاملي، وقد استودعك ماله وأهله والحلقة، فابعث بها إليَّ ولا تكلفني أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود، تقتل المقاتلة، وتسبي الذرية. فبعث إليه هاني: إن الذي بلغك باطل، وما عندي قليل ولا كثير، وإن يكن الأمر كما قيل فإنما أنا أحد رجلين، إما رجل استودع

(١) الضِرْغامَة: الأسد.

(٢) الفَلَج: داء، عبارة عن استرخاء أحد شقي البدن.

أمانة فهو حقيق أن يردّها على من أودعه إياها، ولن يُسلم الحرّ أمانته. أو رجل مكذوب عليه، فليس ينبغي للملك أن يأخذه بقول عدوّ أو حاسد. قال: وكانت الأعاجم قوماً لهم حلم، قد سمعوا ببعض علم العرب، وعرفوا أن هذا الأمر كائن فيهم، فلما ورد عليه كتاب هانئ حملته الشفقة أن يكون ذلك قد اقترب، فأقبل حتى قطع الفرات، فنزل غمر بني مُقاتل، وقد أحرقه ما صنعت بكر بن وائل في السواد، ومنع هانئ إياه ما منعه.

قال: ودعا كسرى إياس بن قبيصة الطائي، وكان عامله على عين النمر وما والاها إلى الحيرة، وكان كسرى قد أطعمه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات، فأتاه في صنائعه من العرب الذين كانوا بالحيرة، فاستشاره في الغارة على بكر بن وائل، وقال: ماذا ترى؟ وكم ترى أن نُغزيهم من الناس؟ فقال له إياس: إن الملك لا يصلح أن يعصيه أحد من رعيته، وإن تطعني لم تُعلم أحداً لأي شيء عبرت وقطعت الفرات، فيروا أن شيئاً من العرب قد كَرَبك، ولكن ترجع وتضرب عنهم، وتبعث عليهم العيون حتى ترى غرة منهم، ثم ترسل حلبة من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم، فيوقعون بهم وقعة الدهر، ويأتونك بطلبك. فقال له كسرى: أنت رجل من العرب، وبكر بن وائل أخوالك - وكانت أم إياس أمانة بنت مسعود أخت هانئ بن مسعود - فأنت تتعصب لهم، ولا تألوهم نصحاً. فقال إياس: رأي الملك أفضل. فقام إليه عمرو بن عدي بن زيد العبادي - وكان كاتبه وترجمانه بالعربية وفي أمور العرب - فقال له: أقم أيها الملك، وابعث إليهم بالجنود يكفوك، فقام إليه النعمان بن زُرعة بن هَرَمي، من ولد السفاح التغلبي فقال: أيها الملك، إن هذا الحي من بكر بن وائل إذا قاطوا بذئ قارٍ تهافتوا تهافت الجراد في النار. فعقد للنعمان بن زُرعة على تغلب والنمر، وعقد لخالد بن يزيد البهراني على قضاة وإياد، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، ومعه كتيبتاه الشهباء والدؤسر، فكانت العرب ثلاثة آلاف، وعقد للهائمز على ألف من الأساورة، وعقد لخُنابرين على ألف، وبعث معهم باللطيمة، وهي عير كانت تخرج من العراق فيها البزّ والعطر والألطفات توصل إلى باذام عامله باليمن، وقال: إذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها إلى اليمن، وأمر عمرو بن عدي أن يسير بها، وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تبلغ اللطيمة اليمن، وعهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل ودنوا منها أن يبعثوا إليهم النعمان بن زُرعة. فإن أتوكم بالحلقة ومائة غلام منهم، يكونون رهناً بما أحدث سفهاؤهم، فاقبلوا منهم، وإلا فقاتلوهم. وكان كسرى قد أوقع قبل ذلك ببني تميم يوم الصَّفقة، فالعرب وجلة خائفة منه، وكانت

حُرقة بنت حَسَّان بن التُّعْمان بن المنذر يومئذٍ في بني سنان، هكذا في هذه الرواية، وقال ابن الكلبي: حُرقة بنت النعمان وهي هند، والحُرقة لقب، وهذا هو الصحيح، فقالت تنذرهم تقول:

ألا أبلغ بني بكر رسولاً فقد جدَّ النفير بعنقْفير^(١)
فليت الجيش كلهم فداكم ونفسي والسريرَ وذا السريرِ
كأنِّي حين جدَّ بهم إليكم مُعلَّقة الذوائب بالعبُورِ^(٢)
فلو أني أطقت لذاك دُفعاً إذا لدفعته بدمي وزيري^(٣)
[الوافر]

فلما بلغ بكر بن وائل الخبرُ سار هانئ بن مسعود حتى انتهى إلى ذي قار، فنزل به وأقبل النعمان بن زرعة، وكانت أمه قِلْطَف بنت النعمان بن معد يكرب التغلبي، وأمها الشقيقة بنت الحارث بن الوصَّاف العجلي، حتى نزل على ابن أخته مرة بن عمرو بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن سعد بن عجل، فحمد الله النعمان وأثنى عليه ثم قال: إنكم أخوالي وأحد طرفي، وإن الرائد لا يكذب أهله، وقد أتاكم ما لا قبل لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب، والكتيبتان الشهباء والدوسر، وإن في هذا الشرَّ خياراً، ولأن يفتدي بعضكم بعضاً خير من أن تُصْطَلَمُوا، فانظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهناً من أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم، فقال له القوم: ننظر في أمرنا، وبعثوا إلى من يليهم من بكر بن وائل، وبرزوا ببطحاء ذي قار بين الجَلْهَتَيْنِ - قال الأثرم: جَلْهَة الوادي، ما استقبلك منه واتسع لك. وقال ابن الأعرابي: جَلْهَة الوادي مُقدِّمه مثل جَلْهَة الرأس إذا ذهب شعره، يقال رأس أجله - قال: وكان مرداس بن أبي عامر السلمي مجاوراً فيهم يومئذٍ، فلما رأى الجيوش قد أقبلت إليهم حمل عياله فخرج عنهم وأنشأ يقول يحرضهم بقوله:

أبلغ سراً بني بكر مُغلغلةً إنني أخاف عليهم سَرِبَة^(٤) الدارِ
إنني أرى الملك الهامُز مُنصلتاً يُزجي جياداً وركباً غير أبارِ
لا تَلْقَط البعر الحُولي نسوْثهم للجانزين على أعطان^(٥) ذي قارِ

(١) العنقْفير: الداهية.

(٢) العبور: نجم.

(٣) الزير: ما استحكم فتله من الأوتار أو الدقيق منها وهو هنا كناية عن العروق والشرابين.

(٤) السربة: السفر القريب.

(٥) الأعطان: مَبَارَك الإبل، منح الإبل.

فإن أبيتم فإنني رافع ظُعُني ومُنشِب في جبال اللُّوب أظفاري
وجاعل بيننا وِرداً غوارُبُه ترمي إذا ما ربا الوادي بِتَيَّارِ
[البسيط]

رَبَا: ارتفع و طال، وقوله: «ورداً غواربه» أراد البحر.

قال علي بن الحسين الأصفهاني: هذه الحكاية عندي في أمر مرداس بن أبي عامر خطأ، لأن وقعة ذي قار كانت بعد هجرة النبي ﷺ، وكانت بين بدر وأُحد. ومرداس بن أبي عامر وحزب بن أمية أبو أبي سفيان ماتا في وقت واحد، كانا مرًا بالقرية وهي غِيضة ملتفة الشجر، فأحرقا شجرها ليتخذاها مزرعة، فكانت تخرج من الغيضة حَيَّات بيض فتطير حتى تغيب، ومات حرب ومرداس بعقب ذلك، فتحدث قومهما أن الجن قتلتهما لإحراقهما منازلهم في الغيضة، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ بحين. ثم كانت بين أبي سفيان وبين العباس بن مرداس منازعة في هذه القرية، ولهما في ذلك خبر ليس هذا موضعه. وأظن أن هذه الأبيات لعباس بن مرداس بن أبي عامر.

رجع الحديث إلى سياقه في حديث ذي قار.

قال:

وجعلت بكر بن وائل حين بعثوا إلى من حولهم من قبائل بكر لا تُرفع لهم جماعة إلا قالوا: سَيِّدُنَا في هذه. فُرفت لهم جماعة، فقالوا: سَيِّدُنَا في هذه، فلما دنوا إذا هم بعد عمرو بن بشر بن مرثد، فقالوا: لا، ثم رُفعت لهم أخرى، فقالوا في هذه سَيِّدُنَا، فإذا هو جبلة بن باعث بن صريم اليشكري، فقالوا: لا، فرفعت أخرى، فقالوا: في هذه سَيِّدُنَا، فإذا هو الحارث بن وعله بن مجالد الدهلي فقالوا: لا، ثم رفعت لهم أخرى فقالوا: في هذه سَيِّدُنَا، فإذا فيها الحارث بن ربيعة بن عثمان التيمي من تيم الله، فقالوا: لا.

ثم رفعت لهم أخرى أكبر مما كان يجيء، فقالوا: لقد جاء سَيِّدُنَا، فإذا رجل أصلع الشعر عظيم البطن مُشرب حمرة، فإذا هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار بن حُيَّ بن حاطبة بن الأسعد بن جذيمة بن سعد بن عجل فقالوا: يا أبا مَعْدان، قد طال انتظارنا، وقد كرهنا أن نقطع أمراً دونك، وهذا ابن أختك النعمان بن زرة قد جاءنا، والرائد لا يكذب أهله، قال: فما الذي أجمع عليه رأيكم واتفق عليه مَلُوكُكم؟ قالوا: قال: إن اللَّخِيَّ^(١) أهونُ من الوهي^(٢)، وإن في الشر خياراً، ولأن يفتدي بعضكم

(١) اللَّخِي: إعطاء المال وألخيته تعني أيضاً أوجرته.

(٢) الوهي: الضعف.

بعضاً خيراً من أن تُصْطَلَمُوا^(١) جميعاً. قال حنظلة: فقبّح الله هذا رأياً، لا تجرّ أحرارُ فارسٍ غرْلَها ببطحاء ذي قار وأنا أسمع الصوت.

ثم أمر بقُبْته فضربت بوداي ذي قار، ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به، ثم قال لهانئ بن مسعود: يا أبا أمامة، أن ذمتكم ذمتنا عامة، وأنه لن يوصل إليك حتى تفنى أرواحنا، فأخرج هذه الحلقة ففرّقها بين قومك، فإن نظفر فستردّ عليك، وإن نهلك فأهون مفقود، فأمر بها فأخرجت، ففرّقها بينهم، ثم قال حنظلة للنعمان: لولا أنك رسول لما أثبت إلى قومك سالماً، فرجع النعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما ردّ عليه القوم، فباتوا ليلتهم مستعدين للقتال، وباتت بكر بن وائل يتأهبون للحرب.

فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم، وأمر حنظلة بالظعن جميعاً فوقفها خلف الناس، ثم قال: يا معشر بكر بن وائل قاتلوا عن ظعنكم أو دَعُوا، فأقبلت الأعاجم يسرون على تَعَبَةٍ، فلما رأتهم بنو قيس بن ثعلبة انصرفوا فلاحقوا بالحيّ فاستخفّوا فيه فُسْمِيّ حيّ بني قيس بن ثعلبة. قال: وهو على موضع خَفِيّ، فلم يشهدوا ذلك اليوم.

وكان ربيعة بن غزالة السكوني ثم التّجبيّ يومئذٍ هو وقومه نزولاً في بني شيبان، فقال: يا بني شيبان أما لو أني كنت منكم لأشرت عليكم برأي مثل عُروّة العِكم^(٢) فقالوا: فأنت والله من أوسطنا، فأشّر علينا، فقال: لا تستهدفوا لهذه الأعاجم فتهلككم بنشأها، ولكن تَكْرَدَسُوا لهم كراديس^(٣)، فيشد عليهم كُردوس، فإذا أقبلوا عليه شدّ الآخر، فقالوا: فإنك قد رأيت رأياً، ففعلوا.

فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة بن ثعلبة فقال: يا معشر بكر بن وائل، إن النشاب الذي مع الأعاجم يعرفكم، فإذا أرسلوه لم يُخْطِكم، فعاجلوه باللقاء وابدؤوهم بالشدّة، ثم قام هانئ بن مسعود فقال: يا قوم مهلك معذور خير من نجاء معرور^(٤)، وإن الحذر لا يدفع القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنيّة ولا الدنيّة، واستقبال الموت خير من استدباره، والظعن في الثغر خير وأكرم من الظعن في الدبر، يا قوم جدّوا فما من الموت بُدّ، فتحّ لو كان له رجال، أسمع صوتاً ولا أرى قوماً، يا آل بكر شدّوا واستعدّوا وإلا تشدّوا تُردّوا.

ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرة بن همام فقال: يا قوم إنما

(١) تُصْطَلَمُوا: تُسْتَأْصَلُوا.

(٢) العِكم: مَا عَكِمَ بِهِ.

(٣) الكراديس: الجماعات من الخيل واحدها الكردوسة.

(٤) المعرور: المتهم بالمعرة.

تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم، وكذلك أنتم في أعينهم، فعليكم بالصبر، فإن الأسيّة تُردي الأعتّة، يا آل بكر قُدماً قُدماً.

ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم الشكري فقال:

يا قوم لا تَغْرزْكُم هَذي الخِرْقُ ولا وَمِيضُ البَيْضِ في الشمسِ بَرَقُ
من لم يقاتل منكم هَذي العُنُقُ^(١) فجَنَّبوه الرّاحَ واسقوه المَرَقُ
[الرجز]

ثم قام حنظلة بن ثعلبة إلى وَضَيْن راحلة امرأته فقطعه، ثم تتبع الظعن يقطع وَضْنَهُنَّ [لئلا يفرّ عنهن الرجال] فسمي يومئذ: مقطع الوضين - والوضين^(٢) بِطَانُ الناقة - قالوا: وكانت بنو عجل في الميمنة بإزاء خنابرين، وكانت بنو شيبان في الميسرة بإزاء كتيبة الهامرز، وكانت أفناء بكر بن وائل في القلب، فخرج أسوار من الأعاجم مُسَوَّر، في أذنيه دُرَّتَان، من كتيبة الهامرز، يتحدى الناس للبراز، فنادى في بني شيبان فلم يبرز له أحد، حتى إذا دنا من بني يشكر برز له يزيد بن حارثة أخو بني ثعلبة بن عمرو، فشدّ عليه بالرمح، فطعنه فدقّ صلبه، وأخذ حليته وسلاحه، فذلك قول سويد بن أبي كاهل يفتخر:

ومنا يزيدُ إذ تحدّى جُموعكم فلم تقربوه المَرزُبَانُ^(٣) المُشَهَّرُ
وبارزه منّا غلام بصارمٍ حُسامٍ إذا لاقى الضَّريبةَ يَبْتَرُ
[الطويل]

ثم إن القوم اقتتلوا صدر نهارهم أشدّ قتال رآه الناس، إلى أن زالت الشمس، فشد الحوفزان - واسمه الحارث بن شريك - على الهامرز فقتله، وقتلت بنو عجل خنابرين، وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا، وتبعتهم بكر بن وائل، فلحق مرثد بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس النعمان بن زرعة، فأهوى له طعناً، فسبقه النعمان بصدر فرسه فأفلته، فقال مرثد في ذلك:

وخيل تبارى للطعان شهدتها فأغرقت فيها الرمحَ والجمعُ مُحجَمُ
وأفلتني النعمان قاب رماحنا وفوق قطاة المهرِ أزرق لَهْدَمُ^(٤)
[الطويل]

(٢) الوضين: هو للهودج بمنزلة الحزام للسرّج.

(١) العُنُق: الرؤساء والسادة.

(٣) المَرزبان: رئيس الفرس جمعها المرازبة.

(٤) اللَهْدَم: الحادّ القطع.

قال: ولحق أسود بن بُجير بن عائذ بن شريك العجلي النعمان بن زرعة، فقال له: يا نعمان هَلُمَّ إِلَيَّ، فأنا خير آسِرٍ لك وخير لك من العطش، قال: ومن أنت؟ قال: الأسود بن بُجير، فوضع يده في يده، فجزّ ناصيته، وخلّى سبيله، وحمله الأسود على فرس له، وقال له: انجُ على هذه، فإنها أجود من فرسك، وجاء أسود بن بجير العجلي على فرس النعمان بن زرعة، وقُتِل خالد بن يزيد البهراني، قُتِله الأسود بن شريك بن عمرو، وقُتِل يومئذ عمرو بن عدي بن زيد العبادي الشاعر، فقالت أمه ترثيه:

وَيْحَ عَمْرٍو بِنِ عَدِيٍّ مِنْ رَجُلٍ حَانَ يَوْمًا بَعْدَ مَا قِيلَ كَمَلُ
كَانَ لَا يَعْقِلُ حَتَّى مَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ يَأْكُلُ النَّاسُ عَقْلُ
أَيْهِمْ ذَلَاكَ عَمْرُؤُ لِلرَّدى وَقَدِيمًا حَيِّنٌ^(١) الْمَرْءُ الْأَجَلُ
لَيْتَ نَعْمَانَ عَلَيْنَا مَلِكُ وَبُنَيَّ لِي حَيٍّ لَمْ يَزَلْ
قَدْ تَنَظَّرْنَا لَغَادٍ أَوْبَةً كَانَ لَوْ أَغْنَى عَنِ الْمَرْءِ الْأَمَلُ
بَانَ مِنْهُ عَضُدٌ عَنْ سَاعِدِ بُوْسَى لِلدَّهْرِ وَبُوْسَى لِلرَّجُلِ

[الرمْل]

قال: وأفلت إياس بن قبيصة على فرس له كانت عند رجل من بني تيم الله يقال له أبو ثور، فلما أراد إياس أن يغزوهم أرسل إليه أبو ثور بها، فنهاه أصحابه أن يفعل، فقال: والله ما في فرس إياس ما يعزّ رجالاً ولا يذلّه، وما كنت لأقطع رحمه فيها، فقال إياس:

غَدَاها أَبُو ثُورٍ فَلَمَّا رَأَيْتُهَا دَخِيسَ^(٢) دَوَاءٍ لَا أُضِيعُ غِذَاؤُهَا
فَأَعَدَدْتُهَا كُفًّا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ إِذَا أَقْبَلْتُ بِكَرٍّ تُجَرُّ رِشَاؤُهَا

[الطويل]

قال: وأتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم، حتى أصبحوا من الغد وقد شارفوا السواد ودخلوه، فذكروا أن مائة من بكر بن وائل، وسبعين من عجل، وثلاثين من أفناء بكر بن وائل أصبحوا وقد دخلوا السواد في طلب القوم، فلم يُفْلِت منهم كبير أحد. وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم، وقسموا تلك اللطائم بين نسائهم، فذلك قول الديان بن جندل:

(١) حَيِّن: أهلك.

(٢) الدَّخِيس: المكتنز.

إن كنت ساقية يوماً على كَرَمٍ فاسْقِي فوارس من دُهلٍ بن شيبانا
واسْقِي فوارس حَامَوْا عن ديارِهِمْ وَأَعْلِي مَقَارِقِهِمْ مِسْكَاً وريحاناً
[البسيط]

قال: فكان أول من انصرف إلى كسرى بالهزيمة إياس بن قبيصة، وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه، فلما أتاه إياس سألته عن الخبر، فقال: هزمتنا بكر بن وائل، فأتيناك بنسائهم، فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة، وإن إياساً استأذنه عند ذلك فقال: إن أخي مريض بعين التمر، فأردت أن آتيه، وإنما أراد أن يتنحى عنه، فأذن له كسرى، فترك فرسه الحمامة، وهي التي كانت عند أبي ثور بالحيرة، وركب نجبية، فلحق بأخيه، ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة، وهو بالخوزنق، فسأل: هل دخل على الملك أحد فقالوا: نعم، إياس، فقال: ثكلت إياساً أمه، وظن أنه قد حدثه بالخبر، فدخل عليه فحدثه بهزيمة القوم وقتلهم، فأمر به فترعت كتفاه.

يوم انتصفت فيه العرب من العجم:

قال: وكانت وقعة ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر، ورسول الله ﷺ بالمدينة، فلما بلغه ذلك قال: هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرُوا.

قال ابن الكلبي: وأخبرني أبي، عن أبي صالح.

عن أبي عباس قال: ذكرت وقعة ذي قار عند النبي ﷺ فقال: ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرُوا.

وروي أن النبي ﷺ مَثَلَتْ له الوقعة بالمدينة، فرفع يديه فدعا لبني شيبان أو لجماعة ربيعة بالنصر، ولم يزل يدعو لهم حتى أُرِيَ هزيمة الفُرس.

وروي أنه قال: إيهأ بني ربيعة، اللهم انصر بني ربيعة، فهم إلى الآن إذا حاربوا دعوا بشعار النبي ﷺ ودعوته لهم، وقال قائم: يا رسول الله وعدك، فإذا دعوا بذلك نصرُوا.

وقال أبو كلبة التيمي يفخر بيوم ذي قار:

لولا فوارس لا مِيلٌ^(١) ولا عَزْلٌ^(٢) من اللّهازم^(٣) ما قِظتم بذي قارِ

(١) الميل: مفردا الأمل وهو الجبان.

(٢) العزل: الضعفاء.

(٣) اللّهازم: من القبائل العربية أمثال بني قيس وتيم واللات بن ثعلبة وبيت شيبان في بني مرة بن ذهل وعجل بن لجيم...

ما زلت مفترساً أجساد أفتية
إن الفوارس من عجل هم أنفوا
لاقوا فوارس من عجل بشكتها
قد أحسنت دهل شيبان وما عدلت
هم الذين أتوهم عن شمائلهم

فأجابه الأعشى فقال:

أبلغ أبا كلبة التيمي مألكة^(٣)
شيبان تدفع عنك الحرب أونة

وقال بكير الأصم:

إن كنت ساقية المدامة أهلها
وأباربيعة كلها ومحلماً
زحفوا بجمع لا ترى أقطاره
عرب ثلاثة ألف وكتيبة
ضربوا بني الأحرار يوم لقوهم
وعدا ابن مسعود فأوقع وقعة

وقال الأعشى:

فدى لبني دهل بن شيبان ناقتي
هم ضربوا بالحنو^(٤) حنو قراق^(٥)

تشير أعطافها منها بآثار
من أن يخلوا لكسرى عرصة الدار
ليسوا إذا قلصت^(١) حرب بأغمار^(٢)
في يوم ذي قار فرسان ابن سيار
كما تلبس وراد بضدار
[البسيط]

فأنت من معشر والله أشرار
وأنت تنبح نبج الكلب في الغار
[البسيط]

فاسقي على كرم بني همام
سبقوا بأجد غاية الأيام
لقحت به حرب لغير تمام
ألفان عجم من بني الفدّام
بالمشرفي على شؤون الهام
ذهبت لهم في معرق وشام
[الكامل]

وراكبها يوم اللقاء وقلت
مقدمة الهامرز^(٦) حتى تولت
[الطويل]

(١) قلصت: شمريت.

(٢) الأغمار: مفردها الغمر وهو الذي لم يجرب الأمور.

(٣) المألكة: الرسالة.

(٤) الحنو: كل ما فيه إعوجاج من الجسد.

(٥) القراق: الحادي الحسن الصوت.

(٦) الهامرز: اللثيم.

وقال بعض شعراء ربيعة في يوم ذي قار :

أَلَا مَنْ لَّيْلٍ لَا تَغُورُ كَوَاكِبُهُ وَهَمَّ سَرَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ جَانِبُهُ
أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنْ جِيْشاً عَرْمَماً بِأَسْفَلِ ذِي قَارٍ أُبِيدَتْ كِتَائِبُهُ
فَمَا حَلَقَهُ النِّعْمَانُ يَوْمَ طَلَبْتَهَا بِأَقْرَبَ مِنْ نَجْمِ السَّمَاءِ تُرَاقِبُهُ
[الطويل]

وقال الأعشى :

حَلَفْتُ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ وَبِالْعُزِّ ي وَبِاللَّاتِ تُسَلِّمُ الْحَلَقَةَ
حَتَّى يَظُلَّ الْهَمَامُ مُنْجِدِلاً وَيَقْرَعُ النَّبْلُ طُرَّةَ الدَّرَقَةِ
[المنسرح]

وقال ابن قِرْدٍ الخنزيرُ التيمي :

أَلَا أَبْلِغُ بَنِي ذُهَلٍ رَسُولاً فَلَا شَتْمًا أَرَدْتُ وَلَا فُسَاداً
هَزَرْتُ^(١) الْحَامِلِينَ لَكِي يَعُودُوا إِذَا يَوْمٌ مِنَ الْحَدَثَانِ عَادَا
وَجَدْتُ الرَّفْدَ رَفْدَ بَنِي لُجَيْمٍ إِذَا مَا قَلَّتِ الْأَرْفَادُ^(٢) زَادَا
هُمْ ضَرَبُوا الْكِتَابَ يَوْمَ كَسَرِي أَمَامَ النَّاسِ إِذْ كَرِهُوا الْجِلَادَا
وَهُمْ ضَرَبُوا الْقَبَابَ بِبَطْنِ فَلَجٍ وَزَادُوا عَنِ مُحَارِمِنَا ذِيَادَا
[الوافر]

وقال الأعشى في ذلك :

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارِكُنَا فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرْفُ
لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ مُطَبَّقِ الْأَرْضِ تَغْشَاهَا لَهُمْ سَدْفُ^(٣)
بَطَارِقُ وَبَنُو مَلِكٍ مَزَارِبَةٌ مِنَ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطْفُ^(٤)
مِنْ كُلِّ مَرْجَانَةٍ فِي الْبَحْرِ أَحْرَزَهَا تَيَّارُهَا وَوَقَاهَا طَيْنُهَا الصَّدْفُ
وُظْعُنُنَا خَلَفْنَا تَجْرِي مَدَامِعُهَا أَكْبَادُهَا وَجَلًّا مِمَّا تَرَى تَجِفُّ
يَحْسِرُنْ عَنْ أَوْجِهِ قَدْ عَايَنْتَ عِبْرًا وَلَا حَهَا عِبْرَةٌ أَلْوَانُهَا كِسْفُ
مَا فِي الْخُدُودِ صَدُودٌ عَنْ وُجُوهِهُمْ

(١) هَزَرَ: ضرب بالعصا ضرباً شديداً. (٢) الْأَرْفَادُ: العطايا والصلوات.

(٣) السَّدْفُ: سواد الليل.

(٤) النُّطْفُ: مفرداها النطفة وهي القرط أو اللؤلؤة.

عَوْدًا عَلَى بَدْئِهِمْ مَا إِنْ يُلَبِّثُهُمْ
لَمَّا أَمَالُوا إِلَى النُّشَابِ أَيْدِيَهُمْ
وَحِيلَ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكَّ تَطْحَنُهُمْ
كَرَّ الصَّقُورِ بَنَاتِ الْمَاءِ تَخْتَطِفُ
مِلْنَا بِبَيْضِ فِظْلٍ الْهَامُ يُقْتَتِفُ
حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
[البسيط]

وَقَالَ حُرَيْمُ بْنُ الْحَارِثِ التِّيمِيُّ :

وَإِنْ لَجِيماً أَهْلَ عِزٍّ وَثَرَةٍ
هَمْ مَنْعُوا فِي يَوْمٍ قَارٍ نِسَاءَنَا
إِذَا قِيلَ يَوْمًا أَقْدَمُوا يَتَقَدَّمُوا
وَأَهْلَ إِبَادٍ لَا يُنَالُ قَدِيمُهَا
كَمَا مَنَعَ الشَّوْلَ الْهَجَانَ قُرُومُهَا
وَهَلْ يَمْنَعُ الْمَخْزَاةَ إِلَّا صَمِيمُهَا؟
[الطويل]

قال: ولم يزل قيس بن مسعود في سجن كسرى بساباط حتى مات فيه .

صوت

خَلِيلِيَّ مَا صَبْرِي عَلَى الزَّفَرَاتِ
تَسَاقَطَ نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَمَا طَاقَتِي بِالْهَمِّ وَالْعِبَرَاتِ
عَلَى إِثْرِ مَا قَدْ فَاتَهَا حَسَرَاتِ
[الطويل]

الشعر للثَّخِيفِ الْعَقِيلِيِّ ، والغناء لإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرِو بْنِ
بَانَةَ ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّ الرَّمْلَ لَعُلُويَّةٍ ، وَأَنَّ لَحْنَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى .

أخبار القحيف ونسبه

اسمه ونسبه :

القحيف بن حُمير أحد بني قُشير بن مالك بن خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

يشبب بخرقاء :

شاعر مقلّ من شعراء الإسلام، وكان يشبب بخرقاء التي كان ذو الرمة يشبب بها.

فأخبرني محمد بن خلف وكيع وعمي قالا: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن العدوي عن أبي الحسن المدائني.

عن الصباح بن الحجاج عن أبيه قال:

مررت بخرقاء وهي بفلج فقالت: أقضيت حبّك وأتممته؟ فقلت: نعم، فقالت: لم تفعل شيئاً، فقلت: ولم؟ فقالت: لأنك لم تُلِمَّ بي ولا سلّمت عليّ، أو ما سمعت قول ذي الرمة:

تمام الحجّ أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام
[الوافر]

فقال: هيهات يا خرقاء، ذهب ذاك منك، فقالت: لا تقل ذاك، أما سمعت قول القحيف عمك:

وخرقاء لا تزداد إلا ملاحاة ولو عُمّرت تعمير نوح وجَلَّتْ^(١)
[الطويل]

أصبح من القَبَس :

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: حدثني أبو الشبل المعديّ قال:

(١) جَلَّتْ: كبرت وأُسْتُت.

نسب ذو الرمة بخرقاء البَكَّائِيَّة، وكانت أصبح من القَبَس، وبقيت بقاء طويلاً،
فنسب بها القُحيف العقيلي فقال:

وخرقاء لا تزدد إلا ملاحه ولو عُمِّرت تعمير نوح وجلت
[الطويل]

لا تزدد إلا ملاحه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسان
دماذ قال:

كبرت خرقاء حتى جاوزت تسعين سنة، وأحببت أن تُنْفَق^(١) ابنتها وتُخْطَب،
فأرسلت إلى القحيف العقيلي وسألته أن يشبب بها، فقال:

لقد أرسلت خرقاء نَحْوِي جَرِيَّهَا^(٢) لتجعلني خرقاء ممن أضلت
وخرقاء لا تزدد إلا ملاحه ولو عُمِّرت تعمير نوح وجلت
[الطويل]

يهيم بامرأة من عبس:

وقال عمرو بن أبي عمرو الشيباني:

كان القحيف العقيلي يتحدث إلى امرأة من عبس، وقد جاورهم وأقام عندهم
شهرًا، وهام بها عشقًا، وكان يخبرها أن له نَعَمًا ومالًا، وهويته العبسية، وكان من
أجمل الرجال وأشعرهم، فلما طال عليها واستحيا من كذبه إياها في ماله ارتحل عنهم
وقال:

تقول لي أخت عبس ما أرى إبلاً وأنت تزعم من والاك صُنْدِيدُ^(٣)
فقلت يكفي مكان اللوم مُطَّرِدُ فيه القَتِيرُ^(٤) بِسَمَرِ^(٥) القَيْنِ مَشْدُودُ
وشِكَّةُ^(٦) صاعها وفراء كاملة وصارمٌ من سيوف الهند مقدودُ
إني ليرعى رجالٌ لي سوامهم لي العقائلُ منها والمقاحيدُ^(٧)
[البيط]

(١) تُنْفَق: تَرُوج.

(٢) الجَرِي: الخادم والرسول.

(٣) الصُنْدِيد: السيد الحليم الجواد.

(٤) القَتِير: رؤوس المسامير.

(٥) السَمَر: شد الباب بالمسمار.

(٦) الشِكَّة: السلاح.

(٧) المقاحيد: مفردها المِقْحَاد وهي الناقة العظيمة السنام.

علي بن المهاجر والمهير بن سلمى :

وقال أبو عمرو :

كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولَّى عليَّ بن المهاجر بن عبد الله الكلابي الإمامة، فلما قُتل الوليدُ بن يزيد جاءه المُهَير بن سلمى الحنفي فقال له : إن الوليد قد قتل، وإن لك عليَّ حقاً، وكان أبوك لي مكرماً، وقد قتل صاحبك، فاختر خصلة من ثلاث : إن شئت أن تقيم فينا وتكون كأحدنا فافعل، وإن شئت أن تتحول عنا إلى دار عمك، فتنزلها أنت ومن معك، إلى أن يرد أمر الخليفة المولَّى، فتعمل بما يأمر به فافعل، وإن شئت فخذ من المال المجتمع ما شئت والحقُّ بدار قومك . فَأَيْفَ عليُّ بن المهاجر من ذلك ولم يقبله، وقال للمُهير : أنت تعزليني يا ابن اللخناء؟ فخرج المهير مغضباً والتفَّ معه أهل الإمامة، وكان مع عليٍّ ستمائة رجل من أهل الشام ومثلهم من قومه وزواره، فدعاهم المهير وذكر لهم رأيه، فأبوا عليه وقاتلوه، وجاء سهم عائر^(١) فوقع في كبده صانع من أهل الإمامة، فقال المهير : احملوا عليهم، فحملوا عليهم فانهزموا، وقتل منهم نفر، ودخلوا القصر وأغلقوا الباب، وكان من جذوع، فدعا المُهير بالسعف فأحرقه، ودخل أصحابه فأخذوا ما في القصر، وقام عبد الله بن النعمان القيسي في نفر من قومه فحملوا بيت المال ومنعوا منه، فلم يقدر عليه المهير، وجمع المُهير جيشاً يريد أن يغزو بهم بني عقيل وبني كلاب وسائر بطون بني عامر، فقال القحيف بن حُمَيْر لما بلغه ذلك :

صوت

أَمِنْ أَهْلِ الْأَرَاكِ عَفْتُ رُبُوعٌ نَعَمْ سَقِيَاءَ لَهُمْ لَوْ تَسْتَطِيعُ
زِيَارَتَهُمْ وَلَكِنْ أَحْضَرْتُنَا هَمُومٌ مَا يَزَالُ لَهَا مُشِيعُ
[الوافر]

غَتَّى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِبْرَاهِيمُ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ وَلَمْ يَذْكُرْ طَرِيقَتَهُ :

كَأَنَّ الْبَيْنَ جَرَّعَنِي رُعَافاً^(٢) مِنْ الْحَيَّاتِ مَطْعَمُهُ فَظْيَعُ
وَمَاءٍ قَدْ وَرَدَتْ عَلَى جِبَاهُ^(٣) حَمَامٌ حَائِمٌ وَقُطْأً وَقُوعُ
[الوافر]

(١) السهم العائر: السهم الطائش أي الذي لا يُدرى من أين مأتاه ومن راميهِ .

(٢) الرُّعَاف: السمُّ القاتل .

(٣) الجبى: الماء المجموع في الحوض للإبل .

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة:

صوت

جعلت عمامتي صلالةً للدلوي إليه حين لم تردِ التُسوعُ
لأسقي فتيةً ومنقّبات أضربنّقيها سَفَرٌ وجيعُ
[الوافر]

[قال أبو الفرج]: غنى في هذين البيتين سليم خفيف رمل بالوسطى، ذكر ذلك حبش:

لقد جمع المَهِيرُ لَنَا فقلنا أتحسبنا تُروّعنا الجُموعُ؟
ستَرهُبُنا حنيفةٌ إن رأتنا وفي أيماننا البيضُ اللَّمُوعُ
عُقيلٌ تَغْتَزِي وبنو قشِير توارى عن سواعدها الدروعُ
وجعدةٌ والحَرِيشُ ليوثٌ غاب لهم في كل معركةٍ صريعُ
فنعم القومُ في اللَّزَبَاتِ^(١) قومي بنو كعب إذا جَحَدَ^(٢) الربيعُ
كهولٌ مَعْقِلُ الطُّرداءِ فيهم وفتيانٌ غطارفَةٌ^(٣) فروعُ
فمهلاً يا مُهِيرَ فأنْتَ عبد لكعب سامعٌ لهم مُطيعُ
[الوافر]

قال: وبعث المَهِيرُ رجلاً من بني حنيفةً يقال له المندلف بن إدريس الحنفي إلى الفلج، وهو منزل لبني جعدة، وأمره أن يأخذ صدقات بني كعب جميعاً، فلما بلغهم خبره أرسلوا في أطرافهم يستصرخون عليه، فأتاهم أبو لطيفة بن مسلمة العقيلي في عالم من عقيل، فقتلوا المندلف وصلبوه، فقال القحيف في ذلك:

أتانا بالعَقِيقِ صَريحُ كَعْبٍ فَحَنَّ النَّبْعُ وَالْأَسْلُ النَّهَالُ
وحالَفْنَا السَّيُوفَ وَمُضَمَّرَاتٍ سواءَ هَنٍّ فِينَا وَالْعِيَالُ
تَعَادَى شُرَباً^(٤) مِثْلَ السَّعَالِي^(٥) وَمَنْ زُبَرَ الْحَدِيدَ لَهَا نَعَالُ
[الوافر]

(١) اللَّزَبَات: جمع اللَّزْبَةِ وهي الشُّدَّةُ.

(٢) جَحَدَ: يبس وخلا من الخير.

(٣) الغطارفَةُ: مفردُها الغَطْرِيفُ، السَّيِّدُ الشَّرِيفُ.

(٤) الشُّرْبُ: الضَّوَامِرُ.

(٥) السَّعَالِي: مفردُها السَّعْلَاءُ وهي ساحرة الجن أو الغول.

وقال أيضاً ويروى لنجدة الخفاجي :

لقد منع الفرائض عن عُقِيل بطعن تحت ألوية وضرب
تري منه المصدق^(١) يوم وافى أطل على معاشره بصلب
[الوافر]

أما تتقي الله؟

قال أبو عمرو في أخباره :

ونظر بعض فقهاء أهل مكة إلى القحيف وهو يُحدّ النظر إلى امرأة، فنهاه عن ذلك وقال له : أما تتقي الله؟ تنظر هذا النظر إلى غير حرمة لك، فقال القحيف :

أقسمت لا أنسى وإن شطّ النوى عرانيهن الشم والأعين النجلا
ولا المسك من أعطافهن ولا البرى^(٢) ضمن وقد لوينها قضباً خذلاً^(٣)
يقول لي المفتي وهنّ عشية بمكة يلْمَحْنَ المهدّبة السجلا
اتق الله لا تنظر إليهنّ يافتى وما خلّتني في الحجّ ملتمساً وضلاً
وإنّ صبا ابن الأربعين لسبّة فكيف مع اللائي مثّلن بنا مثلاً
عواكف بالبيت الحرام وربّما رأيت عيون القوم من نحوها نجلاً
[الطويل]

صوت

كففنا عن بني ذهل وقلنا: القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجع من قوماً كالذي كانوا
فلما صرّح الشرُّ وأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العُدوا ن ذّأهم كما دانوا
[الهزج]

الشعر للفند الزماني، والغناء لعبد الله بن دحمان خفيف رمل بالبنصر، عن بدل والهشامي وابن المكي، وتمام هذا الشعر :

(١) المصدق: جامع الصدقات من القبائل.

(٢) البرى: مفردا البرة وهي الحلقة من السوار والقرط والخلخال.

(٣) الخذل: السيقان والأذرع.

شَدَدْنَا شِدَّةَ اللَّيْثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضِبَانُ
بَضْرِبٍ فِيهِ تَفْجِيعٌ وَتَأْيِيمٌ وَإِرْنَانُ
وَطَعْنٍ كَفَمِ الزَّقِّ غَذَا وَالزَّقُّ مَلَانُ
وَفِي الْعُدَّانِ لِلْعُدَا نِ تَوْهَيْنِ وَإِقْرَانُ
وَبَعْضُ الْحَلَمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ
وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِينَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

[الهزج]

قوله: دَنَاهُمْ كَمَا دَانُوا، أَي جَزَيْنَاهُمْ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

إِنَّا كَذَلِكَ نَدِينُ النَّاسَ بِالْأَدِينِ

وَالْتَأْيِيمُ: تَرَكُ النِّسَاءِ أَيَّامِي، وَالْإِرْنَانُ وَالرَّنَّةُ: الْبُكَاءُ وَالْعَوِيلُ، وَالْإِقْرَانُ: الطَّاقَةُ لِلشَّيْءِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا لَكُمْ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣] أَي مُطِيقِينَ.

أخبار الفند ونسبه

اسمه ونسبه :

الفِند لقب غلب عليه، شُبّه بالفِند من الجبل، وهو القطعة، لعظم خلقه، واسمه سهل بن شيبان بن ربيعة بن مازن بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين المعدودين، وشهد حرب بكر وتغلب، وقد قارب المائة السنة، فأبلى بلاء حسناً، وكان مشهده في يوم التحالق الذي يقول فيه طرفة :

سأئلوا عنا الذي يعرفنا بقوانا يومَ تحلاق اللَّمَمِ
يوم تُبدي البيض عن أسوقها وتُلَفُ الخيلُ أعراجَ النَّعَمِ
[الرملة]

وقد مضى خبره في مقتل كليب .

شيطانان :

فأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه قال :

أرسلت بنو شيبان في محاربتهم بني تغلب إلى بني حنيفة يستنجدونهم، فوجهوا إليهم بالفِند الزماني في سبعين رجلاً، وأرسلوا إليهم : إنا قد بعثنا إليكم ألف رجل .
وقال ابن الكلبي :

لما كان يوم التحالق أقبل الفِند الزماني إلى بني شيبان وهو شيخ كبير قد جاوز مائة سنة، ومعه بتان له شيطانان من شياطين الإنس، فكشفت إحدهما عنها وتجرّدت وجعلت تصيح ببني شيبان ومن معهم من بني بكر :

وعَا^(١) وعَا وعَا حرّ الجياد والمَطَا^(٢)
يا حَبَّذا يا حَبَّذا المُلَحِقُونَ بالضُّحَى
[الرجز]

(٢) المَطَا: الظهر.

(١) وعَا وعَا: الوعى الجلبة والصباح.

ثم تجردت الأخرى وأقبلت تقول:

إِنْ تُقْبَلُوا نَعَانُقُ وَنَفْرَشَ النَّمَارِقُ
أَوْ تَدْبُرُوا نَفَارِقُ فَرَاقَ غَيْرِ وَامِقُ

[الرجز]

قال: والتقى الناس يومئذ، فأصعد عوفُ بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابنته على جمل له في ثنية قضة حتى إذا توسطها ضرب عرقوبي الجمل، ثم نادى:

أنا البرك أنا البرك.

أنزل حيث أدرك.

ثم نادى: ومحلوفة لا يمر بي رجل من بكر بن وائل إلا ضربته بسيفي هذا، أفي كل يوم تفرون فيعطف القوم فقاتلوا حتى ظفروا، فانهزمت تغلب.

قال ابن الكلبي:

ولحق الفند الزماني رجلاً من بني تغلب يقال له مالك بن عوف، قد طعن صبياً من صبيان بكر بن وائل، فهو في رأس قناته، وهو يقول: يا ويس^(١) أم الفرخ، فطعنه الفند وهو وراء ردف له فأنقذهما جميعاً وجعل يقول:

أَيَا طَعْنَةَ مَا شَيْخ كَبِيرَ فَن^(٢) بَالِي
تَفَنَّتِ بِهَا إِذْ كَ رِهَ الشُّكَّةَ^(٣) أُمَثَالِي
تُقِيمُ الْمَأْتَمَ الْأَعْلَى عَلَى جُهْدٍ وَإِعْوَالِ
[كَجَيْبِ الدُّفْنِسِ^(٤) الْوَرَهَا^(٥) رِيْعَتْ بَعْدَ إِجْفَالِ^(٦)

[الهزج]

ويروى: قد ريعت بإجفال].

(١) الويس: الفقر.

(٢) البين: الشيخ الهرم.

(٣) الشكة: السلاح.

(٤) الدفنيس: الحمقاء.

(٥) الورهاء: المتساقطة العقل.

(٦) الإجفال: الإسراع.

أخبار عبد الله بن دحمان

تعصبه لإبراهيم بن المهدي:

عبد الله بن دحمان الأشقر المغني، وقد تقدم خبر أبيه وأخيه الزبير، وكان عبد الله في جنبه إبراهيم بن المهدي ومتعصباً له، وكان أخوه الزبير في جنبه إسحاق الموصلي ومتعصباً له، فكان كل واحد منهما يرفع من صاحبه ويُشيد بذكره، فعلا الزبير بتقديم إسحاق له، لتمكّن إسحاق وقبول الناس منه، ولم يرتفع عبد الله بذكر إبراهيم له، مع غض إسحاق منه، وكان الزبير على كل حال يتقدم أخاه عبد الله.

فأخبرني الحسين بن يحيى:

عن حماد عن أبيه قال: كان أبي كثيراً ما يقول: ما رأيت أقل عقلاً ومعرفة ممن يقول إن دحمان كان فاضلاً، والله ما يساوي غناؤه كله فلّسين، وأشبه الناس به صوتاً وصنعة وبلادة وبرّداً ابنه عبد الله، ولكنّ المحسن والله المجمل المؤدّي الضارب المطرب ابنه الزبير.

وقال يوسف بن إبراهيم:

كان أبو إسحاق يؤثر عبد الله بن دحمان ويقدمه، وإذا سمع صوتاً عرضه على أبي إسحاق فيقوم له ويصلحه، مضادة لأخيه الزبير في أمره، لميل الزبير إلى إسحاق وتعصبه له، وأوصله إلى الرشيد مع المغنين عدّة مرات، أخرج له في جميعها جائزة.

صوت

أقول لما أتاني ثمّ مصرعه
التارك القرن مصفراً أنامله
ليس بعَلّ كبير لا شباب له
يُجيب بعد الكرى لبّيك داعيه
لا يبعد الرمح ذو النّصلين والرّجل
كأنه من عُقارِ قهوة ثمل
لكن أثيلة صافي الوجه مُقتبل
مجذامة لهواه قُلُقُل عجل

[البسيط]

قوله: لا يبعد الرمح، يعني ابنه الذي رثاه، شبهه بالرمح في نفاذه وحدته،

والنصلان: السنان والزج، والرجل يعني به ابنه أيضاً من الرُّجْلة يصفه بها، أو أنه عَنَى: لا يبعد الرجل ورمحه، والعلُّ: الكبير السن الصغير الجسم، ويقال أيضاً للفراد علٌّ، والمُقتَبِل: المقبل، وقوله: مجذامة لهواه يعني: أنه يقطع هواه ولا يتبعه فيما يغض من قدره، وقُلُقُل: خفيف سريع، والمتقلقل: الخفيف.

الشعر للمُتنخل الهذلي، والغناء لمعبد، وله فيه لحنان: أحدهما من القدر الأوسط من الثقل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخر خفيف ثقل بالبنصر عن عمرو، وذكر الهشامي أن فيه للغريض لحناً من الثقل الأول ابتداءً. ليس بعلّ كبير لا شباب له.

والذي بعده.

وأن لجميلة فيه خفيف ثقل، وفيه ثاني ثقل ينسب إلى ابن سريج وأظنه ليحيى المكي، وقال حبش: فيه لعبد الله بن العباس ثقل أول بالبنصر.

أخبار المتنخل ونسبه

اسمه ونسبه :

الْمُتَنْخَلُّ لِقَبِّ، واسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن سويد بن حُبَيْش بن خُناعَة بن الدَّيْل بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار .

هذه رواية ابن الكلبي وأبي عمرو :

وروى السكري عن الرياشي عن الأصمعي وعن ابن حبيب عن أبي عبيدة وابن الأعرابي أن اسمه مالك بن عويمر بن عثمان بن حُبَيْش بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل .

ويكنى أبا أثيلة، من شعراء هذيل وفحولهم وفصحائهم .

مقتل ابنه أثيلة :

وهذه القصيدة يرثي بها ابنه أثيلة قتلته بنو سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر .

وكان من خبر مقتله فيما ذكر أبو عمرو الشيباني :

أنه خرج في نفر من قومه يريد الغارة على فهم، فسلخوا النجدية، حتى إذا بلغوا السراة أتاه رجل فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد فهماً، فقال: ألا أدلكم على خير من ذلكم وعلى قوم دارهم خير من دار فهم؟ هذه دار بني حوف عندكم فانصبوا عليهم على الكدأ حتى تبيّنوا بني حوف، فقبلوا منه وانحرفوا عن طريقهم، وسلخوا في شعب في ظهر الطريق حتى نفذوه، ثم سلخوا على السمرّة، فمرّوا بدار بني قُريم بالسرو، وقد لصقت سيوفهم بأغمادهم من الدم، فوجدوا إلياس بن المُقعد في الدار، وكان سيّداً، فقال: من أين أقبلتم؟ فقالوا: أتينا بني حوف، فدعا لهم بطعام وشراب، حتى إذا أكلوا وشربوا دلّهم على الطريق وركب معهم، حتى أخذوا سنن قصدهم، فأتوا بني حوف، وإذا هم قد اجتمعوا مع بطن من فهم للرحيل عن دارهم، فلقّاهم أوّل من الرجال على الخيل فعرفوهم، فحملوا عليهم وأطردوهم ورموهم، فأثبتوا أثيلة

جريحاً، ومضوا لطيّتهم، وعاد إليه أصحابه فأدركوه ولا تحامل به، فأقاموا عليه حتى مات، ودفنوه في موضعه، فلما رجعوا سألهم عنه المتنخل فدأمجوه^(١) وستره، ثم أخبره بعضهم بخبره، فقال يرثيه:

ما بال عينك تبكي دمعها خضيلُ
لا تفتأ الدهر من سَحِّ بأربعة
تبكي على رجل لم تبَلْ جدُّته
وقد عجبت وهل بالدهر من عجب
ويل أمه رجلاً تأبى به غبناً
خال من الخيلاء ويروى: خَذَلُ:

السالك الثغرة اليقظان كالئُها
والتارك القرن مصفراً أنامله
مَجْدلاً يتسَقَّى جلده دمه
ليس بعَلْ كبير لا شباب به
يُجيب بعد الكرى لبَّيك داعِيه
حُلُو ومُرُّ كعطفِ القِدْحِ مرَّته
فاذهب فأبى فتى في الناس أحرزه
فلو قُتِلَتْ ورجلي غيرُ كارهة الـ
إذا لأعملت نفسي في غزاتهم
أقول لما أتاني الناعيان به
رمح لنا كان لم يُفْلَلْ نُوؤ به

مَشَى الهلوك عليها الخَيْعَلُ^(٢) الْفُضْلُ^(٣)
كأنه من عُقارِ قهوة ثَمِلُ
كما يُقَطِّرُ جذعُ الدَّومة القُطْلُ
لكن أثيلة صافي الوجه مُقْتَبِلُ
مِجْذامةٌ لِهَواه قُلُقُل عَجِلُ
في كلِّ آنٍ أتاه الليل يَنْتَعِلُ
من حتفه ظَلَمٌ دُعْجٌ^(٤) ولا حَيْلُ^(٥)
إِدْلاجٍ فيها قَبِيضُ^(٦) الشَّدُّ والنَّسْلُ^(٧)
أو لا بتعثتُ به نَوْحاً له رَجَلُ
لا يبعدُ الرمح ذو النصلين والرجلُ
تُوفى به الحربُ والعَزَاءُ^(٨) والجَلَلُ^(٩)

(١) دأمجوه: داجوه وستره.

(٢) الخَيْعَلُ: درعٌ يخاط أحد شقَّيه ويترك الآخر.

(٣) الْفُضْلُ: المرأة التي في درعها إزار. (٤) الدُّعْجُ: الشديدة السَّواد.

(٥) الحَيْلُ: مفردا الحيلة وهي جماعة المعزى، أو القطيع من الغنم.

(٦) القَبِيضُ: الشديد. (٧) النَّسْلُ: ضرب من السيِّر.

(٨) العَزَاءُ: الشديدة.

(٩) الْجَلَلُ: مفردا الجلى وهو العظيم من الأمر.

رَبَّاءُ^(١) شَمَاءُ^(٢) لا يدنو لِقُلَّتْهَا إلا السحابُ وإلا النُوبُ^(٣) والسَّبَلُ^(٤)
[البسيط]

يرثي أباه:

وقال أبو عمرو الشيباني: كان عمرو بن عثمان أبو المتنخل يكنى أبا مالك،
فهلك، فرثاه المتنخل فقال:

ألا من ينادي أبا مالك فوالله ما إن أبو مالك ولا بألدله نازع ولكنه هيّن ليّن إذا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ أبو مالك قاصر فقره
أفي أمرنا أمره أم سواه بوان ولا بضعيف قواه يُعادي أخاه إذا مانهاه كعالية الرُمح عَرْدُ^(٥) نساء^(٦) ومهما وكلت إليه كفاه على نفسه ومُشيّع غناه
[المقارب]

محمد بن علي يتمثل بشعره:

حدثني أبو عبيدة الصيرفي قال: حدثنا الفضل بن الحسن البصري قال: حدثنا
أحمد بن راشد قال: حدثني عمي سعيد بن خيثم قال:

كان أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام إذا نظر إلى أخيه زيد تمثل:

لعمرك ما إن أبو مالك ولا بألدله نازع ولكنه هيّن ليّن إذا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ أبو مالك قاصر فقره
بواه ولا بضعيف قواه يعادي أخاه إذا مانهاه كعالية الرمح عَرْدُ نساء ومهما وكلت إليه كفاه على نفسه ومشيّع غناه
[المقارب]

(١) الرِّبَاء: التي يربأ فوقها.

(٢) الشَّمَاء: المرتفعة.

(٣) النُوب: النحل التي تنوب الواحدة مكان الأخرى.

(٤) السَّبَل: المطر أو القطر حين يسيل.

(٥) العَرْد: الشديد.

(٦) النِّسَاء: الساق.

ثم يقول: لقد أنجبتُ أمَّ ولدتك يا زيد، اللّهم اشدُّ أزمي بزيد.

أجود طائية:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال:

أجود طائية قالتها العرب قصيدة المتنخل:

عَرَفْتُ بِأَجْدُثٍ فَنِعَافٍ عَرَقٍ علاماتٍ كتَحْبِيرِ النَّمَاطِ
كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْحَيَّاتِ فِيهَا قُبَيْلَ الصَّبْحِ آثَارُ السِّيَاطِ
[الوافر]

صوت

عجبتُ لسغي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ
فيا هجر ليلي قد بلغتْ بِي المَدَى وزِدْتُ على ما لم يكن بلغ الهجرُ
ويا حبَّها زدني جوًى كلَّ ليلة ويا سلوة الأيام موعِدك الحشرُ
[الطويل]

صوت

بيد الذي شغف الفؤاد به فرج الذي ألقى من الهمِّ
[الكامل]
... ثم جاء بصفحتين من ترجمة أبي صخر التي جاءت في الجزء الواحد والعشرين من المطبوع في أوروبا والساسي.

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ
لقد تركتني أحسد الوحش إن أرى أليفين منها لا يرؤعهما الزَّجرُ
[الطويل]

الشعر لأبي صخر الهذلي، والغناء لمعبد في الأول والثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، ولابن سريج في الرابع والخامس ثقيل، ولعريب فيهما أيضاً ثقيل أول آخر وهو الذي فيه استهلال، وللواثق فيهما رمل، ولابن سريج أيضاً ثاني ثقيل في الثالث وما بعده عن أحمد بن المكي، وذكر ابن المكي أن الثقيل الثاني بالوسطى لجده يحيى المكي.

أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه

اسمه ونسبه :

هو عبد الله بن سلم السهمي أحد بني مُرَمَّض، وهذا أكثر ما وجدته من نسبه في نسخة السكري، وهي أتم النسخ مما يآثره عن الرياشي عن الأصمعي وعن الأثرم عن أبي عبيدة، وعن ابن حبيب عن ابن الأعرابي.

تعصبه لبني مروان :

وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وكان موالياً لبني مروان، متعصباً لهم، وله في عبد الملك بن مروان مدائح وفي أخيه عبد العزيز، وعبد العزيز بن خالد بن أسيد، وحبسه ابن الزبير إلى أن قتل.

خبره مع ابن الزبير :

فأخبرني يحيى بن أحمد بن الجون مولى بني أمية - لقيته بالرقّة - قال : حدثني الفيض بن عبد الملك قال : حدثني مولاي عن أبيه، عن مسلمة بن الوليد القرشي، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال :

لما ظهر عبد الله بن الزبير بالحجاز وغلب عليها، بعد موت يزيد بن معاوية، وتشاغل بنو أمية بالحرب بينهم في مرج راهط وغيره، دخل عليه أبو صخر الهذلي في هذيل، وقد جاؤوه ليقبضوا عطاءهم، كان عارفاً بهواه في بني أمية، فمنعه عطاءه، فقال : علام تمنعني حقاً لي، وأنا امرؤ مسلم، ما أحدثت في الإسلام حدثاً ولا أخرجت من طاعة يداً قال : عليك بني أمية فاطلب عندهم عطاءك . قال : إذا أجدهم سباطاً أكفهم، سمحة أنفسهم، بذلاء لأموالهم، وهّابين لمجتيديهم^(١)، كريمة أعراقهم، شريفة أصولهم، زاكية فرووعهم، قريباً من رسول الله ﷺ نسبهم وسببهم، ليسوا إذا نسبوا بأذنان ولا وشائظ^(٢) ولا أتباع، ولا هم في قريش كفّعة القاع، لهم السؤدد في الجاهلية، والملك في الإسلام، لا كمن لا يُعَدُّ في غيرها ولا نفيرها، ولا

(١) المجتدي : طالب الجدى (والمعروف).

(٢) الوشائظ : الدخلاء، مفردا الوشيطة.

حَكَمَ آبَاؤُهُ فِي نَقِيرِهَا وَلَا قِطْمِيرِهَا، لَيْسَ مِنْ أَحْلَافِهَا الْمُطَيَّبِينَ، وَلَا مِنْ سَادَاتِهَا الْمُطْمَعِينَ، وَلَا مِنْ جُودَائِهَا الْوَهَّابِينَ، وَلَا مِنْ هَاشِمِهَا الْمُنْتَخِبِينَ، وَلَا عَبْدَ شَمْسِهَا الْمَسُودِينَ، وَكَيْفَ تَقَابِلِ الرَّؤُوسَ بِالْأَذْنَابِ؟ وَأَيْنَ النُّصْلَ مِنَ الْجَفْنِ؟ وَالسِّنَانَ مِنَ الرَّجِّ؟ وَالذُّنَابِي مِنَ الْقُدَامَى، وَكَيْفَ يُفْضَلُ الشَّحِيحُ عَلَى الْجَوَادِ، وَالسُّوقَةُ عَلَى الْمَلِكِ، وَالْمَجِيعُ بَخْلًا عَلَى الْمُطْعَمِ فَضْلًا؟

فَغَضِبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ، وَعَرِقَ جَبِينُهُ، وَاهْتَزَّ مِنْ قُرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَامْتَقَعَ لَوْنَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا ابْنَ الْبَوَالَةِ عَلَى عَقْبَيْهَا، وَيَا جَلْفَ يَا جَاهِلَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا الْحَرَمَاتُ الثَّلَاثُ، حَرَمَةُ الْإِسْلَامِ، وَحَرَمَةُ الْحَرَمِ، وَحَرَمَةُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ، لَأَخَذْتَ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ.

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى سَجْنٍ عَارِفٍ، فَخُبِسَ بِهِ مَدَّةً، ثُمَّ اسْتَوْهَبْتَهُ هَذِيلٌ، وَمَنْ لَهُ بَيْنَ قَرِيشٍ خَوْوَلَةٍ فِي هَذِيلٍ، أَطْلَقَهُ بَعْدَ سَنَةٍ، وَأَقْسَمَ أَلَّا يُعْطِيَهُ عَطَاءَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَبَدًا. فَلَمَّا كَانَ عَامَ الْجَمَاعَةِ، وَوَلِيَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَحَجَّ لِقِيهِ أَبُو صَخْرٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ قَرِبَهُ وَأَدْنَاهُ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ خَبْرُكَ [مَعَ الْمَلْحَدِ]، وَلَا ضَاعَ لَكَ عِنْدِي هَوَاكَ وَلَا مَوَالَاتُكَ. فَقَالَ: أَمَا إِذْ شَفَى اللَّهُ مِنْهُ نَفْسِي، وَرَأَيْتَهُ قَتِيلَ سَيْفِكَ، وَصَرِيحَ أَوْلِيَانِكَ، مَصْلُوبًا مَهْتُوكَ السِّتْرِ، مَفْرُقَ الْجَمْعِ، فَمَا أَبَالِي مَا فَاتَنِي مِنَ الدُّنْيَا. ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ أَبُو صَخْرٍ فِي الْإِنْشَادِ، فَأَذَّنَ لَهُ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَائِمًا وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

عَفَتْ ذَاتَ عَرَقٍ عُصْلُهَا^(١) فَرِنَاؤُهَا^(٢) فدهناؤها وحش وأجلى سواؤها
على أن مُرْسَى خِيَمَةٍ خَفَّ أَهْلُهَا بأبطح محلال وهيهات عامؤها
إِذَا اعْتَلَجَتْ فِيهَا الرِّيحُ فَأَدْرَجَتْ عَشِيًّا جَرَى فِي جَانِبِهَا قُمَامُهَا
وإن مَعَاجِي فِي الدِّيارِ وَمَوْقِفِي بدارسة الرُّبْعَيْنِ بِالِ ثُمَامُهَا^(٣)
لَجْهَلٍ وَلَكِنِّي أُسْلِي ضَمَانَةً يُضَعِّفُ أَسْرَارَ الْفَوَادِ سَقَامُهَا
فَأَقْصِرُ فَلَا مَا قَدْ مَضَى لَكَ رَاجِعٌ وَلَا لَذَّةَ الدُّنْيَا يَدُومُ دَوَامُهَا
وإن أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي رَمَى بِجَاوَاءِ^(٤) جُمْهُورٍ^(٥) تَسِيلُ إِكَامُهَا

(١) الْعُصْلُ: مَوْضِعٌ.

(٢) الرِّثَامُ: مَوْضِعٌ.

(٣) الثُّمَامُ: مَفْرُودُ الثَّمَامَةِ وَهُوَ نَبْتُ يَسْتَعْمَلُ لِإِزَالَةِ الْبَيَاضِ مِنَ الْعَيْنِ.

(٤) الْجَاوَاءُ: الْكُتَيْبَةُ.

(٥) الْجُمْهُورُ: الْكَثِيرُ.

مِنْ أَرْضِ قُرَى الزَيْتُون مَكَّةَ بَعْدَمَا غُلِبْنَا عَلَيْهَا وَأَسْتُجِلَ حَرَامُهَا [الطويل]

يقول: رمى مكة بالرجال من أهل الشام وهي أرض الزيتون:

وَإِذْ عَاثَ فِيهَا النَّاكثُونَ وَأَفْسَدُوا فَشَجَّ بِهِمَ عَرَضُ الْفَلَاةِ تَعَسُفًا فَصَبَّحَهُمُ بِالْخَيْلِ تَزَحَّفُ بِالْقَنَا لَهُمُ عَسْكَرٌ ضَافِي الصَّفُوفِ عَرْمَرُمُ فَطَهَّرَ مِنْهُمْ بَطْنَ مَكَّةَ مَاجِدُ فِدْعُ ذَا وَبَشَّرَ شَاعِرِي أُمِّ مَالِكِ

فَخِيفَتْ أَقَاصِيهَا وَطَارَ حَمَامُهَا إِذَا الْأَرْضُ أَخْفَى مُسْتَوَاهَا سَوَامُهَا وَبَيْضَاءُ مِثْلَ الشَّمْسِ يَبْرُقُ لَأْمُهَا^(١) وَجُمْهُورَةٌ يَثْنِي الْعَدُوَّ انْتِقَامُهَا أَبَى الضَّيْمَ وَالْمَيْلَاءَ حِينَ يُسَامُهَا بِأَبْيَاتٍ مَخْزِيٍّ طَوِيلٍ غُرَامُهَا^(٢)

شَاعِرًا أُمِّ مَالِكِ: رجُلان من كنانة كانا مع ابن الزبير يمدحانه ويحرّضانه على أبي صخر لعداوة كانت بينهما وبينه:

فَإِنْ تَبَدُّ تُجْدَعُ مَنُخِرَاكَ بِمُدِيَةٍ وَإِنْ تَخَفَ عَنَّا أَوْ تَخَفَ مِنْ أَذَاتِنَا فَلَوْلَا قَرِيشٌ لَاسْتُرِقَّتْ عَجُوزُكُمْ

مُشْرِشَةٌ حَرَى حديدٍ حُسَامُهَا تَنْوُشُكَ نَابًا حَيَّةً وَسِمَامُهَا وَطَالَ عَلَى قُطْبَيِّ رَحَاهَا احْتِزَامُهَا [الطويل]

قال: فأمر له عبد الملك بما فاته من العطاء، ومثله صلة من ماله، وكساه وحمله.

يرثيه وهو حي:

نسخت من كتاب أبي سعيد السكري، عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة قالا:

كان أبو صخر الهذلي منقطعاً إلى أبي خالد عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد مذاحاً له، فقال له يوماً: أرثني يا أبا صخر وأنا حيّ حتى أسمع كيف تقول، وأين مراثيك لي بعدي من مديحك إياي في حياتي؟ فقال: أعيدك بالله أيها الأمير من ذلك، بل يبقيك ويقدمني قبلك، فقال: ما من ذلك بُدّ. قال: فرثاه بقصيدته التي يقول فيها:

(١) اللام: الدروع مفردها اللأمة.

(٢) الغرام: الجدة والشدة والكثرة.

وكان بها من قبل عثرتك العشرُ
أضرَّ بها نصُّ الهواجرِ والزجرُ
تَضِلُّ بها عن بَيضِهِنَّ القُطا الكُدُرُ
وحتى أُنِيخت وهي ظالعة دُبُرُ
كريمُ المُحَيَّا ماجدٌ واجدٌ صَقُرُ
لمن جاء لا ضَيِّقُ الفؤادِ ولا وعرُ
ولا بَلَّ هامَ الشامتين بك القطرُ
فما مات يا ابنَ العيص^(٢) نائِلُكُ الغمرُ
وذي حاجةٍ قد رَشَتْ ليس له وُفرُ
وكلُّ به المولى وضاق به الأمرُ
[الطويل]

أبا خالدٍ نفسي وَقَتَ نفسِكَ الرَّدَى
لِتَبْكِكَ يا عبد العزيزِ قلائصُ
سَمَوْنَ بنا يَجْتَبِنُ كلَّ تنوفةٍ
فما قَدِمْتُ حتى تواتر سيرُها
ففرَّجَ عن رُكبائها الهمَّ والطَوَى
أخو شَتَوَاتٍ يَقتُلُ الجوعُ زاده
ولا تَهْنِئُ الفُثَيَّانَ بعدَكَ لذَّةُ
فإن تُمسِ رَمْساً^(١) بالرُّصافةِ ثاويًا
وذي وَرِقٍ من فضل مالِكٍ ماله
فأضحى مُريحاً بعد ما قد يَؤوبه

قال: فأضعف له عبد العزيز جائزته ووصله، وأمر أولاده فرووا القصيدة.

جزعه على ابنه:

وقال أبو عمرو الشيباني:

كان لأبي صخر ابن يقال له داود، لم يكن له ولد غيره، فمات، فجزع عليه
جزعاً شديداً حتى خولط، فقال يرثيه:

دَنَتْ فاستقلت تاليات الكواكبِ
رَوَّاحٌ من السُّقْمِ الذي هو غالبِي
شفاءً لمن غادرت يوم التناضُبِ^(٣)
يُهَيِّمَنِي بين الحشا والتَّرائبِ؟
فأُمسِتَ وقد أَعَيْتُ عليَّ مذهبي
من اللّه حتى يُبعثوا للمحاسبِ
هَلْ أَنْتَ غداً غادٍ معي فمُصاحبي؟

لقد هاجني طيفٌ لِدَاوُودَ بعدما
وما في دُهولِ اليأسِ عن غير سَلْوةٍ
وعندك لو يحيا صدّاك فَنَلْتَقِي
فهل لك طِبُّ نافعٍ من عَلاقَةٍ
تشكَّيْتُها إذ صدَّعَ الدهرُ شَعْبنا
ولولا يقيني: إنما الموت عزيمةٌ
لقلتُ له فيما أَلَمَ برمسه

(١) الرَّمْس: القبر، وتصبح رمساً أي مدفوناً في القبر.

(٢) العيص: الأصل.

(٣) التناضُب: يقال نضب فلان أي مات.

فَلَسْتُ بِنَاسِيهِ وَلَيْسَ بَأَثِبٍ^(١)
وَفَاءٌ بِأَيْدِي الرُّومِ بَيْنَ الْمُقَانِبِ^(٢)
تَجِيْشُ بِمَوَارٍ مِنَ الْجَوْفِ ثَاعِبٍ^(٣)
لِتَابِعُ مَنْ وَافَى حِمَامَ الْجَوَالِبِ
إِلَى اللَّهِ أَبْغَى فَضْلَهُ وَأُضَارِبِ
عَلَى دَبْرِ مُخْلِ مِنْ الْعِيْشِ ذَاهِبِ
[الطويل]

وَمَا تَرَنِي فِي غَائِبٍ لَا يُغِيْثُنِي
سَأَلْتُ مَلِيكِي إِذْ بَلَانِي بِفَقْدِهِ
تَنْوُبٌ وَقَدْ قَدَّمْتُ ثَأْرِي بِطَعْنَةِ
فَقَدْ خَفْتُ أَنْ أَلْقَى الْمَنِيَا وَإِنِّي
وَلَمَّا أُطَاعِنُ فِي الْعَدُوِّ تَنْفُلًا
وَأَعْطِفُ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِطَعْنَةٍ

رجل من قومه يعيبه :

وقال أبو عمرو :

بلغ أبا صخر أن رجلاً من قومه عابه وقدح فيه فقال أبو صخر في ذلك :

بَعْدَاوَةٌ ظَهَرَتْ وَقُبْحٌ أَقَاوِلِ
عُمُرٍ^(٤) وَلَا قَحْمٍ^(٥) وَأَعْصَلَ^(٦) بَاذِلِي
بِمُؤَبَّدَاتٍ لِلرِّجَالِ دَوَاغِلِ^(٧)
بَطْرًا وَلَمْ يَرْعَبْ شِعَابَكَ وَابِلِي
بَرْيَ الشَّيْبِ^(٨) مِنَ السَّرَاءِ^(٩) الذَّابِلِ
وَأَطَأَ جَبِينَكَ وَطَاءَ الْمُتَشَاوِلِ
[الكامل]

وَلَقَدْ أَتَانِي نَاصِحٌ عَنْ كَاشِحٍ
أَفْحِينَ أَحْكَمَنِي الْمَشِيْبُ فَلَا فَتَى
وَلَبَسْتُ أَطْوَارَ الْمَعِيْشَةِ كُلِّهَا
أَصْبَحْتُ تَنْقُصُنِي وَتَقْرَعُ مَرْوَتِي
وَتَنَلُّكَ أَظْفَارِي وَيَبْرِكُ مَسْحَلِي
فَتَكُونُ لِلْبَاقِينَ بَعْدَكَ عِبْرَةً

يهوى امرأة من قضاة :

وقال أبو عمرو : وكان أبو صخر الهذلي يهوى امرأة من قضاة مجاورة فيهم

(١) الأَثِبُ : العائد .

(٢) الْمُقَانِبُ : مفردُهَا الْمُقْنَبُ ، وَهُوَ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْخَيْلِ تَجْتَمِعُ لِلْغَارَةِ .

(٣) الثَّاعِبُ : السَّائِلُ .

(٤) الْعُمُرُ : الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ أَوْ الْحَدَثَ .

(٥) الْقَحْمُ : الْكَبِيرُ السِّنُّ جَدًّا .

(٦) أَعْصَلَ : إِشْتَدَّ .

(٧) الدَّوَاغِلُ : مفردُهَا الدَّاغِلَةُ وَهِيَ الدَّاهِيَةُ .

(٨) الشَّسِيبُ : الْقَوْسُ .

(٩) السَّرَاءُ : ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ يَتَّخِذُ مِنْهُ الْقَسِيُّ .

يقال لها ليلي بنت سعد، وتكنى أم حكيم، وكانا يتواصلان برهة من دهرهما، ثم تزوجت ورحل بها زوجها إلى قومه، فقال في ذلك أبو صخر:

أَلَمْ خِيَالٌ طَارِقٌ مَتَأَوَّبٌ لَأَمْ حَكِيمٌ بَعْدَ مَا نِمْتُ مُوَصَّبٌ^(١)
 وَقَدْ دَنَّتِ الْجُوزَاءُ وَهِيَ كَأَنَّهَا وَمِرَزَمَهَا بِالْعَوْرِ ثَوْرٌ وَرَبْرُبٌ
 فَبَاتَ شَرَابِي فِي الْمَنَامِ مَعَ الْمُنَى غَرِيضُ اللَّمَى^(٢) يَشْفِي جَوَى الْحَزَنِ أَشْنَبُ^(٣)
 قُضَاعِيَّةٌ أَدْنَى دِيَارٍ تَحُلُّهَا قَنَاءُ وَأَنْى مِنْ قَنَاءِ الْمُحَصَّبِ
 سَرَاجُ الدُّجَى تَغْتَلُّ^(٤) بِالْمَسْكِ طِفْلَةٌ^(٥) فَلَا هِيَ مِثْفَالٌ^(٦) وَلَا اللَّوْنُ أَكْهَبُ^(٧)
 دَمِيثَةٌ^(٨) مَا تَحْتَ الثِّيَابِ عَمِيمَةٌ^(٩) هَضِيمُ الْحِشَاءِ بِكُرِّ الْمَجَسَّةِ^(١٠) تَيْبٌ
 تَعَلَّقَتْهَا خَوْدًا لَذِيذًا حَدِيثُهَا لِيَالِي لَا تُحْمَى وَلَا هِيَ تُحَجَّبُ
 فَكَانَ لَهَا وَدَيٌّ وَمَحْضٌ عِلَاقَتِي وَلِيدًا إِلَى أَنْ رَأْسِي الْيَوْمَ أَشْيَبُ
 فَلَمْ أَرِ مِثْلِي أَيَّاسْتُ بَعْدَ عِلْمِهَا بُودَيِّ وَلَا مِثْلِي عَلَى الْيَأْسِ يَطْلُبُ
 وَلَوْ تَلْتَقَى أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دُونِ رَمْسِينَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ
 لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَلَوْ كُنْتَ رِمَّةً لَصَوْتُ صَدَى لَيْلِي يَهْشُ وَيَطْرُبُ
 [الطويل]

وقصيدة أبي صخر التي فيها الغناء المذكور من مختار شعر هذيل، وأولها:

لَلَيْلَى بَذَاتِ الْجَيْشِ دَارٌ عَرَفْتُهَا وَأُخْرَى بَذَاتِ الْبَيْنِ آيَاتُهَا سَطُرُ
 وَقَفْتُ بِرَسْمِهَا فَلَمَّا تَنَكَّرَا صَدَقْتُ وَعَيْنِي دَمْعُهَا سَرِبَ هَمْرُ
 وَفِي الدَّمْعِ إِنْ كَذَّبْتَ بِالْحَبِّ شَاهِدُ يُبَيِّنُ مَا أُخْفِيَ كَمَا بَيَّنَّ الْبَدْرُ
 صَبَرْتُ فَلَمَّا غَالَ نَفْسِي وَشَفَّهَا عَجَارِيفُ^(١١) نَأْيٍ دُونَهَا غُلِبَ الصَّبْرُ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَلِيلِينَ رِدَّةٌ سِوَى ذِكْرِ شَيْءٍ قَدْ مَضَى دَرَسُ الذُّكْرِ
 [الطويل]

وهذا البيت خاصة رواه الزبير بن بكار لنصيب:

- (١) الموصب: المصاب بالمرض والوجع ونحول الجسم.
 (٢) اللَّمَى: السُّمرة في باطن الشفاه.
 (٣) الْأَشْنَبُ: الذي حوى برودة في أسنانه.
 (٤) تَغْتَلُّ: تتطيب.
 (٥) الطُّفْلَةُ: الناعمة.
 (٦) المِثْفَالُ: التي تترك التطيب.
 (٧) الْأَكْهَبُ: الأغبر.
 (٨) الدَمِيثَةُ: اللينة الرخوة.
 (٩) الْعَمِيمَةُ: التامة.
 (١٠) الْمَجَسَّةُ: رحابة الصدر.
 (١١) الْعَجَارِيفُ: الحوادث.

نسيم الصَّبَا من حيث يَطْلُع الفَجْرُ
كما انتفض العصفور بلَّله القطرُ
وزُرْتُكَ حتى قيل ليس له صَبْرُ
تباريحُ حُبِّ خامر القلب أو سِحْرُ
أَمَات وأحيا والذي أمره أمرُ
أَلْيَقَيْنِ منها لم يُرَوَّعْهُمَا الزَّجْرُ
وزدت على ما لم يكن بلغ الهَجْرُ
ويا سلوة الأيام موعدك الحشرُ
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ
لنا أبداً ما أورك السَّلم النَّضْرُ
[الطويل]

إذا قلتُ هذا حين أسلو يَهيجني
وإنني لتعروني لذكراك فثرةُ
هَجْرُتِكَ حتى قيل لا يعرف الهوى
صَدَقْتُ أنا الصَّبُّ^(١) المصاب الذي به
أما والذي أبكى وأضحك والذي
لقد تركتني أحسدُ الوحش أن أرى
فيا هجر ليلي قد بلغت بي المدى
ويا حُبَّها زدني جوًى كلَّ ليلة
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
فليست عشيَّات الحمى بِرَواجعِ

صوت

بتاتاً لأخرى الدهر ما وضع الفَجْرُ
فأُبْهَت لا عُزْفُ لديٍّ ولا نُكْرُ
وينبتُ في أطرافها الورق الخضرُ
[الطويل]

وإنني لآتيها وفي النفس هَجْرُها
فما هو إلا أن أراها فُجاءة
تكاد يدي تَنْدَى إذا ما لمستها

في هذه الأبيات ثَقِيل أول قديم مجهول، وفي البيت الأخير لعريب خفيف
ثَقِيل، وقد أضافت إليه بيتاً ليس من الشعر وهو:

أبى القلب إلا حُبَّها عامِريَّةً لها كُنيَّةٌ عمروٌ وليس لها عمرو
[الطويل]

الهادي يطرب من شعره:

أخبرني محمد مزيد قال:

حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثني أبي عن جدي قال: دخلت يوماً على
موسى الهادي وهو مصطبح، فقال لي: يا إبراهيم غني، فإن أطربتني فلك حكمك،
فغنيته:

(١) الصَّب: رقيق الهوى، المتشوق.

وإني لتعروني لذكراك فترةً كما انتفض العصفور بلَّله القطرُ
[الطويل]

فضرب بيده إلى جنب دُرَّاعته فشَقَّها حتى انتهى به إلى صدره، ثم غنيته:
أما والذي أبكي وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمرُ
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الزجرُ
[الطويل]

فشق دُرَّاعته حتى انتهى إلى آخرها، ثم غنيته:
فيا حبَّها زدني جوًى كلَّ ليلة ويا سلوة الأيام موعذك الحشرُ
[الطويل]

فشقَّ جبة كانت تحت الدَّرَّاعة حتى هتكها، ثم غنيته:
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ
[الطويل]

فشق قميصاً كان تحت ثيابه حتى بدا جسمه، ثم قال: أحسنت والله فاحتكم،
فقلت: تهب لي يا أمير المؤمنين عين مروان بالمدينة، فغضب حتى دارت عيناه في رأسه
ثم قال: لا، ولا كرامة، أردت أن تجعلني أحذوثة للناس وتقول: أطربته فحكمني
فحكمت فأمضى حكمي. ثم قال لإبراهيم الحرَّاني: خذ بيد هذا الجاهل وأدخله بيت مال
الخاصة، فإن أخذ كل شيء فيه فلا تمنعه منه، فدخلت معه فاخذت مالاً جليلاً وخرجت.
ومما يغنى فيه من شعر أبي صخر الهذلي قوله من قصيدة له:

صوت

بيد الذي شَعَفَ الفؤاد بكم فَرَجُ الذي أَلْقَى من الهَمِّ
همُّ من أجلك ليس يكشفه إلا مَلِكُ جَائِزِ الحُكْمِ
فاستيقني أن قد كَلِفْتُ بكم ثم افعلي ما شئت عن عِلْمِ
قد كان صُرْمٌ في المماتِ لنا فَعَجَلَتِ قبل الموت بالصُرْمِ
[الكامل]

الشعر لأبي صخر الهذلي، والغناء للغريض ثقليل أول بالوسطى عن عمرو، وفيه
لسياط ثقليل أول آخر بالنصر ابتداؤه نشيد.

فاستيقني أن قد كلفت بكم

وهكذا ذكر الهشامي أيضاً، وذكر أن لحن الغريض ثاني ثقيل، وأن فيه لابن جامع خفيف رمل.

النظام والغلام:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن الحسن الحرون قال: حدثني الكسروي قال:

لقي إبراهيم النظام غلاماً أمرد فاستحسنه، فقال له: يا بني، لولا أنه قد سبق من قول الحكماء ما سبق، وجعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحد أن يكبر عن أن يسأل، كما لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول، لَمَا أُنسْتُ إلى مخاطبتك، ولا هَششت لمحادثتك، ولكنه سبب الإخاء وعقد المودة، ومحلّك من قبلي محلّ الروح من جسد الجبان، فقال له الغلام وهو لا يعرفه: لئن قلت ذاك أيها الرجل لقد قال الأستاذ إبراهيم النظام: الطباع تُجاذب ما شاكلها بالمجالسة، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة، وكياني مائل إلى كيائك بكليتي ولو كان ما أنطوي لك عليه عرضاً ما اعتددت به ودّاً ولكنه جوهر جسمي، فبقاؤه بقاء النفس، وعدمه بعدمها، وأقول كما قال الهذلي:

فاستيقني أن قد كلفت بكم ثم افعلي ما شئت عن علم
[الكامل]

فقال له النظام: إنما خاطبتك بما سمعت، وأنت عندي غلام مستحسن، ولو علمت أن محلك كمثّل محلّ مَعْمَرٍ وطبقته في الجدل لما تعرّضت لك.

قال أبو الحسن الأخفش: فأخذ أبو دلف هذا المعنى فقال:

أحبُّك يا جنان وأنت مني محلّ الروح من جسد الجبان
ولو أنني أقول مكان نفسي لخفّت عليك بادرة الزمان
لإقداامي إذا ما الخيلُ خامتٌ^(١) وهاب كُمأثها^(٢) حرّ الطعان
[الوافر]

وتمام أبيات أبي صخر الميمية التي ذكرت فيها الغناء الأخير وخبره أنشدنيها الأخفش عن السكري عن أصحابه:

ولمّا بقيت ليبقين جوى بين الجوانح مُضرعٌ^(٣) جسمي

(١) خامت: نكصت. (٢) الكُمة: مفردهما الكمّي، وهو الشجاع أو لابس السلاح.

(٣) المُضرع: الوهن.

ويقرّ عيني وهي نازحةً
أطال نُعم إذ كلفتُ بها
ولو أنني أسقى على سقمي
ولقد عجبت لنبل مُقتدرٍ
يرمي فيجرحني برميته
أو كان قلبٌ إذ عزمتُ له
أو كان لي غُثمٌ بذكركم
ما لا يقرّ بعين ذي الجلم
يأدين هذا القلب من نُعم
بلمى عوارضها شفى سقمي
نيط الفؤادُ بها وما يُدمي
فلو أنني أرُميك ما يرمي
صُرمي وهجري كان ذا عزم
أمسيت قد أثريت من غُثم
[الكامل]

أحسن الناس غناءً :

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الأنصاري :
عن غُرير بن طلحة الأرقمي قال : قال لي أبو السائب المخزومي - وكان من
أهل الفضل والنسك - هل لك في أحسن الناس غناءً؟ قلت : نعم، وكان عليّ يومئذٍ
طيلسانٌ لي أسميه من غلظه وثقله مقطّع الأزرار، فخرجنا حتى جئنا إلى الجبانة إلى
دار مسلم بن يحيى الأرت صاحب الخمر، مولى بني زهرة، فأذن لنا، فدخلنا بيتاً
طوله اثنا عشر ذراعاً في مثله، وسَمُكُه في السماء ستة عشر ذراعاً، ما فيه إلا
نمرقتان^(١) قد ذهبت منهما اللُحمة وبقي السدى، وفراش محشوّ ليفاً، وكريسيان من
خشب قد تقلّع عنهما الصُبغ من قديمهما، وبينهما مِرْفقتان محشوّتان بالليف، ثم
طلعت علينا عجوز كلفاء عجفاء، كأن شعرها شعر ميت، عليها قَرَقَلٌ^(٢) هَرَوِيٌّ أصفر
غَسِيلٌ، كأن وركيها في خيطٍ من رَسحها^(٣) حتى جلست، فقلت لأبي السائب : بأبي
أنت وأمي، ما هذه؟ قال : اسكت . فتناولتُ عوداً فضربت وغت :

بيد الذي شَعَفَ الفؤادَ بكم فَرَجُ الذي أَلقى من الهم
[الكامل]

قال غُرير : فحسنت والله في عيني، وجاء نقاءً وصفاءً، فأذهب الكلف من
وجهها، وزحف أبو السائب وزحفت معه . ثم غنّت :

(١) النمرقة : الوسادة الصغيرة، أو الطنفسة فوق الرُّحْل .

(٢) القَرَقَل : الثوب لا كمّ له .

(٣) الرّسح : قَلّة لحم العجز والفخذين .

صوت

برح الخفاء فأَيَّ ما بك تكتُمُ ولسوف يظهر ما يُسرُّ فيُعْلَمُ
مما تضمّن من غُريرة قلبه يا قلب إنك بالحسان لمُغرَمُ
يا ليت أنك يا حُسام بأرضنا تُلقِي المراسي دائماً وتُخَيِّمُ
فتذوق لذّة عيشنا ونعيمه ونكون أجواراً فماذا تنقُمُ
[الكامل]

الغناء لحكم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي، فقال أبو السائب: إن نَقِمَ هذا فيعضّ بظر أمه، وزحف وزحفت معه، حتى قاربت النمرقة، ورَبَت العجفاء في عيني كما يربو السوق شَيِبَ بماء قربة، ثم غنّت:

صوت

يا طول ليلي أعالج السَّقَمَا إذ حَلَّ دون الأحبة الحَرَمَا
ما كنت أخشى فراقَ بَيْنِكُم فاليوم أضحي فراقكم عَزَمَا
[المنسرح]

الغناء للغريض ثقیل أول بالوسطى في مجراها، وله أيضاً فيه خفيف ثقیل بإطلاق الوتر في مجرى النصر جميعاً عن إسحاق.

قال غرير: فألقيت طيلساني وتناولت شاذكونة^(١) فوضعتها على رأسي وصحت كما يصاح بالمدينة: الدُّخْنُ بالنَّوى، وقام أبو السائب وتناول رُبْعَةً^(٢) فيها قوارير دهن كانت في البيت، فوضعها على رأسه. وصاح ابن الأرت صاحب الجارية وكان ألثغ: قواليلي قواليلي - يريد قواريري قواريري - أسألك بالله، فلم يلتفت أبو السائب إلى قوله، وحرك رأسه فاضطربت القوارير وتكسّرت، وسال الدهن على وجه أبي السائب وظهره وصدره، ثم وضع الرُبْعَة وقال لها: لقد هَجَت لي داء قديماً.

قال: ومكثنا نختلف إليها سنين، في كلّ جمعة يومين، قال: ثم بعث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من الأندلس، فاشترت له العجفاء وحملت إليه.

(١) الشاذكونة: البساط المضرب المخيط.

(٢) الرُبْعَة: جونة العطار.

صوت

أَلا هَلْ إِلَى رِيحِ الْخُزَامَى وَنَظَرَةٍ إِلَى قَرَقَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ سَبِيلُ؟
 فَيَا أَثْلَاثِ الْقَاعِ مِنْ بَطْنِ تُوضِحِ حَنِينِي إِلَى أَطْلَالِكُنَّ طَوِيلُ
 وَيَا أَثْلَاثِ الْقَاعِ قَلْبِي مُوَكَّلُ بَكُنَّ وَجَدُوى خَيْرِكُنَّ قَلِيلُ
 وَيَا أَثْلَاثِ الْقَاعِ قَدِ مَلَّ صَحْبَتِي وَقَوْفِي فَهَلْ فِي ظِلِّكُنَّ مَقِيلُ؟

[الطويل]

الشعر ليحيى بن طالب الحنفي، والغناء لعلّويه خفيف رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه لإبراهيم لحن ماخوري بالوسطى، وفيه لعريب رمل، ولمتيم خفيف [رمل] آخر عن الهشامي، وفيه لابن المكي خفيف [ثقيل من كتابه. وذكر ابن المعتز أن لحن عريب ومتيم جميعاً من الرمل.

أخبار يحيى بن طالب

يركبه دين فيهرب :

يحيى بن طالب شاعر من أهل اليمامة، ثم من بني حنيفة، لم يقع إليّ نسبه، وهو من شعراء الدولة العباسية مُقِلٌّ، وكان فصيحاً شاعراً غزلاً فارساً، وركبه دَيْنٌ في بلده فهرب إلى الريّ، وخرج مع بَعْثٍ إليها، فمات بها، وقد ذكر ذلك في هذه القصيدة فقال :

أريد رجوعاً نحوكم فيصدّني إذا رُمته دَيْنٌ عليّ ثَقِيلُ
[الطويل]

الرشيد يأمر بقضاء دينه :

حدثني محمد بن مزيد قال :

حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غتّى أبي، الرشيد في شعر يحيى بن طالب :

ألا هل إلى شَمِّ الخُزامى ونظرةٍ إلى قرقرى قبل الممات سبيلُ؟
[الطويل]

فأطربه، فسأله عن قائل الشعر، فذكره له وأعلمه أنه حيّ، وأنه هرب من دَيْنٍ عليه، وأنشده قوله :

أريد رجوعاً نحوكم فيصدّني إذا رُمته دَيْنٌ عليّ ثَقِيلُ
[الطويل]

فأمر الرشيد أن يُكتب إلى عامل الريّ بقضاء دينه، وإعطائه نفقة، وإنفاذه إليه على البريد، فوصل الكتاب يوم مات يحيى بن طالب.

ظريف غَزَل :

أخبرنا محمد بن خلف وكيع وعمي قالوا : حدثنا عبد الله بن شبيب قال :

حدثني الجهم بن المغيرة قال : كنا عند حُتْرُش بن ثمال القُرَيْظي بِضَرِيّة فمرّت بنا جارية صفراء مولّدة، فقال لي حُتْرُش : استفتَحْ كلامها فانظر فإنها ظريفة، فقلت

لها: يا جارية، أين نشأت؟ قالت: بقرقرى، فقلت لها: أين من شَعْبَعَب؟ فضحكت ثم قالت: بين الحَوْض والعَطْن، قلت: فمن الذي يقول:

يا صاحبيّ فدَت نفسي نفوسَكما عوجا عليّ صُدور الأَبْغَلِ السُّنَنِ
ثم ارفعا الطرف ننظرُ صُبْحَ خامسة بقرقرى يا عَناء النفسِ بالوَطَنِ
يا ليت شعريّ والإنسان ذو أَمَلٍ والعينُ تَذرف أحيانا من الحَزَنِ
هل أجعلنّ يدي للخد مِرْفَقَةً على شَعْبَعَب بين الحَوْض والعَطْن؟
[البسيط]

فالتفتت إلى حترش بن شمال فقالت: أخْبِرْهُ بقائِلها، فقال: ما أعرفه، فقالت: بلى، هذا يقوله شاعرنا وظريف بلادنا وعَزِلها. فقال لها حترش: ويحك، ومن ذلك؟ فقالت: أشهد إن كنت لا تعرفه وأنت من هذا البلد إنها لَسَوَاة، ذلك يحيى بن طالب الحنفي، أقسم بالله ما منعك من معرفته إلا غلظ الطبع وجفاء الخلق. فجعل يضحك من قولها وتعجبنا منها.

يأبى ركوب البحر:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: قال رجل ليحيى بن طالب الحنفي: لو ركبت معي في البحر وشغلت مالك في تجارته لأثريت وحسنت حالك، فقال يحيى بن طالب:

لَشُرْبُكَ بالأنقاء رَنَقاً وصافياً أعفُ وأعفى من رُكوبك في البَحْرِ
إذا أنت لم تنظر لنفسك خالياً أحاطت بك الأحزانُ من حيث لا تدري
[الطويل]

يموت قبل وصول البريد:

[حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني أبو علي الحنفي قال: حدثني عمي عن علي بن عمر قال: غُني الرشيد يوماً بشعر يحيى بن طالب:

ألا هل إلى شَمّ الخزامى ونظرة إلى قرقرى قبل الممات سبيلُ؟
[الطويل]

وذكر الخبر كما ذكره حماد بن إسحاق إلا أنه قال: فوجده قد مات قبل وصول البريد بشهر].

هجرانها أمر من الصبر :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمّه قال :

كان يحيى بن طالب يجالس امرأة من قومه ويألفها، ثم خرج مع والي اليمامة إلى مكة، وابتاع منه الوالي إبلاً بتأخير، فلما صار إلى مكة عُزِلَ الوالي فلوى^(١) يحيى بماله مدة، فضاق صدره، وتشوق إلى اليمامة وصاحبه التي كان يتحدث إليها فقال :

تصبرت عنها كارهاً وهجرتها وهجرانها عندي أمرٌ من الصَّبْرِ [الطويل]

صوت

إذا ارتحلت نحو اليمامة رُفَقَةً دعاني الهوى واهتاج قلبي للذكر
كأن فؤادي كلما عن ذكرها جناحاً غرابٍ رام نهضاً إلى وكر [الطويل]

الغناء للزفّ ثقیل أول عن الهشامي في هذين البيتين .
وقال فيها :

مداينة السلطان بابٌ مذلةً وأشبه شيء بالقناعة والفقر
إذا أنت لم تنظر لنفسك خالياً أحاطت بك الأحزان من حيث لا تدري [الطويل]

أهل قرقرى :

[أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قال أبو الذیال الحنفي :
خرج يحيى بن طالب الحنفي من اليمامة يريد خراسان على البريد، فقال وهو بقومس :

أقول لأصحابي ونحن بقومس نراوح أكتاف المحذفة الجرد
بعُدنا وعهد الله من أهل قرقرى وفيها الألى نهوى وزدنا على البعد [الطويل]

أمنية يحيى :

(١) لواه : مطله في أداء دينه .

أخبرنا الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني عبد الله بن بشر.

عن أبي فراس الهيثم بن فراس الكلابي قال: كنت مع أبي ونحن قاصدون اليمامة، فلما رأيناها لقينا رجلاً، فقال له أبي: أين قرقرى؟ قال: وراءك. قال: فأين شعيب؟ قال: بإزائه، قال: أرني ذلك، فأراه إياه حتى عرفه، فقال لي: ارجع بنا إلى الموضوع، فقلت له: يا أبت قد تعبنا وتعبت ركائبنا، فما لك هناك؟ قال: إنك لأحمق، ارجع ويلك، فرجعت معه حتى أتى شعيب، وصار إلى الحوض والعطن وأناخ راحلته وقال لي: أنخ، فأنخت ونزل فنظر إلى شعيب وقرقرى ساعة، ثم اضطجع بين الحوض والعطن اضطجاعة، ويده تحت خده، ثم قام فركب، فقلت: يا أبت ما أردت بهذا؟ فقال: يا جاهل، أما سمعت قول يحيى بن طالب:

هل أجعلنّ يدي للخذ مرفقةً على شعيب بين الحوض والعطن
[البسيط]

أفليس عجزاً أن نكون قد أتينا عليهما وهما أمنيّة المتمني فلا ننال ما تمناه منهما وقد قدرت عليه؟ فجعلت أعجب من قوله وفعله.

جواد حمال للمغارم:

أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال: حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال: حدثنا أبو العالية عن رجل من بني حنيفة قال:

كان يحيى بن طالب جواداً شاعراً جميلاً حمّالاً لأثقال قومه ومغارمهم، سمحاً يقري الأضياف، ما تشاء أن ترى في فتى خصلة جميلة إلا رأيتها فيه، فدخلت عليه وهو في آخر رمق، فسألته عن خبره، وسلّيته وقلت له ما طابت به نفسه، ثم أنشدني قوله:

ما أنا كالقول الذي قلت إن زوى بمنزلة بين الطريقين قابلت
حللت على رأس اليفاع ولم أكن فلا تسأل الضيفان من هم وأذنهم
وقولوا إذا ما الضيف حل بنجوة
محلي عن مالي حذار النوائب
بوادي كحيل كل ماش وراكب
كمن لاذ من خوف القرى بالحواجب
هم الناس من معروف وجه وجانب
ألا في سبيل الله يحيى بن طالب
[الطويل]

قال أبو العالية: كحيل: نخل بناحية فَران دون قَرْقَرى، وهناك كان منزل يحيى بن طالب.

صوت

وقد جمع معه كل ما يغنى فيه من القصيدة:

لعمرك إني يوم بُضرى وناقتي	لمختلفا الأهواء مصطحبان
متى تحملي شوقي وشوقك تظلمي	وما لك بالحمل الثقيل يدان
أيا غرابي دمنة الدار خبرا	أبالبين من عفراء تنتحبان؟
فإن كان حقاً ما تقولان فانهضا	بلحامي إلى وكريكما فكلاني
ولا يعلمن الناس ما كان ميتتي	ولا يأكلن الطير ما تذران
جعلت لعراف اليمامة حكمه	وعراف حجير إن هما شفياني
فما تركا من حيلة يعلمانها	ولا رقية إلا وقد رقياني
وقالا شفاك الله والله مالنا	بما حملت منك الضلوع يدان
كأن قطعة غلقت بجناحها	على كبدي من شدة الخفقان

[الطويل]

الشعر لعروة بن حزام، والغناء لإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول،
ثقل أول بالوسطى، ولعريب في الرابع والخامس والسادس والتاسع هزج مطلق في
مجرى البنصر عن إسحاق، وفي السابع وما بعده إلى آخرها ثقل أول ينسب إلى أبي
العُبَيْس بن حمدون وإلى غيره.

أخبار عروة بن حزام

اسمه ونسبه :

هو عروة بن حزام بن مُهاصر، أحد بني حزام بن ضبّة بن عبد بن كبير بن عذرة.

شاعر إسلامي، أحد المتيّمين الذين قتلهم الهوى، لا يعرف له شعر إلا في عفرأ بنت عمّه عقّال بن مُهاصر وتشبيهه بها.

عروة وعفرأ :

أخبرني بخبرها جماعة من الرواة، فمنه ما أخبرني به الحسن بن علي بن محمد الآدمي قال: حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني موسى بن عيسى الجعفري عن الأسباط بن عيسى العذري، وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر، عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجاله [وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة. وأخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار عن أسند إليه. وأخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة] وقد سُقت رواياتهم وجمعتهما.

قال الأسباط بن عيسى - وروايته أتمها وأشد اتساقاً عن الروايات جميعها: - أدركت شيوخ الحيّ يذكرون.

أنه كان من حديث عروة بن حزام وعفرأ بنت عقّال: أن حزاماً هلك وترك ابنه عروة صغيراً في حجر عمّه عقّال بن مهاصر، وكانت عفرأ تَرْباً لعروة، يلعبان جميعاً، ويكونان معاً، حتى أُلّف كل واحد منهما صاحبه إلّفاً شديداً، وكان عقّال يقول لعروة - لما يرى من إلّهما: - أبشر فإن عفرأ امرأتك إن شاء الله، فكانا كذلك حتى لحقت عفرأ بالنساء، ولحق عروة بالرجال، فأتى عروة عمة له يقال لها هند بنت مهاصر [فشكا إليها ما به من حب عفرأ] وقال لها في بعض ما يقول لها: يا عمة، إني لأكلمك وأنا منك مستحي، ولكن لم أفعل هذا حتى ضقت ذرعاً بما أنا فيه، فذهبت عمتي إلى أخيها فقالت له: يا أخي قد أتيتك في حاجة أحب أن تحسن فيها

الردّ، فإن الله يأجرك بصلة رحمك فيما أسألك. فقال لها: قولي فلن تسألني حاجة إلا رددتك بها. قالت: تزوج عروة ابن أخيك بابنتك عفراء؟ فقال: ما عنه مذهب، ولا هو دون رجل يُرغب فيه ولا بنا عنه رغبة، ولكنه ليس بذئ مال، وليست عليه عجلة. فطابت نفس عروة وسكن بعض السكون.

أم عفراء تريد ذا مال :

وكانت أمها سيئة الرأي فيه، تريد لابنتها ذا مال ووَفَر، وكانت عرضة ذلك كمالاً وجمالاً، فلما تكاملت سنه وبلغ أشده عرف أن رجلاً من قومه ذا يسار ومال كثير يخطبها، فأتى عمّه فقال: يا عمّ قد عرفت حقي وقرابتي، وإني ولدك وربيت في حِجرك، وقد بلغني أن رجلاً يخطب عفراء، فإن أسعفته بطلبته قتلتنني وسفكت دمي، فأنشدك الله ورحمي وحقي، فَرَّقْ له وقال له: يا بني، أنت مُعَدِم، وحالنا قريبة من حالك، ولست مخرجها إلى سواك، وأمها قد أبت أن تزوجها إلا بمهر غالٍ، فاضطرب واسترزق الله تعالى.

فجاء إلى أمها فألطفها وداراها، فأبت أن تجيبه إلا بما تحتكمه من المهر، وبعد أن يسوق شطره إليها، فوعدها بذلك، وعلم أنه لا ينفعه قرابة ولا غيرها إلا بالمال الذي يطلبونه، فعمل على قصد ابن عمّ له مُوسر، كان مقيماً باليمن فجاء إلى عمّه وامراته فأخبرهما بعزمه، فَصَوَّبَاه، ووعداه ألا يُحْدِثَا حدثاً حتى يعود.

ابن عمّه يعطيه مائة من الإبل :

وصار في ليلة رحيله إلى عفراء فجلس عندها ليلة هو وجواري الحي يتحدثون حتى أصبحوا، ثم ودّعها وودع الحيّ وشدّ على راحلته، وصحبه في طريقه فتیان من بني هلال بن عامر كانا يألفانه، وكان حَيَّاهم متجاوِرين، وكان في طول سفره ساهياً، يكلمانه فلا يفهم، فِكْرَةً من عفراء، حتى يُرَدَّ القول عليه مراراً، حتى قدم على ابن عمه، فلقيه وعرفه حاله وما قدم له، فوصله وكساه، وأعطاه مائة من الإبل، فانصرف بها إلى أهله.

نقضوا عهد الإله :

وقد كان رجل من أهل الشام من أنساب بني أمية نزل في حي عفراء، فنحر ووهب وأطعم، وكان ذا مال، فرأى عفراء، وكان منزله قريباً من منزلهم، فأعجبته وخطبها إلى أبيها، فاعتذر إليه وقال: قد سميتها إلى ابن أخ لي يَعْدِلُها عندي، وما

إليها لغيره سبيل، فقال له: إني أرغبك في المهر، قال: لا حاجة لي بذلك، فعدل إلى أمها فوافق عندها قبولاً، لبذله، ورغبت في ماله، فأجابته ووعدته، وجاءت إلى عقال فآدته^(١) وصحبت معه وقالت: أي خير في عروة حتى تحبس ابنتي عليه وقد جاءها الغني يطرق عليها بابها؟ واللّه ما ندري أعروة حي أم ميت؟ وهل ينقلب إليك بخير أم لا؟ فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً، فلم تزل به حتى قال لها: فإن عاد لي خاطباً أحبته، فوجّهت إليه أن عدّ إليه خاطباً. فلما كان من غد نحر جُزراً عدّة، وأطعم ووهب، وجمع الحيّ معه على طعامه، وفيهم أبو عفراء، فلما طعموا أعاد القول في الخطبة، فأجابه وزوجه وساق إليه المهر، وحولت إليه عفراء. وقالت قبل أن يدخل بها:

يا عُرُو إن الحيّ قد نقضوا عهد الإله وحاولوا العُدرا
[الكامل]

في أبيات طويلة، فلما كان الليل دخل بها زوجها، وأقام فيهم ثلاثاً، ثم ارتحل بها إلى الشام، وعمد أبوها إلى قبر عتيق فجذّده وسوّاه، وسأل الحيّ كتمان أمرها.

عروة يرحل إلى الشام:

وقدم عروة بعد أيام، فنعاها أبوها إليه، وذهب به إلى ذلك القبر، فمكث يختلف إليه أياماً وهو مضني هالك، حتى جاءت جارية من الحي فأخبرته الخبر، فتركهم وركب بعض إبله، وأخذ معه زاداً ونفقة، ورحل إلى الشام فقدمها، وسأل عن الرجل فأخبر به، ودلّ عليه، فقصده وانتسب له إلى عدنان، فأكرمه وأحسن ضيافته، فمكث أياماً حتى أنسوا به، ثم قال لجارية لهم: هل لك في يد تولينيها؟ قالت: نعم، قال: تدفعين خاتمي هذا إلى مولاتك، فقالت سوءة لك، أما تستحي لهذا القول؟ فأمسك عنها، ثم أعاد عليها وقال لها: ويحك هي واللّه بنت عمي، وما أحدٌ منا إلّا وهو أعز على صاحبه من الناس جميعاً، فاطرحي هذا الخاتم في صَبُوحها فإن أنكرت عليكِ فقولِي لها: اصطحب ضيفك قبلك، ولعله سقط منه، فرقّت الأمة وفعلت ما أمرها به، فلما شربت عفراء اللبن رأت الخاتم فعرفته، فشهقت ثم قالت: أصدقيني عن الخبر، فصدقتها، فلما جاء زوجها قالت له: أتدري من ضيفك هذا؟ قال: نعم، فلان بن فلان، للنسب الذي انتسبه له عروة، فقالت: كلا واللّه يا هذا، بل هذا عروة بن حزام ابن عمي، وقد كتمك نفسه حياء منك.

(١) آدته: أثقلته.

وقال عمر بن شبة في خبره:

بل جاء ابنُ عمِّ له فقال: أتركتُم هذا الكلب الذي قد نزل بكم هكذا في داركم يفضحكم؟ فقال له: ومن تعني؟ قال: عروة بن حزام العذري ضيفك هذا، قال: أو إنه لعروة؟ بل أنت والله الكلب، وهو الكريم القريب.

خلوة ثم فراق:

قالوا جميعاً:

ثم بعث إليه فدعاه، وعاتبه على كتمانته نفسه إياه، وقال له: بالرحب والسعة، نشدتك الله إن رمت^(١) هذا المكان أبداً. وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان، وأوصى خادماً له بالاستماع عليهما، وإعادة ما تسمعه منهما عليه، فلما خلوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق، فطالت الشكوى، وهو يبكي أحراً بكاء، ثم أتته بشارب وسألته أن يشربه، فقال: والله ما دخل جوفي حراماً قط ولا ارتكبته منذ كنت، ولو استحللت حراماً لكنت قد استحللته منك، فأنت حظي من الدنيا، وقد ذهبت مني وذهبت بعدك فما أعيش، وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأحسن، وأنا أستحيي منه، والله لا أقيم بعد علمه مكاني، وإني عالم أنني أرحل إلى منيتي. فبكت وبكى وانصرف، فلما جاء زوجها أخبرته الخادم بما دار بينهما، فقال: يا عفراء، امنعي ابن عمك من الخروج، فقالت: لا يمتنع، هو والله أكرم وأشد حياء من أن يقيم بعد ما جرى بينكما، فدعاه وقال له: يا أخي، اتق الله في نفسك، فقد عرفتُ خبرك، وإنك إن رحلت تلفت، والله لا أمنعك من الاجتماع معها أبداً، ولئن شئت لأفارقنَّها ولأنزلنَّ عنها لك، فجزاه خيراً وأثنى عليه وقال: إنما كان الطمع فيها آفتي، والآن قد يئست، وقد حملت نفسي على الصبر، فإن اليأس يسلي، ولي أمور، ولا بد لي من رجوعي إليها، فإن وجدت من نفسي قوة على ذلك وإلا رجعت إليكم وزرتكم، حتى يقضي الله من أمري ما يشاء. فزودوه وأكرموه وشيّعوه، فانصرف، فلما رحل عنهم نُكس بعد صلاحه وتماسكه، وأصابه غشي وخفقان، فكان كلما أغمي عليه أُلقي على وجهه خمار لعفراء زودته إياه، فيفيق، قال: ولقيه في الطريق ابنُ مكحول عراف اليمامة، فرآه وجلس عنده، وسأله عما به، وهل هو خبل أو جنون؟ فقال له عروة: ألك علم بالأوجاع؟ قال: نعم، فأنشأ يقول:

فما بي من خبل ولا بي جنة ولكن عمي يا أخي كذوب

(١) رام المكان: فارقه وزال عنه.

فإنك إن داويتني لطبيب
يُلدّعها بالموقدات^(١) طبيب
فَتَسْلُو ولا عفراء منك قريب
أمامي ولا يهوى هواي غريب
وما عَقَبْتُها في الرياح جنوب
لها بين جلدي والعظام ديب
[الطويل]

أقول لعرّاف اليمامة داوِني
فوا كَبِدا أَمَسْتُ رُفَاتاً كأنما
عشية لا عفراء منك بعيده
عشية لا خَلَفِي مَكْرٌ، ولا الهوى
فوالله لا أنساك ما هَبَّت الصّبا
وإني لتغشاني لذكراك هزّة

وقال أيضاً يخاطب صاحبيه الهاليتين بقصته :

بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
فإنكما بي اليوم مُبْتَلِيَانِ
بَوْشَكِ النَّوَى والبَيْنِ مُعْتَرِفَانِ
وَمَا وَإِلَى مَنْ جئتما تشيَانِ؟
ومن لو رأني عانياً لفداني
بِي الضَّرِّ من عفراء يا فتِيَانِ
بَلِيْنٍ وقلباً دائماً الخفقَانِ
حديثاً وإن ناجيته ونَجَانِي
وعرّافٍ حَجَرٍ إن هما شفياني
ولا شَرْبَةٍ إِلَّا وقد سقياني
وقاماً مع العُودِ يبتدرَانِ
بما ضَمَمْتُ منك الضلوعُ بدنِ
على الصدر والأحشاء حَدُّ سِنَانِ
ودائيت فيها غير ما مُتداني
[الطويل]

خَلِيلِي من عليا هلالِ بن عامرٍ
ولا تزهدا في الدُّخْرِ عندي وأجْمَلَا
أَلَمَّا على عفراء إنكما غداً
فيا وَاشِيِي عفراء ويحكمما بَمَنْ
بمن لو أراه عانياً لفدِيْتُهُ
مَتَى تَكشِفَا عني القميص تَبَيَّنَا
إذا تَرِيَا لحمًا قليلاً وأعْظَمَا
وقد تركتني لا أعِي لمحدِّثٍ
جعلتُ لعرّاف اليمامة حُكْمَه
فما تركا من حيلةٍ يعرفانها
ورشاً على وجهي من الماءِ سَاعَةً
وقالا شفاك اللهُ واللهِ مالنا
فويلي على عفراء ويلاً كأنه
أُحِبُّ ابنة العذري حُبّاً وإن نأت

صوت

شفيعان من قلبي لها جدلان]

[إذا رام قلبي هجرها حال دونه

(١) الموقدات: المنشطات أو المشعلات.

غنته شارية ولحنه من الثقيل الأول :

[إذا قلت : لا ، قالاً : بلى ثم أصبحا
تحملت من عفراء ما ليس لي به
فيا رب أنت المستعان على الذي
كان قطة عُلقت بجناحها
جميعاً على الرأي الذي يريان]
ولا للجبال الراسيات يدان
تحملت من عفراء منذ زمان
على كبدي من شدة الخفقان
[الطويل]

في تحملت من عفراء . والذي بعده ، ثقیل أول يقال : إنه لأبي العبيس بن حمدون .

وفاة عروة وعفراء :

قال : فلم يزل في طريقه حتى مات قبل أن يصل إلى حيّه بثلاث ليال ، وبلغ عفراء خبر وفاته ، فجزعت جزعاً شديداً وقالت ترثيه :

ألا أيها الركب المخبون ويحكم
فلا تهني الفتیان بعدك لذة
وقل للحبالى لا ترجين غائباً
ولا فرحات بعده بعلام
بحق نعيم عروة بن حزام؟
ولا رجعوا من غيبة بسلام
[الطويل]

قال : ولم تزل تُردّد هذه الأبيات وتندبه بها حتى ماتت بعد أيام قلائل بعده .

مفاجأة :

وذكر عمر بن شبة في خبره :

أنه لم يعلم بتزويجها حتى لقي الرفقة التي هي فيها ، وأنه كان توجه إلى ابن عم له بالشام لا باليمن فلما رآها وقف دهشاً ثم قال :

فما هي إلا أن أراها فجاءة
وأصدف عن رأيي الذي كنت أرتئي
ويظهر قلبي غدرها ويعينها
وقد علمت نفسي مكان شفائها
حلفت برب الساجدين لربهم
لئن كان برؤ الماء حرّاً صادياً
فأبّهت حتى ما أكاد أجيب
وأنسى الذي أزمعت حين تغيب
عليّ فمالي في الفؤاد نصيب
قريباً ، وهل ما لا يُنال قريب؟
خشوعاً وفوق الساجدين رقيب
إليّ حبيباً إنها الحبيب
[الطويل]

دواء العراف لا يفيدته :

وقال أبو زيد في خبره :

ثم عاد من عند عفراء إلى أهله وقد ضنني ونحل ، وكانت له أخوات وخالة
وجدة ، فجعلن يعظنه ولا ينفع ، وجئن بأبي كحيله رباح بن شداد مولى بني ثعلبة ،
وهو عراف حجر ، ليداويه ، فلم ينفعه دواؤه .

وذكر أبو زيد قصيدته النونية التي تقدم ذكرها وزاد فيها :

وعينان ما أوفيت نَشْزاً فتنظرا مآقيهما إلا هما تكفان
سوى أنني قد قلت يوماً لصاحبي ضحى وقلوصانا بنا تخذان
ألا حبذا من حب عفراء وادياً نعام وبزل حيث يلتقيان
[الطويل]

يلصق صدره بحياض الماء :

وقال أبو زيد :

وكان عروة يأتي حياض الماء التي كانت إبل عفراء تردها ، فيلصق صدره بها ،
فيقال له : مهلاً ، فإنك قاتل نفسك ، فاتق الله . فلا يقبل ، حتى أشرف على التلف ،
وأحس بالموت ، فجعل يقول :

بي اليأس والداء الهيام سقيته فإياك عنّي لا يَكُنْ بك ما بيَا
[الطويل]

يموت خوف أن يتوب الله عليه :

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني
عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون ، عن أبي السائب قال :

أخبرني ابن أبي عتيق قال : والله إني لأسير في أرض عذرة ، إذا بامرأة تحمل
غلاماً جزلاً ، ليس يحمل مثله ، فعجبت لذلك ، حتى أقبلت به ، فإذا له لحية ، فدعوته
فجاءت ، فقلت لها : ويحك ، ما هذا ؟ فقالت : هل سمعت بعروة بن حزام ؟ فقلت :
نعم ، قالت : هذا والله عروة ، فقلت له : أنت عروة ؟ فكلمني وعيناه تذرفان في رأسه ،
وقال : نعم أنا والله القائل :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حَجْرٍ إن هما شفياني
فقالا نعم نَشْفِي من الداء كلّه وقامامع العوَاد يبتدران

فعفراء أحظى الناس عندي مودةً وعفراء عني المُعرض المُتواني [الطويل]

قال: وذهبت المرأة، فما برحتُ من الماء حتى سمعت الصيحة، فسألت عنها فقل: مات عروة بن حزام.

قال عبد الملك: فقلت لأبي السائب: ومن أي شيء مات؟ أظنه شَرِق^(١)، فقال: سخنت عينك، بأي شيء شَرِق؟ قلت: بريقه - وأنا أريد العبث بأبي السائب - أفترى أحداً يموت من الحب؟ قال: واللّه لا تُفْلَح أبداً، نعم يموت خوفاً أن يتوب اللّه عليه.

فَاطَ وَرَبِّ مُحَمَّد:

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي، عن هشام بن عروة عن أبيه.

عن النعمان بن بشير قال: ولّاني عثمان - رضي اللّه عنه - صدقاتٍ سعدٍ هُدِيم، وهم: بَلِيّ وسَلَامان وعُذرة وضَبّة بن الحارث ووائل بنو زيد، فلما قبضت الصدقة قسمتها في أهلها، فلما فرغت وانصرفت بالسهمين إلى عثمان - رضي اللّه عنه -، إذا أنا ببيت مفرد عن الحيّ، فمِلْتُ إليه، فإذا أنا بفتى راقِد بفناء البيت، وإذا بعجوز من ورائه في كِسْر البيت، فسَلَمْتُ عليه، فردّ عليّ بصوت ضعيف، فسألته: ما لك؟ فقال:

كَأَنَّ قِطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَبْدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ [الطويل]

وذكر الأبيات النونية المعروفة، ثم شهق شهقة خفيفة كانت نَفْسُهُ فيها [فنظرت إلى وجهه فإذا هو قد قَضَى] فقلت: أيتها العجوز، من هذا الفتى منك؟ قالت: ابني، فقلت: إني أراه قد قَضَى، فقالت: وأنا واللّه أرى ذلك، فقامت فنظرت في وجهه ثم قالت: فاط^(٢) وربّ محمد، قال: فقلت لها: يا أمّاه، من هو؟ فقالت: عروة بن حزام أحد بني ضَبّة، وأنا أمّه. فقلت لها: ما بلغ به ما أرى؟ قالت: الحبّ، واللّه ما سمعت له منذ سنة كلمةً ولا أئةً إلا اليوم، فإنه أقبل عليّ ثم قال:

مَنْ كَانَ مِنْ أُمّهَاتِي بَاكِياً أَبَداً فاليوم إني أراني اليوم مقبوضاً

(١) شَرِق: غُصّ.

(٢) فاط: مات.

يُسْمِعَنَّيْهِ فَإِنِّي غَيْرُ سَامِعِهِ إِذَا عَلَوْتُ رِقَابَ الْقَوْمِ مَعْرُوضًا
[البسيط]

قال: فما برحت من الحي حتى غسّلته وكفنته وصليت عليه ودفنته.

عفراء تندبه ثلاثاً وتموت في الرابع:

وذكر أبو زيد عمر بن شبّة في خبره هذه القصة عن عروة بن الزبير فقال هذين البيتين بحضرته:

من كان من أخواتي باكياً أبداً

قال: فحضرته فبرزن والله كأنهن الدّمي فشققن جيوبهن، وضربن خدودهن، فأبكين كلّ من حضر، وقضى من يومه.

وبلغ عفراء خبره، فقامت لزوجها فقالت: يا هناء^(١)، قد كان من خبر ابن عمّي ما كان بلغك، ووالله ما عرفت منه قطّ إلا الحسن الجميل، وقد مات فيّ وبسبي، ولا بد لي من أن أندبه وأقيم مأتماً عليه، قال: افعلي، فما زالت تندبه ثلاثاً حتى توفيت في اليوم الرابع. وبلغ معاوية بن أبي سفيان خبرهما، فقال: لو علمت بحال هذين الحُرّين الكريمين لجمعت بينهما.

وروي هذا الخبر [عن هارون بن موسى القروي عن محمد بن الحارث المخزومي عن هشام بن عبد الله. عن عكرمة، عن هشام بن عروة عن أبيه] إنه كان شاهد لذلك اليوم ولم يذكر النعمان بن بشير في خبره.

تُعرض عليه فيرفضها!!

وذكر هارون بن مسلمة عن غُصّين بن بَرّاق عن أم جميل الطائفة.

أن عفراء كانت يتيمة في حجر عمّها، عمّه، فعرضها عليه فأبأها، ثم طال المدى، وانصرف عروة في يوم عيد، بعد أن صلى صلاة العيد، فرآها وقد زُيّنت، فرأى منها جمالاً بارعاً، وقَدّمت له تحفة فنال منها وهو ينظر إليها، ثم خطبها إلى عمّه فمنعه ذلك، مكافأة لما كان من كراهته لها لما عرضها عليه، وزوجها رجلاً غيره، فخرج بها إلى الشام، وتمادى في حبها حتى قتله.

(١) يا هناء: هناء: اسم من أسماء النداء خاصة وهو كناية عن اسم المخاطب أو الرجل المخاطب. قال امرؤ القيس:

وقدر ابني قولها يا هنا هُ، ويحك ألحقت شراً بشراً

يطاف به حول البيت :

حدثنا محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن سليمان بن عبد العزيز بن عمران الزهري قال :
حدثني خارجة المكي أنه رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت ، قال :
فدنوت منه ، فقلت : من أنت ؟ فقال : الذي أقول :

أفي كل يوم أنت رام بلادها بعينين إنسانهما غرقان ؟
ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم ذراني
[الطويل]
فقلت له : زدني ، فقال : لا والله ولا حرفاً .

لم يبق منه إلا خياله :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثني أبو سعيد السكري قال : حدثني محمد بن حبيب قال : ذكر الكلبي .

عن أبي صالح قال : كنت مع ابن عباس بعرفة ، فأتاه فتیان يحملون بينهم فتى لم يبق منه إلا خياله ، فقالوا له : يا ابن عم رسول الله ، ادع له ، فقال : وما به ؟ فقال الفتى :

بنا من جوى الأحزان في الصدرِ لوعةً تكاد لها نفسُ الشفيقِ تذوبُ
ولكنما أبقى حُشاشة^(١) مُعولٍ على ما به عُودُ هناك صليبُ
[الطويل]

قال : ثم خفت في أيديهم فإذا هو قد مات ، فقال ابن عباس : هذا قتيل الحب لا عقل ولا قود ، ثم ما رأيت ابن عباس سأل الله جل وعز في عشيته إلا العافية مما ابتلي به ذلك الفتى ، قال : وسألنا عنه فقليل : هذا عروة بن حزام .

صوت

أعالي أعلى الله جدك عاليًا وأسقى برّياك العِضاه^(٢) البوالي
أعالي ما شمس النهار إذا بدت بأحسن مما تحت بُرديك عاليًا

(١) الحُشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

(٢) العِضاه : ضرب من الشجر .

أَعَالِي لَوْ أَنَّ النِّسَاءَ ببلدٍ وَأَنْتِ بِأُخْرَى لَا تَبْعَتِكِ مَاضِيَا
أَعَالِي لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي إِلَى غُصْنٍ رَطْبٍ لِأُصْبَحَ ذَاوِيَا
[الطويل]

الشعر للقتال الكلابي، وقد أدخل بعض الرواة الأول من هذه الأبيات مع أبيات
سحيم عبد بني الحسحاس التي أولها:

فما بيضة بات الظليم يحفُّها

في لحن واحد. وذكرت ذلك في موضعه، وأفردته على حدته، وأتيت به على
حقيقته.

والغناء لابن سريج ثاني ثقل بالسبابة في مجرى الوسطى. وذكر الهشامي أن فيه
لأبي كامل ثاني ثقل، لا أدري أهذا يعني أم غيره، ووافقه إبراهيم في لحن أبي كامل
ولم يجنسه، وزعم أن فيه لحناً آخر لابن عبّاد، وفيه ثقل أول ذكر ابن المكي أنه
لمعبد، وذكر الهشامي [أنه ليحيى منحول إلى معبد، وذكر حبش] أنه لطويس.

وفي هذه القصيدة يقول القتال:

أَعَالِي أَخْتِ الْمَالِكِيِّينَ نُولِي أَصَارِمَتِي أُمُّ الْعَلَاءِ وَقَدْ رَمَى
أَيَا إِخْوَتِي لَا أَصْبَحَنَّ بِمَضَلَّةٍ فَرَادٍ لَدَيْكَ الْقَوْمَ وَاشْعَبْ بِحَقِّهِمْ
وَشَمَّرْ وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْكَ غَضَاضَةً بِمَا لَيْسَ مَفْقُوداً وَفِيهِ شَفَائِيَا
بِي النَّاسُ فِي أُمِّ الْعَلَاءِ الْمَرَامِيَا تُشِيبُ إِذَا عُدَّتْ عَلَيَّ النِّوَاصِيَا
كَمَا كُنْتُ لَوْ كُنْتُ الطَّرِيدَ مُرَادِيَا وَلَا تَنْسَ يَا ابْنَ الْمُضَرِّجِيِّ بِلَائِيَا
[الطويل]

ولهذه القصيدة أخبار تذكر في مواضعها هاهنا إن شاء الله تعالى.

أخبار القتال ونسبه

اسمه ونسبه :

القتال لقب غلب عليه لتمرده وفتكه، واسمه عبد الله بن [المجيب بن المضرَجِي بن عامر الهصار بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويكنى أبا المُنْسيب، وأمه عمرة بنت حرفة بن عوف بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب، وقد ذكرها في شعره وفخر بها فقال:

لقد ولدتني حُرَّةٌ رَبْعِيَّةٌ من اللاء لم يحضرن في القَيْظِ^(١) ذَبْدَبَا^(٢)
[الطويل]

يقتل ابن عمه ويهرب :

نسخت من كتاب لمحمد بن داود بن الجراح خبره، وذكر أن عبد الله بن سليمان السجستاني دفعه إليه وأخبره أنه سمعه من عمر بن شبة وأجاز له روايته، وأخبرني بأكثر رواية عمر بن شبة هذه الأخفش عن السكري عنه في أخبار اللصوص، وجمعت ذلك أجمع.

قال عمر بن شبة: حدثني حميد بن مالك بن يسار المسمعي قال: حدثني شداد بن عقبة بن رافع بن زمل بن شعيب بن الحارث بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب - وكانت أم رافع جنوب بنت القتال. وحدثني شيخ من بني أبي بكر بن كلاب يكنى أبا خالد أيضاً بحديث القتال. قال أبو خالد:

كان القتال قتال ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب يتحدث إلى ابنة عم له يقال لها العالية بنت عبيد الله [وكان لها أخ غائباً يقال له زياد بن عبيد الله]، فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته، فنهاه، وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنه، فلما كان بعد ذلك بأيام رآه عندها، فأخذ السيف، وبصر به القتال، فخرج هارباً، وخرج في أثره، فلما دنا منه ناشده القتال بالله والرحم، فلم يلتفت إليه، فبينما هو يسعى وقد كاد

(١) القَيْظ: شدة الحر.

(٢) ذَبْدَب: ركية في ديار أبي بكر بن كلاب.

يلحقه، وجد رمحاً مركوزاً^(١) - وقال السكري وجد سيفاً - فأخذه وعطف على زياد فقتله وقال :

نهيت زياداً والمقامةُ بيننا وذكرته أرحامَ سِغَرٍ وهَيْثِمِ
فلما رأيت أنه غيرُ منتهٍ أملت له كَفِّي بِلَدْنِ^(٢) مُقَوِّمِ
ولما رأيت أنني قد قتلته ندمت عليه أيَّ ساعة مندم
[الطويل]

وقال أيضاً :

نَهِيتُ زِيَاداً وَالْمَقَامَةُ^(٣) بَيْنَنَا وَذَكَرْتَهُ بِاللَّهِ حَوْلًا مُجَرِّمًا^(٤)
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرُ مُنْتَهٍ وَمَوْلَايَ لَا يَزْدَادُ إِلَّا تَقَدُّمًا
أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِأَبْيَضِ صَارِمِ حُسَامٍ إِذَا مَا صَادَفَ الْعَظَمَ صَمَمًا
بَكَفِّ امْرِئٍ لَمْ تَخْدُمِ الْحَيَّ أُمُّهُ أَخِي نَجْدَاتٍ لَمْ يَكُنْ مُتَهَضِّمًا^(٥)
[الطويل]

ثم خرج هارباً وأصحاب القتل يطلبونه، فمرَّ بابنة عمّ له تدعى زينب، متنجية عن الماء، فدخل عليها، فقالت له: ويحك، ما دهاك؟ قال: ألقى علي ثيابك، فألقت عليه ثيابها، وألبسته بُرْقُعَهَا، وكانت تمسّ حِثَاءً، فأخذ الحِثَاءَ فلطخ بها يديه، وتنحت عنه، ومرَّ الطلب به، فلما أتوا البيت قالوا وهم يظنون أنه زينب: أين الخبيث؟ فقال لهم: أخذ هاهنا، لغير الوجه الذي أراد أن يأخذه، فلما عرف أن قد بعدوا أخذ في وجه آخر، فلاحق بَعْمَايَةَ، وَعَمَايَةَ جَبَلٌ، فاستتر فيه وقال في ذلك :

فَمَنْ مَبْلَغُ فَتْيَانٍ قَوْمِي أَنَّنِي تَسَمَّيْتُ لِمَا شُبَّتِ الْحَرْبُ زَيْنَبَا
وَأَرْخِيتُ جَلْبَابِي عَلَى نَبْتٍ لِحَيْتِي وَأَبْدَيْتُ لِلنَّاسِ الْبَنَانَ الْمُخَضَّبَا
[الطويل]

وقال أيضاً :

جَزَى اللَّهَ عَنَا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ عَمَايَةَ خَيْرًا أَمْ كُلَّ طَرِيدِ

(١) الرمح المركوز: الرمح المغروز في الأرض.

(٢) اللَّدْنُ: اللّين من كل شيء.

(٣) المقامة: الناس المقيمون المجتمعون.

(٤) المُجَرِّمُ: التام، الكامل.

(٥) الْمُتَهَضِّمُ: المظلوم.

فَمَا يَزْدْهِيْهَا الْقَوْمُ إِنْ نَزَلُوا بِهَا وَإِنْ أَرْسَلَ السُّلْطَانُ كُلَّ بَرِيدٍ
حَمَتْنِي مِنْهَا كُلُّ عُنْقَاءٍ^(١) عَيْطَلٍ^(٢) وَكُلُّ صَفَاءِ جَمِ الْقِلَاتِ^(٣) كَوْودٍ^(٤)

[الطويل]

فمكث بعماية زماناً يأتيه أخ له بما يحتاج إليه، وألفه نمر في الجبل كان يأوى معه في شعب.

يُصَاحِبُ نَمْرًا!!

وأخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثني محمد بن حبيب، عن ابن الكلبي قال:

كَانَ الْقَتَالُ الْكَلَابِيُّ أَصَابَ دَمًا، فَطُلِبَ بِهِ فَهَرَبَ إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ عَمَايَةُ، فَأَقَامَ فِي شُعْبٍ مِنْ شُعَابِهِ، وَكَانَ يَأْوِي إِلَى ذَلِكَ الشَّعْبِ نَمْرٌ، فَرَاغَ إِلَيْهِ كَعَادَتِهِ، فَلَمَّا رَأَى الْقَتَالَ كَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ، فَجَرَّدَ الْقَتَالُ سَيْفَهُ مِنْ جَفْنِهِ، فَرَبَضَ بِإِزَائِهِ، وَأَخْرَجَ بَرَائْتَهُ، فَسَلَّ الْقَتَالُ سَهَامَهُ مِنْ كِنَانَتِهِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ وَزَارَ، فَأَوْتَرَ الْقَتَالُ قَوْسَهُ وَأَنْبَضَ وَتَرَهَا^(٥)، فَسَكَنَ النَّمْرَ وَأَلْفَهُ.

فقال ابن الكلبي في هذا الخبر، ووافقه عمر بن شبة في روايته.

كَانَ النَّمْرُ يَصْطَادُ الْأَرْوَى، فَيَجِيءُ بِمَا يَصْطَادُهُ، فَيَلْقِيهِ بَيْنَ يَدَيِ الْقَتَالِ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ مَا يَقْوَتُهُ، وَيُلْقِي الْبَاقِيَّ لِلنَّمْرِ فَيَأْكُلُهُ، وَكَانَ الْقَتَالُ يَخْرُجُ إِلَى الْوَحْشِ فِيرْمِي بِنَبْلِهِ، فَيَصِيبُ مِنْهُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ، فَيَأْتِي بِهِ الْكَهْفَ، فَيَأْخُذُ لِقْوَتَهُ بَعْضُهُ، وَيُلْقِي الْبَاقِيَّ لِلنَّمْرِ، وَكَانَ الْقَتَالُ إِذَا وَرَدَ الْمَاءَ قَامَ عَلَيْهِ النَّمْرُ حَتَّى يَشْرَبَ، ثُمَّ يَتَنَحَّى الْقَتَالُ عَنْهُ وَيَرِدُ النَّمْرَ، فَيَقُومُ عَلَيْهِ الْقَتَالُ حَتَّى يَشْرَبَ، فَقَالَ الْقَتَالُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ:

وَلِي صَاحِبٌ فِي الْغَارِ يَعْدِلُ صَاحِبًا أَبَا الْجَوْنِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُعَلَّلُ
[الطويل]

أبو الجون صديق له كان يأنس به، فشبهه به، وفي رواية عمر بن شبة: أخي الجون، فإن القتال كان له أخ اسمه الجون فشبهه به:

(١) العنقاء: الداهية وطائر معروف الاسم مجهول الجسم.

(٢) العيطل: الطويلة العنق في حسن جسم.

(٣) القلات: مفردا القلت وهي النقرة في الجبل.

(٤) الكؤود: الصعبة.

(٥) أنبض وتر القوس: جذب الوتر بغير سهم ثم أرسله ليصدر صوتاً.

كَلَانَا عَدُوٌّ لَا يَرَى فِي عَدُوِّهِ مَهْزَأٌ وَكُلٌّ فِي الْعَدَاوَةِ مُجْمِلٌ
إِذَا مَا التَّقِينَا كَانَ أَنْسُ حَدِيثِنَا صِمَاتاً وَطَرْفٌ كَالْمَعَابِلِ أَطْحَلُ
[الطويل]

[يرفع: و طرف. على استئناف الكلام. كأنه قال: ولى طرف].

لَنَا مَوْرَدٌ قَلْتُ بِأَرْضٍ مُضَلَّةٍ شَرِيعَتُنَا: لَا يَأْنَا جَاءَ أَوَّلُ
تَضَمَّنْتَ الْأَرْوَى لَنَا بِشَوَائِنَا كَلَانَا لَهُ مِنْهَا سَدِيفٌ^(١) مَخْرَدُلُ^(٢)
فَأَغْلِبَهُ فِي صِنْعَةِ الزَادِ إِنْنِي أُمِيطُ الْأَذَى عَنْهُ وَمَا إِنْ يُهْلَلُ^(٣)
[الطويل]

أي ما يُسمِّي الله تعالى عند صيده.

وليمة أبي سفيان:

أخبرني اليزيدي قال: حدثني عمِّي الفضل عن إسحاق الموصلي وأخبرني به
محمد بن جعفر الصيدلاني، عن الفضل، عن إسحاق وأخبرني به وسوسة بن
الموصلي، عن حماد عن أبيه قال:

قال أبو المجيب أو شداد بن عقبة: دعا رجلٌ من الحيِّ يقال له أبو سفيان،
القتالَ الكلابيَّ إلى وليمة، فجلس القتالُ ينتظر رسوله ولا يأكل حتى انتصف النهار،
وكانت عنده فقرة من حُوار، فقال لامرأته:

فإن أبا سفيان ليس بمُولِمٍ فقومي فهاتي فقرة من حُوارِكِ
[الطويل]

قال إسحاق: فقلت له: ثمَّ مه؟ قال: لم يأت بعده بشيء، إنما
أرسله يتيماً، فقلت له: لمه؟ أفلا أزيدك إليه بيتاً آخر ليس بدونه؟ قال:
بلى، فقلت:

فبيتك خيرٌ من بيوت كثيرةٍ وقدرك خيرٌ من وليمة جاركِ
[الطويل]

فقال: بأبي أنت وأمي، والله لقد أرسلته مثلاً، وما انتظرت به العرب، وإنك
لَبَرٌّ طَرَّازٍ ما رأيت بالعراق مثله، وما يلام الخليفة أن يدنيك ويؤثرك ويتملح بك، ولو

(١) السديف: الشحم.

(٢) المخردل: المقطع.

(٣) يهلل: يقول «لا إله إلا الله».

كان الشباب يشتري لابتعته لك بإحدى يدي ويؤمن عيني، وعلى أن فيك بحمد الله بقیة تسرّ الودود وترغم الحسود.

المسيب وعبد السلام:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثني عمر بن شبة قال: كان للقتال ابنان، يقال لأحدهما المسيب، وللآخر عبد السلام، ولعبد السلام يقول:

عبد السلام تأمل هل ترى ظُعنًا إني كبرت وأنت اليوم ذو بصر
لا يبعد الله فتیاناً أقول لهم بالأبلق الفرد لما فاتني نظري
ألا ترون بأعلى عاصمٍ ظُعنًا نكبن فحلين واستقبلن ذا بقر
[البسيط]

يعير أخواله:

وقال أبو زيد عمر بن شبة من رواية ابن داود عنه: حدثني [سعيد بن مالك قال: حدثني] شداد بن عقبة قال:

اقتتل بنو جعفر بن كلاب وبنو العجلان بن كعب بن ربيعة بن صعصعة، فقتلت بنو جعفر بن كلاب رجلاً من بني العجلان، قال شداد: وكانت جدة القتال أم أبيه عجلانية، وهي خولة بنت قيس بن زياد بن مالك بن العجلان [فاستبطأ القتال أخواله بني العجلان] في الطلب بثأرهم من بني جعفر، وجعل يحضهم ويحرضهم، فقال في ذلك، وقد بلغه أنهم أخذوا من بني جعفر دية المقتول، فغيرهم بما فعلوا وقال:

لعمري لحي من عُقيل لقيتهم بَخْطُمة أو لاقيتهم بالمناسك
عليهم من الحوك اليماني بزة على أرحبيات طوال الحوارك^(١)
أحب إلى نفسي وأملح عندها من السروات آل قيس بن مالك
إذا ما لقيتم عصبة جعفرية كرهتم بني اللكعاء^(٢) وقَع النيازك^(٣)
فلستم بأخوالي فإلية لمتي ولكنما أُمي لإحدى العوانك
قصارُ العماد لا ترى سرواتهم

(١) الحَوَارِك: مفردها الحارك وهو أعلى الكاهل.

(٢) اللُكَّاء: اللثيمة.

(٣) النِّيازك: مفردها النيزك وهو الرمح القصير.

قَتَلْتُمْ فَلَمَّا أَنْ طَلَبْتُمْ عُقِلْتُمْ كَذَلِكَ يُؤْتَى بِالذَّلِيلِ كَذَلِكَ
[الطويل]

يغتال السجان ويهرب :

وقال ابن حبيب :

خرج ابن هبار القرشي إلى الشام في تجارة أو إلى بعض بني أمية، فاعترضه جماعة فيهم القتال الكلابي وغيره، فقتلوه وأخذوا ماله، وشاع خبره فأتهم به جماعة من بني كلاب وغيرهم من قُتاك العرب، فأخذوا وحُبسوا، أخذهم عامل مروان بن الحكم، فوجههم إليه وهو بالمدينة، فحبسهم ليبث عن الأمر ثم يقتل قتلة ابن هبار، فلما خشي القتال أن يعلم أمره، ورأى أصحابه ليس فيهم غناء، اغتال السجان فقتله، وخرج هو ومن كان معه من السجن فهربوا، فقال يذكر ذلك :

أُمَيْمَ أَثْيَبِي قَبْلَ جَدِّ التَّزِيلِ أَثْيَبِي بَوْضِلٍ أَوْ بَصْرَمٍ مُعَجَّلِ
أُمَيْمَ وَقَدْ حُمِلْتُ مَا حُمِلَ امْرُؤُ وَفِي الصُّرْمِ إِحْسَانٌ إِذَا لَمْ تُنَوَّلِي
[الطويل]

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

وإني وذكرني أم حسان كالفتى
[ألا حبذا تلك البلاد وأهلها
برزت لها من سجن مروان غُدوة
وأنستُ حياً بالمطالي وجاملاً
نظرت وقد جلى الدجى طامس الصوى^(١)
وشببت لنا ناراً ليلي صيامه
يضيء سناها وجه ليلى كأنما
علا عظمها واستعجلت عن لداتها
ولما رأيت الباب قد حيل دونه
حملت على المكروه نفساً شريفة
وكالىء باب السجن ليس بمنته

متى ما يذوق طعم المدامة يجهل
لو أن عذابي بالمدينة ينجلي
فأنستها بالأيم لم تتحول
أبابل تطلّى بين راع ومهمل
بسّلع وقرن الشمس لم يترجل
يذكى بعود جمرها وقرنفل
يضيء سناها وجه أدماء مغزل
وشببت شباباً وهي لما تسربل
وخفت لحاقاً من كتاب مؤجل
إذا وطئت لم تستقيد^(٢) للتذل
وكان فراري منه ليس بمؤتلي^(٣)

(١) الصوى: مفردا الصورة وهي ما ارتفع من الأرض وغلظ.

(٢) تستقيد: تخضع وتذل. (٣) المؤتلي: المقصّر.

إذا قلت رَفْهَنِي مِنَ السَّجْنِ سَاعَةً
يَشْدُ وَثاقاً عابِساً وَيَغْلَتْنِي
فقلت له والسيف يَعْضِبُ رَأْسَهُ
عرفت ندايَ من نداه وشيمتي
تركت عِتاق الطير تَحْجُلْ حوله
وتَمَّمْ بِهَا النُّعْمَى عَلَيَّ وَأَفْضِلْ
إِلَى حَلَقَاتٍ مِنْ عَمُودٍ مُوَصَّلِ
أنا ابنُ أبي التيماء غير المُنَحَّلِ
وريحاً تَغْشَانِي إِذَا اشْتَدَّ مِسْحَلِي^(١)
على عُذْوَاء^(٢) كَالْحُورِ الْمَجْدَلِ
[الطويل]

وقال أبو زيد في خبره: وأنشدني شَدَّادُ الْقَتَالِ الْكَلَابِي يَذْكُرُ قَتْلَ ابْنِ هَبَّارٍ:
تركت ابنَ هَبَّارٍ لَدَى الْبَابِ مُسْنِداً
وأصبح دوني شَابَةً وَأَرْوْمَهَا
بسيفِ امرئٍ ما إِنْ أَخْبَرَ بِاسْمِهِ
وإن حَقَّرْتُ نَفْسِي إِلَيَّ هُمُومَهَا
[الطويل]

هكذا روى ابن حبيب وعمر بن شبة.

يقتل ابن هبار مقابل تهريبه:

ونسخت من كتاب للشاهيني بخطه فيه شعر القتال وأخبار من أخباره قال:
حُسِ الْقَتَالُ فِي دَمِ ابْنِ عَمِّهِ الَّذِي قَتَلَهُ، فَحَبِسَ زَمَاناً فِي السَّجْنِ، ثُمَّ كَانَ بَيْنَ
ابْنِ هَبَّارٍ الْقُرَشِيِّ وَبَيْنِ ابْنِ عَمِّ لَهُ مِنْ قُرَيْشٍ إِحْنَةً^(٣)، فَبَلَغَ ابْنَ عَمِّهِ أَنَّ الْقَتَالَ مَحْبُوسٌ
فِي سَجْنِ الْمَدِينَةِ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ أَنَا أَخْرَجْتُكَ أَتَقْتُلُ ابْنَ عَمِّي الْمَعْرُوفَ بِابْنِ
هَبَّارٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي سَأُرْسِلُ إِلَيْكَ بِحَدِيدَةٍ فِي طَعَامِكَ، فَعَالِجْ بِهَا قَيْدَكَ حَتَّى
تَفْكَهُ، ثُمَّ الْبَسْهُ حَتَّى لَا تُتَكَّرَ، فَإِذَا خَرَجْتَ إِلَى الْوُضُوءِ فَاهْرَبْ مِنَ الْحَرَسِ، فَإِنِّي
جَالِسٌ لَكَ وَمَخْلُصُكَ وَمَعْطِيكَ فِرْساً تَنْجُو عَلَيْهِ، وَسَيْفاً تَمْتَنِعُ بِهِ، فَإِنْ خَلَصْتَ ذَلِكَ
وإِلَّا فَأَبْعِدْكَ اللَّهُ. فَقَالَ: قَدْ رَضِيتُ، قَالَ: وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يُخْرِجُونَ الْمُحْتَبَسِينَ إِذَا
أَمْسَوْا لِلْوُضُوءِ، وَمَعَهُمُ الْحَرَسُ، فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَأَتَاهُ الْقُرَشِيُّ فَخَلَّصَهُ وَأَوَاهُ، حَتَّى
أَمْسَكَ عَنْهُ الطَّلَبُ، ثُمَّ جَاءَ بِهِ وَأَعْطَاهُ سَيْفاً، فَقَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ الْمَعْرُوفَ بِابْنِ هَبَّارٍ،
وَوَهَبَ لَهُ نَجِيّاً فَنَجَا عَلَيْهِ وَقَالَ:

تركت ابنَ هَبَّارٍ لَدَى الْبَابِ مُسْنِداً
وأصبح دوني شَابَةً وَأَرْوْمَهَا

(١) الْمِسْحَلُ: الْعِزْمُ الصَّارِمُ.

(٢) الْعُذْوَاءُ: الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ الْغَلِيظَةُ.

(٣) الْإِحْنَةُ: الْحَقْدُ وَالْغَضَبُ جَمْعُهَا إِحْنٌ.

بسیف امرئ لا أخبر الناس باسمه ولو أجهشت نفسي إليّ هُمومُها [الطويل]

أم الهنير:

وقال أبو زيد عمر بن شبّة فيما رواه عن أصحابه:

مرّ القتال بعليّة بنت شيبّة بن عامر بن ربيعة بن كعب بن عمرو بن عبد بن أبي بكر وأخويها جهم وأويس، فسألها زمناً فأبت أن تعطيه، وكانت جدّتهم أم أبيهم أمةً يقال لها أم حدير، وكانت لقريظة بن حذيفة بن عمار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر فولدت له أمّ هؤلاء واسمها نجيبه فولدت له عليّة هذه فقال القتال يهجوهم:

أُمُّ الْهُنَيْبِرِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي
وَمُؤَذِّنٌ^(٣) مَا وَفَى شِبْرًا بِمَشْبَارِ
مِثْلِي إِذَا مَا اعْتَرَانِي بَعْضُ زَوَّارِي
فَأَقْصِرِي آلَ مَسْعُودٍ وَدِينَارِ
إِذَا تُحَدِّثُ عَنْ نَقْضِي وَإِمْرَارِي
ثَنَتَيْنِ مِنْ مُحْكَمٍ بِالْقَدِّ أَوْ تَارِي
عَادَ الْعَذَارَى لِقَطْعَيْهِ بِأَسْيَارِ
صَهْبَاءٍ مَقْعَهَا^(٤) حَاجِي وَأَسْفَارِي
إِذَا تَرَامَى بَنُو الْإِمْوَانِ بِالْعَارِ
وَأَقْصَرُوا عَنْ صَلِيبٍ غَيْرِ خَوَّارِ
لِوَاضِحِ الْوَجْهِ يَحْمِي حَوْزَةَ الْجَارِ
حَقًّا وَيَنْزِعُ عَنْهُ ذَاتَ أَزْرَارِ
تَحْتَ الْعِجَاجَةِ^(٥) طَعْنُ غَيْرِ عَوَّارِ
نَضْحُ الدَّبَاءِ، عَلَى عُرْيَانٍ مِغْوَارِ

يَا قَبَّحَ اللَّهُ صَبِيَانًا تَجِيءُ بِهِمْ
مِنْ كُلِّ أَعْلَمٍ^(١) مُنْشَقُّ مَشَافِرُهُ^(٢)
يَا وَيْحَ شِيْمَاءَ لَمْ تَنْبِذْ بِأَحْرَارِ
إِنَّ الْقُرَيْظِينَ لَمْ يَدْعُوكِ كَنَّتَهُمْ
أَمَا الْإِمَاءَ فَمَا يَدْعُونَنِي وَلَدًا
يَا بِنْتَ أُمِّ حُدَيْرٍ لَوْ وَهَبْتَ لَنَا
إِمًا جَدِيدًا وَإِمًا بَالِيًا خَلَقًا
[لَكَانَ رَدُّهُ أَقْلِيلًا وَاعْتَجَنْتُ لَهُ
أَنَا ابْنَ أَسْمَاءَ أَعْمَامِي لَهَا وَأَبِي
قَدْ جَرَّبَ النَّاسُ عَوْدِي يَفْرَعُونَ بِهِ
مَا أَرْضَعُ الدَّهْرَ إِلَّا ثَدْيِي وَاضِحَةً
يَسْتَلِبُ الْقِرْنَ مُهْرِيهِ وَصَعْدَتَهُ
مِنْ آلِ سَفِيَانٍ أَوْ وَرَقَاءَ يَمْنَعُهَا
يَمْنَعُهَا كُلُّ مَذْرُورٍ، بِصَعْدَتِهِ

(١) الْأَعْلَمُ: المشقوق الشَّفَّة.

(٢) الْمَشَافِرُ: هي للدواب بمثابة الشفاه للبشر.

(٣) الْمُؤَذِّنُ: المصاب بداء في أذنيه.

(٤) الْمَقْعُ: أشدّ الشرب/ الرضاعة بشدّة.

(٥) الْعِجَاجَةُ: الإبل الكثيرة العظيمة والعجاج التراب والغبار.

تسمع فيهم إذا استسمعت واعيّة
طوال أنضيّة^(١) الأعناق لم يجدوا
والقوم أعلم أنا من خيارهم
فراً بسيري وبرد الليل يضربني
أما الرواسم أطلاقاً فتعرفني
ولم أنزع بني السوداء فيئهم
فكل سوداء لم تحلق عقيقتها
لقد شرتني بنو بكر فما ربحت
إن العروق إذا استنزعتها نزعَتْ
عزف القيان وقولاً يا لعرعار
ريح الإماء إذا راحت بأزفار^(٢)
إذا تقلدت عمّاً غير ميسار
عرض الفلاة ببنيان وأكوار
إذا اعتصبت على رأسي بأطمار
والعظلمات^(٣) من يعر^(٤) وأمهار
كأن أصادغها يطلين بالقار^(٥)
ولا رأيت عليها جزاة الشاري
والعرق يسري إذا ما عرس الساري
[البسيط]

يشبه الحطيئة :

أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال : حدثنا عمر بن شبة قال : أنشدني الأصمعي
للقتال رأيته يقول فيها :

إن العروق إذا استنزعتها نزعَتْ
قد جرب الناس غودي يقرعون به
والعرق يسري إذا ما عرس الساري
فأقصروا عن صليب غير خوار
[البسيط]

فقال : لقد أحسن وأجاد لولا أنه أفسدها بقوله إنه طلب جُعلاً فلم يُعطه ، وكان
في دناءة نفسه يُشبه الحطيئة ، وكان فارساً شاعراً شجاعاً .

يهجو قومه :

وقال السكري في روايته :

زوّج القتال ابنته أمّ قيس - واسمها قطاة - رذاذ بن الأخرم بن مالك بن
مطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر ، فمكثت عنده زماناً ، وولدت له

(١) الأنضية : مفردها النضي هو ما بين الرأس والكاهل من العنق .

(٢) الأزفار : مفردها الزفر وهو السقاء الذي يحمل فيه الراعي ماءه .

(٣) العظلمات : منسوبة إلى العظم وهي الوسمة .

(٤) اليعر : الجدي أو الأسد .

(٥) القار : الزفت .

أولاداً، ثم أغارها^(١)، فشكت إلى أبيها، فاستعدى عليه ورماه بخادمها، وجاء رذاذ بالبيّنة على قذفه إياه بالأمة، فأقيم ليضرب، فلم تنتصر له عشيرته، وقامت عشيرة رذاذ فاستوهبوا حذّه من صاحبهم، فوهبه لهم، وكانت عشيرة القتّال تُبغضه لكثرة جنائياته، وما يلحقها من أذاه، ولا تمنعه من مكروهه، فقال يهجو قومه:

إذا ما لقيتم راكباً متعمّماً فقولوا له ما الراكب المتعمّم؟
 فإن يك من كعب بن عبدٍ فإنه لئيم المُحَيّا حالك اللون أدهم
 دعوت أبا كعب ربيعة دعوة وفوقي غواشي الموت تنحى وتنجّم
 ولم أك أدري أنه تُكل أمّه إذا قيل للأحرار في الكربة أقدموا
 فلو كنت من قوم كرام أعزّة لحاميت عني حين أخمي وأصرم
 دعوت فكم أسمعت من كل مؤذن قبيح المُحَيّا شأنه الوجه والفم
 [سوى أن آل الحارث الخير دبّوا^(٢)] بأعيط^(٣) لا وغل^(٤) ولا مُتهَضّم^(٥)
 ألا إنهم قومي وقوم ابن مالك بنو أمّ ذئب وابن كبشة خيثم
 ولكنما قومي قماشة^(٦) حاطبٍ يُجمّعها بالكفّ والليل مُظلم
 [الطويل]

بنت ورقاء:

قال أبو زيد: وحدثني شداد بن عتبة قال:

كانت عند القتّال بنتُ ورقاء بن الهيثم بن الهصّان، وكان جاراً لبني الحصين بن الحويرث بن كعب بن عبد بن أبي بكر، وكانت لها ضرة عنده يقال لها أم رياح بنت ميسرة بن نغير بن الهصّان وهي أم جنوب بنت القتّال، فخرج القتّال في سفر له، فلما آب منه أقبل حتى أناخ إلى أهله، فوجد عند بنت ورقاء جرير بن الحُصين، فلما رأى جريراً القتّال نهض، فسأل القتّال عنه، فقالت له امرأته أم رياح وهي صفية ويقال صفيصة بنت الحارث بن الهصّان: إن هذا البيت لبيت لا نزال نسمع فيه ما لا

(١) أغارها: تزوّج عليها فجعلها تغار.

(٢) دبّ: اختلف فلم يستقيم في مكانه.

(٣) الأعيط: الأبّي الممتنع.

(٤) الوغل: الضعيف النذل الساقط المقصّر في الأشياء.

(٥) المُتهَضّم: المظلوم.

(٦) القماشة: الفتات المنتشر على وجه الأرض وقماش الناس: رذالتهم.

يعجبنا، فطلق القتال بنت ورقاء وهي حامل، فولدت له بعد طلاقها المسيب ابنه، وقال السكري في خبره: فقال القتال في ذلك:

ولما أن رأيت بني حصين بهم جَنَفُ إلى الجارات بادي
خلعت عذارها ولَهِيتُ عنها كما خُلِعَ العِذار من الجوادِ
وقلت لها عليك بني حصين فما بيني وبينك من عوادِ
أُناديها بأَسْفَلٍ واردةٍ نَكِدْتُ أبا المُسيبَ مَنْ تُنادي
[الوافر]

وفي رواية السكري:

أُناديها وما يومٌ كيوم قَضَى فيه امرؤٌ وطَرُ الفؤادِ
فَرُحْتُ كأنني سيفٌ صقيلٌ وعزّت جارةُ ابنِ أبي قُرادِ
[الوافر]

جرير يضرب أنف القتال:

قال: ثم إن كلاب بن ورقاء بن حذيفة بن عمار بن ربيعة بن كعب بن عبد بن أبي بكر نحر جزوراً وصنع طعاماً وجمع القوم عليه وقال: كلي أيتها الفتیان، فإن الطعام فيك خير منك في الشيوخ، فقال القتال: أنا والله خير للفتیان منك، أرى المرأة قد أعجبت أحدهم فأطلقها له. وفي القوم جرير بن الحُصين الذي كان وجده عند امرأته، فرفع جرير السوط فضرب به أنف القتال، ثم إنهم أعطوا القتال حقه فلم يقبله حتى أدرك ابنه المسيب وعبد السلام، وقال السكري: حتى احتلم ولده الأربعة، وهم حبيب وعبد الرحمن وعبد الحي وعُمير، وأمهم ريا بنت نفر بن عامر بن كعب بن أبي بكر، فحملهم على الخيل حين أظلم الليل، ثم أتى بهم بني حُصين فلقي لقاحاً لهم ثمانين فأشمرها^(١) وبات يسوقها، لا تتخلف ناقة إلا عقرها حتى حبسها على الحصى [حين طلعت الشمس، والحصى] ماء لعبد الله بن أبي بكر، فحبسها وزجرهم عنها. حتى جاء بنو حُصين فعقلوا له من ضربته أربعين بكرة وأهدرت الضربة. وإنما أخذ الأربعين بكرة مكرهاً، لأن قومه أجبروه على ذلك:

قال شداد: وفي ابنه عبد السلام يقول:

عبد السلام تأمل هل ترى ظُعنًا إني كبرت وأنت اليوم ذو بَصَرٍ

(١) أشمرها: أعجلها.

لا يُبْعِدُ اللَّهَ فَتِياناً أَقُولُ لَهُمْ بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ لَمَّا فَاتَنِي نَظْرِي
يَا هَلْ تَرُونَ بِأَعْلَى عَاصِمٍ ظُعْناً نَكْبَنَ فَحْلَيْنِ وَاسْتَقْبَلْنَ ذَا بَقَرٍ
صَلَّى عَلَى عَمْرَةَ الرَّحْمَنِ وَابْنَتِهَا لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْآخِرِ
[هُنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتُ أَحْمِرَةٍ سَوْدُ الْمُحَاجِرِ لَا يَقْرَأُ بِالسُّورِ]
[البسيط]

أخرجوه من السجن بشرط :

قال أبو زيد: وحدثني شداد بن عقبة قال :

أتى الأخرم بن مالك بن مطرف بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر،
ومُحصن بن الحارث بن الهصان في نَفَرٍ من بني أبي بكر القتال وهو محبوس،
فشرطوا عليه إلا يذكر عالية في شعره، وهي التي ينسب بها في أشعاره، فضمن ذلك
لهم فأخرجوه من السجن عشاء، ثم راح القوم من السجن، وراح القتال معهم، حتى
إذا كان في بعض الليل انحدر يسوق بهم ويقول :

قُلْتُ لَهُ يَا أَخْرَمُ بَنَ مَالٍ إِنْ كُنْتَ لَمْ تُزِرْ عَلَى وَصَالِي
وَلَمْ تَجِدْنِي فَاحْشِ الْخِلَالَ^(١) فَارْفَعْ لَنَا مِنْ قُلُوصٍ عِجَالٍ
مُسْتَوْسِقَاتٍ كَالْقَطَا عِبَالٍ لَعَلَّنَا نَطْرُقَ أُمَّ عَالٍ
تَحْيِيْرِي خُيِّرْتُ فِي الرِّجَالِ بَيْنَ قَصِيرٍ بَاعُهُ تَنْبَالٍ^(٢)
وَأُمُّهُ رَاعِيَةُ الْجِمَالِ تَبَيْتَ بَيْنَ الْقِدْرِ وَالْجِعَالِ^(٣)
أَذَاكَ أُمَّ مُنْخَرِقُ السَّرْبَالِ كَرِيمٌ عَمٌّ وَكَرِيمٌ خَالٍ
مُتْلِفٌ مَالٍ وَمُفِيدٌ مَالٍ وَلَا تَزَالِ آخِرَ اللَّيَالِي
قُلُوصُهُ^(٤) تَعُثِّرُ فِي النَّقَالِ^(٥)

[الرجز]

النَّقال: المناقلة. قال شداد: فنزل القوم فربطوه، ثم آلوا ألا يحملوه حتى يُوثق
لهم بيمين ألا يذكرها أبداً ففعل وحلوه.

قال: وهي امرأة من بني نصر بن معاوية، وكانت زوجة رجل من أشراف الحي.

(١) الخلال: الصفات.
(٢) التنبال: القصير.
(٣) الجعال: خرقه تنزل بها القدر.
(٤) القلوص: الشابة من النوق.
(٥) النقال: مفردها النقل وهي الحجارة.

يقتل أمة عمه حتى لا تلد :

قال : وحدثني أبو خالد قال :

كانت لعم القتال سُرِّيَّة، فقال له القتال : لا تطأها فإننا قوم نُبغض أن تلد فينا الإماء، فعصاه عمه، فضربها القتال بسيفه فقتلها، فادَّعى عمه أنه قتلها وفي بطنها جنين منه، فمشى القتال إليها فأخرجها من قبرها، وذهب معه بقوم عدول، وشقَّ بطنها وأخرج رحمها حتى رأوه لا حمل فيه، فكذبوا عمه، فقال في ذلك :

أنا الذي انتشلتها انتشالا ثم دعوت غُلْمَةً أَزْوَالا^(١)
فصدَّقوا وكذبوا ما قالوا

[الرجز]

وقال وأنشدني له أيضاً :

أنا الذي ضربتها بالمُنْضِلِ عند القرين السائل المُفْضِلِ
ضرباً بكفِّي بطلٍ لم يُثْكَلِ

[الرجز]

أراد أن يتزوج بنت المخلق :

وقال السكري في روايته :

أراد القتال أن يتزوج بنت المُحَلَّق بن حنتم فتزوجها عبد الرحمن بن صاغر البكائي، فلقي مولاة لها يقال لها جَوْن، فقال لها: ما فعلت؟ قالت: تزوجها عبد الرحمن بن صاغر، فقال: ما لها ولعبد الرحمن؟ فقالت له: ذاك ابن فارس عَرَّاد. قال: فأنا ابن فارس ذي الرَّحْل، وأنا ابن فارس العوجاء، ثم انصرف وأنشأ يقول:

يا بنت جَوْنِ أبانتُ بنتُ شدادٍ
لمطلع الشمس، ما هذا بمنحدرٍ
قالت فوارسُ عَرَّادٍ فقلتُ لها
فرسانُ ذي الرَّحْلِ والعوجاء وابنتُها
نَعَمْ لعمري لَعَوْرٍ بعد إنجادٍ
نحو الربيع ولا هذا بإصعادٍ
وفيم أُمِّي من فرسان عَرَّادٍ
فدَّى لهم رهط رَدَّادٍ وشَدَّادٍ

[البسيط]

(١) الأزوال: مفردها الزول وهو الخفيف الطريف، والشجاع والجواد.

يحض أخاه وعشيرته :

والقصيدة التي في أولها الغناء المذكور يقولها القتال يحض أخاه وعشيرته على تخلصه من المطالبة التي يطالب بها في قتل زياد بن عبيد الله واحتمال العقل عنه، ويلومهم في قعودهم عن المطالبة بثأر لهم قبل بني جعفر بن كلاب.

وكان السبب في ذلك فيما ذكره عمر بن شبة، عن حميد بن مالك، عن أبي خالد الكلابي قال :

كان عمرو بن سلمة بن سكن بن قريظ بن عبد بن أبي بكر أسلم فحسن إسلامه، ووفد إلى النبي ﷺ، فاستقطعه حمي بين الشقراء والسعدية والسعدية ماء لعمرو بن سلمة، والشقراء ماء لبني قتادة بن سكن بن قريظ، وهي رحبة طولها تسعة أميال في ستة أميال، فأقطعه إياها، فأحماها ابنه جَحَوْش، فاسترعاه نفر من بني جعفر بن كلاب [خيلهم وفيهم أحدر بن بشر بن عامر بن مالك بن جعفر] فأرعاهم، فحملوا نَعْمهم مع خيلهم بغير إذنه، فأخبر بذلك، فغضب وأراد إخراجهم منه، فقاتلوه، فكانت بينهم شجاج بالعصي والحجارة، من غير رمي ولا طعان ولا تساييف^(١)، فظهر عليهم جَحَوْش، ثم تداعوا إلى الصلح، ومشت السفراء بينهم على أن يدعوا جميعاً الجراحات، فتواعدوا للصلح بالغداة، وأخ لجَحَوْش يقال له سعيد في حلقه سلعة وهو شنج متنج عن الحي عند امرأة من بني أبي بكر ترقيه، فرجع إلى أخيه ومعه رجلان من قومه يقال لأحدهما محرز بن يزيد، وللآخر الأخدر بن الحارث، فلقيهم قراد بن الأخدر بن بشر بن عامر بن مالك وابن عمه أبو ذر بن أشهل ورجل آخر من الجعفريين، فحمل قراد على سعيد فطعنه فقتله، فقذف محرز بن يزيد فرس قراد فعقرها، فأردفه أبو ذر خلفه، ولحقوا بأصحابهم الجعفريين، وأوقد جَحَوْش بن عمرو نار الحرب في رأس جرعاء طويلة، فاجتمعت إليه بنو أبي بكر، وخرج قراد هارباً إلى بشر بن مروان، وهو ابن عمته، حتى إذا كان بالقنان حميت عليه الشمس، فأناخ إلى بيت امرأة من بني أسد، فقال في بيتها، فبينما هو نائم إذ نبهته الأسدية فقالت له: ما دهاك ويحك؟ انظر إلى الطير تحوم حول ناقتك، فخرج يمشي إلى ناقتة، فإذا هي قد خدجت^(٢) والطير تمزق ولدها، فجاء فأخبرها، فقالت: إن لك لخبراً فأصدقني عنه، فلعله أن يكون لك فيه فائدة، فأخبرها أنه مطلوب بدم، فهو هارب

(١) التّساييف: التضارب بالسيوف.

(٢) خَدَجَتْ: ولدت حملها ناقص الخلق.

طريد، قالت: فهل وراءك أحد تشفق عليه؟ فقال: أخ لي يقال له جبأة، وهو أحب الناس إليّ. قالت: فإنه في أيدي أعدائك، فارجع أو امض، فخرج لوجهه إلى بشر.

قال: ولما حرّض القتال قومَه على الطلب بثأرهم في الجعفرين، وعيّرهم بالقعود عنهم مضى جميعهم لقتال بني جعفر، فقال لهم الجعفريون: يا قومنا ما لنا في قتالكم حاجة، وقاتِلُ صاحبكم قد هرب، وهذا أخوه جبأة فاقتلوه، فرضوا بذلك، فأخذوا جبأة، فلما صاروا بأسود العين قدّمه جَحَوّش فضرب عنقه بأخيه سعيد.

ومما قاله القتال في تحريضهم في قصيدة طويلة:

فيا لأبي بكر ويا لجَحَوّش	وللّه مولى دعوة لا يُجابُها
أفي كلّ عام لا تزال كتيبة	دُؤيبية تهفو عليكم عُقابُها؟
لهم جزرٌ منكم عبيط كأنّه	وقاع الملوك فتكها واغتصابُها
[وأنتم عديدٌ في حديدٍ وشكّة	وغاب رماحٍ يُوجِفُ القلبَ غابُها]
يُسقى ابن بشر ثم يمسخ بطنه	وحولي رجالٌ ما يسوخ شرابُها
فما الشرّ كلّ الشرّ لا خير بعده	على الناس إلا أن تذلّ رقابُها
نساء ابن بشر بُدُنٌ ونساؤنا	بلايا عليها كلّ يوم سلابُها
(تنام فتقضي نومة الليل عرسه	وأُمّ سعيدي ما تنام كلابُها
فإن نحن لم نغضب لهم فنثيبهم	وكل يد مُوفٍ إلينا ثوابُها
فنحن بنو اللّائي زعمتم وأنتم	بنو محصنات لم تدنّس ثيابُها)

[الطويل]

صوت

ألم تسأل بعارمة الديارا عن الحيّ المفارق أين سارا؟
بلى ساءلتها فأبّت جواباً وكيف سؤالك الدّمّن القفارا؟
[الوافر]

الشعر للراعي والغناء لإسحاق خفيف ثقیل أول بالبنصر عن عمرو من جامع إسحاق.

نسب الراعي وأخباره

اسمه ونسبه :

هو عُبيد بن حُصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر .

ويكنى أبا جندل، والراعي لقب غلب عليه، لكثرة وصفه الإبل، وجودة نعته إياها، وهو شاعر فحل من شعراء الإسلام، وكان مقدماً مفضلاً، حتى اعترض بين جرير والفرزدق، فاستكفّه جرير فأبى أن يكف، فهجاه ففضحه . وقد ذكرت بعض أخباره في ذلك مع أخبار جرير، وأتممتها هنا .

يمدح سعيد بن عبد الرحمن :

وقصيدة الراعي هذه يمدح بها سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وفيها يقول :

أخي الأعياص أنواء غزارا	تُرَجِّي من سعيد بني لُؤيٍّ
وخير النّوء ^(١) ما لقي السّرارا	تلقي نواهن سرار شهر
إذا ما حان يوماً أن يُزارا	خليل تعزب العلاّ عنه
فلا بُخلاً تخاف ولا اعتذارا	متى ما تأتّه ترجو نّاده
فصار المجد فيها حيث صارا	هو الرجل الذي نسبت قريش
طروقاً ثم عجلن ابتكارا	وأنضاء تحنّ إلى سعيد
قليل نومهم إلا غرّارا	على أكوارهنّ بنو سبيل
عطاء لم يكن عدّة ضمّاراً ^(٢)	حمْدنّ مزاره ولقين منه

[الوافر]

(١) النّوء: المطر أو التّجم مال للغروب وكان العرب يقولون: مُطَرْنَا بنوء الثّريا أو بنوء الدبران، وذلك للعلاقة بين حركة النجم وسقوط المطر .

(٢) الضّمار: ما لا يُرجى من الدّين .

يفضل الفرزدق على جرير:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا الحسن بن الحسين السكري، عن الرياشي عن الأصمعي قال:

وذكره المغيرة بن حجناء قال: حدثني أبي عن أبيه قال:

كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفضله، وكان راعي الإبل قد ضخم أمره، وكان من أشعر الناس، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: ألا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ ويفضله وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم؟ قال جرير: ثم ضربت رأيي فيه، فخرجت ذات يوم أمشي إليه. قال: ولم يركب جرير دابته. وقال: واللّه ما يسرني أن يعلم أحد بسيري إليه. قال: وكان لراعي الإبل وللفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها، قال: فخرجت أتعرض لها لألقاه من حيال حيث كنت أراه ثم إذا انصرف من مجلسه لقيته، وما يسرني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مرّ على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه راكباً مهراً أحوى^(١) محذوف الذنب^(٢)، وإنسان يمشي معه ويسأله عن بعض السبب، فلما استقبلته قلت له: مرحباً بك يا أبا جندل. وضربت بشمالي إلى معرفة بغلته ثم قلت: يا أبا جندل إن قولك يُستمع، وإنك تفضل عليّ الفرزدق تفضيلاً قبيحاً، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم، وهو ابن عمي، وليس منك، ولا عليك كلفة في أمري معه، وقد يكفيك من ذلك هيئن أن تقول إذا ذكرنا: كلاهما شاعر كريم، فلا تحمل منه لائمة ولا مني، قال: فبينما أنا وهو كذلك، وهو واقف لا يرد جواباً لقولي، إذ لحقه ابْنُه جندل، فرفع كرمانيّة معه، فضرب بها عجز بغلته ثم قال: أراك واقفاً على كلب بني كليب، كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً، فضرب البغلة ضربة شديدة، فزحمتني زحمة وقعت منها قلنسوتي، فواللّه لو يعوج عليّ الراعي لقلت: سفيه غوي - يعني جندلاً ابنه - ولكن لا واللّه ما عاج عليّ، فأخذت قلنسوتي فمسحتها وأعدتها على رأسي وقلت:

أجندل ما تقول بنو نمير إذا ما الأير في است أبيك غابا؟
[الوافر]

قال: فسمعت الراعي قال لابنه: أما واللّه لقد طرحت قلنسوته طرحة مشؤومة. قال جرير: لا واللّه ما كانت القلنسوة بأغيظ أمره إليّ لو كان عاج عليّ. فانصرف

(١) الأحوى: الأسود أو الأسمر.

(٢) محذوف الذنب: مقطوع الذنب.

جرير مغضباً، حتى إذا صلى العشاء، ومنزله في عُلْيَةٍ قال: ارفعوا إليّ باطية^(١) من نبيذ، وأسرجوا لي، فأسرجوا له وأتوه باطية من نبيذ، فجعل يهينهم^(٢)، فسمعته عجوز في الدار، فطلعت في الدرجة حتى نظرت إليه، فإذا هو على الفراش عريان، لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون، رأيت منه كذا وكذا، فقالوا لها: اذهبي لِطَيْتِكَ^(٣)، نحن أعلم به وبما يُمارس، فما زال كذلك حتى كان السحر، فإذا هو يكبر، قد قالها ثمانين بيتاً، فلما بلغ إلى قوله:

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَكَ كَعْباً بَلَّغْتَ وَلَا كَلَابَا
[الوافر]

فذاك حين كبر، ثم قال: أخزيت (والله، أخزيت) ورب الكعبة، ثم أصبح، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد، وكان جرير يعرف مجلس الراعي ومجلس الفرزدق، فدعا بذهن فادّهن، وكفّ رأسه وكان حسن الشعر، ثم قال: يا غلام أسرج لي، فأسرج له حصاناً، ثم قصد مجلسهم، حتى إذا كان بموضع السلام لم يسلم، ثم قال: يا غلام، قل لعبيد الراعي: ابعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق؟ والذي نفس جرير بيده لترجعن إليهن بما يسوؤهن ولا يسرهن. ثم اندفع في القصيدة فأنشدها. فنكس الفرزدق رأسه، وأطرق راعي الإبل، فلو انشقت له الأرض لساخ^(٤) فيها، وأرم^(٥) القوم حتى إذا فرغ منها سار، فوثب راعي الإبل من ساعته فركب بغلته بشرّ وعَرّ، وتفرق أهل المجلس، وصعد الراعي إلى منزله الذي كان ينزله، ثم قال لأصحابه: ركبكم ركابكم، فليس لكم ها هنا مقام، فضحكهم والله جرير، فقال له بعضهم: ذلك شؤمك وشؤم جندل ابنك، قال: فما اشتغلوا بشيء غير ترحلهم. قالوا: فسرنا والله إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهم بالشريف، وهو أعلى دار بني نمير، فحلف راعي الإبل أنهم وجدوا في أهلهم قول جرير:

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ

يتناشده الناس، وأقسم بالله ما بلغه إنسان قطّ، وإن لجرير لأشياء من الجن، فتشاءمت به بنو نمير، وسبّوه وسبّوا ابنه، فهم إلى الآن يتشاءمون بهم وبولدهم.

(١) الباطية: إناء الخمر أو الشراب.

(٢) يهينهم: يأتي بصوت خفي.

(٣) الطيّة: الجهة المبتغاة.

(٤) ساخ في الأرض: وقع فيها.

(٥) أرم القوم: سكتوا.

فضحته ورب الكعبة :

وأخبرني بهذا الخبر عَمِّي قال : حدثنا الكراني قال : حدثني النضر بن عمرو عن أبي عبيدة بمثله أو نحو منه ، وقال في خبره :
 أَجِئْتُ تُوقِرُ إِبْلِكَ لِنِسَائِكَ بُرّاً وَتَمَرّاً؟ وَاللَّهِ لِأَحْمَلِنَ إِلَى أَعْجَازِهَا كَلَاماً يَبْقَى
 مِسْمُهُ عَلَيْهِنَّ مَا بَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَسُووُكَ وَإِيَاهِنَّ اسْتَمَاعُهُ .
 وقال في خبره أيضاً :
 فلما قال :

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ

وثب وثبة دَقَّ رأسه السقف ، فجاء له صوت هائل ، وسمعت عجوز كانت ساكنة في علو ذلك الموضع صوته ، فصاحت : يا قوم ضيفكم واللَّه مجنون ، فجئنا إليه وهو يحبو ويقول : غرضته واللَّه ، أخزيته واللَّه ، فضحته ورب الكعبة ، فقلت له : مالك يا أبا حَزْرَةَ؟ فَأَنشَدَ القصيدة ، ثم غدا بها عليه .

ما تقول بنو نمير؟

وذكر ابن الكلبي ، عن النهشلي عن مسحل بن كُسيب .

عن جرير في خبره مع الحجاج لما سأله عمن هجاء من الشعراء قال : قال لي الحجاج : ما لك وللراعي؟ فقلت : أيها الأمير قدم البصرة ، وليس بيني وبينه عمل ، فبلغني أنه قال في قصيدة له :

يَا صَاحِبَيِّ دَنَا الرُّوْحُ فَسِيرَا غَلَبَ الْفِرْزَدُقُ فِي الْهَجَاءِ جَرِيرَا
 [الكامل]

وقال أيضاً في كلمة له :

رَأَيْتَ الْجَحْشَ جَحْشَ بَنِي كَلِيبٍ تَيْمَمَ حَوْضَ دَجَلَةَ ثُمَّ هَابَا
 [الوافر]

فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ : يَا أبا جَنْدَلِ إِنَّكَ شَيْخٌ مُضِرٌّ ، وَقَدْ بَلَغَنِي تَفْضِيلُكَ الْفِرْزَدُقَ عَلَيَّ ، فَإِنْ أَنْصَفْتَنِي وَفَضَلْتَنِي كُنْتُ أَحَقُّ بِذَلِكَ ، لِأَنِّي مَدَحْتُ قَوْمَكَ وَهَجَّاهُمْ .

وذكر باقي الخبر نحوه مما ذكره من تقدم ، وقال في خبره :

فقلت له : إن أهلك بعثوك مائراً ، وبئس واللَّه المائر أنت ، وإنما بعثني أهلي لأقعد لهم على قارعة هذا المربد ، فلا يسبهم أحد إلا سببته ، فإن عليّ نذراً إن كحلت

عيني بغمض حتى أخزيك، فما أصبحت حتى وفيت بيمينني، قال: ثم غدوت عليه فأخذت بعنانه، فما فارقني حتى أنشدته إياها، فلما بلغت قولي:

أجندل ما تقول بنو نمير إذا ما الأير في است أبيك غابا؟
[الوافر]

قال: فأرسل يدي ثم قال: يقولون شراً والله.

عنفة^(١) الفرزدق:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: قال أبو عبيدة:

أنشد جرير الراعي هذه القصيدة والفرزدق حاضر، فلما بلغ فيها قوله:

بها برص بأسفل إسكتيها

غطى الفرزدق عنفته بيده، فقال جرير:

كعنفة الفرزدق حين شابا

فقال الفرزدق: أخزأك الله، والله لقد علمت أنك لا تقول غيرها. قال: فسمع رجل كان حاضراً أبا عبيدة يحدث بها، فحلف جزماً أن الفرزدق لقن جريراً هذا المصراع بتغطية عنفته، ولو لم يفعل لما انتبه لذلك، وما كان هذا بيتاً قاله متقدماً، وإنما أنتبه لذلك.

يموت كمداً من هجاء جرير:

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: أخبرني أبو الغراف قال:

الذي هاج التهاجي بين جرير والراعي أن الراعي كان يُسأل عن جرير والفرزدق فيقول: الفرزدق أكرمهما وأشعرهما، فلقيه جرير فاستعذره من نفسه.

ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدم وزاد فيه:

إن الراعي قال لابنه جندل لما ضرب بغلته:

ألم تر أن كلب بني كليب أراد حياض دجلة ثم هابا

[الوافر]

ونفرت البغلة فزحمته حتى سقطت فلنسوة جرير، فقال الراعي لابنه: أما والله

(١) العنفة: شعيرات بين الشفة السفلى والدّقة.

لتكونن فعلة مشؤومة عليك وليهجوَنِي وإياك، فليته لا يجاوزنا ويذكر نسوتنا. وعلم الراعي أنه قد أساء وندم، فتزعم بنو نمير أنه [حلف ألا يجيب جريراً سنة غضباً على ابنه وأنه] مات قبل أن تمضي سنة، ويقول غير بني نمير: إنه كَمَدَ لما سمعها فمات كمدًا.

أؤلام أن يغلبني هذا؟!

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش قالاً: حدثنا أبو سعيد السكري، عن محمد بن حبيب وإبراهيم بن سعدان، عن أبي عبيدة وسعدان والمفضل وعمارة بن عقيل. وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام عن أبي البداء قالوا جميعاً.

مرّ راكب بالراعي وهو يتغنّى:

وعاوَ عَوَى من غير شيء رميته بقافية أنفاذها^(١) تقطُر الدَمَا
خَرُوجٍ بأفواه الرّواة كأنها قَرَأَ هُنْدُونِي^(٢) إذا هُزَّ صَمَمَا

[الطويل]

فسمعها الراعي، فأتبعه رسولاً، وقال له: من يقول هذين البيتين؟ قال: جرير، فقال الراعي: أؤلام أن يغلبني هذا؟ واللّه لو اجتمع الجنّ والإنس على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً، قال ابن سلام خاصة في خبره: وهذان البيتان لجرير في البعِث، وكذلك كان خبره معه، إعترضه في غير شيء.

يعتسف الفلاة بغير دليل:

أخبرنا أبو خليفة قال: أخبرنا محمد بن سلام قال:

كان الراعي من رجال العرب ووجوه قومه، وكان يقال له في شعره: كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل، أي أنه لا يحتذي شعر شاعر، ولا يعارضه، وكان مع ذلك بَذِيّاً هَجَّاء لعشيرته، فقال له جرير:

وَقَرُضُكَ فِي هَوَازَنَ شَرُّ قَرْض تُهَجِّجُهُمْ وَتَمْتَدِحُ الْوِطَابَا^(٣)

[الوافر]

(١) الأنفاذ: مفردها النفذ وهو ما ينفذ من الطعنة.

(٢) الهندوناني: السيف المنسوب إلى الهند.

(٣) الوطاب: مفردها الوطب وهو سقاء اللبن.

ينسب بامرأة من بني عبد شمس :

أخبرنا أبو خليفة قال : أخبرنا محمد بن سلام قال : قال أبو الغراف :

جاور راعي الإبل بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، فنسب بامرأة منهم من بني
عبد شمس ، ثم أحد بني وابشي فقال :

بنِي وَابْشِيٍّ قَدْ هَوَيْنَا جَوَارِكُم وَمَا جَمَعْتَنَا نِيَّةً قَبْلَهَا مَعَا
خَلِيطِينَ مِنْ حَيِّينَ شَتَى تَجَاوَرَا جَمِيعاً وَكَانَا بِالتَّفَرُّقِ امْتَعَا
لَدَى أَهْلِ لَيْلَى لَا يَبَالِي أَمِيرُهُمْ عَلَى حَالَةِ الْمُحْزُونِ أَنْ يَتَصَدَّعَا
[الطويل]

وقال فيها أيضاً :

صوت

تَذَكَّرَ هَذَا الْقَلْبُ هَنْدَ بَنِي سَعْدٍ سَفَاهَاً وَجَهْلًا مَا تَذَكَّرَ مِنْ هَنْدٍ
تَذَكَّرَ عَهْدًا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا قَدِيمًا وَهَلْ أَبْقَتْ لَكَ الْحَرْبُ مِنْ عَهْدٍ؟
[الطويل]

في هذين البيتين لحن من الثقيل الأول بالوسطى ، وذكر الهشامي أنه لنبيه ، وذكر
قمري [وذكاء وجه الرزة] أنه ليُنان .

قال ابن سلام :

فلما بلغهم شعره أزعجوه وأصابوه بأذى فخرج عنهم وقال فيهم :

أَرَى إِبْلِي تَكْأَلُ رَاعِيَاهَا مَخَافَةً جَارَهَا الدَّنَسِ الدَّمِيمِ
وَقَدْ جَاوَرْتَهُمْ فَرَأَيْتَ سَعْدًا شَعَاعَ الْأَمْرِ عَازِبَةَ الْحُلُومِ
[مغانيم القرى سَرَقًا إِذَا مَا أَجْنَتْ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ]
فَأُمِّي أَرْضَ قَوْمِكَ إِنْ سَعْدًا تَحَمَّلْتَ الْمُخَازِيَّ عَنْ تَمِيمِ
[الوافر]

عند عبد الملك بن مروان :

[أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام عن عبد القاهر بن السري قال :

وفد الراعي إلى عبد الملك بن مروان ، فقال لأهل بيته : تَرَوُّحُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ
فَإِنِّي أَرَاهُ مُنْجَبًا] .

لست من أحد :

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة، عن يونس قال: قدم جندل بن الراعي على بلال بن أبي بردة، وقد مدحه، وكان يكثر ذكر أبيه ووصفه، فقال له بلال: أليس أبوك الذي يقول في بنت عمّه وأُمّها امرأة من قومه: فلمّا قضت من ذي الأراك لبانةً أرادت إلينا حاجةً لا نريدها [الطويل]

وقد كان بعد هجاء جرير إياه مُعَلِّباً؟ فقال له جندل: لئن كان جرير غلبه لما أمسك عنه عجزاً، ولكنه أقسم غَضَباً عَلَيَّ ألا يجيبه سنةً، فأين أنت عن قوله في عديّ بن الرّقاع العامليّ:

لو كنت من أحدٍ يُهَجَى هجوتكم يا ابن الرّقاع ولكن لست من أحدٍ
تأبى قضاة لم تعرف لكم نسباً وابنا نزار وأنتم بيضة البلد^(١)
[البسيط]

قال: فضحك بلال وقال له. أما في هذا فقد صدقت.

يأبى أن يطلب حاجة لنفسه :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن، عن ابن عائشة قال:

لما أنشد عبيد بن حصين الراعي، عبد الملك بن مروان قوله:

فإن رفعت بهم رأساً نَعَشْتَهُمْ وإن لقوا مثلها من قَابلٍ فَسَدُوا
[البسيط]

قال له عبد الملك: فتريد ماذا؟ قال: ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم، فقال عبد الملك: هذا كثير، قال: أنت أكثر منه، قال: قد فعلت، فسألني حاجة تخصك، قال: قد قضيت حاجتي. قال: سل حاجتك لنفسك، قال: ما كنت لأفسد هذه المكرمة.

الراعي والعنبري :

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلويّ قال: حدثنا إسماعيل بن يعقوب.

(١) بيضة البلد: أصلها وساداتها.

عن عثمان بن نمير عن أبيه قال: كنت عند العباس بن محمد في يوم شاتٍ، فدخل عليه موسى بن عبد الله بن حسن، فقال له العباس بن محمد: يا أبا الحسن، مالي أراك متغيراً؟ فقال له موسى: والله إني لأرقُّ بما كان اليوم، قال: وما كان يا أبا الحسن؟ قال: ذاك أن أمير المؤمنين أخرج لي وللعباس بن الحسن خمسين ألفاً، للعباس منها ثلاثون ألفاً، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا ما قال أخو بني العنبر، وجاور هو وراعي الإبل في بني سعد بن زيد مناة، فكانوا إذا مدحهم الراعي أخذوا مال العنبري فأعطوه الراعي، فقال العنبري في ذلك:

أَيَقْطَعُ مَوْصُولٌ وَيُوصِلُ جَانِبٌ أَسْعَدَ بْنَ زَيْدٍ عَمْرُكَ اللَّهُ أَجْمَلِ
فَإِنَّا بِأَرْضِ هَاهُنَا غَيْرُ طَائِلٍ مَتَى تَعْلَفُوا بِالرَّغْمِ ^(١) وَالْخَسْفِ ^(٢) نَأْكُلِ
[الطويل]

قال: فقال له العباس: إنكم نازعتم القوم ثوبهم [وكان عباس وأهله أعواناً له على حذيه منكم] ومع ذلك فعباس الذي يقول لبنت حيدة المحاربة يرثيها:

أَتَتْ دُونَ الْفَرَاشِ فَأَبْشَرْتَنَا مَصِيبَتَنَا بِأَخْتِ بَنِي حُدَادِ
كَأَنَّ الْمَوْتَ لَا يَعْنِي سَوَانَا عَشِيَّةً نَحْوَهَا يَحْدُوهُ حَادِي
فَإِنْ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمُرْجَى وَغَيْثُ النَّاسِ فِي الْإِزْمِ الشَّدَادِ
تَطَاوَلَ لَيْلُهُ فَعَدَاكَ حَتَّى كَأَنَّكَ لَا تَثُوبُ إِلَى مَعَادِ
يَظْلُ - وَحَقَّ ذَاكَ - كَأَنَّ شَوْكَأً عَلَيْهِ الْعَيْنُ تَطْرِفُ مِنْ سُهَادِ
فَلَيْتَ نَفُوسَنَا حَقًّا فَدَتْهَا وَكُلَّ طَرِيفٍ مَالٍ أَوْ تِلَادِ
[الوافر]

(١) الرَّغْمُ: الكره.

(٢) الْخَسْفُ: النقيصة.

وجندل بن الراعي شاعر

وهو القائل ، وفي شعره هذا صنعة :

صوت

طلبتُ الهوى العَوْرِيَّ حتى بلغته وسَيَّرت في نَجْدِيَّه ما كفانيا
وقلت لِجَلْمِي لا تَزْعِنِي عن الصُّبَا وللشَّيبِ لا تَدْعُرْ عَلَيَّ الغوانيا
[الطويل]

الشعر لجندل بن الراعي، والغناء لإسحاق خفيف ثقیل بالبنصر عن عمرو من جامع إسحاق، وقال الهشامي: وله فيه أيضاً ثاني ثقیل، وهو لحن مشهور، وما وجدناه في جامعه، ولعله شدَّ عنه أو غلط الهشامي في نسبته إليه، وقال حبش: فيه أيضاً لإسحاق خفيف رمل.

بخيل:

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثني أبو عبد الله الهشامي قال: قال إسحاق: قال أبو عبيدة:

كانت لجندل بن الراعي امرأة من بني عقيل، وكان بخيلاً، فنظر إليها يوماً وقد هُزِلَتْ وتخذد^(١) لحمها، فأنشأ يقول:

عُقَيْلِيَّةُ أَمَّا أَعَالِي عَظَامِهَا فَعُوجٌ وَأَمَّا لَحْمُهَا فَقَلِيلُ
[الطويل]

فقالت مجيبة له:

عُقَيْلِيَّةُ حَسَنَاءُ أَرَى بِلَحْمِهَا طَعَامٌ لَدَيْكَ ابْنَ الرِّعَاءِ قَلِيلُ
[الطويل]

فجعل جندل يسبها ويضربها وهي تقول: قلت فأجبت، وكذبت فصدقت، فما غضبك؟

(١) تخذد لحمها: تساقط أو تشقق.

صوت

أصبح الحبل من سَلا مة رَثَّأُ مُجَجِّذًا^(١)
 حَبَّذا أنت يا سَلا مة أَلْفَيْنِ حَبَّذَا
 ثم أَلْفَيْنِ مُضْعَفِي ن وأَلْفَيْنِ هَكَذَا
 في صَمِيمِ الْأَحْشَاءِ مَنِّي وفي الْقَلْبِ قَدْ حَذَا
 حَذْوَةً مِنْ صَبَابَةٍ تَرَكَتَهُ مُفَلِّذَا^(٢)

[مجزوء الخفيف]

الشعر لعمار ذي كُبَار والغناء لحكم الوادي هزج بالوسطى عن الهشامي، قال
 الهشامي: وذكر يحيى المكي أنه لسليم الوادي لا لحكم.

(١) الْمُجَجِّذُ: الْمُقَطَّعُ الْمُسْتَأْصَلُ.

(٢) الْمُفَلِّذُ: الْمُقَطَّعُ.

أخبار عمار ذي كُبار ونسبه

اسمه ونسبه :

هو عمار بن عمرو بن عبد الأكبر، يلقب ذا كُبار، همداني صليبة، كوفي، وجدت ذلك في كتاب محمد بن عبد الله الحزنبلي.

وكان لئن الشعر ماجناً خميّراً معاقراً للشراب، وقد حُدَّ فيه مرات، وكان يقول شعراً ظريفاً يُضْحَك من أكثره، شديد التهافت جَمَّ السخف، وله أشياء صالحة نذكر أجودها في هذا الموضع من أخباره ومنتخب أشعاره، وكان هو وحماد الراوية ومطيع بن إياس يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترقون، وكلهم كان متّهماً بالزندقة.

نشأ في دولة بني أمية :

وعمار ممن نشأ في دولة بني أمية، ولم أسمع له بخبر في الدولة العباسية، ولا كان مع شهوة الناس لشعره واستطابتهم إياه ينتجع أحداً، ولا يبرح الكوفة، لعشاً بصره وضعف نظره.

فأخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي قال: حدثنا العمري [عن حماد الراوية. ولفظ الرجلين كالمتقارب] قال: استقدمني هشام بن عبد الملك في خلافته، وأمر لي بصلة سنيّة وحُملان، فلما دخلت عليه استنشدني قصيدة الأفوه الأودي:

لنا معاشر لم يَبْنُوا القومهمُ وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا
[البسيط]

قال: فأنشدته إياها، ثم استنشدني قول أبي ذؤيب الهذلي:

أَمِنَ المَنُونِ وريبها تتوجعُ

فأنشدته إياها، ثم استنشدني قول عدي بن زيد:

أرواح مودّع أم بـكـوـر

فأنشدته إياها، فأمر لي بمنزل وجراية، وأقمت عنده شهراً، فسألني عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها ومحاسن أخلاقها، وأنا أخبره وأنشده، ثم أمر لي بجائزة وخلعة وحمالان، وردّني إلى الكوفة، فعلمت أنه أمر مقبل، ثم استقدمني الوليد بن يزيد بعده، فما سألني عن شيء من الجدّ إلا مرة واحدة، ثم جعلت أنشده بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه، ولا يهشّ إلى شيء منه، حتى جرى ذكر عمار ذي كُبار فعرفه وسأل عنه، وما ظننت أن شعر عمار شيء يراد أو يُعبأ به. ثم قال لي: هل عندك شيء من شعره؟ فقلت: نعم، أنا أحفظ قصيدة له، وكنت لكثرة عبثي به قد حفظتها، فأنشدته قصيدته التي يقول فيها:

حَبَّذا أنت يا سلا	مة ألفين حَبَّذا
أشتهي منك منك من	ك مكاناً مُجَنَّبَداً ^(١)
مُفَعِّمًا في قُبالة	بين رُكنين رُبَّداً ^(٢)
مدغمًا ذا مناكب	حسن القدِّ مُحْتَذَى
رأبياً ذا مَجَسَّة	أُخْنَسًا قد تَقْنَفُدا
لم تر العين مثله	في منام ولا كَدَا
تامِكاً ^(٣) كالسنام إذ	بُذَّ عَنْهُ مُقَدَّداً ^(٤)
ملء كَفِّي ضجيعها	نال منها تَفْخُدا
لوتأملتَه دُهِشَ	ت وعايَنت جِهْبيداً ^(٥)
طيب العرف والمجسَّة	واللَّمَس هِرْبَداً ^(٦)
فأجافيه فيه في	ه بأيِّر كمثل ذا
ليت أيري وليت حـ	رك جميعاً تآخدا
آخِذْ ذا بشَّعر ذا	آخِذْ ذا بَقَعَر ذا

[مجزوء الخفيف]

قال: فضحك الوليد حتى سقط على قفاه، وصفق بيديه ورجليه، وأمر بالشراب فأحضر، وأمرني بالإنشاد، فجعلت أنشده هذه الأبيات وأكررها عليه، وهو يشرب

(١) المُجَنَّبُ: المرتفع.

(٢) الرُّبْدُ: المقطع.

(٣) التامِكُ: سنام الإبل.

(٤) المقذذ: مخلوق الشعر.

(٥) الجِهْبِدُ: الخبير بخفايا الأمور.

(٦) الهِرْبِدُ: القيم على بيت النار عند المجوس والمراد أنه حار جداً.

ويصفق حتى سكر، وأمر لي بحُلَّتَيْنِ وثلاثين ألف درهم، فقبضتها، ثم قال: ما فعل عمار؟ فقلت حيَّ كَمَيْتٍ، قد عَشِيََ بصره، وضعف جسمه، لا حراك به. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فقلت له: ألا أخبر أمير المؤمنين بشيء يفعلُه لا ضرر عليه فيه، وهو أحبُّ إلى عمار من الدنيا بحذافيرها لو سِقت إليه؟ فقال: وما ذاك؟؟ قلت: إنه لا يزال ينصرف من الحانات وهو سكران، فترفعه الشُّرط، فيضرب الحدَّ، فقد قُطِعَ بالسياط، وهو لا يدع الشراب ولا يكف عنه. فتكتبُ بالأُيُغُرُض له. فكتب إلى عامله بالعراق ألا يرفع إليه أحدٌ من الحرس عماراً في سكر ولا غيره إلا ضُرب الرافع له حَدَّين وأطلق عماراً. فأخذت المال وجثته به، وقلت له: ما ظننت أن الله يكسب أحداً بشعرك نقيراً ولا يسأل عنه عاقل، حتى كسبتُ بأوضع شيءٍ قتلته ثلاثين ألفاً، فقال: عزَّ عليّ فذلك لقلَّة شكركَ يا ابن الزانية، فهات نصيبي منها، فقلت: لقد استغيت عن ذلك بما خُصصت به، ودفعت إليه العشرة الآلاف. فقال: وصلك الله يا أخي وجزاك الله خيراً، ولكنها سبب قتلي، لأنِّي أشرب بها ما دام معي منها درهم، وأضرب أبداً حتى أموت، فقلت له: قد كفيتك ذلك، وهذا عهدُ أمير المؤمنين ألا تُضرب، وأن يضرب كلُّ من يرفعك حَدَّين، فقال والله لأنا أشدُّ فرحاً به مني بالمال، فجزيت خيراً من أخ وصديق. وقبض المال، فلم يزل يشرب حتى مات، وبقيته عنده.

امراته أم عمار:

نسخت من كتاب الحزنبل المشتمل على شعر عمار وأخباره:

إن عماراً ذا كُبار كانت له امرأة يقال لها دُومة بنت رباح، وكان يَكْنِيها أمَّ عَمَّار، وكانت قد تخلَّقت بخُلُقِه في شرب الشراب والمجون والسَّفه، حتى صارت تُدخِل الرجال عليها، وتجمعهم على الفواحش، ثم حجَّت في إمارة يوسف بن عمر، فقال لها عمار:

إِتَّقِي اللَّهَ قَدْ حَجَجْتَ وَتَوْبِي
وَيْكَ يَا دُومُ لَا تَدُومِي عَلَى الْخَمِ
إِنْ بِالْمِصْرِ يُوسَفُ فَاَحْذَرِيهِ
وَتَقِيفُ إِنْ تَثَقَّفْنَا بِحَدِّ

لَا يَكُونَنَّ مَا صَنَعْتَ خَبَالاً^(١)
رَ وَلَا تُدْخِلِي عَلَيْكَ الرِّجَالَ
لَا تَصِيرِي لِلْعَالَمِينَ نَكَالاً
لَمْ يَسَاوِ الْإِهَابُ^(٢) مِنْكَ قَبَالاً^(٣)

(٢) الإهاب: الجلد.

(١) الخبال: فساد الأعضاء.

(٣) القَبَال: زمام التعل.

قد مَضَى ما مَضَى وقد كان ما كا ن وأودى الشباب منك فزالا
[الوافر]

قال: فضربته دومة وخرقت ثيابه، ونتفت لحيته، وقالت: أتجعلني غرضاً لشعرك؟ فطلقها واشترى جارية حسناء، فزادت في أذاه وضربه، غيرة عليه، فشكاها إلى يوسف بن عمر، فوجه إليها بخدم من خدمه، وأمرهم بضربها وكسر نبیذها، وإغرامها ثياب عمار، ففعلوا ذلك، وبلغوا منها الرضا لعمار، فقال في ذلك عمار:

إن عِرْسِي لا هداها اللُّهُ بِنْتُ لِرَبِّاحِ
كلَّ يوم تُفزعُ الجُلَّاسَ منها بالصِّياحِ
ورُبُّوخُ^(١) حين تُؤتى
كلبُ دَبَّاعٍ عَقُورُ
ولهالونٌ كداجي اللي
ولسانُ صارم كالسي
يقطع الصخر ويفري
عَجَلُ اللُّهُ خلاصي
تُتعبُ الصاحب والجاء
زعمتُ أني بخيل
ورأتُ كَفِّي صِفْراً
كذبتُ بِنْتُ رَبِّاحِ
حاتمٌ لو كان حياً
ولقد أهلك مالي
ثم ما أبقيتُ شيئاً
وكُملتُ بين أشطا
يسبق الخيل بتفري
ثم غارت وتَجَنَّتْ

فمَشَّحُودُ النواحي
هَرٌّ من بعد نُباحِ
ل من غير صَباحِ
ف مَشَّحُودُ النواحي
ه كما تُفري المساحي
من يديها وسَراحِ
ر وتُبْغِي مَنْ تُلاحِي^(٢)
وقَدْ أُخْنِي بي سَماحي
من تِلادي وَلِقاحِ
حين هَمَّتْ باطِراحِ
عاش في ظلِّ جَناحي
في ارتياحي وسماحي
غير زادي وسِلاحِ
نِ جَوادِ ذِي مِراحِ^(٣)
ب وشَدُّ كالرياحِ
وأجَدَّتْ في الصِّياحِ

(١) الرِّبُوخُ: المرأة التي يُغشى عليها من شدة ثوران شهوتها.

(٢) تُلَاحِي: تلوم.

(٣) المِراحُ: النشاط.

لا بتياعي أملح النسـ وان من فيء الرِّمَّاح
 دُمِيَّة المَحْرَابِ حُسْنًا وحكت بَيْض الأَدَاحِي^(١)
 هِي أَشْهَى لِصَدَى الظَّمـ آن من برد القَرَّاحِ
 قَلْتُ يَا دُومَةُ بَيْنِي إن في البَيْنِ صَلاحِي
 فَأَنَا الْيَوْمَ طَلِيقٌ من إِسَارِي ذُو ارْتِيَا حِ
 لَسْتُ عَمَّنْ ظَفَرْتُ كَفَّـ ي بِهَا الْيَوْمَ بِصَاحِ
 أَنَا مَجْنُونٌ بِرِيمِ مُخْطَفِ^(٢) الْخَصْرِ رَدَّاحِ^(٣)
 مُشْبَعِ الدُّمْلُجِ^(٤) وَالْخَلْخَالِ جَوَّالِ الْوِشَاحِ
 إِنْ عَمَّارُ بَنِ عَمْرٍو ذَا كُوبَارِ ذُو امْتِدَا حِ
 وَهَجَاءِ سَائِرِ فِي النَّاسِ لَا يَمَحُوهُ مَاحِي
 أَبَدًا مَا عَاشَ ذُو رُو حِ وَنُودِي بِالْفَلَّاحِ
 [مجزوء الرمل]

سائق الرؤوس :

قال : وكان لعمار جار يبيع الرؤوس يقال له غلام أبي داود، فطرق عماراً قوم كانوا يعاشرونه ويدعونه، فقالوا : أطعمنا واسقنا، ولم يكن عنده شيء يومئذ، فبعث إلى صاحب الرؤوس يسأله أن يوجه له بثلاثة أرؤس ليعطيه ثمنها إذا جاءه، فلم يفعل، فباع قميصاً له واشترى للقوم ما يصلحهم، وشربوا عنده، فلما أصبح خرج إلى المحلة، وأهلها مجتمعون، فأنشأ يقول :

غـلامٌ لأبـي داو دُيْدَعَى سَالِقِ الرُّوسِ
 وَفِي حُجْزَتِهِ قَمْلٌ كَأَمْثَالِ الْجَوَامِيسِ
 [فَمَنْ ذَا يَشْتَرِي الرُّوسَ وَقَدْ عَشَّشَ فِي الرُّوسِ
 رُؤُوسَ قَدْ أَرَا حَتَّ كـ رُؤُوسَ فِي النُّوَاوِيسِ]
 تُحَاكِي أَوْجَهَ الْمَوْتَى وَرِيحاً كَالْكَرَايِيسِ^(٥)

(١) الأَدَاحِي : مفردُها الأَدْحِيَّة وهي بيض النعام في الرَّمْل .

(٢) مَخْطَفُ الْخَصْرِ : دقيقة أو مطوية .

(٣) الرَّدَّاح : الثَّقِيلَةُ الْأَوْرَاكُ والعَجْز .

(٤) الدُّمْلُج : السَّوَار .

(٥) الكَرَايِيس : مفردُها الكَرِيَّاس وهو الكَنِيف .

يُنَقِّي القمل منهن إذا باع بتدليس
[الهزج]
قال: فشاعت الأبيات في الناس، فلم يقرب أحد ذلك الرجل، ولا اشترى منه شيئاً، فقام من موضعه ذلك، وعَطَّل حانوته.

حال وحال:

قال: وحضر عمار ذو كُبار مع هَمْدان لقبض عطائه، فقال له خالد بن عبد الله: ما كنت لأعطيك شيئاً. فقال: ولم أيها الأمير؟ قال: لأنك تنفق مالك في الخمر والفجور، فقال: هيهات ذلك وهل بقي لي أرب في هذا وأنا الذي أقول:

أير عمار أصبح الـ	يَوْمَ رَخُوا قَدْ انكَسَر
أَلِدَاءٍ يُرَى بِهِ	أَم مِنَ الِهِمِّ وَالضَّجَرِ؟
أَمْ بِهِ أَخْذَةٌ فَقَدْ	تُطْلِقُ الْأَخْذَةَ ^(١) النَّشْرُ ^(٢)
فَلئن كان قَوْسَ الـ	يَوْمَ أَوْ عَضَّه الْكِبَرُ
فَلَقَدْ قَضَى وَنَا	لَ مِنْ اللَّذَّةِ الْوَطَرُ
وَلَقَدْ كُنْتُ مُنْعِظاً	أَبْدأ قَائِمَ الذِّكْرِ
وَأَنَا الْيَوْمَ لَوْ أَرَى الـ	حُورَ عِنْدِي لَمَا انْتَشِرُ
سَاقِطَ رَأْسُهُ عَلَى	خُصَيْتِيهِ بِهِ زَوْرُ
كَلِمَا سُمِّتَ النُّهْوُ	ضَ إِلَى كُوءٍ عَثَرُ

[مجزوء الخفيف]

قال: فضحك خالد، وأمر له بعطائه، فلما قبضه قضى منه دينه، وأصلح حاله، وعاد لشأنه، وقال:

أصبح اليوم أير عمار قد قام واسبَطَ^(٣)
أخذ الرزق فاستشَا طَ قِيَاماً مِنَ الْبَطَرِ
فهو اليوم كالشُّظَا ظ^(٤) مِنَ النَّعْظِ^(٥) وَالْأَشْرُ^(٦)

(١) الأخذة: ضرب من السحر تفعله المرأة لتمنع زوجها من إتيان غيرها (الربط).

(٢) النَّشْرُ: مفردها النشرة وهي رقية يعالج بها المريض والمجنون.

(٣) إسبَطَ: إمتدَّ. (٤) الشُّظَاظ: العودُ يُدخل في عروة الجوالق.

(٥) النَّعْظ: القيام. (٦) الأشر: المرح.

يَتَرُكُ الْقِرْنَ فِي الْمَكْرِّ صَرِيْعاً وَمَا فَتَرُ
يُشْرِعُ الْعُودَ لِلطَّعَا نَ إِذَا انْصَاعُ^(١) ذُو الْخَوَرِ
سَلِمَ نَعَمِ الضَّجِيعُ أَنْ تَ لِنَا لَيْلَةَ الْخَصَرِ^(٢)
لَيْلَةَ الرِّعْدِ وَالْبُرُ قَ مَعَ الْغَيْمِ وَالْمَطَرِ
لَيْتَنِي قَدْ لَقَيْتُكُمْ فِي خِلَاءٍ مَعَ الْبِشْرِ
فَنَشَرْنَا حَدِيثَنَا عِنْدَكُمْ كُلُّ مُنْتَشِرِ
خَالِيَا لَيْلَةَ التَّمَا مَ بِسَلَمَى إِلَى السَّحَرِ
فَهِيَ كَالدَّرَةِ النَّقِيَّةِ وَالْوَجْهَ كَالْقَمَرِ
[مجزوء الخفيف]

عمار ودندان :

قال : وخرج عمار في بعض أسفاره ، ومعه رجل يُعرف بدندان ، فلما بلغا إلى
الفرات نزلا على قرية يقال لها ناباذ وأرادا العبور فلم يجدا معبراً [فقال له دندان : أنا
أعبرُك ، فنزل معه] فلما توسطا الفرات خلى عنه ، فبعد جهدٍ ما نجا ، فقال عمار في
ذلك :

كَادَ دَنْدَانُ بَأْنَ يَجْعَلْنِي يَوْمَ نَابَاذَ طَعَاماً لِلْسَّمَكِ
قَلْتُ دَنْدَانُ أَغْثَنِي فَمَضَى وَأَنَا أَعْلُو وَأَهْوِي فِي الدَّرَكِ
وَلَقَدْ أَوْقَعَنِي فِي وَرْطَةٍ شَيَّبَتْ رَأْسِي وَعَايَنْتِ الْمَلَكُ
لَيْتَ دَنْدَانُ بِكَفِّي أَسَدٍ أَوْ قَتِيلاً ثَاوِيّاً فَيَمْنُ هَلَكُ
[الرمل]

بين عمار وخالد القسري :

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال : حدثنا محمد بن صالح بن النطاح ، عن أبي
اليقظان قال :

دخل عمار ذو كُبار على خالد القسري بالكوفة ، فلما مثل بين يديه صاح به :
أيها الأمير :

أَخْلَقْتُ رَيْطَتِي وَأُودَى الْقَمِيصُ وَإِزَارِي وَالْبَطْنُ طَاوٍ خَمِيصُ
[الخفيف]

(٢) الْخَصَرُ : البرد .

(١) انْصَاعُ : قَلَّ مُسْرِعاً .

قال خالد: فنصنع ماذا؟ ما كل من أخلقت ثيابه كسونه، فقال:

وخلا منزلي فلا شيء فيه لست ممن يُخشى عليه اللصوصُ
[الخفيف]

فقال له خالد: ذلك من سوء فعلك وشربك الخمر بما تعطاه، فقال:

واستحل الأمير حبس عطائي خالد إن خالداً لحريصُ
[الخفيف]

فقال خالد وقد غضب: على ماذا ثكلتك أمك؟ فقال:

ذو اجتهاد على العبادة والخير ر ولكن في رزقنا تعويصُ^(١)
[الخفيف]

فقال: على ماذا تقبض العطاء ولا غناء فيك عن المسلمين؟ فقال:

رخص الله في الكتاب لذي العُد ر وما عند خالد ترخيصُ
[الخفيف]

فقال: أو لم نرخص لذي العذر أن يقيم ويبعث مكانه رسولاً؟ فقال:

كلّف البائس الفقير بديلاً هل له عنه معدل أو محيصُ؟
العليل الكبير ذا العرج الظا لع أعشى بعينه تلحيصُ^(٢)
يا أبا الهيثم المبارك جُد لي بعطاء ما شأنه تنغيصُ
وبرزقي فإننا قد رزحنا من ضياع وللعيال بصيصُ^(٣)
كبصيص الفرخين ضمهما العش وغاذهما أسير قنيصُ
[الخفيف]

قال: فدمعت عينا خالد، وأمر له بعطائه.

[وهذه الأبيات من قصيدة يقول فيها:

وترى البيت مُقشَعِراً قواء من نواحيه دُورقُ^(٤) وأصيصُ^(٥)
وبجَاد مَمَزَّق وخوان نَدَرْتُ رِجله وأخرى رهيصُ^(٦)

(١) التعويص: الشدة والصعوبة.

(٢) التلحيص: الالتصاق من الرمص وهو الوسخ الأبيض في مجرى الدمع من العين.

(٣) البصيص: الرعدة.

(٤) الدورق: الجرة ذات العروة.

(٥) الأصيص: وعاء يُبال فيه أو تزرع فيه الرياحين.

(٦) الرهيص: المصاب بالوهن.

تؤكل اللحم فوقه والخبيصُ
رِ وعَنِّي لم يُلْهه التريصُ^(١)
هَمُّه العَرُسُ فيه والتحصيلُ
رُيغاديه بَطَّةٌ ومَصُوصُ^(٢)
وَصِيوْدٌ قد حازها التقنيصُ
ط لدى الحشو فاحذروا أن يَبُوصُوا
سوف يودي بذلك التنقيصُ
[الخفيف]

ولقد كان ذا قوائم مُلْسِ
شَطْنَتْ هكذا شوارد بالمِصْ
وتولَّى في كل بحر وبر
متعالٍ عليَّ آخرَ مَحْبُوبِ
وشواء مُلْهُوَجٌ^(٣) ورؤوسُ
ثم لا بد يلتقي الوزن بالقسـ
أَكْثَرُوا الملك جانباً واجمعوه

يمدح عاصم بن عقيل :

ونسخت من كتاب الحزنبل :

إن عماراً وقف على عاصم بن عقيل بن جعدة بن هُبيرة المخزومي فقال له :

عاصم يا ابن عَقِيلٍ أفسح العالم باعا
وارث المجد قديماً سامياً يَنْمِي ارتفاعا
عن هُبَيْرٍ وابنه جَعْدٌ دةً فاحتلَّ التَّلَاعا
[مجزوء الرمل]

فقال له عاصم : أسمعَتَ يا عمار فَقُلْ فقد أبْلغت في الثناء ، فقال :

أَكْسُنِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَمِيصاً وَصِقَاعاً
وَأَرْحُنِي مِنْ ثِيَابٍ بِالْيَاثِ تَتَدَاعَى
طال تَرْقِيْعِي لَهَا حَتَّى لَقَدْ صَارَتْ رِقَاعاً
كلها لا شيءَ فِيهَا غَيْرَ قَمْلٍ تَتَسَاعَى
لَمْ تَزَلْ تُؤَلِي الَّذِي يَرُ جَوْكُ بَرّاً وَاصْطِنَاعاً
[مجزوء الرمل]

فنزع عاصم جبة كانت عليه وأمر غلامه فجعل تحتها قميصاً ودفعها إليه ، وأمر
له بمائتي درهم .

(١) التريص : الانتصار والتريث .

(٢) المَصُوص : لحم يُنْقَع في الخل ثم يُطهى .

(٣) المُلْهُوَج : الذي لم يتم شيء .

القصيدة التي استحسناها الوليد :

فأما القصيدة الذالية، التي استحسناها الوليد، وسأل حماداً عنها، فإنها كثيرة المرذول، ولكنها مضحكة طيبة من الشعر المرذول، وفيها يقول :

أنت وَجَدًا بها كمغضٍ بي جفونٍ على القذى
[لم يقل قائل من النَّاسِ قولاً كنحو ذا]
تحت حرٍّ وصلته صار شعراً مُهَذَا^(١)
قول عمّار ذي كبارٍ فيا حسن ما احتذى
علّاني بذكرها واسقياني مُحَذَا^(٢)
تترك الأذن سخنة أرجواناً بها خَذَا^(٣)

[مجزوء الخفيف]

من صالح شعره :

ومن صالح شعره قوله :

شجا قلبي غزال ذو دلالٍ واضح السُّنَّة^(٤)
أَسِيلُ^(٥) الخدّ مربوبٌ وفي منطقه غُنَّة
ألا إن الغواني قد برى جسمي هواهنَّه
وقالوا شَفَّكَ الحورُ هوى قلت لهم إنَّه
ولكنني على ذاك مُعَنَّى بأذاهنَّه
أراح اللّه عمّاراً من الدنيا ومنهنَّه
بعبيداتٍ قريباتٍ فلا كان ولا كُنَّه
فقد أذهل مني العقـ ل والقلب شجَاهنَّه
يُمَنِّينَ الأباطيلَ ويجحدن الذي قُلنَّه

[الهمزج]

[وقول أيضاً :

يا دوم دام لنا صلاحكم وسقالك ربّي صفوة الدّيم

(٢) المُحَذِّذُ: السريع النفاذ.

(٤) السُّنَّة: الوجه.

(١) المُهَذَا: سريع القراءة.

(٣) الحَذَا: الإسترخاء في الأذن.

(٥) الأسيل: الناعم.

مِنْ كُلِّ دَانٍ مُسْبِلٍ هَطِلٍ
 تَرِدُ الْوَحُوشُ إِلَيْهِ سَارِعَةً
 قَلَقْتُ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ كَبْدِي
 وَتَرَكْتُني لِعَوَازِلِي غَرَضاً
 بَرَحَ الْخَفَاءُ وَقَدْ عَلِمْتُ بِهِ
 أَخْفَيْتُهُ حَتَّى وَهَى جَلْدِي
 يَا أَحْسَنَ الثَّقَلَيْنِ كُلَّهُمُ
 يَضْبُو الْحَلِيمُ لِحَسَنِ بَهْجَتِهَا
 تَفْتَرُّ عَنْ سِمْطَيْنِ مِنْ بَرْدٍ
 كَالْأَقْحَوَانِ لِغَبِّ سَارِيَةٍ
 حُمَّ اللَّثَاثِ يَرُوقُ نَازِلُهُ
 تُومِي بِكَفِّ رَطْبَةٍ خُضِبَتْ
 وَبِمَقْلَةٍ حَوَاءٍ سَاجِيَةٍ
 وَالْجَيِّدُ مِنْهَا جَيِّدٌ مُغْزَلَةٌ
 وَكَدْمِيَّةُ الْمَحْرَابِ مَائِلَةٌ
 وَكَأَنَّ رِبْقَتَهَا إِذَا رَقَدَتْ

مَتَتَابَعِ سَحٍّ مِنَ الرَّهْمِ^(١)
 وَالطَّيْرِ أَفْوَاجاً مِنَ الْقُحْمِ^(٢)
 وَصَدَعَتْ صَدْعاً غَيْرَ مُلْتَمِ
 كَاللَّحْمِ مُتَّرَكاً عَلَى الْوَضْمِ^(٣)
 إِنِّي لِحَبِّكَ غَيْرَ مُكْتَتِمٍ
 وَبَرَى فَوَّادِي وَاسْتَبَاحَ دَمِي
 وَأَتَمَّ مَنْ يَخْطُو عَلَى قَدَمٍ
 وَيَزِيدُهُ أَلْماً إِلَى أَلَمٍ
 مَتَفَلَّجٍ عَنْ حُسْنِ مُبْتَسِمٍ
 جُنْحَ الْعِشَاءِ يُنِيرُ فِي الظُّلَمِ
 مَا عَيْبَ مِنْ رَوْقٍ^(٤) وَلَا قَصَمَ^(٥)
 وَأَنَامِلٍ يَنْطُفِنَ^(٦) كَالْعَنَمِ^(٧)
 وَبِحَاجِبِ كَالنُّونِ بِالْقَلَمِ
 تَحْنُو إِلَى خِشْفٍ بِذِي سَلَمٍ
 وَالْفَرْعُ جَثْلٌ^(٨) النَّبْتُ كَالْحُمَمِ
 رَاحٌ يَفْوُحُ بِأَطْيَبِ النَّسَمِ
 [الكَامِل]

خَذُوا أَذَانَ الْقَوْمِ:

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طَالِبِ الدِّينَارِيِّ
 قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ قَالَ:

- (١) الرَّهْمُ: مفردُها الرِّهْمَةُ وهي المَطَرُ الدَّائِمُ.
- (٢) الْقُحْمُ: مفردُها القُحْمَةُ وهي السَّنَةُ الشَّدِيدَةُ الْقَحْطِ وَالْجَفَافِ.
- (٣) الْوَضْمُ: مَا وَقِيَ بِهِ اللَّحْمُ عَنِ الْأَرْضِ مِنْ خَشَبٍ وَحَصِيرٍ. جَمْعُهَا أَوْضَامٌ.
- (٤) الرُّوقُ: طُولُ الْأَسْنَانِ.
- (٥) الْقَصَمُ: انْكَسَارُ الثَّنِيَّةِ.
- (٦) نَطَفٌ: سَالٌ.
- (٧) الْعَنَمُ: شَجَرَةٌ ثَمَرُهَا أَحْمَرٌ يَشَبُّهُ بِهَا الْبَنَانُ الْمُخَضَّبُ.
- (٨) الْجَثْلُ: الْكَثِيرُ اللَّيِّنُ.

قال حماد الراوية: أرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار، وأمر يوسف بن عمر بحملي على البريد، فقلت: يسألني عن مآثر طَرْفِيهِ قريشٍ وثقيف، فنظرت في كتابي ثقيف وقريش حتى حفظتهما، فلما قدمت عليه سألتني عن أشعار بَلِيٍّ، فأنشدته منها ما حفظته، ثم قال لي: أنشدني في الشراب، وعنده قوم من وجوه أهل الشام، فأنشدته لعمار ذي كُبار:

أَصْبَحَ الْقَوْمَ قَهْوَةً فِي أَبَارِيقٍ تُحْتَذَى
مَنْ كُمَيْتٍ مُدَامَةٍ حَبَّذَا تِلْكَ حَبَّذَا
يَتْرَكَ الْأَذْنَ شُرْبُهَا أَرْجَوَاناً بِهَا خَذَا

[مجزوء الخفيف]

فقال: أعدّها، فأعدتها، فقال لخدمه: خذوا آذان القوم، قال: فأتينا بالشراب فسقينا حتى ما دَرَيْنَا متى نُقِلْنَا ثم حُمِلْنَا فطُرحْنَا في دار الضيفان، فما أيقظنا إلا حرّ الشمس، وجعل شيخ من أهل الشام يشتمني ويقول: فعل الله بك وفعل، أنت صنعت بنا هذا.

صوت

شَطَّطٌ^(١) ولم تُثَبِّ الرِّبَابُ ولعلَّ لَلْكَلِفِ الثَّوَابُ
نَعْبُ الْغَرَابُ فِرَاعِنِي بِالْبَيْنِ إِذْ نَعْبُ الْغَرَابُ

[مجزوء الكامل]

عروضه من الضرب الثالث من الكامل، والشعر لعبد الله بن مصعب الزبيري، والغناء لحكم الوادي ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

(١) شَطَّطٌ: بَعْدَتْ.

أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه

اسمه ونسبه :

عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصَيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

شاعر فصيح خطيب ذو عارضة وبيان واعتنان^(١) بين الرجال وكلام في المحافل ، وقد نادى أوائل الخلفاء من بني العباس ، وتولى لهم أعمالاً ، وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة على أبي جعفر المنصور فيمن خرج من آل الزبير ، فلما قتل محمد استتر عنه ، وقيل : بل كان استتاره مدة يسيرة إلى أن حج أبو جعفر المنصور وآمن الناس جميعاً فظهر .

المهدي يكتب شعره على الأرض :

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا عمي وفليح بن إسماعيل .

عن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة قال : دخلت على المهدي ، وإذا هو يكتب على الأرض بفحمة قول عبد الله بن مصعب :

مقاله واشي أو وعيد أمير	فإن يحجبوها أو يحلّ دون وصلها
ولن يخرجوا ما قد أجنّ ضميري	فلن يمنعوا عيني من دائم البكا
بطون الهوى مقلوبة لظهور	وما برح الواشون حتى بدت لنا
ومن نفس يعتادني وزفير	إلى الله أشكو ما ألقى من الجوى

[الطويل]

ويقول : أحسن والله عبد الله بن مصعب ما شاء .

وهذه الأبيات تنسب إلى المجنون أيضاً . وفيها بيتان فيهما غناء ليزيد حوراء خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانه ، ويقال : إنه للزبير بن دحمان ، وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيف ثقیل أول بالوسطى .

(١) الإعتنان : الظهور .

يهوى جارية من بني أبي بكر:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني محمد بن الحسن بن زياد. ونسخت هذا الخبر من كتاب أبي سعد العدوي عن أبي الطرماح مولى آل مصعب بن الزبير من أهل ضَرِيَّة وروايته أتم.

أن عبد الله بن مصعب لمَّا وَلِيَ الإمامة مرَّ بالحَوَّاب يوماً، وهو ماء لبني أبي بكر بن كلاب، وهو الذي ذكره النبي ﷺ، فرأى على الماء جارية منهم، فهويها وهويته، وقال:

يا جُمْلُ للواله المستعبرِ الوَصِبِ
أَنْى أَتِيحْتُ له لِلْحَيْنِ جَارِيَّةُ
جارية من أبي بكر كَلَفْتُ بها
من غير معرفة إلا تعرَّضَها
قامت تعرَّضُ لي عَمداً فقلت لها
بين الحواريّ والصديق في نسب
ولا أدب إلى الجارات مُنْسَرِباً
ماذا تَضَمَّنَ من حُزْنٍ ومن نَصَبٍ؟
في غير ما أُمم منها ولا صَقَبٍ^(١)
ممن يَحُلُّ من الحَصَاءِ^(٢) والحَوَّبِ^(٣)
حِيناً لذلك إن الحَيْنَ مُجْتَلِبِي
يا عَمْرُكَ اللَّهُ هل تدرين ما حسبي
يَنْهَى عن الفحش مثلي غير مؤْتَشَبِ^(٤)
تالَّه إنني لعِزْهاة^(٥) عن الرِّيبِ
[البسيط]

فخطبها، وكانت العرب لا تنكح الرجل امرأة شَبَّ بها قبل خطبته، فلم يزوجوها إياه، فلما يئست منه قالت:

إذا خَدِرْتُ رجلي ذكرت ابنَ مصعبِ
ألا ليتني صاحبْتُ رَكَبَ ابنِ مصعبِ
لقد كنت أبكي واليمامة دونه
فإن قيل عبدُ اللَّهِ خَفَّ فتورُها
إذا ما مطاياها اتلَّأَبَتْ^(٦) صدورُها
فكيف إذا التَقَّتْ عليه قصورُها؟
[الطويل]

قال أبو الطرماح في خبره:

(١) الصَّقَب: القرب أو البعد (ضد) وهنا بمهني القرب.

(٢) الحَصَاء: ماء.

(٣) الحَوَّب: تخفيف لكلمة (حَوَّاب) وهو ماء لبني أبي بكر بن كلاب.

(٤) المؤْتَشَب: المخلوط غير الصريح.

(٥) العِزْهاة: العازف عن اللهو واللعب.

(٦) اتلَّأَبَتْ: إستقامت وانتصبت.

وكان لها أخوة شُرسٌ عُيِّرُ فقتلواها .

أخبرنا ببعض هذه القصة ابن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن أبي عمر الزهري وذكر الشعرين جميعاً، والألفاظ قريبة .

يخاصم رجلاً من ولد عمر :

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني علي بن محمد النوفلي [عن أبي عمر الزهري] قال : حدثني أبي .

أن عبد الله بن مصعب خاصم رجلاً من ولد عمر بن الخطاب بحضرة المهدي، فقال له عبد الله بن مصعب : أنا ابن صَفِيَّة، قال : هي أدنتك من الظلِّ ولولاها لكنت ضاحياً وكنت بين الفرث^(١) والحوية^(٢) . قال : أنا ابن الحواري، قال له العمري : بل أنت ابن وردان المُكاري، قال : وكان يقال : إن أمه كانت تهوى رجلاً يكري الحمير يقال له وردان فكان من يَسْبُه يُنسبه إليه . وقال فيه الشاعر :

تُدْعِي حوارِي الرسولِ سفاهةً وأنت لوردانِ الحميرِ سليلٌ
[الطويل]

فقال : والله لأنا بأبي أشبه من التمرة بالتمرة والغراب بالغراب، قال العمري : كذبت، وإلا فأخبرني ما بال آل الزبير ثُطَّ^(٣) اللحي [وأنت ألحي] وما لهم سمرّاً جعاداً وأنت أحمر سبط؟ قال : ألي تقول هذا يا ابن قتيل أبي لؤلؤة^(٤)؟ قال العمري : يا ابن قتيل ابن^(٥) جرموز على ضلالة، أتعيرني أن قتل أبي رجل نصراني، وهو أمير المؤمنين، قائماً يصلي في محرابه، وقد قتل أباك رجل مسلم بين الصنفين، يدفعه عن باطل، ويدعوه إلى حق، فأنا أقول : رحم الله ابن جرموز، فقل أنت : رحم الله أبا لؤلؤة، ثم أقبل على المهدي فقال : ألا تسمع يا أمير المؤمنين ما يقول عائد الكلب في عمر بن الخطاب، وقد عرفت ما كان بينه وبين أبيك العباس بن عبد المطلب [وأبيه الزبير من المودة وتعلم ما بين] جده عبد الله بن الزبير، وبين جدك عبد الله [من العداوة] فأعن يا أمير المؤمنين أولياءك على أعدائك، فوثب رجل من آل طلحة فقال له : يا أمير المؤمنين ألا تكف هذين السفهيين عن تناول أعراض أصحاب

(١) الفرث : السُّرجين في الكرش .

(٢) الحويّة : استدارة كل شيء وما تحوي الأمعاء .

(٣) الثُّطُّ : مفردھا الأثْطُ وهو الخفيف اللحية .

(٤) أبو لؤلؤة : قاتل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

(٥) ابن جرموز : قاتل الزبير بن العوّام (رضي الله عنه) .

رسول الله ﷺ؟ وتكلم الناس بينهما وتوسطوا كلامهما وأكثروا، فأمر المهدي بكفهما والتفريق بينهما.

عائد الكلب :

قال النوفلي : وكان عبد الله بن مصعب يلقب عائد الكلب لقوله :

مالي مرضت فلم يعُدني عائدٌ منكم ويمرض كلبُكم فأعودُ؟
وأشدُّ من مرضي عليَّ صدودُكم وصدود عبدكم عليَّ شديدُ
[الكامل]

فلقب عائد الكلب . قال ابن عمار : هكذا حفظني عن النوفلي ، وقد يزيد القول وينقص .

لحكم الوادي في هذين البيتين الذين أولهما :

مالي مرضت فلم يعُدني عائدٌ منكم ويمرض كلبُكم فأعودُ
[الكامل]

لحنان خفيف ثقیل بالوسطی عن إبراهيم وحش ، ورملة بالوسطی عن الهشامي .

يحسد الأحيي على إقبال المهدي عليه :

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال : أنشد الأحيي ، المهدي قصيدة مدحه بها ، وكان عبد الله بن مصعب حاضراً ، فحسده على إقبال المهدي عليه ، وكان المهدي يحبه ، فجعل يخاطب المهدي ويحدثه ، فقال له : أمسك فما يشغلني كلامك عنه ، فقطع الأحيي الإنشاد ، ثم أقبل على المهدي فقال له :

عَبْدُ مَنْافٍ أَبُو أُبُوتَيْنَا وَعَبْدُ شُمُسٍ وَهَاشِمٌ تَوْمٌ
بحران خَرَّ العَوَامُ بينهما فالتظما والبحار تلتطم
[المنسرح]

قال المهدي : كذاك هو ، فدع هذا المعنى وعُد إلى ما كنت فيه ، وخجل عبد الله فما انتفع بنفسه يومئذ .

قال ابن عمار : فحدثني بعض شيوخنا قال :

كنت عند مصعب بن عبد الله الزبيري يوماً وقد جرى ذكر الأحيي ، فأنشدته هذين البيتين ، فتغير لونه ثم قال لي : نعم ، قد كان خاطب أبي بهما فأمضه ، فلما قمنا

عنه قال لي: ويحك أتشدد رجلاً تتعلم منه وتأخذ عنه هجاءً في أبيه؟ فقلت له: دعني فأني أحببت أن أغضّ من كِبَرِه. قال: وكان في مصعب بعض ذلك.

صوت

أَلَا لَلَّهِ دَرْكٌ مِّنْ
وَقَالُوا مَن فَتَى لِّلْحَرْ
فَكُنْتَ فَتَاهُمْ فِيهَا
ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوِدَنِي
فَدَمَعُ الْعَيْنِ مَن بُرَحَا
كَمَا أَوْدَى بِمَاءِ الشَّئْتِ^(١) الْمَخْرُوزَةُ السَّرْبُ
عَلَى عَبْدِ بْنِ زَهْرَةَ طُو
فَتَى قَوْمٌ إِذَا رَهَبُوا
بِإِرْقَابِنَا وَيَرْتَقِبُ
إِذَا يُدْعَى لَهَا يَثْبُ
صُداغُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ
ءِ مَا فِي الصِّدْرِ يَنْسَكِبُ
لَ هَذَا اللَّيْلِ أَكْتَبُ
[مجزوء الوافر]

الشعر لأبي العيال الهذلي، والغناء لمعبد ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق وابن المكي وغيرهما مما لا يشك فيه من صنعته، وفي الثالث والرابع من الأبيات لمالك خفيف ثقيل عن الهشامي، ومن الناس من ينسبه إلى معبد أيضاً، وفي الأول والثاني والثالث لمعبد أيضاً خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه، وذكر الهشامي وحماد بن إسحاق أنه لابن عائشة، وفيه لمالك هزج بالبنصر فيما ذكر حبش.

(١) الشَّئْتُ: القربةُ الحَلَقُ الصغيرة.

أخبار أبي العيال ونسبه

اسمه ونسبه :

أبو العيال بن أبي عنتر، وقال أبو عمرو الشيباني: ابن أبي عنبر بالباء ولم أجد له نسباً يتجاوز هذا في شيء من الروايات، وهو أحد بني خُناعة بن سعد بن هذيل، وهذا أكثر ما وجدته من نسبه، شاعر فصيح مقدم، من شعراء هذيل، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، ثم أسلم فيمن أسلم من هذيل، وعُمِّر إلى خلافة معاوية. وهذه القصيدة يرثي بها ابن عمّه عبد بن زهرة، ويقال إنه كان أخاه لأمّه أيضاً.

يكتب إلى معاوية في وصف غزاة :

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي فيما قرأته عليه من شعر هذيل، عن الرياشي، عن الأصمعي. ونسخت أيضاً خبره الذي أذكره من نسخة أبي عمرو الشيباني قالاً: كان عبد بن زهرة غزا الروم في أيام معاوية. وقال أبو عمرو خاصة:

مع يزيد بن معاوية في غزاته التي أغزاه أبوه إياها، فأصيب في تلك الغزاة جماعة من المسلمين من رؤسائهم وحماتهم، وكانت شوكة الروم شديدة قتل فيها عبد العزيز بن زُرارة الكلابي وعبد بن زهرة الهذلي وخلق من المسلمين، ثم فتح الله عليهم، وكان أبو العيال حاضراً تلك الغزاة فكتب إلى معاوية قصيدة قرأها وقرئت على الناس، فبكى الناس وبكى معاوية بكاء شديداً، جزعاً لما كتب به. والقصيدة:

مَنْ ابى العيال أخى هذيل فاعلموا قولي ولا تتجمعوا ما أرسل
أبلغ معاوية بن صخر آيةً يهوي إليه بها البريد الأعجل
والمرء عمراً فأته بصحيفة مني يلوح بها كتاب مُنْمَل
[الكامل]

لا تتجمعوا: لا تكتموا. والمُنْمَل: كأن سطوره آثار نمل.

وإلى ابن سعد إن أُؤخِّرهُ فقد أَرَى بنافي قَسْمِهِ إذ يعدلُ

وإلى أولي الأحلام حيث لقيتهم أهل البقية والكتاب المنزل
[الكامل]

وفي ديوان الرجل : حيث البقية والكتاب المنزل .

أمراً تضيق به الصدور ودونه مُهَج النفوس وليس عنه مَعْدَلُ
في كل مُعْتَرِكٍ ترى منّا فتى يَهْوِي كعزلاء المزايدة تُزْعِلُ
[الكامل]

تزعل : تدفع دفعاً .

أو سيّداً كهلاً يَمُور دماغه أو جانحاً^(١) في رأس رمح يَسْعُلُ^(٢)
[الكامل]

يَسْعُلُ : يَشْرِق بالدم .

وترى النّبال تَعِير^(٣) في أقطارنا وترى الرماح كأنما هي بيننا
حتى إذا رَجَبُ تولى فانقضى شعبان قدّرنا لوقت رحيلهم
وتجرّدت حَرْبٌ يكون جلابُها فاستقبلوا طَرْفَ الصعيد إقامةً
شُمُساً كأن نصالهنّ السُّنْبُلُ أشطانُ بئريُوغَلون ونوغلُ
وَجُمادَيان وجاء شهرٌ مُقبلُ تسعاً يُعدّلها الوفاء وتكُمُلُ
عَلَقاً ويَمريها العَوِيّ المُبطلُ طَوُراً وطَوُراً رحلةً فتحملُوا
[الكامل]

بين أبي العيال وبدر بن عامر :

قال الأصمعي وأبو عمرو :

وكان أبو العيال وبدر بن عامر، وهما جميعاً من بني خُناعة بن سعد بن هذيل يسكنان مصر، وكانا خرجا إليها في خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأبو العيال معه ابن أخ له، فبينما ابن أخي أبي العيال قائم عند قوم ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله، فكان فيه بعض الهيج، فخاصم في ذلك أبو العيال، واتهم بدر بن عامر، وخشي أن يكون ضلعه مع خصمائه، فاجتمعا في ذلك في مجلس فتناً^(٤) فقال بدر بن عامر :

(١) الجانح : المائل في أحد شقيّه . (٢) يسْعُلُ : ينشط أو يشرق بالدم .

(٣) تعير : تذهب وتجيء مترددة لا يُعرف راعيها .

(٤) تنات : يقال : تنات القوم الأخبار أي تباثوها .

بخلت فطيمةً بالذي تُولينني
ولقد تناهى القلبُ حين نهيتُهُ
أفطيم هل تدرين كم من متلف

يقول فيها :

وأبو العيال أخي ومن يعرض له
إني وجدت أبا العيال ورهطه
أعيا الغرائيق^(١) الدواهي دونه
[أسدٌ تفرُّ الأسد من وثباته
ولصوته زجلٌ إذا آنسته
وإذا عددت ذوي الثقات وجدته

فأجابه أبو العيال فقال :

إن البلاء لدى المَقَاوِسِ مُعرض
وإذا الجواد ونى وأخلف منسراً

إلا الكلام وقل ما يُجديني
عنها وقد يغوي إذا يغصيني
جاوزت لا مرعى ولا مسكون؟
[الكامل]

منكم بسوء يؤذني ويسؤني
كالحصن شدَّ بجندل موزون
فتركَّنه وأبرَّ بالتحصين
بعوارض الرِّجَّاز أو بعيون
جر الرِّحَى بشعيه المطحون
ممن يصول به إليَّ يميني
[الكامل]

ما كان من غيب ورجم ظنون
ضُمرأ فلا تُوقن له بيقين
[الكامل]

[في ديوان الرجل في البيت السابق : يجرينها . وجريئها : ما دقت وطحت .
والمِقْوَسُ : الحبل الذي يُمَدُّ على صدور الخيل أي فما كان عندي من خير أو شر
فسيخرج عند الرِّهَان والعَدْو].

كَنْزاً لِرَيْبِ الدهر غير ضنين
فإذا وأنت تُعين من يبغييني
جَنَفاً عليَّ بألسن وعيون؟
ترع^(٢) المقالة شامخ العرينين^(٣)
[الكامل]

لو كان عندك ما تقول جعلتني
ولقد رمقتك في المجالس كلِّها
هلاً درأت الخصم حين رأيتهم
وزجرت عني كل أشوس كاشح

(١) الغرائيق : مفردھا الغرنوق وهو الشاب الأبيض الجميل .

(٢) الترع : المُسرع .

(٣) العرينين : الأنف ، وشامخ العرينين : كناية عن الشرف الرفيع والسَّيادة .

فأجابه بدر بن عامر فقال :

حتى تَخَيِّطَ بالبياض قروني
لقرارِ مَلْحَدَةِ العِدَاءِ^(٢) شَطُونِ
شَخْصاً بمالئة الجلاب لبونِ
[الكامل]

أقسمت لا أنس منيحة^(١) واحدٍ
حتى أصير بمسكن أثوي به
ومنحتني جداء^(٣) حين منحتني

(الشخص : ما ليس فيه لبن من المال) .

بالمال فانظر بَعْدُ ما تَحْبُونِي
فانظر بمثل إمامه فاحذوني
[الكامل]

وحبوتك النصح الذي لا يُشْتَرَى
وتأمل السَّبْتِ^(٤) الذي أحذوكه

فأجابه أبو العيال :

أبدأ فما هذا الذي يُنْسِينِي؟
تَبَعُ لآبِيَةِ الْعِصَابِ^(٥) زُبُونِ^(٦)
فإذا بها واللّه طيفُ جنونِ
بَصَراً ولا من حاجة تُغْنِينِي
فَتَمَنَّ في التخصير والتلسينِ
هَوْعاً^(٧) وحدّ مُذَلِّقِ مَسْنُونِ
[الكامل]

أقسمت لا أنسى شَبَابَ قصيدةٍ
ولسوف تنساها وتعلم أنها
ومنحتني فريضت رأي منيحتي
جَهْرَاءَ لا تَأَلَو إذا هي أظهرت
قَرَّبَ حِذَاءِكَ قَاحِلاً أو لِيِّنَا
وَأَرْجَع مَنِيحَتَكَ التي أتبعتها

ولهما في هذا المعنى نقائض طوال يطول ذكرها، وليست لها طلاوة إلا ما
يستفاد في شعر أمثالهما من الفصاحة، وإنما ذكرت ما ذكرت هاهنا منها لأنني لم أجد
لهذا الشاعر خبراً غير ما ذكرته .

صوت

بالخَبْتِ مثلُ سَحِيقِ اليمْنَةِ البالي
والريّح مما تُعَفِّيهَا بأذيالِ

يا دارَ هندٍ عفاها كلُّ هَطَّالٍ
أربَّ فيها وليٍّ ما يُعَيِّرُهَا

(٢) العِدَاءُ : الحجر الرقيق يستر به الشيء .

(٤) السَّبْتِ : النعل المدبوغ بالقرظ .

(٦) الزُّبُونِ : النّاقَة الدَّفْع .

(٧) الهَوْع : سوء الحرص وشدّته، العداوة أو الجزع .

(١) المنيحة : الهبة والعطية .

(٣) الجدّاء : التي لا لبن لها .

(٥) العِصَاب : النّاقَة التي يُشدُّ ضرعها لتدرّ .

دارٌ وقفت بها صَحْبِي أُسَائِلُهَا والدمعُ قد بلّ مني جَيْبَ سِرْبَالِي
شوقاً إلى الحيّ أيامَ الجميعُ بها وكيفَ يطربُ أو يشتاقُ أمثالي؟

[البسيط]

قوله: أربّ فيها أي: أقام فيها وثبت، والوليّ: الثاني من أمطار السنة، أولها
الوسميّ، والثاني الوليّ، ويروى:

جرت عليها رياحُ الصيف فاطّرفت

واطّرفت: تَلَبَّدت.

الشعر لعبيد بن الأبرص، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى
الوسطى عن إسحاق، وفيه لابن جامع رمل بالوسطى، وقد نُسب لحنه هذا إلى
إبراهيم، ولحن إبراهيم إليه.

أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه

اسمه ونسبه :

قال أبو عمرو الشيباني: هو عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر.

شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد.

عظيم الشهرة:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

عبيد بن الأبرص قديم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطربٌ ذاهب، لا أعرف له إلا قوله في كلمته:

أقفر من أهله ملحوبٌ

ولا أدري ما بعد ذلك.

شاعر بني أسد:

أخبرنا عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني قالا:

كان من حديث عبيد بن الأبرص أنه كان رجلاً محتاجاً، ولم يكن له مال، فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له، ومعه أخته ماوية ليوردا غنيمتهما [الماء] فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهه، فانطلق حزيناً مهموماً للذي صنع به المالكي، حتى أتى شجرات فاستظل تحتهن، فنام هو وأخته، فزعموا أن المالكي نظر إليه وإلى أخته إلى جنبه فقال:

ذاك عبيدٌ قد أصاب ميّاً ياليتَه ألْقَها صَبِيّاً
فحملت ووضعت ضاويّاً^(١)

[الرجز]

(١) الضاوي: الهزيل الضامر.

فسمعه عبيد، فرفع يديه ثم ابتهل فقال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فُلَانٌ ظَلَمَنِي وَرَمَانِي بِالْبَهْتَانِ فَأَدِلْنِي مِنْهُ - أَيِ اجْعَلْ لِي مِنْهُ دَوْلَةً^(١) - وانصُرني عليه. ووضع رأسه فنام. ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر، فذكر لنا أنه أتاه آتٍ في المنام بِكَبَّةٍ من شعر حتى ألقاها في فيه، ثم قال: فُم، فقام وهو يرتجز يَعْنِي بني مالك، وكان يقال لهم بنو الزُّنْبِيَّة، يقول:

يَا بَنِي الزُّنْبِيَّة مَا غَرَّكُمْ لَكُمْ الْوَيْلُ بِسَرْبَالِ حَجَرٍ
[الرمل]

ثم استمرَّ بعد ذلك في الشعر، فكان شاعر بني أسد غير مدافع.

عبيد يخاطب امرأ القيس:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال:

اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حُجْر بن عمرو - والد امرئ القيس - إلى امرئ القيس ابنه، على أن يعطوه ألف بعير دِيَّةً أبيه، أو يُقَيِّدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يُمَهِّلهم حَوْلًا، فقال: أما الدِّيَّةُ فما ظننت أنكم تعرضونها على مثلي، وأما القَوْدُ فلو قيد إلي ألف رجل من بني أسد ما رَضِيتهم ولا رأيتهم كُفْوًا لِحُجْر، وأما النَّظَرَةُ فلكم، ثم إنكم ستعرفونني في فرسان قحطان، أَحْكَمُ فيكم طُبَا السيف وشبَا الأسنَّة، حتى أشفي نفسي، وأنال ثأري. فقال عبيد بن الأبرص في ذلك:

صوت

يَا ذَا الْمُخَوِّفِنَا بَقْتِ - لَأَبِيهِ إِذْ لَأَلَا وَخَيْنَا
أَزَعَمْتَ أَنْكَ قَدْ قَتَلْتَ - سَرَاتِنَا كَذِبًا وَمَيْنَا^(٢)
هَلَّا عَلَى حُجْر ابْنِ أُمِّ قَطَامٍ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا
إِنَّا إِذَا عَضَّ السُّنَّ قَا - ف^(٣) بِرَأْسِ صَعْدَتِنَا لَوَيْنَا
نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وَبَعْدَ - ضُ النَّاسِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا

(١) الدولة: إنقلاب الزمان أو العقبة في المال.

(٢) المَيْن: الكذب البين.

(٣) الثَّاف: آلة تُسَوَّى بها الرِّمَاح.

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كَنَّا — مدة يومٍ وَلَوْ أَيْنَ أَيْنَا؟

[مجزوء الكامل]

الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشامي، وفيه ليحيى المكي خفيف ثقيل.

قال:

وتمام هذه الأبيات:

أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامَهُمْ ببواتر^(١) حتى انحنينا
وجموع غسان الملو كُ أَتَيْنَهُمْ وقد انطوينَا
لَحُوقًا أَيَّاطُلُهُنَّ قَد عالجن أسفاراً وأَيْنَا^(٢)

[مجزوء الكامل]

[الأياطل: الخواصر أي من ضمرها].

نحن الألى فاجمع جمو عَكَ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ إِلَيْنَا
واعلم بأن جياذنا أَلَيْنَ لَا يَقْضِينَ دَيْنَا
ولقد أبحننا ما حميت وَلَا مُبِيحَ لِمَا حَمَيْنَا
هذا ولو قدرت علي كَ رِمَاحُ قَوْمِي مَا انْتَهَيْنَا
حتى تنوشك نووشة عَادَاتِهِنَّ إِذَا انْتَوَيْنَا
نغلي السباء بكل عا تَقَّةَ شَمُولٍ مَا صَحَوْنَا
ونهيْنُ في لذاتنا عُظْمَ التَّلَادِ إِذَا انْتَشَيْنَا
لا يبلغ الباني ولو رَفَعَ الدَّعَائِمَ مَا بَنَيْنَا
كم من رئيس قد قتل نَاهِ وَضَمِيمٍ قَدْ أَبَيْنَا
ولرب سيد معشر ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ^(٣) قَدْ رَمَيْنَا
عقبائه بظلال عَفْ بَانَ تَتَمُّمَ مَا نَوَيْنَا
حتى تركنا شلوه جَزَرَ السَّبَاعِ وَقَدْ مَضَيْنَا
إنَّا لعمرك ما يضا مَ حَلِيْفُنَا أَبَدًا لَدَيْنَا

(١) البواتر: السيوف القاطعة الحادة.

(٢) الأئين: الإعياء والتعب.

(٣) الدسيعة: الشرف والحسب أو العطية الجزيلة والمائدة الكريمة.

وَأَوَانِس مَثَلِ الدُّمَى حُورِ الْعُيُونِ قَدْ اسْتَبَيْنَا
[مجزوء الكامل]

الخبر يبقى :

وقرأت في بعض الكتب عن ابن الكلبي عن أبيه .
وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه .

أَنْ عَبِيدَ بَنِ الْأَبْرَصِ سَافِرٍ فِي رَكْبٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَبَيْنَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذَا هُمْ
بَشْجَاعٍ يَتَمَعَّكَ^(١) عَلَى الرَّمْضَاءِ فَاتِحاً فَاهٍ مِنَ الْعَطَشِ، وَكَانَتْ مَعَ عَبِيدٍ فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ،
لَيْسَ مَعَهُ مَاءٌ غَيْرَهَا، فَنَزَلَ فَسَقَاهُ الشُّجَاعَ عَنْ آخِرِهِ حَتَّى رَوَى وَانْتَعَشَ، فَانْسَابَ فِي
الرَّمْلِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، وَنَامَ الْقَوْمُ نَدَّتْ^(٢) رَوَاحِلُهُمْ، فَلَمْ يُرْ لَشَيْءٍ مِنْهَا أَثَرٌ، فَقَامَ
كُلُّ وَاحِدٍ يَطْلُبُ رَاحِلَتَهُ، فَتَفَرَّقُوا، فَبَيْنَا عَبِيدٌ كَذَلِكَ، وَقَدْ أُيْقِنَ بِالْهَلَكَةِ وَالْمَوْتِ، إِذَا
هُوَ بِهَاتِفٍ يَهْتَفُ بِهِ :

يَا أَيُّهَا السَّارِي الْمُضِلُّ مَذْهَبُهُ دُونَكَ هَذَا الْبَكْرَ مِنْنَا فَارْكَبْهُ
وَبَكْرُكَ الشَّارِدِ أَيْضاً فَاجْئُ بِهِ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ تَجَلَّى غَيْهَبُهُ
فَحُطَّ عَنْهُ رَحْلُهُ وَسَيَّبُهُ

[الرجز]

فَقَالَ لَهُ عَبِيدٌ: يَا هَذَا الْمُخَاطَبُ، نَشَدْتُكَ اللَّهَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي مَنْ أَنْتَ؟ فَأَنْشَأَ
يَقُولُ:

أَنَا الشُّجَاعُ الَّذِي أَلْفَيْتُهُ رَمِضاً^(٣) فِي قَفْرَةٍ بَيْنَ أَحْجَارٍ وَأَعْقَادٍ^(٤)
فَجَدْتُ بِالْمَاءِ لِمَا ضَنَّ حَامِلُهُ وَزِدْتُ فِيهِ وَلَمْ تَبْخُلْ بِإِنْكَادٍ
أَلْخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أُوعِيَتْ مِنْ زَادٍ

[البسيط]

فَرَكِبَ الْبَكْرَ وَجَنَّبَ بَكَرَهُ، فَبَلَغَ أَهْلَهُ مَعَ الصَّبْحِ، فَنَزَلَ عَنْهُ، وَحَلَّ رَحْلَهُ وَخَلَّاهُ،
فَغَابَ عَنْ عَيْنِهِ، وَجَاءَ مِنْ سَلَمٍ مِنَ الْقَوْمِ بَعْدَ ثَلَاثِ .

(١) شُجَاعٌ يَتَمَعَّكَ: يَتَمَرَّغُ وَالشُّجَاعُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَاتِ .

(٢) نَدَّتْ رَوَاحِلُهُمْ: بَعُدَتْ وَمَرَّتْ .

(٣) الرَّمِضُ: الْعَطَشُ .

(٤) الْأَعْقَادُ: الرِّمَالُ الْمَتْرَاكِمَةُ .

يوما المنذر :

أخبرني محمد بن عمران المؤدب وعمي قالا : حدثنا محمد بن عبيدة قال :
حدثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبي ، عن الشرقي بن القطامي قال :

كان المنذر بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد ، أحدهما خالد بن المضلل ، والآخر عمرو بن مسعود بن كَلْدَة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يُحفر لكل واحد منهما حَفيرة بظَهْر الحِيرة ، ثم يُجعلان في تابوتين ويُدفنا في الحفرتين ، ففعل ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما ، فندم على ذلك وغمّه ، وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل الأسديين يقول شاعر بني أسد :

يا قَبْرُ بَيْنَ بَيوت آل مُحَرِّقٍ جادَتْ عليك رِواءُ عُدٍّ وبُروقٍ
أما البكاء فقلّ عنك كَثِيرُهُ ولئن بُكِيتَ فلبكاء خَلِيقٍ
[الكامل]

ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغريين عليهما ، فبُني عليهما ، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريين ، يسمي أحدهما يوم نعيم ، والآخر يوم بؤس ، فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الإبل شُوماً أي سوداً ، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرْبانٍ أسود ، ثم يأمر به فيذبح ويُغرى بدمه الغريّان ، فلبث بذلك برهة من دهره ، ثم إن عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف عليه في يوم بؤسه ، فقال له : هلاً كان الذَّبْحُ لغيرك يا عبيد؟ فقال : أتتكَ بحائِنِ رجلاه ، فأرسلها مثلاً ، فقال له المنذر : أو أجل بلغ إناه^(١) . ثم قال له المنذر : أنشدني فقد كان شعرك يعجبني ، فقال عبيد : حَالِ الجَرِيضُ^(٢) دون القريض^(٣) ، وبلغ الحِزامُ الطُّبَّيين ، فأرسلهما مثلاً فقال له النعمان : أسمعني ، فقال : المَنّايا على الحَوَايا فأرسلها مثلاً ، فقال له آخر : ما أشدَّ جزعك من الموت ، فقال : لا يَرَحَل رَحْلُك من ليس معك . فأرسلها مثلاً ، فقال له المنذر : قد أملتني فأرْحني قبل أن أمر بك ، فقال عبيد : مَنْ عَزَّ بَزٌّ ، فأرسلها مثلاً ، فقال المنذر : أنشدني قولك :

أَقفر من أهله ملحوب

فقال عبيد :

(١) بَلَّغ إناه : بلغ مأمله .

(٢) الجَرِيض : الرقيق الذي لا يُساغ ويُغصّ به .

(٣) القريض : الشعر .

صوت

أَقْفَرَ مَنْ أَهْلَهُ عَبِيدُ فَلَيْسَ يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ
عَنَّتْ لَهُ عَنَّةٌ نَكُودُ وَحَانَ مِنْهَا لَهُ وَرُودُ
[المنسرح]

فقال له المنذر: يا عبيد ويحك، أنشدني قبل أن أذبحك، فقال عبيد:

وَاللَّهِ إِنْ مِتُّ لَمَاضِرْنِي وَإِنْ أَعِشْ مَا عَشْتُ فِي وَاحِدِهِ
[السريع]

فقال المنذر: إنه لا بد من الموت، ولو أن النعمان عَرَضَ لي في يوم بؤس، لذبحته، فاختر إن شئت الأكحل وإن شئت الأجل، وإن شئت الوريد، فقال عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد، واردها شر ورّاد، وحاديها شرّ حاد، ومُعَادُهَا شرّ مُعَاد، ولا خير فيها لمُرتاد، فإن كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر، حتى إذا ماتت مفاصلي، ودُهِلت لها ذواهلي، فشأنك وما تريد. فأمر له المنذر بحاجته من الخمر، حتى إذا أخذت منه، وطابت نفسه، دعا به المنذر ليقّتلَه، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

وَخَيْرَنِي ذُو الْبُؤْسِ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ خَصَالاً أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَقَ
كَمَا خَيْرْتُ عَادَ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً سَحَائِبَ مَا فِيهَا لَذِي خَيْرَةٌ أَنْقُ^(١)
سَحَائِبَ رِيحٍ لَمْ تُوَكَّلْ بِبِلْدَةٍ فَتَرَكَهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ
[الطويل]

فأمر به المنذر فقصد، فلما مات غُرِّي به العريّان، فلم يزل كذلك حتى مرّ به رجل من طيء يقال له حنظلة بن أبي عفراء، أو ابن أبي عُفْر، فقال له: أبيت اللعن، إني والله أتيتك زائراً ولأهلي من خيرك مائراً، فلا تكن ميرتهم قتلي، فقال: لا بد من ذلك، فسألني حاجة قبلها أفضيها لك، فقال: تؤجلني سنة أرجع فيها إلى أهلي، وأحكم من أمرهم ما أريد، ثم أصير إليك، فأنفذ فيّ حكمك، فقال: ومن يكفل بك حتى تعود؟ فنظر في وجوه جلسائه، فعرف منهم شريك بن عمرو أبا الحوفزان بن شريك، فأنشد يقول:

يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرٍو مَا مِنَ الْمَوْتِ مُحَالَةٌ
يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرٍو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه

(١) الأثق: السرور والفرح.

يا أخا شيبان فُكَّ اليـ
يا أخا كلِّ مُضَافٍ
إن شيبان قَبِيلٌ
وأبوك الخيرُ عمرو
رَقِيّاك اليومَ في المـ
جـ
وَمَ رَهْنًا قَدْ أَتَى لَهُ
وَحَيًّا مَن لَّا حَيًّا لَهُ
أَكْرَمَ اللّهُ رِجَالَهُ
وَشَرَّاحِيْلُ الْحَمَالَهُ
مَدَوْفِي حُسْنِ الْمَقَالَهُ
[مجزوء الرمل]

فوثب شريك وقال: أبيت اللعن، ידי بيده، ودمي بدمه إن لم يعد إلى أجله، فأطلقه المنذر، فلما كان من القابل جلس في مجلسه ينتظر حنظلة أن يأتيه، فأبطأ عليه، فأمر بشريك ففُرب ليقتله، فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم فتأملوه، فإذا هو حنظلة، قد أقبل مُتَكَفِّئاً متَحَنِّطاً، معه نادبته تندبه، وقد قامت نادبة شريك تندبه، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما، فأطلقهما، وأبطل تلك السُّنة.

خبر مقتل عبيد:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا علي بن الصباح، عن هشام بن الكلبي قال:

كان من حديث عبيد بن الأبرص وقتله أن المنذر بن ماء السماء بني العرييين، ف قيل له: ما تريد إليهما؟ وكان بناهما على قَبْرِي رجلين من بني أسد كانا نديميه، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسي والآخر عمرو بن مسعود، فقال: ما أنا بملك إن خالف الناس أمري، لا يمرُّ أحد من وفود العرب إلا بينهما، وكان له يومان، يوم يسمّيه يوم النعيم، ويوم يسمّيه يوم البؤس، فإذا كان في يوم نعيمه أُتِيَ بأول من يطلع عليه، فحياه وكساه وناداه يومه، وحمله، فإذا كان يوم بؤسه، أُتِيَ بأول من يطلع عليه فأعطاه رأس ظربان أسود، ثم أمر به فذبح، وغرّى بدمه العرييان، فبينما هو جالس في يوم بؤسه، إذ أشرف عليه عبيد، فقال لرجل كان معه: من هذا الشقي؟ فقال له: هذا عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر، فأتى به، فقال له الرجل الذي كان معه: اتركه أبيت اللعن، فإني أظن أن عنده من حُسن القريض أفضل مما تُدرك في قتله، فاسمع منه، فإن سمعت حسناً استزدته، وإن لم يعجبك فما أقدرك على قتله، فإذا نزلت فادع به. فقال: فنزل وطعمَ وشرب، وبينه وبين الناس حجاب ستر يراهم منه ولا يرونه، فدعا بعبيد من وراء الستر، فقال له رَدِيفُهُ: هَلَّا كَانَ الذَّبْحُ لغيرك يا عبيد؟ فقال: أتتك بحائنٍ رجلاه. فأرسلها مثلاً، فقال: ما ترى يا عبيد؟ قال: أرى الحوايا عليها المنايا.

فقال: فهل قلتَ شيئاً؟ فقال: حال الجريض دون القريض، فقال أنشدني:

أقفر من أهله ملحوب

فقال:

أقفر من أهله عبيدُ فليس يُبدي ولا يُعيدُ
عَنْتَ لَهُ خَطَّةٌ نَكُودُ وحن مننهاله ورودُ

[المنسرح]

فقال: أنشدني يا ويحك: فقال:

هي الخمر تُكنى بأمّ الطلَى كما الذئب يكنى أبا جَعْدَه

[المتقارب]

وأبى أن ينشدهم شيئاً مما أرادوا، فأمر به فقتل.

المنذر يقتل نديمه:

فأما خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل ومقتلهما فإنهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء فيما ذكره خالد بن كلثوم، فراجعاه بعض القول على سكره، فغضب، فأمر بقتلهما. وقيل: بل دفنهما حيّين، فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بخبرهما فندم على فعله، فأمر بابل فنحرت على قبريهما، وغذي بدمائهما قبراهما، إعظاماً لهما، وحزناً عليهما، وبنى العريّين فوق قبريهما، وأمر فيهما بما قدّمت ذكره من أخبارهما، فقالت نادية الأسديين:

ألا بكر الناعي بخير بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسّيد الصّمَد

[الطويل]

وقال بعض شعراء بني أسد يرثي خالد المّضلل وعمرو بن مسعود وفيه غناء:

صوت

يا قبر بين بيوت آل مُحَرِّق جادَتْ عليك رواعدٌ وبُروق
أمّا البكاء فقلّ عنك كثيرُهُ ولئن بُكِيتَ فللبكاء خَلِيقُ

[الكامل]

الغناء لابن سريج ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه.

ومما يغتنى به من شعر عبید أيضاً قوله:

صوت

طاف الخيال علينا ليلة الوادي من أم عمرو ولم يُلِمِّمْ لميعاد
أنتى اهتديت لركب طال سيرهم في سبب^(١) بين دكدك^(٢) وأعقاد^(٣)
إذهب إليك فإني من بني أسد أهل القباب وأهل الجود والنادي
[البسيط]

الغناء للغريض ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه ثقیل
أول بالوسطى ذكر الهشامي أنه لأبي زكار الأعمى، وذكر حبش أنه لابن سريج.
وفي هذه القصيدة يقول يخاطب حجر بن الحارث أبا امرئ القيس، وكان حجر
يتوَعَّده في شيء بلغه عنه ثم استصلحه، فقال يخاطبه:

أبلغ أبا كرب عني وإخوته قولاً سيذهب غوراً بعد إنجاز
لا أعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي
إن أمامك يوماً أنت مدركه لا حاضر مفلت منه ولا بادي
فانظر إلى ظل ملك أنت تاركه هل ترسين أواخيه^(٤) بأوتاد
الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد
[البسيط]

عمر يبكي على خالد:

أخبرنا عيسى بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني،
عن أبي بكر الهذلي قال:

سمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نساء بني مخزوم يبكين على خالد بن
الوليد، فبكى وقال: ليقل نساء بني مخزوم في أبي سليمان ما شئن، فإنهن لا يكذبن،
وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي، فقال له طلحة بن عبيد الله: إنك وإياه لكما
قال عبيد بن الأبرص:

لا ألفيتك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي
[إن أمامك يوماً أنت مدركه لا حاضر مفلت منه ولا بادي]

(١) السبب: الأرض المستوية.

(٢) الدكدك: الأرض السهلة.

(٣) الأعقاد: الرمال المتراكمة.

(٤) الأواخي: مفردا الأخية وهي عروة تربط إلى وتد ويشد فيها الشيء.

فانظر إلى ظلّ ملك أنت تاركه هل تُرْسِيَنَّ أواخيه بأوتاد
الخير يبقى وإن طال الزمان به والشّر أخبث ما أوعيت من زاد
[البسيط]

كلب يغني شعر عبيد:

أخبرني عمّي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله العبدى قال:

حدثني سيف الكاتب قال:

وليت ولاية، فمررت بصديق لي في بعض المنازل، فنزلت به قال: فنلنا من الطعام والشراب، ثم غلب علينا النبيذ فنمنا، فانتبهت من نومي، فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل [الذي كنت ضيفاً له] فجعل يَشُّ به^(١) ويسلم عليه، لا أنكر من كلامهما شيئاً، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه وطول سفره وقال له: هل عندك شيء تُطعمنيه؟ قال: نعم، قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام، وليس عليه شيء، فذهبا إليه، فكنت أسمع ولوغهما في الإناء [حتى أكلا ما كان هناك] فيه، ثم سأله نبيذاً، فقال: نعم لهم نبيذ في إناء آخر ليس عليه غطاء، فذهبا إليه فشربا، ثم قال له: هل تطربني بشيء؟ قال: إي وعيشك، صوت كان أبو يزيد يغنيه فيجيده، ثم غناه في شعر عبيد بن الأبرص:

صوت

طاف الخيال علينا ليلة الوادي لآل أسماء لم يُلِمْ لميعاد
أنّى اهتديت لركب طال سيرهم في سَبَسَبٍ بين دكدكٍ وأعقاد
[البسيط]

قال: فلم يزل يغنيه [هذا الصوت] ويشربان مَلِيّاً حتى فَنِيَ ذلك النبيذ، ثم خرج الكلب الداخل، فخفت والله على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل، فأمسكت، وما أذكر أنني سمعت أحسن من ذلك الغناء.

ومما يغنى فيه من شعره قوله:

(١) يَشُّ به: البشاشة طلاقة الوجه والإقبال.

صوت

لِمَنْ جَمَالٌ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مَزْمومَةٌ مُيَمَّمَاتٌ بِلَاداً غَيْرَ معلومَةٍ
 فِيهِنَّ هِنْدٌ وَقَدْ هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا بِيضَاءُ آنَسَتْ بِالْحُسْنِ مَوْسُومَةٌ
 [البسيط]

الغناء لابن سريج رمل عن يونس والهشامي وحبش .
 ومنها قوله :

صوت

دَرَّ دُرُّ الشَّبَابِ وَالشَّعَرِ الْأَسَدِ وَدِ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرِّحَالِ
 فَالْخَنَازِيدِ^(١) كَالْقِدَاحِ مِنَ الشَّوْ حَطِ^(٢) يَحْمِلُنْ شِكَّةَ^(٣) الْأَبْطَالِ
 لَيْسَ رَسْمٌ عَلَى الدَّفَّيْنِ بِبَالٍ فَلَوْ ذَرَوْتَ فَجَنَّبِيْ أَثَالِ^(٤)
 تِلْكَ عِرْسِي قَدْ عَيَّرْتَنِي خِلَالِي أَلْبَيْنِ تَرِيدُ أَمْ لَدَلَالِ؟
 [الخفيف]

الغناء لطويس خفيف رمل لا يشك فيه ، وفيه ثقل أول ، ذكر علي بن يحيى أنه
 لطويس أيضاً ، ووجدته في صنعة عبد العزيز بن [عبد الله بن] طاهر ، وفي الثالث
 والرابع من الأبيات للدلال خفيف رمل بالبنصر عن عبد الله بن موسى والهشامي .

صوت

زَارَتْكَ سَلْمَى وَكَالِي السَّجَنِ قَدْ رَقَدَا وَلَمْ تَخَفْ مِنْ عَدُوٍّ كَاشِحٍ^(٥) رَصَدَا
 لَقَدْ وَفَتْ لَكَ سَلْمَى بِالَّذِي وَعَدَتْ لَكِنْ عُقْبَةً لَمْ يُوفِ الَّذِي وَعَدَا
 [البسيط]

عروضه من البسيط ، الشعر لابن مفرغ الحميري ، والغناء لابن سريج رمل
 بالوسطى عن أحمد بن المكي ، وفيه لُقْرَادُ لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس .
 وقد تقدمت أخبار ابن مفرغ مستقصاة فيما قبل هذا من الكتاب ، فأستغني عن

(١) الخنازيد : مفردتها الخنذيد وهو الطويل الصلب .

(٢) الشَّوْحَط : ضرب من الشجر يتخذ منه القسي .

(٣) الشَّكَّة : السلاح .

(٤) الأثال : المجد والشرف .

(٥) الكاشح : مضمير العداوة .

إعادتها هاهنا وإعادة شيء منها، إذ كان قد مضى منها ما فيه كفاية ولله الحمد.

صوت

ما شأن عينك طَلَّةُ الأجفانِ مما تفيض مريضة الإنسانِ
مَطروفة تهمي الدموع كأنها وَشَلٌّ^(١) تَشْلُشَلْ^(٢) دائم التهتانِ^(٣)
[الكامل]

الشعر لعُمارة بن عَقيل، والغناء لمُتيم ثاني ثَقيل بالوسطى.

(١) الوَشَل: القطر المتساقط.

(٢) تَشْلُشَلْ: قطر.

(٣) التهتان: المنهمر.

أخبار عمارة ونسبه

اسمه ونسبه :

عمارة هو ابن عَقِيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي، وقد تقدم نسبه ونسب جده في أول الكتاب، ويكنى عمارة أبا عقيل، شاعر مقدم فصيح، وكان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون صلته، ويمدح قوادهم [وكتابهم] فيحظى بكل فائدة، وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة.

الفصاحة والشعر :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : سمعت محمد بن يزيد يقول :

ختمت الفصاحة في شعر المحدثين بعمارة بن عقيل .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي والحسن بن علي والصولي قالوا : حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال : سمعت سلم بن خالد بن معاوية بن أبي عمرو بن العلاء يقول :

كان جدي أبو عمرو يقول : خُتم الشعر بذي الرمة، ولو رأى جدي عمارة بن عقيل لعلم أنه أشعر في مذاهب الشعراء من ذي الرمة .

قال العنزي : ولعمري لقد صدق . وسمعت سلما يقول : هو أشد استواء في شعره من جرير، لأن جريراً سقط في شعره وضعف، وما وجدوا لعمارة سقطة واحدة في شعره .

قال العنزي : وحدثني أحمد بن الحكم بن بشر بن أبي عمرو بن العلاء قال : أتيت عمارة أسأله عن شيء كتبه عنه، فقال لي : من أنت؟ فقلت أنا ابن [الحكم بن] بشر بن أبي عمرو بن العلاء، فقال لي : كان أبوك صديقي، ثم أنشدني :

بَنَى لَكُمْ الْعَلَاءُ بِنَاءً صَدَقَ وَتَعُمُّ ذَاكَ يَا حَكَمُ بْنُ بَشْرِ
فَمَا مَدَحِي لَكُمْ لِأَصِيبَ مَالاً وَلَكِنْ مَدَحَكُمْ زَيْنٌ لَشِعْرِي

[الوافر]

هَجَاءُ خَبِيثِ اللِّسَانِ :

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال : حدثنا أبو ذكوان قال : حدثنا أبو محلم قال :
 هجا عمارة بن عقيل امرأة ، ثم أته في حاجته بعد ذلك ، فجعل يعتذر إليها ،
 فقالت له : خفض عليك فلو ضرَّ الهجاء أحداً لقتلك وقتل أباك وجدك .
 قال مؤلف هذا الكتاب :

وكان عمارة هجاء خبيث اللسان ، فهجا فروة بن حُميصَة الأسدي وطالت المدة
 بينهما في التهاجي فلم يغلب أحدهما صاحبه حتى قُتل فروة .

عمارة والعكلي :

وأخبرني محمد بن يحيى قال :

حدثنا أبو ذكوان قال : قال لي عمارة : ما هاجيت شاعراً قط إلا كُفيت مؤنته في
 سنة أو أقل من سنة ، إما أن يموت ، وإما أن يُقتل ، أو أفحمه ، حتى هاجاني أبو
 الرُّدَيْنِي العُكَلِي ، فخبثني بالهجاء ، وهجا بني نمير فقال :

أثوعدني لتقتلني نُميرٌ متى قتلت نُميرٌ من هجاها؟
 [الوافر]

فكفنتيه بنو نمير فقتلوه ، فقتلت بنو عكل - وهم يومئذ ثلاثمائة رجل - أربعة
 آلاف رجل من بني نمير ، وقتلت لهم شاعرين : رأس الكلب وشاعراً آخر .

في مجلس المأمون :

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : حدثني العنزي قال :

حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال : حدثني عمارة بن عقيل قال :
 كنت جالسا مع المأمون ، فإذا أنا بهاتف يهتف من خلفي ويقول :

نَجَّى عِمَارَةَ مَنَّا أَنْ مُدَّتْهُ وَلَوْ ثَقِفْنَاهُ^(١) أَوْ هَيِّنَا^(٢) جَوَانِحَهُ
 فَإِنَّ أَعْنَاقَكُمْ لِلسِّيفِ مُحْلِبَةٌ^(٣) فيها تراخ وركض السابح النَّقِيلِ
 بِذَابِلٍ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مُعْتَدِلِ وَإِنْ مَالَكُمْ الْمَرَعِيَّ كَالْهَمَلِ

(١) ثقف : ظفر .

(٢) أوهي : أضعف .

(٣) المُحْلِبَةُ : المجتمعة .

إِذْ لَا يُوطِّن عَبْدُ اللَّهِ مُهْجَتَهُ عَلَى النِّزَالِ وَلَا لِصَّابْنَى حَمَلٍ
[البسيط]

قال: وهذا الشعر لفروة بن حميصة فيّ. قال: فدخلني من ذلك ما الله يعلمه، وما ظننت أن شعر فروة وقع إلى [من] هنالك، ثم خرج عليّ بن هشام من المجلس وهو يضحك، فقلت: يا أبا الحسن، أتفعل بي مثل هذا وأنا صديقك؟ فقال: ليس عليك في هذا شيء، فقلت: من أين وقع إليك [شعر فروة؟] قال: وهل بقي كتاب إلا وهو عندي؟ فقلت: يا أمير المؤمنين [أهجي في دارك وبحضرتك؟ فضحك]. فقلت: يا أمير المؤمنين [أنصفني، فقال: دع هذا وأخبرني بخبر هذا الرجل وما كان بينك وبينه، فأشدته قصيدتي فيه، فلما انتهيت إلى قولي:

مَا فِي السَّوِيَّةِ أَنْ تَجُرَّ عَلَيْهِمْ وَتَكُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوَّلَ صَادِرٍ
[الكامل]

أعجب المأمونَ هذا البيتُ، فقال لي المأمون: أفلهذه القصيدة نقيضة؟ قلت: نعم، قال: فهاتها، فقلت له: أؤذي سمعي بلساني؟ فقال: علي ذلك، فأشدته إياها، فلما بلغت إلى قوله:

وَابْنُ الْمِرَاغَةِ جَا حِرٌّ مِنْ خَوْفِنَا بِادٍ بِمَنْزَلَةِ الذَّلِيلِ الصَّاعِرِ
يَخْشَى الرِّيحَ بِأَنْ تَكُونَ طَلِيعَةً أَوْ أَنْ تَحُلَّ بِهِ عُقُوبَةٌ قَادِرٍ
[الكامل]

فقال لي: أوجعك يا عمارة، فقلت: ما أوجعته به أكثر.

شعره يقتل فروة:

أخبرني محمد قال: حدثني الحسن قال:

حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال: حدثني عمارة قال: إنما قتل فروة قولي له:

مَا فِي السَّوِيَّةِ أَنْ تَجُرَّ عَلَيْهِمْ وَتَكُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوَّلَ صَادِرٍ
[الكامل]

فلما أحاطت به طيء وقد كان في معاذٍ وموئل، وكان كثير الظفر بهم، كثير العفو عمن قدر عليه منهم، فقالوا له: والله لا عرضنا لك ولا أوصلنا إليك سوءاً فامض لطيتك^(١) ولكن الوثر معك فإن لنا فيهم ثأراً، فقال فروة: فأنا إذاً كما قال ابن المِراغة:

(١) الطَّيَّة: الجهة المقصودة.

ما في السَّوِيَّة أن تجرَّ عليهمُ وتكون يوم الروع أول صادر
[الكامل]
فلم يزل يحمي أصحابه وَيُنْكِى^(١) في القوم حتى اضطَرَّهم إلى قتله، وكان
جمعهم أضعاف جمعه.

(أخبرني محمد قال: حدثني الحسن قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال:
قيل لعمارة: أقتلت فروة؟ فقال: والله ما قتلته ولكني قتلته أن سببت له سبباً
فُتِلَ به).

عمارة ومفداة:

أخبرني محمد قال: حدثنا الحسن قال:
حدثني محمد بن عبد الله قال: حدثني عمارة قال: رُحْتُ إلى المأمون، فكان
ربما قَرَّبَ إليَّ الشيء من الشراب أشربه بين يديه، وكان يأمر بِكُتْبِ كثير مما أقوله،
فقال لي يوماً: كيف قلت:
قالت مفداة؟

(ونظر إليَّ نظراً منكراً، فقلت: يا أمير المؤمنين، مفداة) امرأتي وكانت نظرت
إليَّ وقد افتقرت وساءت حالي، قال: فكيف قلته؟ فأنشدته:

قالت مُفَدَّاة لما أن رأْتَ أرقِي والهَمُّ يعتادني من طيفه لَمَمُ
أَنهَبْتَ مالكَ في الأذنين آصِرَةً وفي الأبعاد حتى حَقَّكَ العَدَمُ
فاطلب إليهم تجد ما كنت من حسن تُسَدِّي إليهم فقد ثابت لهم صِرْمُ^(٢)
فقلت: عاذلتي أكثرت لائمتي ولم يمت حاتم هُزْلاً ولا هَرِمُ
[البسيط]

قال: فنظر إليَّ المأمون مغضباً وقال: لقد عَلَتْ هَمَّتُكَ أن ترقى بنفسك إلى هَرَم
وقد خرج من ماله في إصلاح قومه.

يستشفع ليؤذن له في الانصراف:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني [العنزي قال:
حدثني محمد بن عبد الله قال: حدثنا] عمارة قال: استشفعت بعلي بن هشام

(١) يُنْكِى: يقهر بالقتل والجرح.

(٢) الصِّرْم: مفردها الصرمة وهي القطعة من الإبل نحو الثلاثين.

في أن يؤذن لي في الانصراف، فقال: ما أفعل ذلك، لأنك تنشد أمير المؤمنين إذا خلوت به وتخبره عن وقائعك وفعالك ثم تخبره أنك مظلوم، وقد أخذ هذا أمير المؤمنين عليك. ثم تذاكرنا فقال: أما تذكر أبا الرازي حين أوقع بقومك وأوقعوا به، ثم تدخل على أمير المؤمنين مغضباً فتقول:

عَلَامَ نِزَارُ الْخَيْلِ تَفْأَى^(١) رَوْوَسْنَا وَقَدْ أَسْلَمْتُ مَعَ النَّبِيِّ نِزَارُ؟
[الطويل]

وهي أبيات قالها حين قتلهم أبو الرازي - وكان عمارة قد خرج من عند المأمون، فنظر إلى رؤوس أصحابه، فدخل فأنشد هذا البيت - قال: وأكره أن تتبعك نفسي أمير المؤمنين فَيَجِدُ عَلَى مَنْ كَلَّمَهُ فِيكَ، فعليك بعمر بن مسعدة وأبي عباد، فإنهما يكتبان بين يدي أمير المؤمنين، ويخلوان معه ويمارحانه. فأتيت أبا عباد فذكرت له التشوق إلى العيال، وسألته الاستئذان، فصاح في وجهي وقال: مُقَامُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ظُعْنِكَ، وما أفعل ما يكرهه، فذهبت من فوري إلى عمرو بن مسعدة، فدخلت عليه وهو يختضب، فشكوت إليه الأمر، فقال: يا أبا عقيل، لقد أذنت لك في ساعة ما أظهر فيها لأحد، ولي حاجة، قلت: وما هي؟ قال: أَلْفُ دَرَاهِمٍ تُجْعَلُ لَكَ فِي كَيْسٍ تَشْتَرِي بِهَا عَبْدًا يُؤْنِسُكَ فِي طَرِيقِكَ، ولست أَقْصِرُ فِيمَا تَحِبُّ. فتلعثمت [ساعة] وتلكأت، فقال: حَقًّا لَنْ لَمْ تَأْخُذْهَا لَا كَلِمَتِكَ، فأخذتها وانصرفت وأنا أقول:

عَمْرُو بْنُ مَسْعَدَةَ الْكَرِيمِ فَعَالَهُ خَيْرٌ وَأَمَجَدُ مِنْ أَبِي عَبَّادٍ
مَنْ لَمْ يُزْمَرْ^(٢) وَالِدَاهُ وَلَمْ يَكُنْ بِالرَّيِّ عِلْجٍ بِطَارَةٍ وَحَصَادٍ
بَصْرَتُهُ سُبُلَ الرِّشَادِ فَمَا اهْتَدَى لِسَبِيلِ مَكْرَمَةٍ وَلَا لِرِشَادٍ
وَعَرَفَتْ إِذْ عَلِقَتْ يَدِي بِعَنَانِهِ أَنِّي عَلِقْتُ عِنَانََ غَيْرِ جَوَادٍ
[لو كان يعلم إذ يُشِيخُ^(٣) تَحْرِقِي فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَلَيْنَ قِيَادِي
عَرَفَ الْمُصَدِّقُ رَأْيَهُ أَنِّي أَمْرُؤُ يُفْنِي الْعَطَاءَ طَرَائِفِي وَتِلَادِي]
وَأَصُونُ عَرْضِي بِالسَّخَاءِ وَإِنْ غَدْتُ غُبَرَ الْمَحَاجِرِ شُعْثًا أَوْلَادِي
[الكامل]

(١) تَفْأَى: تَفَلَّقَ بِالسَّيْفِ.

(٢) يُزْمَرْ: الرِّمَزَةُ: الصَّوْتُ الْبَعِيدُ لَهُ دَوِي، وَتَرَاتُظُ الْعُلُوجُ عَلَى أَكْلِهِمْ وَهَمُّ صَمُوتٍ.

(٣) يُشِيخُ: يُعْرِضُ مُتَكَرِّهًا.

الأرياح والأرواح:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا العنزي قال: حدثني سلم بن خالد قال: أنشد عمارة قصيدة له (فقال) فيها: الأرياح والأمطار، فقال له أبو حاتم السجستاني: هذا لا يجوز، إنما هو الأرواح. فقال: لقد جذبني إليها طبعي، فقال له أبو حاتم: قد اعترضه علمي، فقال: أما تسمع قولهم: رياح؟ فقال له أبو حاتم: هذا خلاف ذلك، قال: صدقت، ورجع.

ما يصنع بالسيف؟

حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا العنزي قال: قدم عمارة البصرة أيام الواصل، فأتاه علماء البصرة وأنا معهم، وكنت غلاماً، فأنشدهم قصيدة يمدح فيها الواصل، فلما بلغ إلى قوله: وبقيت في السبعين أنهض صاعداً فمضى لِداتي^(١) كلهم فتشعبوا [الكامل] بكى على ما مضى من عمره، فقالوا له: أمْلها علينا، قال: لا أفعل حتى أنشدها أمير المؤمنين، فإني مدحت رجلاً مرة بقصيدة، فكتبها مني رجل، ثم سبقني بها إليه، قال: (ثم خرج إلى الواصل) فلما قدم أتوه وأنا معهم فأملأها عليهم، ثم حدثهم فقال: أدخلني إسحاق بن إبراهيم على الواصل، فأمر لي بخلعة وجائزة، فجاءني بهما خادم، فقلت: قد بقي من خلعتي شيء، قال: وما بقي؟ قلت: خلع عليّ المأمون خلعة وسيفاً. فرجع إلى الواصل فأخبره، فأمر بإدخاله، فقال: يا عمارة، ما تصنع بسيف؟ أتريد أن تقتل به بقية الأعراب الذين قتلتهم بمقالك؟ قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن لي شريك في نَحيل لي باليمامة ربما خانني فيها فلعلي أُجربه عليه. فضحك وقال: نأمر لك به قطعاً، فدفع إليّ سيفاً من سيوفه.

المأمون يعطيه عشرين ألف درهم:

أخبرنا الصولي قال: حدثني يزيد بن محمد المهلب قال:

حدثني النخعي قال:

لما قدم عمارة إلى بغداد قال لي: كَلِّم لي المأمون - وكان النخعي من ندماء المأمون - قال: فما زلت أكلمه حتى أوصلته إليه، فأنشده هذه القصيدة:

(١) اللّذات: الأقران.

حَتَّامَ قَلْبُكَ بِالْحَسَنِ مُوَكَّلٌ كَلِيفُ بَهَنٍّ وَهَنٍّ عَنْهُ دُھَلُّ؟

[الكامل]

فلما فرغ قال لي: يا نخعي، ما أدري أكثر ما قال إلا أن أُفْتَشَه، وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف درهم.

خالد بن يزيد وتميم بن خزيمة:

حدثني الصولي قال: حدثني الحسن قال: حدثني محمد بن عبد الله بن آدم العبدي قال:

كانت بنو تميم اجتمعت ببغداد على عمارة حين قال شعره الذي يقدم فيه خالد بن يزيد على تميم بن خزيمة، فقالوا له: قطع الله رحمتك وأهلك وأذلك، أتقدم غلاماً من ربيعة على شيخ من بني تميم، تميم بن خزيمة، وهو مع ذلك من بيت تميم؟ ولا موه فقال:

صَهُوا يَا تَمِيمُ إِنْ شِيبَانِ وَائِلٌ بِطَرِفِهِمْ عَنْكُمْ أَضْنُ وَأَرْغَبُ
إِنْ سُمْتُ بِرِذْوَنًا بِطَرَفٍ غَضِبْتُ عَلَيَّ وَمَا فِي السُّوقِ وَالسَّوْمِ مَغْضَبُ
فَإِنْ أَكْرَمْتَ أَوْ أَنْجَبْتَ أُمَ خَالِدٍ فَنَزْدَ الرِّيَاحِيِّينَ أَوْرى وَأَثْقَبُ

[الطويل]

قال: ثم حدثنا عمارة قال: قال لي علي بن هشام - وفيه عصبية على العرب -: قد علمت مكانك مني، وقيامي بأمرك، حتى قربك (أمير المؤمنين) المأمون، والمائة الألف التي وصلت لك أنا سببها، وهاهنا من بني عمك من هو أقرب إليك، وأجدر أن يُعِينَنِي عَلَى مَا قَبْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ، فقلت: ومن هو؟ قال: تميم بن خزيمة. قال: قلت: إيه، قال: وخالد بن يزيد بن مزيد، قلت: سآتيهما، فبعث معي شاكرياً^(١) من شاكريته، حتى وقف بي على باب تميم، فلما نظر إليّ غلمانهم أنكروني، فدنا الشاكري فقال: أَعْلِمُوا الْأَمِيرَ أَنَّ عَلَيَّ الْبَابَ ابْنَ جَرِيرِ الشَّاعِرِ جَاءَ مُسَلِّمًا، فَتَوَانُوا، وَخَرَجَ غَلَامٌ أَعْرَفَ أَنَّهُ غَلَامُ الْأَمِيرِ، فَحَجَبَنِي، فَدَاخَلَنِي مِنْ ذَاكَ مَا اللَّهُ بِهِ عَالِمٌ، فقلت للشاكري: أين منزل خالد؟ فقال: اتبعني، فما كان إلا قليلاً حتى وقف بي على بابه، ودخل بعض غلمانهم يطلب الإذن، فما كان إلا قليلاً حتى خرج في قميصه وردائه، يتبعه حشمه، فقال لي بعض القوم: هذا خالد قد أقبل إليك، قال: فأردت أن أنزل إليه، فوثب وثبة فإذا هو معي آخذ بعضدي يريد أن أتكى عليه، فجعلت أقول: جعلني الله

(١) الشاكري: المستخدم.

فذاك، أنزل، فيأبى، حتى أخذ بعضدي فأنزلني وأدخلني، وقرب إليّ الطعام والشراب، فأكلت وشربت، وأخرج إليّ خمسة آلاف درهم وقال: يا أبا عقيل، ما أكل إلا بالدين، وأنا على جناح من ولاية أمير المؤمنين، فإن صحت لم أدع أن أغنيك، وهذه خمسة أثواب خز قد آثرتك بها، كنت قد ادخرتها. قال عمارة: فخرجت وأنا أقول:

أترك أن قلت دراهم خالد زيارته إنني إذا للئيم
فليت بثوبيه لنا كان خالد وكان لبكر بالشراء تميم
فيصبح فينا سابق متمهل ويصبح في بكر أغم بهيم
فقد يُسلع المرء اللئيم اصطناعه ويعتل نقد المرء وهو كريم
[الطويل]

[قال اليزيدي: يُسلع أي تكثر سلعته. والسلعة: المتاع].

أخبرني الصولي قال: حدثني الحسن قال:

حدثني محمد بن عبد الله قال: حدثني عمارة قال: لما بلغ خالد بن يزيد هذا الشعر قال لي: يا أبا عقيل، أبلغك أن أهلي يرتضون مني ببديل كما رضيت بنو تميم، بتميم بن خزيمة؟ فقلت: إنما طلبت حظ نفسي وسقت مكرمة إلى أهلي لو جاز ذلك، فما زال يضاحكني.

أشد ما هُجى به:

أخبرني الصولي قال: حدثنا الحسن قال:

سمعت عبد الله بن محمد النباجي يقول: سمعت عمارة يقول: ما هجيت بشيء أشد عليّ من بيت فروة:

وابن المراغة جاحز من خوفنا بالوشم منزلة الذليل الصاغر
[الكامل]

أوجب على خالد حقاً:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني النباجي قال:

لما قال عمارة يمدح خالدًا:

تأبى خلائق خالد وفعله إلا تجنّب كل أمر عائب

فإذا حضرت الباب عند غدائه أَذِنَ الغدَاءُ لَنَا بِرَعْمِ الحَاجِبِ
[الكامل]

لقيه خالد فقال له : أَوْجَبْتَ وَاللَّهِ عَلَيَّ حَقًّا مَا حَيَّيت .

أجود شعره :

قال العنزي : وسمعت سلم بن خالد يقول : قلت لعمارة : ما أجودُ شعرك؟
قال : ما هجوتُ به الأشراف . فقلت : ومن هم؟ قال : بنو أسد، وهل هاجاني أشرف
من بني أسد؟

البيت القاتل :

(قال العنزي : وحدثني أبو الأشهب الأسدي من ولد بشر بن أبي خازم قال :
لما أنشد فروة بن حُمَيْصَةَ قول عمارة فيه :
ما في السَّوِيَّةِ أَنْ تَجِرَ عَلَيْهِمْ وَتَكُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوَّلَ صَادِرِ
[الكامل]

قال : وَاللَّهِ لَا قَتْلَنِي إِلَّا هَذَا الْبَيْت .
فلما تكاثرت عليه الخيل يوم قُتِلَ قِيلَ لَهُ : انجُ بنفسك . قال : كلا والله ، لا
حققت قول عمارة . فصبر حتى قتل .
وكان فروة من أحسن الناس وجهاً وشعراً وقدّاً ، لو كان امرأة لانتحرت عليه بنو
أسد) .

أكرم هجاء :

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : حدثني العنزي قال :
حدثني علي بن مسلم قال : أنشدت يعقوب بن السكيت قصيدة عمارة التي ردّ
فيها على رجاء بن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة التي أولها :
حَيِّ الدِيَارَ كَأَنَّهَا أَسْطَارُ بِالْوَحْيِ يَذْرُوسُ صُحُفُهَا الْأَحْبَارُ
لَعِبَ الْبَلَى بِجَدِيدِهَا وَتَنَفَّسَتْ عَرَصَاتِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَمْطَارُ
[الكامل]

- قال أبو علي : وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال : الأرياح ، فردّه عليه أبو
حاتم السجستاني وهو يتغيظ - فلما بلغ إلى قوله :
وَجُمُوعٌ أَسْعَدُ إِذْ تَعَضُّ رُؤُوسَهُمْ بَيْضٌ يَطِيرُ لَوَقْعِهِنَّ شَرَارُ

حتى إذا عزموا الفرار وأسلموا بيضاً خواصين ما بهنّ قرارُ
لحقت حفيظتنا بهنّ ولم نزل دُون النساءِ إذا فزعن نَعَارُ
[الكامل]

قال ابن السكيت: لله درّه، ما سمعت هجاء قطّ أكرم من هذا.

يرجع إلى قديم شعره لينقل منه:

أخبرني محمد بن يحيى قال:

وفد عمارة على المتوكل، فعمل فيه شعراً، فلم يأت بشيء، ولم يُقارب، وكان
عمارة قد اختلّ وانقطع في آخر عمره، فصار إلى إبراهيم بن سعدان المؤدّب، وكان
قد روى عنه شعره القديم كله، فقال له: أحبّ أن تُخرج إليّ أشعاري كلها لأنقل
ألفاظها إلى مدح الخليفة، فقال: لا والله أو تقاسمني جائزتك، فحلف له على ذلك،
فأخرج إليه شعره، وقلب قصيدة إلى المتوكل، وأخذ بها منه عشرة آلاف درهم،
وأعطى إبراهيم بن سعدان نصفها، والله أعلم.

صوت

من المائة المختارة

يا دارَ عبلةٍ من مشارِقِ مَأسَلِ دَرَسَ الشُّؤُونُ وَعَهْدُهَا لَمْ يَنْجَلِ
واستبدلت عُفْرَ الظِّباءِ كأنما أبعادها في الصيف حبّ الفلفلِ
[الكامل]

وذكر يحيى بن علي أن الشعر لعنترة بن شداد العبسي، وليس ذلك بصحيح،
وذكر غيره من الرواة أنه لعبد قيس بن خفاف البرجمي، وليس ذلك بصحيح أيضاً،
والشعر لحارثة بن بدر الغُدانيّ من قصيدة له طويلة يفخر فيها ويذكر سالف أيامه، وقد
ذكرت المختار منها بعقب أخبار حارثة وبعد انقضائها، والغناء المختار لأبي دلف
العجلي ولحنه المختار [ثقيل أول وفيه ألحان كثيرة].

أخبار حارثة بن بدر ونسبه

اسمه ونسبه :

حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع .

وقال خالد بن حمل :

حارثة بن بدر بن مالك بن كليب بن غدانة بن يربوع ، وأم حارثة بن بدر امرأة من بني صريم بن الحارث يقال لها الصدوف بنت الصُدَيّ .

أنجب ثلاثة :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني العلاء بن الفضل بن أبي سُويد المنقري قال :

مر عمرو بن الأهتم ، بحارثة بن بدر والأحنف بن قيس وزيد بن جبلة وهم مجتمعون ، فسلم عليهم ، ثم بقي مفكراً ، فقالوا : ما لك ؟ فقال : ما في الأرض ثلاثة أنجب من آبائكم حيث جاؤوا بأمثالكم من أمثال أمهاتكم ، فضحكوا منه .

قال : وأم الأحنف الزافرية ، واسمها حُبَي من باهلة ، وأم زيد بن جبلة عَمْرَة بنت حَذْلَم من بني الشُعَيْراء ، وأم حارثة الصدوف بنت الصُدَيّ من بني صريم بن الحارث . وقد مضى نسب بني يربوع في نسب جرير وغيره من عشيرته من هذا الكتاب .

قول الفرزدق في بني غدانة :

وفي بني غُدانة يقول الفرزدق :

أبني غُدانة إنني حرّرتكم فوهبتكم لعطية بن جَعَالٍ
لولا عطيةٌ لاجتدعت أنوفكم من بين ألأم أعين وسِبَالٍ
[الكامل]

وكان عطية استوهب منه أعراضهم لصهر كان بينه وبينهم ، وكان عطية سيّداً من سادات بني تميم ، فلما سمع عطية هذا الشعر قال : واللّه لقد امتنّ عليّ أبو فراس بهذه

الهيئة، وما تممها حتى ارتجعها، ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم.

قال: وكان عطية سيداً جواداً، وفيه يقول جرير:

إن الجواد على المواطن كلّها وابن الجواد عطية بن جعال
يهب النجائب لا يملّ عطاءها والمُقَرَّبَاتِ^(١) كأنهن سعالِي^(٢)
[الكامل]

من فرسان تميم ووجوهها:

وحارثة بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها [وَجُودَائِهَا] وأحسب أنه قد أدرك النبي ﷺ في حال صباه وحداثته، وهو من لِدَات الأحنف بن قيس، وليس بمعدود في فحول الشعراء، ولكنه كان يعارض نظراءه الشعر، وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يلحقه بالمقدمين في الشعر والمتصرفين في فنونه.

حارثة وعبيد الله بن زياد:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا المدائني قال:

كان زياد مكرماً لحارثة بن بدر، قابلاً لرأيه، محتملاً لما يعلمه من تناوله الشراب، فلما وليّ عبيد الله بن زياد آخر حارثة بعض التأخير، فعاتبه على ذلك، فقال له عبيد الله: إنك تتناول الشراب، فقال له: قد كان أبوك يعلم ذلك مني ويقريني ويكرمني، فقال له: إن أبي كان لا يخاف من القالة في تقريبك ما أخاف، وإن اللسان إليّ فيك لأسرع منه إلى أبي، فقال حارثة:

وكم من أمير قد تجبّر بعدما مَرِئْتُ له الدنيا بسيفي فدرّت
إذا ما هي احلّولت بغى حقّ مقسمي وَيَقْسِم لي منها إذا ما أَمَرَّتْ
إذا زَبَنَتْهُ^(٣) عن فُواقٍ يريده دُعِيت ولا أدعى إذا ما أَقَرَّتْ
[الطويل]

وقال حارثة بن بدر أيضاً، وشاوره عبيد الله في بعض الأمر:

أهان وأقصى ثم ينتصّحونني ومن ذا الذي يُعطي نصيحته قَسْراً؟

(١) المُقَرَّبَات: الخيل المكزّمة فيقرّب مأكّلها ومشربها.

(٢) السعالِي: مفرد السعلاة وهي الغول.

(٣) زَبَنَتْهُ: رَفَعَتْهُ.

رَأَيْتُ أَكْفَ الْمُصْلَتِينَ عَلَيْكُمْ مِلاءٌ وَكَفِي مِنْ عَطَايَاكُمْ صِفْرًا
مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَمْنَعُوا لِي لَذِي لِي لَا أَسْطَعُ عَلَى ذَلِكَمْ صَبْرًا
[الطويل]

فَقَالَ لَهُ عبيد الله: فَإِنِّي معوضك وموَلِّيك، فوَلَّاهُ.

رجل من بني كليب يهجوهُ:

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري
قال: قال لي أبو اليقظان:

حوّل زيادٌ دعوةَ حارثة بن بدر وديوانه في قريش، لمكانه منه، فقال رجل من
بني كليب يهجوهُ بذلك:

شَهِدْتُ بَأَن حَارِثَةَ بْنَ بَدْرِ غُدَانِي اللَّهَازِمِ^(١) وَالْكَلَامِ
سِجَاحٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَذْنَى لَهُ مِنْ نَوْفَلِ وَبَنِي هِشَامِ
[الوافر]

يعني سِجَاح التي ادّعت النبوة، وهي امرأة من بني تميم.

احترق داره:

قال أحمد بن يحيى: وقال المدائني:

احترقت دار حارثة بن بدر بالبصرة، احرقها بعض أعدائه من بني عمه، فقال في
ذلك:

رَأَيْتُ الْمَنَايَا بَادِئَاتٍ وَعُودًا إِلَى دَارِنَا سَهْلًا إِلَيْهَا طَرِيقُهَا
لَهَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فَرُوعُهَا فَقَدْ تَلِفَتْ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقُهَا
[الطويل]

قال: وكان لحارثة أخ يقال له دَرَّاع، فأُحرق مع ابن الحضرمي بالبصرة.

يهجو بني سليط:

قال أحمد بن يحيى أيضاً:

كان عطية بن جعال يهاجي حارثة بن بدر، ثم اصطلحا، وكان أيضاً يهاجيه من

(١) اللّهازم: من القبائل العربية (وقد تمّ شرحها سابقاً). والغُدَانِي: هو الذي يعود بنسبه إلى غدانه بن يربوع الذي يتنسب إليه حارثة بن بدر.

قومه العُكُوصُ، وكانت بنو سَلِيط تروي هجاءه لحارثة بن بدر، فقال حارثة يهجوهم:
 أراويةً عليّ بنو سَلِيط هجاء الناس يا لَبَنِي سَلِيط
 فما لحمي لتأكله سَلِيط شَبِهاً بِالذَّكِيِّ^(١) ولا العَبِيط^(٢)
 [الوافر]

أنس بن زنيم وحارثة يتهاجيان:

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن صالح بن سمح بن عمرة الأسدي أبو الحسن قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: قال روح بن السكن:
 كان أنس بن زنيم الليثي صديقاً لعبيد الله بن زياد، فرأى منه جفوة وأثرة لحارثة بن بدر الغُداني فقال:

أهان وأقصى ثم تَنَصَّحُونَنِي وَأَيَّ امْرِئٍ يُعْطِي نَصِيحَتَهُ قَسِراً؟
 رأيت أكفَّ المُصْلَتِينَ عَلَيْكُمْ مِلاءً وَكَفِّي مِنْ عَطَايَاكُمْ صِفْراً
 فإن تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَمْنَعُوا لِي لا أَسْطَعُ عَلَى ذَلِكُمْ صَبْراً
 (فحمداً صَرَفْتُ النَّاسَ عَمَّا يَرِيبُكُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَدْ أَعْلَيْتُ فِي حَرْبِكُمْ قَدْرًا)
 رأيتكم تَعْطُونَ مِنْ تَرْهَبُونَهُ زَرَابِيَّةً^(٣) قَدْ وُشِّحَتْ حَلَقاً صُفْراً
 وإني مع الساعي عليكم بسيفه إِذَا عَظَمَكُمْ يَوْمًا رَأَيْتَ بِهِ كَسْرًا
 [الطويل]

فقال عبید الله بن زياد لحارثة بن بدر: أجبه، فاستعفاه لمودة كانت بينهما، فأكرهه على ذلك وأقسم عليه ليجيبه فقال:

تَبَدَّلْتُ مِنْ أَنْسٍ إِنَّهُ كَذُوبُ الْمَوَدَّةِ خَوَّائُهَا
 أراه بصيراً بضرّ الخليلِ وَشَرُّ الْأَخْلَاءِ غُورَائُهَا
 [المقارب]

فأجابه أنس فقال:

إن الخيانة شرُّ الخليلِ وَالْكَفْرُ عِنْدَكَ دِيَوَائُهَا
 بَصُرْتُ بِهِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَمَا بَصُرَ الْعَيْنَ إِنْسَانُهَا
 [المقارب]

(١) الذَّكِيُّ: المذبوح.

(٢) العَبِيط: الطريّ الغض.

(٣) الزَرَابِيَّةُ: بمعنى الزرابي، وهي نوع من البسط الفاخرة، المتعددة الألوان كالأحمر والأصفر والأخضر.

فأجابه حارثة بن بدر فقال :

أَلِكْنِي^(١) إِلَى أَنْسٍ إِنَّهُ
فَمَا أَبْتَغَى عَثَرَاتِ الْخَلِيلِ
وَمَا إِنْ أَرَى مَالَهُ مَغْنَمًا

عَظِيمِ الْخَوَاشَةِ^(٢) عِنْدِي مَهِيْبٌ
وَلَا أَتَبَغَّى عَلَيْهِ الْوُثُوْبُ
مِنَ الدَّهْرِ إِنْ أَعُوْزْتَنِي الْكَسُوْبُ
[المقارب]

فقال أنس :

أَحَارِ بْنِ بَدْرٍ وَأَنْتِ امْرُؤٌ
مَتَى كَانَ مَالُكَ لِي مَغْنَمًا
وَشَرَّ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الْبَلَاءِ

لِعَمْرِي الْمَتَاعُ إِلَيَّ الْحَبِيْبُ
مِنَ الدَّهْرِ إِنْ أَعُوْزْتَنِي الْكَسُوْبُ؟
وَعِنْدَ الرِّزْيَةِ خِلٌّ كَذُوْبُ
[المقارب]

قال : فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عبيد الله زماناً، ووقع بينهما شرٌّ، حتى قدم سلم بن زياد من عند يزيد بن معاوية عاملاً على خراسان وسجستان، فجعل ينتخب ناساً من أهل البصرة والكوفة، وكان الذي بين عبيد الله وبين سلم سيئاً، فأرسل سلم إلى أنس يعرض عليه صحبته، وجعل له أن يستعمله على كورة، فقال له أنس : أمهلني حتى أنظر في أمري، وكتب إلى عبيد الله بن زياد :

أَلَمْ تَرْنِي خَيْرَ وَالْأَمْرُ وَقَعَ
رِضَاكَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ وَمَنْ يَكُنْ
قَعْدَتٌ لَتَرْضَى عَنْ جِهَادٍ وَصَاحِبِ
عَلَى أَحَدِ الثَّغَرَيْنِ ثُمَّ تَرَكْتُهُ
فَأَمْسَكْتُ عَنْ سَلَمٍ لِسَانِي وَصَحْبَتِي
فَإِنْ كُنْتَ لَمَّا تَدْرٍ مَا هِيَ شِيْمَتِي
أَلَسْتُ مَعَ الْإِحْسَانِ وَالْجُودِ ذَا غِنًى
وَرَائِي وَقَدْ أَعْصَى الْهَوَى خَشِيَةَ الرَّدَى
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا ذَاكَ تَرْتَدُّ بَغِيْتِي

فَمَا كُنْتُ لِمَا قُلْتَ بِالْمُتَخَيَّرِ
إِذَا اخْتَارَ ذَا حَزْمٍ مِنَ الْأَمْرِ يَظْفَرِ
شَفِيقٍ قَدِيمِ الْوَدِّ كَانَ مُؤَمَّرِي
وَقَدْ كُنْتُ فِي تَأْمِيرِهِ غَيْرَ مُؤْمَرِي
لِيَعْرِفَ وَجْهَ الْعَذْرِ قَبْلَ التَّعَذُّرِ
فَسَلِّ بِي أَكْفَائِي وَسَلِّ بِي مَعْشَرِي
وَبَأْسُ إِذَا مَا كُفِّرُوا فِي التَّسْثُرِ
وَأَعْرِفْ غَبَّ الْأَمْرِ قَبْلَ التَّدْبُرِ
عَلَيَّ ارْتِدَادَ الْمُظْلِمِ الْمُتَحَيَّرِ
[الطويل]

(١) أَلِكْنِي : كن رسولي إليه .

(٢) الْخَوَاشَةُ : الاستحياء .

قال: ودفعها إلى عبيد الله في صحيفة، فقرأها، ثم دفعها إلى حارثة بن بدر، وقال له: اردد على أنس صحيفته فلا حاجة لنا فيها، فقال حارثة:

أَلَكْنِي إِلَى مَنْ قَالَ هَذَا وَقُلْ لَهُ: كَذَبْتَ فَمَا إِنْ أَنْتَ بِالْمُتَخَيِّرِ
وإِنَّكَ لَوْ صَاحَبْتَ سَلَمًا وَجَدْتَهُ كَعَهْدِكَ عَهْدِ السَّوِّءِ لَمْ يَتَغَيَّرِ
أَتَنْصَحْ لِي يَوْمًا وَلَسْتُ بِنَاصِحٍ لِنَفْسِكَ فَاغْشَشْ مَا بَدَا لَكَ أَوْ ذَرِ
كَذَبْتَ وَلَكِنْ أَنْتَ رَهْنٌ بِخَزِيَّةٍ وَيَوْمَ كَأَيَّامِ عَبُوسٍ مُذَكَّرِ
كَأَشَقَرٍ أَضْحَى بَيْنَ رُمَحَيْنِ إِنْ مَضَى عَلَى الرَّمْحِ يُنَحَّرُ أَوْ تَأَخَّرَ يُعْقَرُ
[الطويل]

قال: واعجبت عبيد الله وقال: لعمرى لقد أجبته على إرادتي. وأمسكه عبيد الله في يده، فلما دخل عليه أنس دفعها إليه، فنظر فيها ثم قال لعبيد الله: لقد ردّ عليّ من لا أستطيع جوابه، وظن أن عبيد الله قائلًا، وخرج أنس والصحيفة في يده، فلقى عبد الرحمن بن رألان، فدفعها إليه أنس، فلما قرأها قال: هذا شعر حارثة بن بدر أعرفه، فقال له أنس: صدقت والله، ثم قال لحارثة بن بدر:

عَجِبْتَ لِهَرْجٍ^(١) مِنْ زَمَانٍ مُضَلَّلٍ وَرَأَيْ لَأَلْبَابِ الرِّجَالِ مُغَيَّرِ
وَمِنْ حِقْبَةٍ عَوْجَاءَ غُولٍ تَلَبَّسَتْ عَلَى النَّاسِ جِلْدَ الْأَرَبِ^(٢) الْمَتَنَمَّرِ
فَلَا يَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ فِيهِ لِأَهْلِهِ وَإِنْ قِيلَ فِيهِ مُنْكَرٌ لَمْ يَنْكَرِ
لِحَارِثَةَ الْمُهْدِي الْخَنَى لِي ظَالِمًا وَلَمْ أَرْ مِثْلِي يَدْرِي صَيْدَ مُدْرِي
أَحَارَ بَنَ بَدْرٍ قَدْ أَتَنِي مَقَالَةٌ فَمَا بَالُ نَكَرٍ قِيلَ فِي غَيْرِ مُنْكَرِ
أَيُّرُوي عَلَيْكَ النَّاسُ مَا لَا تَقُولُهُ فَتُعْذِرُ أَمْ أَنْتَ أَمْرٌ غَيْرُ مُعْذِرِ؟
فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا يَقَالُ فَلَا يَكُنْ دَبِيبًا وَجَاهِرُنِي فَمَا مِنْ تَسْثُرِ
أَقْلُدُكَ إِنْ كُنْتَ أَمْرًا حَانَ عِرْضُهُ قَوَافِي مِنْ بَاقِي الْكَلَامِ الْمُشْهَرِ
وَقَدْ كُنْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ جَرَّبْتَ أَنْنِي أَشَقُّ عَلَى ذِي الشُّعْرِ وَالْمَتَشَعَّرِ
وَأِنْ لِسَانِي بِالْقَصَائِدِ مَاهِرٌ تَعِنُّ لَهُ غُرُّ الْقَوَافِي وَتَنْبِرِي
أَصَادَفَهَا جِينًا يَسِيرًا وَأَبْتَغِي لَهَا مَرَّةً شَزْرًا^(٣) إِذَا لَمْ تَيْسَّرِ
تَنَاوَلْنِي بِالشَّتَمِ فِي غَيْرِ كُنْهَةٍ

(٢) الأربد: الحية الخبيثة.

(١) الهَرْج: الفتنة والاختلاط.

(٣) الشَّزْر: الصعوبة والشدة.

هَجَوْتُ وقد ساماك في الشعر خطّة الـ ذليل ولم يفعل كأفعال مُنكرٍ
[الطويل]

قال: وقال أنس بن زنيم لعبيد الله بن زياد وفيه غناء:

سَلْ أُمِيرِي مَا الَّذِي غَيَّرَهُ عَنْ وَصَالِي الْيَوْمَ حَتَّى وَزَعَهُ^(١)
لَا تُهِنِّي بَعْدَ إِكْرَامِكَ لِي فَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَزَعُهُ
لَا يَكُنْ وَعْدُكَ بَرْقًا^(٢) خُلْبًا إِنْ خَيْرَ الْبَرْقِ مَا الْغَيْثُ مَعَهُ
[الرملي]

في عرس ابن مسمع:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:
زعم عاصم بن الحدثان أن حارثة بن بدر قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان وكانا
في عرس لابن مسمع: هل لك في شراب؟ قال: نعم، فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل،
فأخذ ابن ظبيان العسّ فكرع فيه حتى كاد يأتي على آخره، ثم ناوله حارثة بن بدر،
فقال له حارثة: يا ابن ظبيان، إنك لَطَبٌ^(٣) بحسوها^(٤)، فقال: أجل والله وإني
لأشربها حالا وأجاهر بها إذا أخفى غيري شرب الحرام، فقال له حارثة: من غيرك
هذا؟ قال: سائلي عن هذا الأمر، فقال حارثة:

إِذَا كُنْتَ نَدْمَانِي فَخُذْهَا وَإِسْقِنِي وَدَعْ عَنْكَ مَنْ رَأَاكَ يَكْرَعُ فِي الْحَمْرِ
فإني امرؤ لا أشرب الخمر في الدُّجَا وَلَكِنِّي أَحْسُو النَّبِيذَ مِنَ التَّمْرِ
حَيًّا وَتُقَالُ لِلَّهِ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِكُلِّ الَّذِي نَأْتِيهِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
ومثلك قد جرّبتَه وخبّرْتَه أبا مَطَرٍ وَالْحَيْنُ^(٥) أَسْبَابُهُ تَجْرِي
حَسَاها كُمُسْتَدِمِي الْغَزَالِ عَتِيقَةً إِذَا شُعْشَعَتْ^(٦) بِالْمَاءِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
أقام عليها دهره كل ليلة يُشَافِهُهَا حَتَّى يَرَى وَضَحَ الْفَجْرِ
فأصبح ميتاً ميتة الكلب ضحكة لِأَصْحَابِهِ حَتَّى يُدْهَدَهُ^(٧) فِي الْقَبْرِ

(١) وَزَعَهُ: كَفَّهَ وَنَهَاهُ.

(٢) الْبَرْقُ الْخُلْبُ: أَيِ الْبَرْقِ الَّذِي يَكُونُ فِي سَحَابٍ لَا مَطَرُ فِيهِ، فَكَأَنَّهُ يَخْدَعُ وَيَقَالُ لِمَنْ يَعِدُ وَلَا يُنْجِزُ.

(٣) الطَّبُّ: الْحَاقِظُ الْمَاهِرُ. (٤) الْحَسُو: الشُّرْبُ.

(٥) الْحَيْنُ: الْمَوْتُ. (٦) شُعْشَعَتْ: مُزِجَتْ.

(٧) يُدْهَدُهُ: يُدْخَرُجُ.

فما إن بكاه غيرُ دَنْ ومِرْزَهَر وغانية كالبدْر واضحة الشَّعر
نَبَاطِيَّةٍ كانت له خِذْنُ رِيبَةٍ يُعَاهَرها والليلُ معتكِرُ السَّثَرِ
[الطويل]

الأحنف يعاتبه على معاقرة الشراب :

أخبرني عمِّي قال : حدثنا الكراني قال : حدثنا العمري ، عن عاصم بن الحدثان قال :

عاتب الأحنف بن قيس حارثة بن بدر على معاقرة الشراب ، وقال له : قد فضحت نفسك ، وأسقطت قدرك ، وأوجعه عتاباً . فقال له : إني سأعتبك فأُمْسِكُ ، فانصرف الأحنف طامعاً في صلاحه ، فلما أَمْسَى راح إليه ، فقال له : إسمع يا أبا بحر ما قلت ، فقال : هات ، فأنشده :

يَظُنُّ أَبُو بَحْرٍ أُمُوراً يُرِيدُهَا وَيَكْرَهُهَا لِلْأَرِيحِيِّ الْمُسَوِّدِ
فَإِنْ كُنْتَ عَيَّاباً فَقُلْ مَا تَرِيدُهُ وَدَعْ عَنْكَ شُرْبِي لَسْتُ فِيهِ بِأَوْحِدِ
سَأَشْرِبُهَا صَهْبَاءَ كَالْمَسْكِ رِيحُهَا وَأَشْرِبُهَا فِي كُلِّ نَادٍ وَمَشْهَدِ
فَنَفْسُكَ أَصْلَحُ يَا ابْنَ قَيْسٍ وَخَلْنِي وَرَأْيِي فَمَا رَأْيِي بِرَأْيٍ مُقَنَّدٍ^(١)
وَقَائِلَةٍ يَا حَارِ هَلْ أَنْتَ مَمْسُكٌ عَلَيْكَ مِنَ التَّبْذِيرِ قُلْتَ لَهَا أَقْصِدِي
وَلَا تَأْمُرِينِي بِالسَّدَادِ فَإِنْنِي رَأَيْتَ الْكَثِيرَ الْمَالِ غَيْرَ مُحَلَّدِ
وَلَا عَيْبَ لِي إِلَّا اصْطَبَاحِي قَهْوَةً مَتَى يَمْتَزِجُهَا الْمَاءُ فِي الْكَأْسِ تُزْبِدِ
مَعْتَقَةً صَهْبَاءَ كَالْمَسْكِ رِيحُهَا إِذَا هِيَ فَاحَتْ أَذْهَبَتْ غُلَّةَ الصَّدْيِ^(٢)
أَلَا إِنَّمَا الرُّشْدُ الْمُبِينُ طَرِيقُهُ خِلَافُ الَّذِي قَدْ قُلْتَ إِذْ أَنْتَ مُرْشِدِي
سَأَشْرِبُهَا مَا حَجَّ لَلَّهِ رَاكِبٌ مَجَاهِرَةً وَحَدِي وَمَعَ كُلِّ مُسْعِدِ
وَأُسْعِدُ نَدْمَانِي وَأَتْبِعُ شَهْوَتِي وَأَبْذُلُ عَفْواً كُلَّ مَا مَلَكَتْ يَدِي
كَذَا الْعَيْشُ لَا عَيْشُ ابْنِ قَيْسٍ وَصَحْبِهِ مِنْ الشَّرْبِ لِلْمَاءِ الْقَرَّاحِ الْمُصَرَّدِ
[الطويل]

فقال له الأحنف : حسبك فإني أراك غير مقلع عن غيِّك ولن أعاتبك بعدها أبداً .

قال عاصم : ثم كان بعد ذلك بين الأحنف وحارثة كلام وخصومة ، فافترقا عن

(١) مُقَنَّدٌ : الرأي الصائب .

(٢) الصَّدْيُ : العطشان .

مجلسهما متغاضبين، فبلغ حارثة أن الأحنف قال: أما والله لولا ما يعلم لقلت فيه ما هو أهله، فقال حارثة: وهل يقدر على أن يذمني بأكثر من الشراب وحُبي له؟ وذلك أمر لست أعتذر منه إلى أحد، ثم قال في ذلك:

وكم لائم لي في الشراب زجرته
فلمست عن الصهباء ما عشت مُقَصِّراً
أترك لذاتي وآتي هَواكم
أنا الليث معدواً عليه وعادياً
وأنت حلیم تزجر الناس عن هوى
فحلّمك صُنّه لا تُذله وخَلّني
فإني امرؤ عوّدت نفسي عادةً
أجود بمالي ما حييت سماحةً
فما أنت أو ما غي من كان غاوياً
وقلت له دعني وما أنا شاربُ
وإن لامني فيها اللئام الأثايبُ
ألا ليس مثلي يا ابن قيس يُخالِبُ^(١)
إذا سُلت البيض الرقاق القواضبُ
نفوسهم جهلاً وحلمك عازبُ
وشأني واركب كل ما أنت راكبُ
وكل امرئ ما اعتاد لا شك طالبُ
وأنت بخيل يَجْتويك المصاحبُ
إذا أنت لم تُسدّد عليك المذاهبُ
[الطويل]

فرصة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو الأسود الخليل بن أسد قال: حدثنا العمري عن العتيبي قال:

أجرى الوليد بن عبد الملك الخيل، وعنده حارثة بن بدر الغداني، وهو حينئذ في ألف وستمائة من العطاء، فسبق الوليد، فقال حارثة: هذه فرصة، فقام إليه فهناه ودعا له ثم قال:

إلى الألفين مُطَّلِع قريبُ
فإن أهلك فهنّ لكم وإلا
زيادة أربع لي قد بقينا
فهنّ من المتاع لنا سنيّنا
[الوافر]

فقال له الوليد: نشاطرك ذلك، لك مائتان ولنا مائتان، فصير عطاء ألفاً وثمانمائة، ثم أجرى الوليد الخيل فسبق أيضاً، فقال حارثة: هذه فرصة أخرى، فقام فهناه ودعا له ثم قال:

وما احتجب الألفان إلا بهيّن
هما الآن أدنى منهما قبل ذلكا

(١) يُخالِب: يُخادع.

فَجُدَّ بِهِمَا تَفْدِيكَ نَفْسِي فَإِنِّي مَعَلَّقُ آمَالِي بِبَعْضِ حَبَالِكَا
[الطويل]

فأمر الوليد له بالمائتين، فانصرف وعطاؤه ألفان.

مَنْ أَخْطَبَ النَّاسَ؟

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا قال: أنبأنا مهدي بن سابق قال: أنبأنا عبد الرحمن بن شبيب بن شيبه عن أبيه قال:

قال زياد يوماً لحارثة بن بدر: من أخطب الناس؟ أنا أو أنت. فقال: الأمير أخطب مني إذا تواعد ووعد، وأعطى ومنع، وبرق ورعد، وأنا أخطب منه في الوفادة وفي الثناء والتحبير، وأنا أكذب إذا خطبت، فأحشو كلامي بزيادة مليحة شهية. والأمير يقصد إلى الحق وميزان العدل، ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه، فقال له زياد: قاتلك الله، لقد أجدت تخليص صفتك وصفتي من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها، وأرضيتني وتخلصت، ثم التفت إلى أولاده فقال: هذا لعمركم البيان الصريح.

قَشْرُوهُ وَأَكَلْتَهُ بِقَشْرِهِ:

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن الحرمازي قال: شرب حارثة بن بدر مع بني زياد ليلة إلى الصبح، فأكثر وصرف، ومزجوا، فلما أن غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة، ففطن له زياد، فقال: ما لك يا حارثة؟ فقال: أكلت البارحة رُمَاناً فأكثرته، قال: قد عرفتُ مع مَنْ أَكَلْتَهُ، ولكنهم قَشْرُوهُ وَأَكَلْتَهُ بِقَشْرِهِ فأصاركَ إلى ما ترى.

حَارِثَةُ يَرِثِي زِيَاداً:

قال الحرمازي: قال بعض أهل العلم:

إن زياداً استعمل حارثة على سُرْق، فمات زياد وهو بها، ثم إنه بلغه موته، فقال حارثة يرثيه:

إِنَّ الرِّزْيَةَ فِي قَبْرِ بِمَنْزِلَةٍ تَجْرِي عَلَيْهَا بظَهْرِ الكُوفَةِ المُّورُ^(١)
أَدَّتْ إِلَيْهِ قَرِيشٌ نَعِشٌ سَيِّدَهَا فففيه ضاقي الندى والحزم مقبور

(١) المور: الغبار المتردد.

أبا المغيرة والدنيا مُعَيِّرة وإنَّ مَنْ غُرَّ بالدنيا لمغرورٌ
قد كان عندك للمعروف معرفة وكان عندك للنكراء تنكيرٌ
وكنت تُؤْتَى فتُعْطَى الخير عن سَعَةٍ فاليومَ بائبك دون الهجرِ مَهْجورٌ
ولا تَلين إذا عوسرت مُقْتَسِراً وكلَّ أمرِك ما يُوسِرُت ميسورٌ
[البسيط]

قال: وكان الذي أتاه بنعيه مسعود بن عمرو الأزدي فقال حارثة:

لقد جاء مسعودٌ أخو الأزدي غدوةً بداهيةً غراءَ بادٍ حُجُولُها
من الشرِّ ظَلَّ الناس فيها كأنهم وقد جاء بالأخبار من لا يُحِيلُها
[الطويل]

البادي أظلم:

أخبرني الحسن بن علي قال: أنبأنا العمري، عن أحمد بن خالد بن منجوف، عن مؤرج السدوسي قال:

دخل حارثة بن بدر على عبيد الله بن زياد، وعنده سعد الرابية أحد بني عمرو بن يربوع بن حنظلة، وكان شريراً يُضْحِك ابن زياد ويُلْهيه، وله يقول الفرزدق:

إنني لأُبْغِضُ سعداً أن أجاوره ولا أَحِبُّ بني عمرو بن يربوع
قوم إذا حاربوا لم يَخْشَهُمْ أَحَدٌ والجار فيهم ذليلٌ غير ممنوع
[البسيط]

فلما جلس حارثة قال له سعد: يا حارثة، أينع الكرم. قال: نعم واستودع ماؤه الأَصِيصَ، فَمَه. قال: إني لم أَرُدْ بأساً، قال: أجل، ولستَ من أهل البأس، ولكن هل لك عِلْمٌ بالأتان إذا اعتاص^(١) رَحِمُها كيف يُسْطَى عليها؟ أكما يُسْطَى على الفرس، أم كيف؟ قال لي: واحدة بواحدة، والبادي أظلم. سألتني عما لا علم لي به، وسألتك عما تعلم، قال: أنت بما سألتك عنه أعلم مني بما سألتني عنه، ولكن من شاء جَهَل نفسه، وأنكر ما يعرف، وقال حارثة يهجو سعداً:

لا ترج مني يا ابن سعدِ هَوادة ولا صُحْبَةً ما رَزَمْتُ^(٢) أم حائلٍ
أعند الأمير ابن الأمير تَعِيبَنِي وأنت ابن عمرو مضحكٌ في القبائلِ؟

(١) اعتاص رَحِمُها: ضربها الفحل فلم تحمل.

(٢) رَزَمْتُ: ولدت.

ولو غَيْرَنَا يا سَعْدُ رُمْتَ حريمه
فَسَالَتْ بكِ العنقاء أو صِرَتْ لحمَةً
بِخَسْفٍ لَقَدْ غُودِرَتْ لحمًا لآكل
لَأَغْبَسَ ^(١) عَوَاءً ^(٢) العشيَّاتِ عاسِلٍ ^(٣)
[الطويل]

ثأر:

أخبرني هاشم بن محمد قال: أنبأنا الرياشي عن الأصمعي وأبي عبيدة قالاً:
كان حارثة بن بدر يجالس مالك بن مسمع، فإذا جاء وقت يشرب فيه قام،
فأراد مالك أن يعلم من حضره أنه قام ليشرب، فقال له: إلى أين تمضي يا أبا
العنيس؟ قال: أجيء بعباد بن الحصين يفتقأ عينك الأخرى.
وقال الأصمعي:

أمضي فأفتقأ عين عبّاد بن الحصين لآخذ لك بثأرك. وكان عباد فقاً عين مالك
يوم المِرْبَد.
قال: وذكر المدائني:

أن حارثة بن بدر كان يومئذٍ - وهو يوم فتنة مسعود - على خيل حنظلة بإزاء
بكر بن وائل، فجعل عبس بن طلق بن ربيعة الصّريمي على الخيل بحيال الأزد معه
سعدٌ والرّباب والأساورة، وقال حارثة بن بدر:

سيكفيك عبسٌ أخو كهمسٍ مقارعةً الأزد بالمرَبَدِ
ويكفيك عمروٌ وأشياءُها لَكَيْزَ بَنٍ أفصى وما عَدَدُوا
وأكفيك بكرةً إذا أقبلتُ بطعنٍ يشيب له الأمرُ ^(٤)
[المتقارب]

فلما اصطف الناس أرسل مالك بن مسمع إلى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح،
على أن يعطيه ما أحب، فقال له حارثة: إنه والله ما أرسل إليك نظراً لك، ولا إبقاء
عليك، ولكنه أراد أن يُغري بينك وبين سعد. فمضى ضرار إلى راية الأحنف فحملها،
وحمل على مالك فهزمه، وفُتِّت عينه يومئذٍ.

(١) الأَغْبَسَ: الذئب الأغبر.

(٢) العَوَاءُ: كثير العواء.

(٣) العاسِلُ: الذئب المضطرب في عدوه، ويهزّ رأسه.

(٤) الأمرُ: الشاب الذي طرّ شاربه ولم تظهر لحيته.

الأحامرة:

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن محمد بن سلام عن أبي اليقظان قال:

مرَّ حارثة بن بدر بالمسجد الذي يقال له مسجد الأحامرة بالبصرة، فرأى مَشِيخَةً قد خضبوا لِحَاهُم بالحناء، فقال: ما هذه الأحامرة؟ فالمسجد الآن يلقب مسجد الأحامرة منذ يوم قال حارثة هذا القول.

يهجو الخُلع:

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا عن القحذمي قال: عرض لحارثة بن بدر رجل من الخُلع في أمرٍ كرهه عند زياد، فقال فيه حارثة: لقد عجبت وكم في الدهر من عجبٍ مما تَزَيَّدُ في أنسابها الخُلعُ^(١) كانوا خَسَاءً أو زَكَاءً من دون أربعة لم يَخْلُفُوا وحدودُ الناس تَنْبُلُجُ [البسيط]

الخسا: الفرد. والزكا: الزوج.

نحن أحق بهذا الشعر:

أخبرني الحسن بن علي قال: أنبأنا أحمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن عمر بن زياد الكندي قال: أنبأنا يحيى بن آدم، عن أبي زائدة عن مجالد. عن الشعبي قال: كنت عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأنشدته لحارثة بن بدر:

وكان لنا نَبْعٌ نَقَيْنَا عُروَقَهُ
وشيبَ رأسي واستخفَّ حلومنا
وإنَّا لتستحلي المنايا نفوسنا
رأيت المنايا بادئاتٍ وعُوداً
فقد قسمتْ نفسي فريقين منهما
فقد بلغت إلا قليلاً حلوقها
رُعودُ المنايا فوقنا وبُروقها
وتترك أخرى مُرَّةً ما تذوقها
إلى دارنا سهلاً إليها طريقها
فريق مع الموتى وعندي فريقها
[الطويل]

قال الشعبي: فقال لي ابن جعفر: نحن كنا أحق بهذا الشعر، وجاءه غلامه

(١) الخُلع: بطن من قريش.

بدراهم في منديل فقال له: هذه غلّة أرضك بمكان كذا وكذا، فقال: ألقها في حجر الشعبي، فألقاها في حجري.

أكفر من حمار:

أخبرني الحسن بن علي قال: أنبأنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب:

أن زياداً استعمل حارثة بن بدرٍ على كُوار، وهو إذ ذاك عامل عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - على فارس، وكان حارثة بن بدر صاحب شراب، فكتب زياد إلى حارثة يحثه على جباية الخراج، فكتب إليه علقمة بن معبد المازني.

ألم تر أن حارثة بن بدر يُصلي وهو أكفر من حمار^(١)؟
وإن المال يعرف من حواه ويعرف بالزواني والعُقار^(٢)؟
[الوافر]

البغلة أطلال:

وقال المدائني في خبره هذا:

حمل زياد بن أبيه حارثة بن بدر على بغلة يقال لها أطلال، كان خرزاد بن الهربد اتباعها بأربعة آلاف درهم وأهداها له، فركبها حارثة، وكان فيها نفار، فصرعته عن ظهرها، فقام فركبها وقال:

ما هاج أطلالاً بجنبِي حرمه تَحْمِلُ وضاحاً رفيع الحَكمه
قَرُمًا إذا زاحم قَرُمًا زَحَمه

[الرجز]

سليمان يمدح حارثة:

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا قال: أنبأنا إبراهيم بن عمرو عن أبي عبيدة وعبد الله بن محمد قالا:

مرَّ سليمان بن عمرو بن مرثد وهو يريد خراسان بحارثة بن بدر الغداني وهو بالأهواز، ومعه أصحاب له، فقرأهم حارثة وسقاهم وكساهم وحملهم، فقال له سليمان يمدحه:

(١) حمار: اسم رجل من عاد وقيل من الأزد.

(٢) العُقار: الخمر.

مُعْتَقَّةٌ صُهَبَاءُ كَالْعَنْبَرِ الرُّطْبِ
وَكُنْتُ ابْنَ بَدْرِ نِعَمٍ مَنزِلَةُ الرُّكْبِ
إِذَا مَا تَدَاعَتْ لِلْعُلَا مَوْضِعُ الْقُطْبِ
وَمَلَجَوْهُمْ إِنْ جَلَّ خَطْبٌ مِنَ الْخُطْبِ
إِذَا مَا خَاطَرْتُمْ كَالضَّرَاغِمَةِ الْعُلْبِ
إِذَا الْحَرْبُ شَبَّتْ بِالْمِهْنَدَةِ الشُّهْبِ
لِمَنْ يَعْتَرِيهِمْ خَائِفًا صَوْلَةُ الْحَرْبِ
كِرَامًا عَلَى الْعِلَالِ فِي فَادِحِ الْخُطْبِ
إِذَا جِئْتُمْ قَدْ خِفْتُ نَكْبًا مِنَ النُّكْبِ
عُدَانَةٌ حَقًّا قَالَهُ غَيْرُ ذِي لُغْبِ [الطويل]

قَرَيْتَ فَأَحْسَنْتَ الْقِرَى وَسَقَيْتُنَا
وَوَاسَيْتُنَا فِيمَا مَلَكَتْ تَبْرُعًا
وَإِنَّكَ قَرْمٌ فِي تَمِيمٍ عَمَادَهُمْ
وَفَارِسُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةً
وَعِنْدَكُمْ نَالُ الْغِنَى مِنْ أَرَادِهِ
تَرَى الْحَلَقَ الْمَاضِيَّ فَوْقَ كِمَاتِهِمْ
وَعِنْدَ الرَّخَا وَالْأَمْنِ غَيْثٌ وَرَحْمَةٌ
وَجَدْتَهُمْ جُودًا صَبَاحًا وَجُوهُهُمْ
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ
[فَمَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي تَمِيمًا فَخِيرُهُمْ]

فَقَالَ حَارِثَةُ يَجِيبُهُ :

كَرَامَ أَبْوَهُمْ خَيْرُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
وَأَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْمَنَاصِلِ
رَأَيْتُ نَدِيًّا جَدُّهُمْ غَيْرَ خَامِلٍ
تَزِينُ الَّذِي يَأْتُونُهُ فِي الْمَحَافِلِ
سَلِيمَانَ ذِي الْمَجْدِ التَّلِيدِ الْحُلَاحِلِ^(١)
فَيَدْرِكُ مَا أُعِيَتْ يَدُ الْمَتَنَافِلِ
إِذَا ذُكِرَ الْأَقْوَامُ أَهْلُ الْفَضَائِلِ [الطويل]

وَأَسْحَمَ مَلَانٍ جَرَرْتُ لِفَتِيَّةٍ
وَأَطَوَّلَهُمْ كَقَاءً وَأَصْدَقَهُمْ حَيًّا
مِنَ الْمَرْثَدِيِّينَ الَّذِينَ إِذَا انْتَدَوْا
فَعَالَهُمْ زِينٌ لَهُمْ وَوَجُوهُهُمْ
فَسَقِيًّا وَرَعِيًّا لِابْنِ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ
فَتَى لَمْ يَزَلْ يَسْمُو إِلَى كُلِّ نَجْدَةٍ
فَحَسْبُكَ بِي عِلْمًا بِهِ وَبِفَضْلِهِ

قَوْلُهُ فِي أَنْسَ بْنِ زَنِيمٍ :

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : أَنْبَأَنَا الْكَرَانِيُّ قَالَ : أَنْبَأَنَا الْعُمَرِيُّ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مَصْعَبٍ ، عَنْ
عَاصِمِ بْنِ الْحَدَثَانِ قَالَ :

دَخَلَ أَنْسُ بْنُ زَنِيمٍ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَعِنْدَهُ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا
تَعَارُضٌ وَمُقَارَضَةٌ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا خَرَجَ أَنْسُ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ لِحَارِثَةَ : أَيُّ رَجُلٍ هُوَ أَنْسُ

(١) الْحُلَاحِلُ : السَّيِّدُ فِي قَوْمِهِ .

عندك؟ قال: هو عندي - أصلح الله الأمير - كما قلت فيه:

يبيت بطيناً^(١) من لحوم صديقه
ينام إذا ما الليل جنّ ظلامه
يراعي عذارى قومه كلما دجا
جريئاً على أكل الحرام وفعله
خميصاً من التقوى ومن طلب الحمْد
ليُسري إلى حاجاته نومة الفهد
له الليل والسوّات كالأسد الورْد
جباناً عن الأقران مُعْتَرِمِ الكَرْدِ^(٢)

[الطويل]

فلما كان من الغد دخل أنس على عبيد الله، فقال له عبيد الله بحضرة حارثة: إنني سألت هذا عنك فأخبرني بما كرهته لك، ولم أكن أخالك كما نعت لي، فقال: أصلح الله الأمير: إن يكن قال خيراً فأنا أهله، وإن قال غير ذلك فلم يعد ما هو أولى به مني، أمّا والله لو كان - أصلح الله الأمير - حقاً لحفظ غيبتني، فلقد أوليته حسن الثناء بما ليس أهله، والله يعلم أنني كنت كاذباً، وما أخال ما قاله فيّ إلا عقوبة، فإن عقوبة الكذب حاضرة، وثمره الكذب الندامة، فقد لعمرى اجتنيتها بكذبي، وقولي فيه ما ليس فيه، وهو عندي كما أقول - أصلح الله الأمير - وأنشد:

يُحَلِّي لي الطرف ابن بدرٍ وإنني
رآني شجاً^(٣) في حلقه ما يسيغه
وما لي من ذنب إليه علمته
وإن ابن بدر في تميم مُكْرَكْسِ^(٤)
فعش يا ابن بدر ما بقيت كما أرى
تعيب الرجال الصالحين وفعلهم
وترضى بما لا يرتضي الحرُّ مثله
وأعرف في وجه ابن بدر لي البُغْضَا
فما إن يزال الدهر يَحْرِضُ^(٥) بي حَرْضَا
سوى أن رأني في عشيرته مَحْضَا
إذا سيم خسفاً أو مُشْتَعَةً أَعْضَى
كثير الخنا لا تسأم الدُّلَّ والعَضَا
وتبذل بُخْلاً دون ما نلت العَرْضَا
وذو الحلم بالتخييس^(٦) والدلّ لا يَرْضَى

[الطويل]

قال: وقال أنس في حارثة بن بدر ينسبه إلى الخمر والفجور:

أحار بن بدر باكرِ الرَّاحِ إنها
تنسيك أسباباً عظاماً ركبتهَا
تُنْسِيكَ ما قَدَّمْتُ في سالف الدهرِ
وأنت على عمياء في سَنَن تجري

(١) البطين: عظيم البطن.

(٢) الكُرد: العنق.

(٣) الشجاء: ما اعترض في الحلق.

(٤) يَحْرِض: يفسد نفسه.

(٥) المُكْرَكْس: الذي ولدته أمة.

(٦) التخييس: التذليل.

أتذكر ما أسديت واخترت فعله
إذا قلت مهلاً نلت عرضي فما الذي
أليس عظيماً أن تكايد حرّة
فإن كنت قد أزمعت بشرك بالذي
فدع عنك شرب الخمر وارجع إلى التي
عليك نبيذ التمر إن كنت شارباً
ألا إن شرب الخمر يُزري بذي الحجا
فصبراً عن الصهباء واعلم بأنني
وأنت إن كفكفتني عن نصيحة
أبذل نُصحي ثم تعصى نصيحتي

وجئت من المكروه والشر والنكر
تعيب على مثلي هبّلت أبا عمرو
مُهْفَهْفَه الكَشْحَيْن طيّبة النشْرِ
عُرِفْتُ به إذ أنت تَحْزِي ولا تدري
بها يرتضي أهل النباهة والذكر
فإن نبيذ التمر خير من الخمر
ويذهب بالمال التّلاذ وبالوْفِر
نصيحٌ وأنا قد كبرت عن الزجر
تركْتُك يا حار بن بدر إلى الحشر
وتهجرني عنها هبّلت أبا بدر
[الطويل]

أبو الأسود الدؤلي يوصيه :

حدثني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبّة قال : حدثنا
عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد عن أبيه قال :
لَمَّا وَلِيَ حارثة بن بدر سُرْقَ ، خرج معه المشيِّعون من البصرة ، وفيهم أبو
الأسود الدؤلي ، فلما انصرف المشيِّعون دنا منه أبو الأسود فقال :

أحار بن بدر قد وليت إمارة
ولا تحقرن يا حار شيئاً تصيبه
فإن جميع الناس إما مُكذَّب
يقولون أقوالاً بظنّ وشبهة
فلا تعجزن فالعجز أبطأ مركب
وكابر تميماً بالغنى إن للغنى
فقال له حارثة :

فكن جُرْداً فيها تخون وتسرق
فحظك من مُلك العراقيين سُرْق
يقول بما يهوى وإما مُصَدِّق
فإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يحققوا
وما كل من يُدعى إلى الرزق يرزق
لساناً به يسطو الغني وينطق
[الطويل]

فقد قلت معروفاً وأوصيت كافياً
لألفيتني فيه لرأيك عاصياً
ويُولىك حفظ الغيب إن كنت نائياً
[الطويل]

جزاك ملك الناس خير جزائه
أمرت بحزم لو أمرت بغيره
ستلقى أخاً يُصفيك بالودّ حاضراً

غوث بن الحباب يهجوهم لفرار :

أخبرني محمد بن يزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال :

لما نُدب حارثة بن بدر لقتال الأزارقة بدُولاب لقيهم ، فلما حميت الحرب بينهم واشتدت قال حارثة لأصحابه :

كَرَرْنَا بَوَا وَدُولَابُوا وَحَيْثُ شِئْتُمْ فَاذْهَبُوا
[مجزوء الرجز]

ثم انهزم ، فقال غوث بن الحباب يهجوهم ويعيّرهم بالفرار ، ويعيره بشرب الخمر ومعاقرتها :

أحار بن بدر دونك الكأس أنها بمثلك أولى من قراع الكتائب
عليك بها صهباء كالمسك ريحها يظلّ أخوها ليلعداً غير هائب
ودع عنك أقواماً وليت قتالهم فلست صبوراً عند وقع القواضب
وخُذْها كعين الديك تشفي من الجوى وتترك ذا التهمام^(١) جمّ المذاهب
إذا شُعشعت بالماء خلّت حبابها نظائماً دُرّاً أو عيونَ الجنادب
كأنك إذ تحسو ثلاثة أكؤس من التّيه قَرُم من قروم المَرازب
ودع عنك أبناء الحروب وشدّهم إذا خَطَرُوا مثل الجمال المصاعب
[الطويل]

الأحنف يغرّمه :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبّة قال : حدثنا العلاء بن الفضل بن أبي سويّة قال : حدثني أبي قال :

كانت في تميم حمالتان ، فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان ، فقال لهم الأحنف : لا تعجلوا حتى يحضر سيدكم ، فقالوا : ومن سيدنا غيرك؟ قال ، حارثة بن بدر ، قال : وقد قدم قبل ذلك حارثة بن بدر من الأهواز بمال كثير ، فبلغه ما قال الأحنف ، فقال : أغرمنيها والله ابنُ الزافرية ، ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيما اجتمعوا ، [فقال : فيم اجتمعتم؟ فأخبروه] فقال : لا تلقوا فيهما أحداً [فإنهما عليّ] . ثم أتى منزله فقال :

(١) التهمام : تَهَمَّم الشيء طلبه .

خلت الديار فسُدَّتْ غير مُسَوِّدٍ ومن الشقاء تفرُّدي بالسُّوْدِ
[الكامل]

ابن عيينة يتمثل بشعر حارثة :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه قال: اجتمع أصحاب الحديث على سفيان بن عيينة فازدحموا، فقال: لقد هممت ألا أحدثكم شهراً، فقام إليه فتى من أهل العراق فقال له: يا أبا محمد، ألن جانبك وحسن قولك، وتأس بصالح سلفك، وأجمل مجالسة جلسائك، فقد أصبحت بقيّة فتعاطمه مشقته حتى يكاد أن يقيم، فيكون لقاؤه إياك، وطمعه فيك، من أكبر ما يحركه عليه، قال: فخضع سفيان وتواضع، ورقّ وبكى، ثم تمثل بقول حارثة بن بدر:

خلت الديار فسُدَّتْ غير مُسَوِّدٍ ومن الشقاء تفرُّدي بالسُّوْدِ
[الكامل]

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا.

عليّ يهدر دمه ثم يعفو عنه :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن الحسين الكندي قالا: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن الحسن بن عمار، عن الحكم بن عتيبة:

أن حارثة بن بدر الغداني كان سعى في الأرض فساداً، فأهدر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - دمه، فهرب واستجار بأشراف الناس، فلم يُجره أحد، فقليل له: عليك بسعيد بن قيس الهمداني، فلعله يُجيرك، فطلب سعيداً فلم يجده، فجلس في طلبه حتى جاء، فأخذ بلجامه فقال: أجرتني أبارك الله. قال: ويحك ما لك؟ قال: أهدر أمير المؤمنين دمي، قال: وفيم ذاك؟ قال: سعيت في الأرض فساداً، قال: ومن أنت؟ قال: حارثة بن بدر الغداني، قال: أقم.

وانصرف إلى عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -، فوجده قائماً على المنبر يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً؟ قال: أن يُقْتَلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، قال: يا أمير المؤمنين ألا من؟ قال: إلا من تاب. قال: فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد أجزته، قال: أنت رجل من المسلمين، وقد أجزنا من أجزت.

ثم قال علي - رضي الله عنه - وهو على المنبر: أيها الناس، إني كنت قد هدرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يعرض له. فانصرف إليه سعيد بن قيس فأعلمه: وحمله وكساه، وأجازه بجائزة سنّية، فقال فيه حارثة بن بدر:

أَللهُ يَجْزِي سَعِيدَ الْخَيْرِ نَافِلَةً أعني سعيدَ بن قيس قَرُمَ همدانٍ
أَنقِذْنِي مِنْ شَفَا غِبْرَاءَ مَظْلَمَةٍ لولا شفاعتُهُ أَلْبَسْتُ أَكْفَانِي
قالت تَمِيمٌ بَنُ مَرًّا لَأُخَاطِبَهُ وقد أَبَتْ ذَلِكُمْ قَيْسُ بَنُ عَيْلانٍ

[البسيط]

قال الهيثم: لم يكن الحسن بن عمارة يروي من هذا الشعر غير هذه الثلاثة الأبيات، وأخذت الشعر كله من حماد الراوية، وقلت له: ممن أخذته؟ قال: من سماك بن حرب وهو:

أَسَاغَ فِي الْحَلْقِ رَيْقًا كَانَ يُجْرِضُنِي^(١) وأظهر الله سري بعد كتمانِي
إِنِّي تَدَارَكُنِي عَفٌّ شَمَائِلِهِ أَبَاؤُهُ حِينَ يَنْمُو خَيْرُ قَحْطَانِ
يَنْمِيهِ قَيْسُ وَزَيْدٌ وَالْفَتَى كَرِبٌ وَذُو جَبَائِرٍ مِنْ أَوْلَادِ عُثْمَانَ
وَذُو رُعَيْنٍ وَسَيْفٌ إِبْنُ ذِي يَزَنَ وَعَلَقَمٌ قَبْلَهُمْ أعني ابنَ نَبْهَانَ

[البسيط]

قال: فلما أراد الإنصراف إلى البصرة شيعه سعيد بن قيس إلى نهر النصرين في ألف راكب، وحمله وجهزه، فقال حارثة يمدحه:

لَقَدْ سُرُرْتُ غَدَاةَ النَّهْرِ إِذْ بَرَزْتُ أشياخُ همدانَ فيها المجد والخيرُ
يَقُودُهُمْ مَالِكٌ جَزَلٌ مَوَاهِبُهُ واري الزناد لدى الخيرات مذكورُ
أَعْنِي سَعِيدَ بَنِ قَيْسٍ خَيْرَ ذِي يَمَنِ حامي الذمار لدى السلطان مجبورُ
مَا إِنْ يَلِينُ إِذَا مَا سِيمٍ مَنقُصَةٌ لَكُنْ لَهُ غَضَبٌ فِيهَا وَتَنكِيرُ
أَغْرَأَبْلَجٌ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ جنابُهُ الدهرُ يُضْجِي وهو ممطورُ

[البسيط]

ابن زياد يستحليه:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا محمد بن معاوية الزيادي، عن القحذمي قال:

(١) يُجْرِضُنِي: جرض بلع مع المشقة.

كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً، عارفاً بأخبار الناس وأيامهم، حلواً شاعراً ذا فكاهة، فكان زياد يأنس به طول حياته، فلما مات وولي عبيد الله ابنه كان يجفوه، فدخل إليه في جمهور الناس، فجلس متوارياً منه حتى خف الناس، ثم قام فأذكره بحقوقه على زياد وأنسبه به، فقال له: ما أعرفني بما قلت، غير أن أبي كان قد عرفه الناس وعرفوا سيرته، فلم يكن يلصق به من أهل الريبة مثل ما يلحقني مع الشباب وقرب العهد بالإمارة، فأما إذ قلت ما قلت فاختر مجالستي إن شئت ليلاً، وإن شئت نهاراً، فقال: الليل أحب إليّ، فكان يدعوه ليلاً فيسامره، فلما عرفه استحلاه، فغلب عليه ليله ونهاره، حتى كان يغيب فيبعث من يحضره، فجاءه ليلة وبوجهه آثار، فقال له: ما هذا يا حارثة؟ قال: ركبت فرسي الأشقر فلجج بي مضيقاً فسحجني. قال: لكنك لو ركبت أحد الأشهبين لم يُصبك شيء من هذا يعني اللبن والماء.

يطلق السماء:

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا قال: أنبأنا محمد بن معاوية الزيايدي، عن القحذمي عن عمه قال:

خرج حارثة بن بدر إلى سلم بن زياد بخراسان، فأوصى رجلاً من غدانة أن يتعاهد امرأته السماء ويقوم بأمرها، فكان الغداني يأتيها، فيتحدث عندها ويطلق، حتى أحبها وصَبَا بها، فكتب إلى حارثة يخبره أنها فسدت عليه وتغيرت ويشير عليه بفراقها ويقول له: إنها قد فضحتك من تلعب الرجال بها، فكتب إليها بطلاقها، وكتب في آخر كتابه:

أَلَا أَذْنًا شَمَاءً بِالْبَيْنِ إِنَّهُ أَبَى أَوْدُ الشَّمَاءِ أَنْ يَتَقَوَّمَا [الطويل]

قال: فلما طلقها وقضت عدتها خطبها الغداني فتزوجها، وكان حارثة شديد الحب لها، وبلغه ذلك وما صنعت فقال:

لِعَمْرِكَ مَا فَارَقْتُ شَمَاءَ عَنْ قَلِيٍّ وَلَكِنْ أَطْلُتُ النَّأْيَ عَنْهَا فَمَلَّتْ مُقِيمًا بِمَرَوْ الرُّودِ لَا أَنَا قَافِلٌ إِلَيْهَا وَلَا تَدْنُو إِذَا هِيَ حَلَّتْ [الطويل]

ميسة ترثيه:

أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا قال: أنبأنا مهدي بن سابق قال: أنبأنا عطاء، عن عاصم بن الحدثان قال:

تزوج حارثة بن بدر مَيْسَةَ بنت جابر، وكانت تُذكر بجمال وعقل ولسان، فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده، فلم تحمده، فقالت ترثي حارثة:

بُدِّلْتُ بِشُراً شَقَاءً أَوْ مَعَاقِبَةً مِنْ فَارِسٍ كَانَ قِدْماً غَيْرَ غَوَّارٍ
يَا لَيْتَنِي قَبْلَ بِشْرٍ كَانَ عَاجِلَنِي دَاعٍ مِنَ اللَّهِ أَوْ دَاعٍ مِنَ النَّارِ
[البسيط]

وقالت أيضاً فيه:

مَا خَارَ لِي ذُو الْعَرْشِ لَمَّا اسْتَخْرْتَهُ وَعِزَّتْهُ إِذْ صَرْتُ لَابِنِ شَعَافٍ
فَمَا كَانَ لِي بَعْلاً وَمَا كَانَ مِثْلَهُ يَكُونُ حَلِيفاً أَوْ يَنَالُ إِلَّا فِي
فِيَا رَبِّ قَدْ أَوْقَعْتَنِي فِي بَلِيَّةٍ فَكُنْ لِي حِصْناً مِنْهُ رَبِّ وَكَافِي
وَنَجِّ إِلَهِي رَبُّقْتِي مِنْ يَدِ امْرِئٍ شَتِيمٍ مُحَيَّاهُ^(١) لِكُلِّ مُصَافِي
هُوَ السَّوْءُ^(٢) السَّوْءَاءُ لَا خَيْرَ عِنْدَهُ لَطَالِبٍ خَيْرٍ غَيْرَ حَدِّ قَوَافِي
يَرَى أَكْلَةً أَنْ نَلَتْهَا قَلْعَ ضَرْسِهِ وَمَا تِلْكَ زُلْفَى يَا لَ عِبْدِ مَنْافٍ
وَإِنْ حَادَثُ عَضَّ الشَّعَافِيِّ لَمْ يَكُنْ صَلِيباً وَلَا ذَا تُدْرٍ^(٣) وَقِذَافٍ
[الطويل]

ما أراد إلا تَبْكِيَتَكَ:

أخبرني محمد بن يزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان قال:

لَقِيَ أَنَسُ بْنُ زَنِيمٍ الدُّؤْلِيَّ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا حَارِثَةُ، قَدْ قَلْتُ لَكَ أَيْبَاتاً فَاسْمِعْهَا، فَقَالَ: هَاتِهَا، فَأَنْشَدَهُ:

فَحَتَّى مَتَى أَنْتَ ابْنَ بَدْرِ مُخَيِّمٍ وَصَحْبِكَ تَحْسُونُ الْحَلِيبَ مِنَ الْكَرَمِ؟
فَإِنْ كَانَ شَرّاً فَالَهُ عَنْهُ وَخَلَّهِ لَغَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ التَّخْمُطِ وَالظَّلَمِ
وَإِنْ كَانَ غَنَمًا يَا ابْنَ بَدْرٍ فَقَدْ أَرَى سَأِمْتُ مِنَ الْأَكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ الْغَنَمِ
وَإِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِمَا فِي احْتِسَابِهَا فَمَا لَكَ تَأْتِي مَا يَشِينُكَ عَنْ عِلْمٍ؟
تَقِي اللَّهَ وَاقْبَلْ يَا ابْنَ بَدْرٍ نَصِيحَتِي وَدَعُهَا لِمَنْ أَمْسَى بَعِيداً مِنَ الْحَزْمِ

(١) شَتِيمُ الْمُحَيَّا: كَرِيهُ الْوَجْهَ.

(٢) السَّوْءُ: الْفَاجِشَةُ، وَالْخُلَّةُ الْقَبِيحَةُ.

(٣) التُّدْرُ: الْعِزَّةُ وَالْمَدَافِعَةُ.

فلو أنها كانت شراباً مُحَلَّلاً
وأيقنت أن القول ما قلت فانتفع
فرُب نصيح الجيب رُدَّ انتصاحه
وقلت لي اتركها لأَوْضَعْتُ في الحُكْمِ
بقولي ولا تجعل كلامي من الجُرْمِ
عليه بلا ذَنْبٍ وَعُوجِلَ بالشَّتْمِ
[الطويل]

فقال له حارثة: لقد قلت فأحسن، ونصحت فبالغت، جزيت الخير أبا زُنيَم. فلما رجع إلى منزله أتاه ندماءؤه، فذكر لهم ما قال ابنُ زُنيَم، فقالوا: واللَّه ما أراد إلا تبكيك^(١)، قال: أنا واللَّه أرى ذلك، ثم قال حارثة بن بدر لابن زنيَم:

يَعِيب عليَّ الراح من لو يذوقها
فَعِيبُها أو امدحها فإننا نحبها
علام تذمُّ الراح والراح كاسمها
لَمُنِي فإن اللوم فيها يزيدي
وباللَّه أولي^(٢) صادقاً لو شَرِبْتُها
وإن شئت جَرَّبُها وذقها عتيقة
فإن أنت لم تخلع عذارك فَالْحَنِي^(٣)
وقبلك ما قد لا مَنِي في اصطباحها
وحاسيئُتها قوماً كأنَّ وجوههم
فدَعَنِي من التعذالِ فيها فإنني
أجود وأعطي المُنْفِسات^(٤) تبرُّعا
وأشربها حتى أخرجَ مُجَدَّلاً
ولولا النُّهى لم أَصُحْ ما عشتُ ساعةً
فقصَّرت عنها بعد طول لجاجة
وحُقَّ لمثلي أن يكفَّ عن الخنا
لجُنَّ بها حتى يُعَيِّب في القبرِ
صراحاً كما أغراك ربُّك بالهجرِ
تُريح الفتى من همِّه آخر الدهرِ
غراماً بها إن الملامة قد تُغري
لأقصرت عن عدلي ومِلت إلى عُذري
لها أَرَج كالمسك محمودة الخُبْرِ
وقل لي لحاك اللّهُ من عاجز عُمر^(٥)
وفي شربها بَدْرٌ فأعرضت عن بدر
دنائير في اللأواء^(٦) والزمن النُّكر
خُلِقت أبيعاً لا أَلين على القَسْرِ
وأغلي بها عند اليسارة والعُسْرِ
معتَّقة صهباء طيِّبة النَشْرِ
ولكنني نهنت^(٧) نفسي عن الهُجرِ
وحُبُّ لها في سرِّ أمري وفي الجهرِ
ويُقصِر عن بعض العَوَاية والنُّكر
[الطويل]

(١) التبكيك: التقريع، والغلبة بالحجة.

(٢) أولي: أحلف.

(٣) ألحني: لمني.

(٤) الغمر: من لم يجرب الأمور.

(٥) اللأواء: المحنة والشدة.

(٦) المُنْفِسات: الأموال الكثيرة.

(٧) نهنت: كففت، منعت.

ابن زياد يستعمله على جند نيسابور:

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة.

أن عبيد الله بن زياد استعمل حارثة بن بدر على جند نيسابور فغاب عنه شهراً، ثم قدم فدخل عليه، فقال له: ما جاء بك ولم أكتب إليك؟ قال: استنظفتُ خراجك، وجئت به، وليس لي بها عمل، فما مقامي؟ قال: أو بذلك أمرتُك؟ ارجع فاردّدْ عليهم الخراج وخذه منهم نُجوماً حتى تنقضي السنة، وقد فرغت من ذلك، فإنه أرفق بالرعية وبك، واحذرْ أن تحملهم على بيع غلاتهم ولا مواشيهم ولا التعنيف عليهم، فرجع فردّ الخراج عليهم، وأقام يستخرجه منهم نجوماً^(١) حتى مضت السنة.

من الدهاة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال: قال الأحنف بن قيس: ما غبت عن أمر قطّ فحضره حارثة بن بدر إلا وثقت بإحكامه إياه، وجودة عقده له، قال: وكان حارثة بن بدر من الدهاة.

حظي عند زياد:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال:

كان حارثة بن بدر يصيب من الشراب، وكان حَظِيّاً عند زياد، فعوتب زياد على رأيهِ فيه، فقال: أتلوموني على حارثة؟ فوالله ما تفلّ في مجلسي قطّ، ولا حكّ ركابهُ ركابي، ولا سار معي في علاوة الريح فغبرّ عليّ، ولا دعوته قطّ فاحتجت إلى تجشم الالتفات إليه حتى يوازيني، ولا شاورته في شيء إلا نصحني، ولا سألتَه عن شيء من أمر العرب وأخبارها إلا وجدته به بصيراً.

يوم دولاب:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا الأصمعي قال:

لما كان يوم دولاب، وأفضت الحرب إلى حارثة بن بدر، صاح: من جاءنا من

(١) النجوم: الأقساط.

الموالي فله فريضة العرب، ومن جاءنا من الأعراب فله فريضة المهاجر، فلما رأى ما يلقى أصحابه من الأزارقة قال:

أير الحمار فريضةً لشبابكم والخصيتان فريضة الأعراب
عَضَّ الموالى جِلْدَ أير أبيهم إن الموالى معشرُ الخِيَابِ
[الكامل]

ثم قال:

كَرَنْبُوا وَدَوْلَبُوا وَشَرَّقُوا وَغَرَّبُوا
وحيث شئتم فاذهبوا

[مجزوء الرجز]

يعني بقوله كرنبوا أي خذوا طريق كَرْبَى، وَدَوْلَبُوا: خذوا طريق دولاب.

أي الشراب أطيب؟

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف قال: حدثنا قعنب بن المحرر قال: حدثنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش.

عن المغيرة بن المنتشر قال: كنا عند عبيد الله بن زياد، وعنده الأحنف بن قيس وحارثة بن بدر، وكان حارثة يتهم بالشراب، فقال له عبيد الله: يا حارثة، أي الشراب أطيب؟ قال: بسرة طيسارية، بأقطة غنوية، بسمنة عربية، بسكرة سوسية. قال: فتبسم عبيد الله، ثم قال للأحنف: يا أبا بحر، أي الشراب أطيب؟ قال: الخمر، فقال له عبيد الله: وما يدريك ولست من أهلها؟ قال: رأيت من يستحلها لا يعدوها إلى غيرها، ومن يُحرّمها يتأوّل فيها حتى يشربها، قال: فضحك عبيد الله.

من يجيز هذا البيت؟

أخبرني أحمد بن محمد بن الحسن الأسدي وعمرو بن عبد الله العتكي قالوا: حدثنا الرياشي:

أن حارثة بن بدر كان بكوّاراً.

وقال العتكي في خبره عن أبي عبيدة ولم يقله الأسدي ولا تجاوز الرياشي به. فقال:

كان حارثة بكوّاراً من أردشير خُرّه فقال:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ أَقَامَ بِدِيرَ أَبْلَقَ مِنْ كُورَا
[الوافر]

ثم قال لجند كانوا معه: من أجاز هذا البيت فله حكمه، فقال له رجل منهم: أنا أجزيه على أن تجعل لي الأمان من غضبك، وتجعلني رسولك إلى البصرة، وتطلب لي القفل^(١) من الأمير، قال: ذلك لك، قال: ثم ردّ عليه نشيد البيت، فقال الرجل:

مقيماً يشرب الصهباء صِرْفاً إذا ما قلت تصرعه استدارا
[الوافر]

فقال له حارثة. لك شرطك، ولو كنت قلت لنا شيئاً يسرنا لسررناك.

الأبيرد يهجو:

كتب إليّ أبو خليفة الفضل بن الحباب: أخبرنا محمد بن سلام قال:

قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر، فقال: اكسني ثوبين أدخل بهما على الأمير، فكساه ثوبين لم يرّضهما، فقال فيه:

أحارث أمسك فضل بُرْدِيكَ إنما أجاج وأعرى الله من كنت كاسيا
وكنت إذا استمطرت منك سحابة لتمطرنني عادت عجاجاً وسافيا
أحارث عاود شربك الخمر إنني رأيت زياداً عنك أصبح لاهيا
[الطويل]

فبلغت زياداً وبلغت حارثة، فقال: قبّحه الله، لقد شهد بما لا يعلم ولم أدع جوابه إلا لما لم يعلم.

أبيات حارثة تحمل على المجاهرة بالشراب:

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدّان قال:

كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب، فقليل له في ذلك وعوتب، وعُرف أن الصلتان العبدى هجاه فقال فيه:

ترك الأشياء طراً وانتحى يشرب الصهباء من ماء العنب
لا يخاف الناس من أدمنها وهي تُزري باللئيم المؤتشب^(٢)

(١) القفل: الرجوع.

(٢) المؤتشب: المشكوك في نسبه.

وهي بالأشراف أَرْزَى وإلى
فدع الخمر أباً حربٍ تَسُدُّ
غاية التأنيب تدعو ذا الحسب
قومك الأدنيَن من بين العرب

[الرملة]

فقال: لعنه الله، والله ما ترك للصالح موضعاً، ولقد صدق، ولولا الشراب
لكنت الرجل الكامل، وما يخفى عليّ قبيحُه وسوءُ القالة فيه، ولكني سمعت
حارثة بن بدر الغداني أنشد أبياتاً يوماً، فحملتني على المجاهرة بالشراب وإن كان
ذلك إليّ بغيضاً، قيل له: وما الأبيات؟ قال: سمعته ينشد:

أذهب عني الغمّ والهَمّ والذي
فوالله ما أنفك بالراح مُهْتَرَأً
فما لائمي فيها وإن كان ناصحاً
ولكنّ قلبي مستهَامٌ بحبّها
أحبّ التي لا أملك الدهر بُغْضَهَا
سأشربها صِرْفاً وأسقي صحابتي
[ولا أنتهي عنها مدى الدهر تاركاً]

[الطويل]

نديم حارثة:

أخبرني محمد بن مزيد قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن
الحدثان قال:

كان لحارثة بن بدر نديم من قريش يصيب معه الشراب، ولا يفارقه إذا شرب
وفيه يقول:

وأبيض من أولاد سعد بن مالك
وحتى رأى الشخص القريب لسكره
فقلت: أسكران فقال مكابراً
فقلت له اشرب هذه يا بليّة
فلما احتساها هَرَّها^(١) ثم إنه
وقال أعِذْها قلت صبراً سُويعَة

سقيتُ من الصهباء حتى تَقَطَّرَا
شُخُوصاً فنَادَى يالَ سعدٍ وكَبَّرَا
أبى الله لي أن أَسْتَخَفَّ وأَسْكُرَا
تخال بها مسكاً ذكياً وعنبراً
تماسك شيئاً واجماً متفكراً
فهوَمَ شيئاً ثم هَبَّ مُبَرِّبِرا^(٢)

(٢) المُبرِّبِر: المصوَّت.

(١) هَرَّها: كرهها.

فقلت له نَمْ ساعة علَّ ما أرى من السكر يبدي منك ضَرْماً مُدْكَراً
[الطويل]

يصر على شرب الخمر :

قال إسحاق : قال عاصم بن الحدثان :

كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعراً، وهو خال أبي
خُزَّانة أو خال أبي جميمة وكان صديقاً لحارثة بن بدر، فدخل عليه يوماً وهو
مصطبغ، فعاتبه وقال له : قد أسقطت الخمرُ قَدْرَكَ ومروءتك، فقال له : دع عنك هذا
الجنون، وهلم نتساعد واسمع ما قلت، قال : هاته، فأنشده :

عَدَا ناصحاً لم يألُ جهداً مخارقُ يلوم على شُرب السُّلاف المُعَتَّقِ
فقلت أبا صخرٍ دعِ الناسَ يجهلوا ودونكها صهباء ذات تَأَلَّقِ
تراها إذا ما الماء خالطَ جسمها تخايل في كفِّ الوصيف^(١) المُنْطَقِ^(٢)
لها أَرْجُ كالْمِسْكِ يُذْهِبُ ريحُها عَمَايَةَ حاسِيها بِحُسْنِ تَرْفِقِ
وكم لائِمٍ فيها بصيرٍ بفضْلِها رَمَتْهُ بِسَهْمِ صَائِبٍ لَمْ يُدَلِّقِ^(٣)
فظلَّ لُرِيَّاهَا يَعِضُّ نَدَامَةً يديه وَأَرَعَى بَعْدَ طَوِيلِ تَمْطُوقِ^(٤)
وقال لك العُدْرُ ابنَ بدرٍ على التي تُسَلِّي هُمُومَ الْمُسْتَهَامِ الْمُشَوِّقِ
فلست ابنَ صخرٍ تاركاً شربَ قهوة لِقَوْلِ لئيمٍ جاهلٍ مُتَحَذِّقِ^(٥)
يَعِيبُ عَلَيَّ الشَّرْبَ والشَّرْبُ هُمُّهُ لِيحَسِبَ ذَا رَأْيٍ أَصِيلٌ مُصَدِّقِ
فما أنا بِالْغَرِّ ابنَ صخرٍ ولا الذي يُصَمِّمُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ مُوَبِّقِ
[الطويل]

فقال له مخارق بن صخر : إنما عاتبتك لأن الناس قد كثروا فيك، ورأيت
النصيحة لله واجبة عليّ، وكرهت أن تضع لَذَّتَكَ قَدْرَكَ، فإن أطعني في تركها وإلا
فلا تُجاهِرْ بها، فإنك قادر أن تبلغ حاجتك في ستر. فقال له حارثة : ما عندي غير ما
سمعت، فتركه وانصرف.

(١) الوصيف : الخادم.

(٢) المُنْطَق : الذي ليس المُنْطَقَة .

(٣) لَمْ يُدَلِّقْ : لَمْ يُخْرِجْ مِنْ غِمْدِهِ .

(٤) تَمْطُوقٌ : تَدْوَقُ .

(٥) مُتَحَذِّقٌ : مَدَّعِي أَكْثَرِ مِمَّا عِنْدَهُ .

حمام فيل :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا الرياضي ، عن محمد بن سلام ، عن يونس بن حبيب قال :

لما بنى فيلٌ مولى زياد داره ، بالسيابجة ، صنع طعاماً ، ودعا أصحاب زياد ، فدخلوا الحمام المعروف بحمام فيل ثم خرجوا فتغذوا عنده ، وركب فيل وأصحابه تلك الهماليج^(١) والمقارييف^(٢) والبغال ، واجتاز وهم معه على حارثة بن بدر وأبي الأسود الدؤلي وهما جالسان ، فقال أبو الأسود :

لعمركم أبيت ما حمام كسرى على الثلثين من حمام فيل
[الوافر]

فقال له حارثة :

وما إيجافنا خلف الموالى بسئتنا على عهد الرسول
[الوافر]

حارثة ينفس على الأحنف :

أخبرني محمد بن مزيد قال : حدثنا حماد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال : حدثني عمر بن الحارث الجهني قال :

ذكر حلم الأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد ، وعنده حارثة بن بدر ، فنفس عليه حارثة ذلك ، فقال لعبيد الله : أيها الأمير ، ما يبلغ حلم من لا قدرة له ، ولا يملك لعدوه ضرراً ، ولا لصديقه نفعاً ؟ وإنما يتكلف الدخول فيما لا يعنيه . فبلغ ذلك من قوله الأحنف فقال : أهون بحارثة وكلامه ، وما حارثة ومقداره ؟ أليس الذي يقول قبح الله رأيه وقوله :

إذا ما شربت الراح أبدت مكارمي وإن سبني جهلاً تديمي لم أزد
وإذا ما شربت الراح أبدت مكارمي وإن سبني جهلاً تديمي لم أزد
أرى ذاك حقاً واجباً لمنادمي
ووجدت بما حازت يداي من الوفر على : أشرب سقائك الله طيبة النشر
إذا قال لي غير الجميل من السكر [الطويل]

شعره في ميسة :

أخبرني عمي قال : حدثنا الكراني قال : حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال :

(٢) المقارييف : المهزولة الضامرة .

(١) الهماليج : البراذين .

كانت لحارثة بن بدر جارية يقال لها ميسة، وكان بها مشغوفاً، فلما مات تزوجت بعده بشر بن شعاف، فهؤلاء الشعافيون من ولدها، وفيها يقول حارثة:

خليلي لولا حُب مَيْسَةَ لم أُبْلُ أفي اليوم لاقيت المَنْيَةَ أو غداً
خليلي إن أفشيت سِرِّي إليكما فلا تجعل سِرِّي حديثاً مبدداً
وإن أنتما أفشيتماه فلا رأت عيونكما يوم الحساب مُحَمَّداً
ولا زلتما في شِقْوَةٍ ما بقيتما تذوقان عيشاً سَيِّئاً الحال أنكدًا
[الطويل]

من الشقاء تفردى بالسُّودد:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال:

اجتاز حارثة بن بدر الغداني بمجلس من مجالس قومه بني تميم، ومعه كعب مولاه، فلما اجتاز بالقوم قاموا إليه وقالوا: مرحباً بسيدنا، فلما ولى قال له كعب: ما سمعت كلاماً قطّ أقرّ لعيني ولا ألدّ لسمعي من هذا الكلام الذي سمعته اليوم، فقال له حارثة: لكنني لم أسمع كلاماً قطّ أكره لنفسِي وأبغض إليّ مما سمعته. قال: ولم؟ قال: ويحك يا كعب، إنما سؤدني قومي حين ذهب خيارُهم وأماثلهم، فاحفظْ عني هذا البيت:

خَلَّتِ الدِّيارُ فَسُدَّتْ غيرُ مُسودِّ ومن الشقاء تفردى بالسُّوددِ
[الكامل]

اكسروا رجل كعب:

قال: واشتكى حارثة وأشرف على الموت، فجعل قومه يعودونه، فقالوا له: هل لك من حاجة أو شيء تريده؟ قال: نعم، اكسروا رجلَ مولاي كعب لئلا يبرح من عندي، فإنه يؤنسني، ففعلوا وأنشأ يقول:

يا كعبُ مهلاً فلا تجزعْ على أحدٍ يا كعب ما راح من قوم ولا بكروا
إلا وللموت في آثارهم حادي يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت
إلا تُقربُ آجالاً لميعادٍ يا كعب كم من حمى قوم نزلت به
على صواعق من زجرٍ وإبعادٍ فإن لقيت بوادٍ حيّةً ذكراً
فاذهب ودعني أمارسُ حيّة الوادي
[البسيط]

صوت

قَفَا فِي دَارِ خَوْلَةٍ فَاسْأَلَاهَا تَقَادَمَ عَهْدُهَا وَهَجَرَتْ مَاهَا
بِمَحَلٍّ^(١) يَفُوحُ الْمَسْكُ مِنْهُ إِذَا هَبْتَ بِأَبْطَحِهِ صَبَاها
أَتْرَعَى حَيْثُ شَاءَتْ مِنْ جِمَانَا وَتَمْنَعُنَا فَلَا نَرَعَى جِمَاها
[الوافر]

عروضه من الوافر، الشعر لرجل من فزارة، والغناء ذكر حماد عن أبيه أنه
لمعبد، وذكر عنه في موضع آخر أنه لابن مسجح، وطريقته من الثقيل الأول مطلق في
مجرى الوسطى.

وهذا الشعر يقوله الفزاري في خولة بنت منظور بن زَبَّان بن سيار بن عمرو بن
سنان بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمى بن مازن بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن
ريث بن غطفان.

(١) المحلل: الأرض السهلة الخصبة.

أخبار منظور بن زبان

حملت به أمه أربع سنين :

وكان منظور بن زَبَّان سيد قومه غير مدافع، أمه قَهْطَم بنت هاشم بن حرملة، وقد ولدت أيضاً زهير بن جذيمة، فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه، وهو أحد من طال حملُ أمه به .

قال الزبير فيما أجاز لنا الحرمي والطوسي بروايته فيما حدثنا به عنه، وحدثني مغيرة بن أبي عدي، قال الزبير: وحدثني إياه إبراهيم بن زياد عن محمد بن طلحة، وحدثنيه أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن العلوي عن الزبير قالاً:

حملت قَهْطَم بنت هاشم بمنظور بن زبان أربع سنين، فولدته وقد جُمع فاه^(١)، فسَمَّاه أبوه منظوراً، قال: يعني لطول ما انتظره، وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة في أخباره:

وما جئت حتى قيل ليس بوارد فسميت منظوراً وجئت على قَدْرٍ
وإنِّي لأرجو أن تكون كهاشم وإنِّي لأرجو أن تسود بني بَدْرٍ
[الطويل]

يتزوج امرأة أبيه :

وذكر الهيثم بن عدي عن ابن الكلبي وابن عياش، وذكر بعضه الزبير بن بكار عن عمه عن مجالد.

أن منظور بن زبان تزوج امرأة أبيه، وهي مُلَيْكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة المُرِّي، فولدت له هشاماً وعبد الجبار وخولة، ولم تزل معه إلى خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وكان يشرب الخمر، فزُفِع أمره إلى عمر - رضي الله عنه -، فأحضره وسأله عما قيل فيه، فاعترف وقال: ما علمت أن هذا حرام، فحبسه إلى قرب صلاة العصر، ثم أحلفه أنه لم يعلم أن الله تعالى حرم ما فعله، فحلف - فيما ذكر - أربعين يميناً، فخلّى سبيله، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال: لولا أنك حلفت لضربت عنقك .

(١) جُمع فاه: ظهرت جميع أسنانه .

قال ابن الكلبي في خبره .

إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال له : أتتكح امرأة أبيك وهي أمك؟ أو ما علمت أن هذا نكاح المقت؟ وفرق بينهما، فتزوجها محمد بن طلحة .

قال ابن الكلبي :

فلما طلقها أسف عليها وقال فيها :

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر إذا منعت مني مُليكة والخمر
فإن تك قد أمست بعيداً مزارها فحُبِّي ابنة المُرِّي ما طلع الفجر
لعمرك ما كانت ملكية سوءاً ولا ضُمَّ في بيت على مثلها ستر
[الطويل]

وقال أيضاً :

لعمرك أبي دين يفرق بيننا وبينك قهراً إنه لعظيم
[الطويل]

وقال حجر بن معاوية بن عينة بن حصن بن حذيفة لمنظور :

لبئس ما خلف الآباء بعدهم في الأمهات عجان الكلب منظور
قد كنت تغمزها والشيخ حاضرها فالآن أنت بطول الغمز معذور
[البسيط]

الحسن يتزوج خولة :

قال مؤلف هذا الكتاب : أخطأ ابن الكلبي في هذا، وإنما تزوجها طلحة بن عبيد الله، وأما محمد ابنه وإنما تزوج خولة بنت منظور، فولدت له إبراهيم بن محمد، وكان أخرج، ثم قتل عنها يوم الجمل، فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن، وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة نازع بعض ولد الحسين بن علي عليهما السلام بعض ما كان بينهم وبين بني الحسين من مال علي عليه السلام، فقال الحسيني لأمير المدينة : هذا الظالم الظالع يعني إبراهيم، فقال له إبراهيم : الله يعلم أنني أبغضتك، فقال له الحسيني : صادق، والله يحب الصادقين، وما يمنعك من ذلك، وقد قتل جدِّي أبأك وجدك، ونأك عمِّي أمك - لا يكنى - فأمر بهما الأمير فأقيما .

رجع الخبر إلى رواية ابن الكلبي

قال : فلما فرق عمر - رضي الله عنه - بينهما وتزوجت رآها منظور يوماً وهي

تمشي في الطريق، وكانت جميلة رائعة الحسن، فقال: يا مُليكة، لعن الله ديناً فرّق بيني وبينك. فلم تكلمه، وجات، وجاز بعدها زوجها. فقال له منظور: كيف رأيت أثر أيري في حرّ مُليكة؟ قال: كما رأيت أثر أير أبيك فيها. فأفحمه، فبلغ عمر - رضي الله عنه - الخبر، فطلبه ليعاقبه، فهرب منه.

وقال الزبير في حديثه:

فتزوج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولة بنت منظور، فولدت له إبراهيم وداود وأم القاسم بنت محمد بن طلحة، ثم قُتل عنها يوم الجمل، فخلف عليها الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فولدت له الحسن بن الحسن.

قال الزبير: قال محمد بن الضحاك الحزامي عن أبيه:

تزوج الحسن بن علي عليهما السلام خولة بنت منظور، زوّجَهُ إياها عبدُ الله بن الزبير، وكانت أختها تحته.

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثني يحيى بن الحسن قال: حدثني موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن قال:

جعلت خولة أُمَها إلى الحسن عليه السلام، فتزوجها، فبلغ ذلك منظور بن زبّان فقال له: أمثلي يُفتات عليه في ابنته؟ فقدم المدينة، فركز رايةً سوداء في مسجد رسول الله ﷺ، فلم يبق قيسِي في المدينة إلا دخل تحتها، فقبل لمنظور: أين يُذهب بك؟ فتزوجها الحسن بن علي عليهما السلام وليس مثله أحد، فلم يقبل، وبلغ الحسن عليه السلام ذلك فقال: شأنك بها، فأخذها وخرج بها، فلما كانت بِقُبَاء جعلت خولة تندّمه وتقول له: الحسن بن علي سيّدُ شباب أهل الجنة، فقال: تَلَبَّثِي ها هنا، فإن كان للرجل فيك حاجة فسيلحقنا ها هنا، فلحقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عباس - رضي الله عنهما -، فتزوجها الحسن ورجع بها.

قال الزبير: ففي ذلك يقول جعبر العبسي هذه الأبيات:

إن الندى في بني ذبيان قد علموا والجود في آل منظور بن سيّار
الماطرين بأيديهم ندى ديماً وكلّ غيثٍ من الوسميِّ مدرارٍ
تزور جاراتهم وهناً فواضلهم وما فتّاهم لها سراً بزوارٍ
ترضى قريشٌ بهم صهراً لأنفسهم وهم رضى لبني أختٍ وأصهارٍ

[البسيط]

أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثني ابن أبي أيوب عن ابن عائشة المغني عن معبد:

أن خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليهما السلام، فلما أسنت مات عنها أو طلقها، فكشفت قناعها، وبرزت للرجال. قال معبد: فأتيها ذات يوم أطلبها بحاجة فغنيتها لحني في شعر قاله بعض بني فزارة، وكان خطبها فلم يُنكحها أبوها:

صوت

قَفَا فِي دَارِ خَوْلَةٍ فَاسْأَلَاهَا تَقَادَمَ عَهْدُهَا وَهَجَرْتُمَاهَا
بِمِحَالٍ كَأَنَّ الْمَسْكَ فِيهِ إِذَا هَبْتَ بِأَبْطَحِهِ صَبَاها
كَأَنَّكَ مُزْنَةٌ بَرَقَتْ بَلِيلٍ كَحِرَّانٍ يَضِيءُ لَهُ سَنَاهَا
فَلَمْ تَمْطُرْ عَلَيْهِ وَجَاوَزْتَهُ وَقَدْ أَشْفَى عَلَيْهَا أَوْ رَجَاهَا
وَمَا يَمْلَأُ فَوَادِي فَاعِلْمِيهِ سَلَوُ النَّفْسِ عَنْكَ وَلَا عَنَّاها
وَتَرَعَى حَيْثُ شَاءَتْ مِنْ حَمَانَا وَتَمْنَعُنَا فَلَا نَرَعَى حَمَاها
[الوافر]

فطربت العجوز لذلك وقالت: أيا عبد بني قطن، أنا والله يومئذ أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة.

صوت

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مِنْ غُبْرِ الْهَوَى إِلَى الشَّمِّ مِنْ أَعْلَامٍ مِيْلَاءُ نَاطِرُ
بِعَمَشَاءٍ مِنْ طَوْلِ الْبِكَاءِ كَأَنَّهَا بِهَا خَزَرٌ أَوْ طَرْفُهَا مِتْخَازِرُ
[الطويل]

عروضه من الطويل، الغُبر: البقية من الشيء، يقال: فلان في غُبر من علته، وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه، والشم: الطوال، والأعلام: جمع علم وهو الجبل، قالت الخنساء:

كَأَنَّهُ عَلمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

والخزر: ضيق العين وصغرها، ومنه سمي الخُزُر لضيق أعينهم، قال الراجز:

إذا تخازرت وما بي من خَزَرٍ ثم كسرت الطرف من غير عَوَرٍ

الشعر لرجل من قيس يقال له كعب، ويلقب بالمخبّل، والغناء لإبراهيم ثقل

أول بالوسطى، ومن الناس من يروي الشعر لغير هذا الرجل، وينسبه إلى ذي الرمة،

ويجعل مئة مكان ميلة.

ويقال: إن اللحن أيضاً لابن المكي، وقد نسب إلى غيرهما، والصحيح ما ذكرنا

أولاً.

أخبار المخبل القيسي ونسبه

أم عمرو وميلاء :

قال عبد الله بن أبي سعد الوراق فيما أخبرني به حبيب بن نصر المهلبى إجازة عنه : حدثني علي بن الصباح بن الفرات قال : أخبرني علي بن الحسن بن أيوب النبيل ، عن رباح بن قطب بن زيد الأسدي قال :

كانت عند رجل من قيس يقال له كعب ، بنت عم له ، وكانت أحب الناس إليه ، فخلا بها ذات يوم ، فنظر إليها وهي واضعة ثيابها ، فقال لها : يا أم عمرو ، هل ترين أن الله عز وجل خلق أحسن منك؟ قالت : نعم أختي ميلاء هي أحسن مني ، قال : فإني أحب أن أنظر إليها ، فقالت : إن علمت بك لم تخرج إليك ، ولكن كن من وراء الستر ، ففعل ، وأرسلت إليها فجاءتها ، فلما نظر إليها عشقها ، وانتظرها حتى راحت إلى أهلها ، فاعترضها ، فشكى إليها حبه ، فقالت : والله يا ابن عم ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثر منه ، وواعدته مرة أخرى ، فأتتهما أم عمرو وهما لا يعلمان ، فرأتهما جالسين ، فمضت إلى أخوتها وكانوا سبعة ، فقالت : إما أن تزوجوا ميلاء كعباً ، وإما أن تكفوني أمرها ، وبلغهما الخبر ، ووقوف إخوتها على ذلك ، فرمى بنفسه نحو الشام حياءً منهم ، وكان منزله ومنزل أهله الحجاز ، فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب ، فقال كعب :

أفي كل يوم أنت من لاعج الهوى	إلى الشُّمِّ من أعلام ميلاء ناظرُ
بعمشاء من طول البكاء كأنما	بها خَزَر أو طرفها متخازرُ
تَمَنَّى المُنَى حتى إذا ملَّت المُنَى	جرى واكف من دمعها متبادرُ
كما اِرْفَضَ عنها بعد ما ضمَّ ضمة	بخيطِ الفتيل اللؤلؤ المتناثرُ

[الطويل]

شامي يدلُّ أهله عليه :

قال : فروى هذا الشعر عنه رجل من أهل الشام ، ثم خرج الشامي بعد ذلك يريد مكة ، فاجتاز بأم عمرو وأختها ميلاء ، وقد ضل الطريق ، فسلم عليهما ، ثم سألهما عن الطريق ، فقالت أم عمرو : يا ميلاء ، صفي له الطريق ، فذكر لما نادى يا ميلاء شعرَ

كعب هذا، فتمثل به، فعرفت أم عمرو الشعر، فقالت: يا عبد الله، من أين أنت؟ قال: رجل من أهل الشام، قالت: من أين رويت هذا الشعر؟ قال: رويته عن أعرابي بالشام، قالت: أو تدري ما اسمه؟ فقال: سمعت أنه كعب، قال: فأقسمتا عليه ألا تبرح حتى يعرف إخوتنا، فنحسن إليك نحن وهم، وقد أنعمت علينا، قال: أفعل، وإني لأروي له شعراً آخر، فما أدري أتعرفانه أم لا؟ فقالتا: نسألك بالله إلا أسمعتنا. قال: سمعته يقول:

بنفسي وبالفتيان كل زمان
خَلِيّاً ولا ذا البَثِّ^(١) يستويان
مَلِيّاً لو شاء القدر قضياني
وأما عن الأخرى فلا تسلاني
من الناس إنسانين يهتجران
وأعصى لواش حين يكتفيان
إذا استعجمت بالمنطق الشفتان
على ما بنا أو نحن مُبتليان
فبي كل يوم مثل ما تريان
من الوصل أم ماضي الهوى تسلان
هوى فحفظناه بحسن صيان
به سقم جمّ وطول ضمان^(٢)
ولا رجعا من علمنا ببيان
تريدان من هجر الحبيب يدان
كما أنتما بالبين مُعتليان
[الطويل]

خَلِيلِيّ قَدْ قِسْتُ الْأُمُور وَرُمْتُهَا
فَلَمْ أَخْفِ سَوْءَ لِلصَّدِيقِ وَلَمْ أَجِدْ
مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيَّنِي عَلَيْهِمَا
خَلِيلِيّ أَمَّا أُمُّ عَمْرُو فَمِنْهُمَا
بُلَيْنَا بِهِجْرَانٍ وَلَمْ أَرِ مِثْلَنَا
أَشَدَّ مَصَافَاةً وَأَبْعَدَ مِنْ قَلْبِي
تَحَدَّثَ طَرْفَانَا بِمَا فِي صَدُورِنَا
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَكُلَّ ذَوِي الْهَوَى
فَلَا تَعْجَبَا مِمَّا بَيَّ الْيَوْمَ مِنْ هَوَى
خَلِيلِيّ عَنِ أَيِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
وَكُنَّا كَرِيمِيّ مَعْشَرٍ حُمِّ بَيْنَنَا
سَلَاهُ بِأَمِّ الْعَمْرُو مِنْ هِيَ إِذْ بَدَا
فَمَا زَادَنَا بَعْدَ الْمَدَى نَقْضَ مِرَّةٍ^(٣)
خَلِيلِيّ لَا وَاللَّهِ مَالِي بِالَّذِي
وَلَا لِي بِالْبَيْنِ اعْتِلَاءٌ إِذَا نَأَتْ

قال: ونزل الرجل ووضع رحله، حتى جاء إخوتهما، فأخبراهم الخبر، وكانوا مهتمين بكعب، وكان أظرفهم وأشعرهم، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة، ودلّوه على الطريق، وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام، فأقبلوا به، حتى إذا كانوا في ناحية ماء

(٢) طول الضمان: طول المرض الملازم.

(١) البَثُّ: أشدّ الحزن.

(٣) المِرَّة: القوة.

أهلهم إذا الناس قد اجتمعوا عند البيوت ، وكان كعب ترك بُنيًا له صغيراً ، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء ، فقال له كعب : ويحك يا غلام ، من أبوك؟ فقال : رجل يقال له كعب ، قال : وعلى أي شيء قد اجتمع الناس؟ وأحسَّ قلبه بالشر ، قال : اجتمعوا على خالتي ، قال : وما قصتها؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات منها مكانه ، فدفن حذاء قبرها ، قال : وقال كعب وهو بالشام :

أحقاً عباد الله أن لست ماشياً بِمِرْحَابٍ حَتَّى يُحْشَرَ الثَّقْلَانِ
ولا لاهياً يوماً إلى الليل كله بَبِيضٍ لَطِيفَاتِ الْخُصُورِ رَوَانِي
يُمنِّيننا حتى تريع قلوبنا وَيَخْلُطُنَ مَطْلًا ظَاهِرًا بَلْيَانِ
فعيني يا عيني حَتَامَ أنتما بِهَجْرَانِ أُمِّ الْعَمْرِو تَخْتَلِجَانِ؟
أما أنتما إلا علي طليعة عَلَى قُرْبِ أَعْدَائِي كَمَا تَرِيَانِ
فلو أن أُمَّ الْعَمْرِو أضحت مقيمة بِمَصْرٍ وَجِثْمَانِي بِشَخْرِ عُمَانِ
إذا لرجوت الله يجمع شملنا فَإِنَّا عَلَى مَا كَانَ مَلْتَقِيَانِ
[الطويل]

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء .

صوت

من الناس إنسانان ديني عليهما مَلِيَّانَ لَوْ شَاءَ الْقَدَّ قُضِيَانِي
خليلي أمّا أم عمرو فمنهما وَأَمَّا عَنِ الْآخَرَى فَلَا تَسْلَانِي
[الطويل]

عروضه من الطويل ، الشعر على ما في هذا الخبر لكعب المذكورة قصته ، وروى المفضل بن سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدمينة الخثعمي ، والغناء لإبراهيم الموصلي خفيف رمل الوسطى ، ذكره أبو العباس عنه ، وذكر ابن المكي أنه لعلويه .

والآبيات التي ذكرنا أن المفضل بن سلمة وابن أبي طاهر رواها لابن الدمينة مع البيتين اللذين فيهما الغناء هي :

من الناس إنسانان ديني عليهما مَلِيَّانَ لَوْ شَاءَ الْقَدَّ قُضِيَانِي
خليلي أمّا أم عمرو فمنهما وَأَمَّا عَنِ الْآخَرَى فَلَا تَسْلَانِي
منوعان ظلامان ما ينصفانني بَدَلِيَهُمَا وَالْحَسَنُ قَدْ خَلْبَانِي

من البيض نجلأوا العيون غَذاهما نعيمٌ وعيش ضاربٌ بِجِرَانِ
أفي كلِّ يوم أنت رام بلادها بعينين إنساناهما غرقانِ
إذا اغرورقت عيناى قال صحابتي لقد أولعت عيناك بالهملانِ
[الطويل]

وقد روي أيضاً أن هذا البيت :

أفي كل يوم أنت رام بلادها

لعروة بن حزام :

ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاءِ ثمَّ ذراني
[الطويل]

أخبرني محمد خلف وكيع قال : حدثني أبو سعيد القيسي قال : حدثني
سليمان بن عبد العزيز قال : حدثني خارجة المليّ قال :

حدثني من رأى عروة بن حزام يُطاف به حول البيت ، قال : فقلت له : من أنت ؟
قال : أنا الذي أقول :

أفي كلِّ يوم أنت رام بلادها بعينين إنساناهما غرقانِ
ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاءِ ثمَّ ذراني
[الطويل]

فقلت : زدني ، قال : لا ، ولا حرف .

هذا الصوت يهيج الواصل :

ويقال : إن الذي هاج الواصل على القبض على أحمد بن الخصيب وسليمان بن
وهب أنه غُنّي هذا الصوت ، أعني :

من الناس إنسانان ديني عليهما

فدعا خادماً كان للمعتصم ثم قال له : أصدقني وإلا ضربت عنقك ، قال : سل يا
أمير المؤمنين عما شئت ، قال : سمعت أبي وقد نظر إليك يتمثل بهذين البيتين ،
ويومئ إليك إيماء تعرفه ، فمن اللذان عناهما ؟ قال : قال لي : إنه وقف على إقطاع
أحمد بن الخصيب وسليمان بن وهب ألفي دينار ، وأنه يريد الإيقاع بهما ، فكان كلما
رأهما تمثل بهذين البيتين ، قال : صدقتني ، والله والله لا سبقاني بها كما سبقاه ، ثم
أوقع بهما .

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني ميمون بن هارون قال:

نظر الواثق إلى أحمد بن الخصيب يمشي فتمثل:

من الناس إنسانان ديني عليهما

وذكر البيتين وأشار بقوله:

خليلي أمّا أم عمرو فمئهما

إلى أحمد بن الخصيب، فلما بلغ هذا سليمان بن وهب قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أحمد بن الخصيب والله أم عمرو وأنا والله الأخرى. قال: ونكبهما بعد أيام يسيرة.

وقد قيل: إن محمد بن عبد الملك الزيات كان السبب في نكبتهما.

الواثق ينكب ابن وهب وابن الخصيب:

أخبرنا محمد بن يحيى قال: حدثنا عون بن محمد الكندي قال:

كانت الخلافة أيام الواثق تدور على أيتاخ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب، وعلى أشناس، وكاتبه أحمد بن الخصيب، فعمل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة، وأوصلها إلى الواثق على أنها لبعض أهل العسكر وهي:

حُزّت الخلافة عن آبائك الأول
فيه البرية من خوف ومن وهل
وكلهم حاطب في حبل مُحْتَبِل
مشارك الأرض من سهل ومن جبل
إلى الجزيرة فالأطراف من ملل
أحكامه في دماء القوم والتفّل
خلافة الشام والغازين والقفل
بما أراد من الأموال والحلّل
بنو الرشيد زمان القسم للدول
من الخلافة والتبليغ للأمل
كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل
ولا علانية خوفاً من الحيل

يا ابن الخلائف والأملاك إن نُسبوا
أُجِرَتْ أم رَقَدَتْ عيناك عن عجب
وليت أربعة أمر العباد معاً
هذا سليمان قد ملكت راحته
ملكته السند فالشحرين من عدن
خلافة قد حواها وحده فمضت
وابن الخصيب الذي ملكت راحته
فنيل مصر فبحر الشام قد جريا
كأنهم في الذي قسّمت بينهم
حوى سليمان ما كان الأمين حوى
وأحمد بن خصيب في إمارته
أصبحت لا ناصح يأتيك مستتراً

سَلْ بَيْتَ مَالِكَ أَيْنَ الْمَالِ تَعْرِفُهُ وَسَلْ خِرَاجَكَ عَنْ أَمْوَالِكَ الْجُمَلِ
 كَمْ فِي حُبُوسِكَ مِمَّنْ لَا ذَنْبَ لَهُمْ أَسْرَى التَّكْذُوبِ فِي الْأَفْيَادِ وَالْكَبَلِ
 سُمِّيتَ بِاسْمِ الرَّشِيدِ الْمَرْضَى فِيهِ قِسْ الْأُمُورَ الَّتِي تُنْجِي مِنَ الزَّلَلِ
 عِثْ فِيهِمْ مِثْلَ مَا عَاثَتْ يَدَاهُ مَعَا عَلَى الْبِرَامِكِ بِالْتَهْدِيمِ لِلْقُلُلِ
 [البسيط]

فلما قرأ الواثق الشعر غاظه، وبلغ منه، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن
 الخصيب، وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفي ألف دينار، فجعلها في بيت المال، فقال
 أحمد بن أبي فتن:

نَزَلْتُ بِالْخَائِنِينَ سَنَهُ سَنَةً لِلنَّاسِ مُمْتَحَنَهُ
 فَتَرَى أَهْلَ الْعَفَافِ بِهَا وَهُمْ فِي دَوْلَةٍ حَسَنَهُ
 وَتَرَى مَنْ جَارَ هِمَّتُهُ أَنْ يُؤْذِيَ كُلَّ مَا احْتَجَنَهُ^(١)
 [المديد]

وقال إبراهيم بن العباس لابن الزيات:

إِيهَاءُ أَبَا جَعْفَرٍ وَلِلدَّهْرِ كَرَاتٌ وَعَمَّا يَرِيبُ مُتَّسَعُ
 أَرْسَلْتَ لِيثَاءً عَلَى فَرَائِسِهِ وَأَنْتَ مِنْهَا فَانْظُرْ مَتَى تَقْعُ
 لَكِنَّهَا فُوتَتْهُ وَفِيكَ لَهُ وَقَدْ تَقَضَّتْ أَقْوَاتُهُ شِبَعُ
 [المنسرح]

وهي أبيات، وقد كان أحمد بن أبي دؤاد حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيات،
 وأمر علي بن الجهم فقال فيه:

لِعَائِنُ اللَّهْ مُوَقَّرَاتِ مُصَبَّحَاتِ وَمُهَجَّراتِ
 عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ عَرَضَ شَمْلَ الْمُلْكِ لِلشَّتَاتِ
 يَرْمِي الدَّوَاوِينَ بِتَوَقِيعَاتِ مَعْقَدَاتِ غَيْرِ مَفْتُوحَاتِ
 أَشْبَهَ شَيْءٍ بِرُقَى الْحَيَّاتِ تَخَالَهَا بِالزَيْتِ مَدَهُونَاتِ
 بَعْدَ رُكُوبِ الطُّوفِ فِي الْفِرَاتِ وَبَعْدَ بَيْعِ الزَيْتِ بِالْحَبَّاتِ
 سَبَحَانَ مَنْ جَلَّ عَنْ الصِّفَاتِ هَارُونَ يَا ابْنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ

(١) احتجته: ضمّه إلى نفسه.

أما ترى الأمور مُهملاتٍ تشكو إليك عدم الكُفَاة؟
[الرجز]

وهي أبيات، فهمّ الواثق بالقبض على ابن الزيات وقال: لقد صدق قائل هذا الشعر، ما بقي لنا كاتب، فطرح نفسه على إسحاق بن إبراهيم، وكانا مجتمعين على عداوة ابن أبي دواد، فقال للواثق: أمثل ابن الزيات مع خدمته وكفايته يُفعل به هذا وما جنى عليك وما خانك، وإنما ذلك على خونة أخذت منهم ما اختانوه، فهذا ذنبه؟ وبعد فلا ينبغي لك أن تعزل أحداً أو تُعَدَّ مكانه جماعة يقومون مقامه، فمن لك بمن يقوم مقامه؟ فمحا ما كان في نفسه عليه، ورجع له، وكان أيتاخ صديقاً لابن أبي دواد، فكان يغشاه كثيراً، فقال له بعض كتابه: إن ابن أبي دواد بينه وبين الوزير ما تعلم، وهو يجيئك دائماً، ولا تأمن أن يظن الوزير بك ممالأة عليه، فعرفه ذلك، فلما دخل ابن أبي دواد إليه خاطبه في هذا المعنى، فقال له أحمد: إني والله ما أجيئك متعزّزاً بك من ذلة، ولا متكثراً من قلة، ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجب لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلنفسك.

ثم خرج من عنده فلم يعد إليه.

وفي هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها. ليس هذا موضعها، وإنما ذكرنا هاهنا هذا القدر منها بذكر الشيء بغرابته.

صوت

تفرّق أهلي من مُقيم وظاعنٍ فلله دَري أيّ أهلي أتبعُ؟
أقام الذين لا أبالي فراقهم وشطّ الذين بيّنهم أتوقعُ
[الطويل]

الشعر للمتلّمس، والغناء لمُتيم خفيف ثقيل بالوسطى.

أخبار المتلمس ونسبه

اسمه ونسبه :

المتلمس لقب غلب عليه بيت قاله وهو :

فهذا أوان العِرضُ جُنَّ ذِبابُهُ زنا بیره والأزرقُ المتلمَّسُ
[الطويل]

واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن دوفن بن حرب بن وهب بن
جُلَيِّ بن أَحْمَس بن ضُبَيْعَة بن ربيعة بن نزار .

ضبيعات العرب :

قال ابن حبيب فيما أخبرنا به عبد الله بن مالك النحوي عنه :

ضُبَيْعَات العرب ثلاث، كلها من ربيعة: ضُبَيْعَة بن ربيعة وهم هؤلاء، ويقال
ضُبَيْعَة أَضْجَم، وضُبَيْعَة بُنْ قيس بن ثعلبة، وضُبَيْعَة بن عجل بن لجيم .

قال: وكان العزّ والشرف والرئاسة^(١) على ربيعة في ضُبَيْعَة أَضْجَم، وكان سيدها
الحارث بن الأضجم، وبه سُمِّيَتْ ضُبَيْعَة أَضْجَم، وكان يقال للحارث حارث
الخير بن عبد الله بن دوفن بن حرب، وإنما لقب بذلك لأنه أصابته لَقْوَة^(٢) فصار
أضجم، ولقب بذلك ولقبت به قبيلته، ثم انتقلت الرئاسة عن بني ضُبَيْعَة فصارت في
عَنْزَة، وهو عامر بن أسد بن ربيعة بن نزار، وكان يلي ذلك فيهم القُدَّار أحد بني
الحارث بن الدُّول بن صُبَّاح بن عَتِيك بن أسلم بن يذكر بن عَنْزَة، ثم انتقلت الرئاسة
عنهم فصارت في عبد القيس، فكان يليها فيهم الأفكل وهو عمرو .
هنا انقطع ما ذكره الأصفهاني رحمه الله .

(تكملة المتلمس وهي لغير أبي الفرج)

وروى أبو عبيدة وغيره هذا الخبر على نص ما مضى عن ابن حبيب .

(١) الرئاسة: السيادة .

(٢) اللَّقْوَة: داء في الوجه يعوج منه الشدق .

وقال: الأفلح هو عمرو بن الجُعيد بن صبرة بن الدول بن شن بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة، ثم انتقل الأمر إلى النمر بن قاسط، فكان يلي ذلك منهم عامر الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر، وإنما سمي الضحيان لأنه كان يقعد بهم في الضحى فيقضي بينهم، ثم انتقل الأمر إلى بني يشكر بن بكر بن وائل، فكان يلي ذلك منهم الحارث بن عُبر بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر، ثم انتقل الأمر إلى بني تغلب فصار يليه ربيعة بن مرة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، ثم وليه بعده ابنه كليب فكان من أمره في البسوس ما كان، فاختلفت أمورهم وذهبت رياستهم.

المتلمس في أخواله:

وكان المتلمس في أخواله بني يشكر، ويقال: إنه ولد فيهم، ومكث فيهم حتى كادوا يغلبون على نسبه، فسأل الملك وهو عمرو بن هند مُضَرَّطَ الحجارة وهو مُحَرَّق - وإنما سمي مُحَرَّقاً لأنه حَرَّقَ باليمامة مائة من تميم - فسأل الملك يوماً - وهو عنده - الحارث بن التوأم اليشكري عن المتلمس وعن نسبه، فأراد أن يدعيه، فقال المتلمس في ذلك:

يَعِيرَنِي أُمِّي رَجَالٌ وَلَنْ تَرَى
وَمَنْ كَانَ ذَا عِرْضٍ كَرِيمٍ وَلَمْ يَصُنْ
أَحَارِثُ إِنَّا لَوِ تُسَاطُ^(١) دِمَاؤُنَا
أَمْنَتَفِيًّا مَنْ نَصَرَ بُهْثَةً خَلَتْنِي
أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَأْنَ يَتَكَرَّمَا
لَهُ حَسْبًا كَانَ اللَّئِيمُ الْمُذْمَمَا
تَزَايِلُنْ^(٢) حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمَا
أَلَا إِنَّنِي مِنْهُمْ وَإِنْ كُنْتَ أَيْنَمَا
[الطويل]

بُهْثَةُ بن وهب بن جلي بن أحمس بن ضبيعة.

وإن نصابي إن سألت وأسرتي
لذي الحلم قبل اليوم ما تُقْرِعُ العصا
فلو غير أخوالي أرادوا نقيصتي
وهل لي أم غيرها إن ذكرتها
وقد كنت ترجو أن أكون لعقبكم
من الناس قوم يقتنون المُرْتَمَا^(٣)
وما عُلِمَ الإنسان إلا ليعلمَا
جعلت لهم فوق العرانيين ميسما
أبى الله إلا أن أكون لها ابنما
زنيما فما أجرتُ^(٤) أن أتكلما
[الطويل]

(٣) المُرْتَم: الدعي، المدعي أباً ليس له.

(٤) أْجَرْتُ: مُبِعْتُ.

(١) تُسَاط: تُخْلَط، تُمَزَج.

(٢) تَزَايِلُنْ: تَفْرَقُنْ.

وقال محمد بن سلام:

المتلمس هو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن ربيعة بن دوفن بن حرب،
وسائر النسب على ما تقدم.

قال: والمتلمس خال طرفة بن العبد، وكان طرفة قد هجاه.

وقال ابن قتيبة:

هو المتلمس بن عبد العزى - ويقال ابن عبد المسيح - من بني ضبيعة بن ربيعة
ثم من بني دوفن، وأخواله بنو يشكر، واسمه جرير.

وقال أبو حاتم عن الأصمعي:

اسمه جرير بن زيد، ويقال: اسمه عمرو بن الحارث، ويقال: اسمه
عبد المسيح بن جرير.

من أشعر المقلّين في الجاهلية:

والمتلمس من شعراء الجاهلية المقلّين المفلّحين، وجعله ابن سلام في الطبقة
السابعة من شعراء الجاهلية، وقرن به سلامة بن جندل وحُصين بن الحُمام
والمُسَيَّب بن علس.

وقال ابن قتيبة: قال أبو عبيدة:

واتفقوا على أن أشعر المقلّين في الجاهلية ثلاثة: المتلمس والمسيب بن علس
وحصين بن الحمام المُرّي.

قال ابن قتيبة:

وكان للمتلمس ابن يقال له عبد المنان، أدرك الإسلام، وكان شاعراً وهلك
بُصري، ولا عقب له.

المتلمس يعاتب بني ذهل:

وقال أبو عبيدة:

كانت ضبيعة بن ربيعة رهط المتلمس حلفاء لبني ذهل بن ثعلبة بن عكابة،
فوقع بينهم نزاع [ومخاصمة] فقال المتلمس يعاتب بني ذهل:

ألم تر أن المرء رهناً منيَّةً صريعاً لعافي^(١) الطير أو سوف يُرْمَسُ^(٢)

(١) عافي الطير: الرائد منه أو طالب الرزق. (٢) يُرْمَسُ: يُدْفَن.

فلا تقبلن ضيماً مخافة ميتة
فمن حذر الأيام ما حزن أنفه
نعامة لما صرع القوم رهطه
وما الناس إلا ما رأوا وتحذثوا
ألم تر أن الجون أصبح راسياً
وَمُوتَنَ بِهَا حَرّاً وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ
قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسِّيفِ بَيْهَسُ^(١)
تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ
وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا أَنْ يُضَامُوا فَيَجْلِسُوا
تُطِيفُ بِهِ الْأَيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ
[الطويل]

الجون: جبل أو حصن، جعله جوناً للونه. ما يتأيس: أي لا يؤثر فيه الدهر، يقول: فليس الإنسان كالحجارة والجبال التي لا تؤثر فيها الأيام، ولكنه غرض للحوادث، فلا ينبغي له أن يقبل ضيماً رجاء الحياة.

وقال الرياشي: الجون: حصن اليمامة، ويقال: إنه أعى تبعاً:

عَصَى تُبْعاً أَيَّامُ أَهْلِكَ الْقُرَى
هَلُمَّ إِلَيْهَا قَدْ أَثِيرَتْ زُرُوعُهَا
وَذَاكَ أَوَّانُ الْعِرْضِ جُنَّ ذِبَابُهُ
فَإِنْ تُقْبِلُوا بِالْوُدِّ تُقْبِلْ بِمِثْلِهِ
يَكُونُ نَذِيرٌ مَنْ وَرَائِي جُنَّةٌ
يُطَانُ عَلَيْهِ بِالصَّفِيحِ وَيُكَلَّسُ
وَدَارَتْ عَلَيْهَا الْمَنْجَنُونَ^(٢) تَكْدَسُ
زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمَتَلَمَّسُ
وَالْإِنَّا نَحْنُ أَبَى وَأَشْمَسُ
وَيَمْنَعُنِي مِنْهُمْ جُلِّيٌّ وَأَحْمَسُ
[الطويل]

نذير بن بُهثة بن حرب بن وهب بن جُلِّيٍّ بن أَحْمَسَ بن ضبيعة.

وقال أبو عمرو: نذير بن ضبيعة بن نزار.

وإن يك عنا في حبيبٍ ثاقلاً
فقد كان منا مثقلاً ما يُعرَسُ
[الطويل]

أراد حبيب، فخفف، وهو حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل، يقول: إن ثاقلوا عنا وقطعوا الرحم فإن لقومي غزى. ما يُعرَس: ما يعرس في الغزو.

حديث بيهس:

فأما حديث بيهس الذي ضرب به المثل فإن أبا عبيدة قال:

مدركو الأوتار في الجاهلية ثلاثة: سيف بن ذي يزن الحميري، وبيهس

(١) بيهس: جبان فرار.

(٢) المنجنون: الدُّولاب.

الفزاري، وقصير صاحب جذيمة الأزدي. وقد مضى خبر قصير وسيف في موضعهما من هذا الكتاب.

وروى أبو حاتم عن الأصمعي:

أن بيهساً الفزاري غزا ربعة قوم فأغاروا على إخوانه وأهل بيته وقتلواهم أجمعين، وأسروا بيهساً، فلما نزلوا بعض المنازل راجعين نحروا جزوراً فأكلوا، وقالوا: ظللوا البقية، فقال بيهس: لكن بالاثلاث لحم لا يطل، يعني أجساد من أصيب من قومه، فذهبت مثلاً، فلطمه رجل منهم.

وجعل يَدْخِل رجله في يَدَيْ سِرْبَاله، فقال له رجل منهم: لم تلبس هذا اللبس؟ وجعل يعلمه كيف يلبس، وكان يقال: إن به طُرْقَةً يعني جنوناً، فقال:

إِلْبِسْ لِكُلِّ عَيْشَةٍ لُبُوسَهَا إِمَّا نَعِيْمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا
[الرجز]

فلطمه الرجل الذي كان لطمه مرة أخرى، فقال له بيهس: لو نَكَلْتُ عن الأولى لم تعد إلى الثانية، فقال بعضهم: إن مجنون فزارة هذا ليتعرض للقتل، فخللوا عنه، فخللوه، فلما أتى أهله جعل نساؤه يُتَحَفَنه، فقال: يا حبذا التراث لولا الذلة، فذهبت مثلاً، فاجتمع عليه الغم مع ما به من قلة العقل. فجعلت أمه تعاتبه ويشد عليها ذلك منه، فقالت: لو كان فيك خير لَقُتِلْتُ مع قومك، فقال: لو خَيْرْتُ لاخترت، فذهبت مثلاً، ثم جمع جمعاً وغزا القوم الذين وَتَرَوْه^(١)، ومعه خال له، فوجدوهم في وَهْدَة من الأرض كبيرة، فدفعه خاله عليهم، وكان جسيماً طويلاً، وإنما سمي نعمة لذلك، فقاتل القوم وهو يقول: مكره أخوك لا بطل، فذهبت مثلاً، وقتل القوم وأدرك بثأره.

وقال يعقوب بن السكيت في كتاب الأمثال: روى مثله عن أبي عبيدة، وروى هذا الخبر أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام، واللفظ ليعقوب وروايته أتم الروايات قال:

كان بيهس وهو رجل من بني غراب بن فزارة بن ذبيان بن بغيض، سابع سبعة إخوة، فأغار عليهم ناس من أشجع بن ريث بن غطفان - وبينهم حرب - وهم في إبلهم، فقتلوا ستة نفر منهم، وبقي بيهس وكان يُحَمَّق، وكان أصغرهم، فأرادوا قتله، ثم قالوا: ما تريدون من قتل مثل هذا؟ أيحسب عليكم برجل ولا خير فيه؟ فتركوه، فقال: دعوني أتوصل معكم إلى الحي، فإنكم إن تركتموني وحدي أكلتني السباع وقتلني العطش، ففعلوا، فأقبل معهم، فنزل منزلاً، فنحروا جزوراً في يوم شديد

(١) وتروه: ظلموه.

الحرّ، فقال بعضهم: ظلّلوا لحكمكم لا يفسد، فقال بيهس: لكن بالآثلات لحم لا يُظلل، فقالوا: إنه لمُنكر، وهمّوا أن يقتلوه، ثم تركوه، ففارقهم حين انشعب طريق أهله، فأتى أمه، فقالت: ما جاء بك من بين إخوتك؟ فقال: لو خَيْرَك القومُ لاخترت، فأرسلها مثلاً. ثم إن أمه تعطف عليه ورقت له، فقال الناس: قد أَحَبَّتْ أم بيهس بيهساً ورقت له، فقال بيهس: تُكَلُّ أَرَامَهَا ولداً، فأرسلها مثلاً - أي عطفها - ثم جعلت تعطيه ثياب إخوته ومتاعهم فيلبسها، فقال: يا حبذا الثراثُ لولا الدَّلَّةُ، فذهبت مثلاً، ثم أتى على ذلك ما شاء الله، ثم إنه مرَّ على نسوة من قومه وهن يُصلحن امرأةً منهن يُردن أن يُهديَنها لبعض القوم الذين قَتَلُوا إخوته، فكشف عن استه ثوبه وغطى رأسه به، فقلن: ويلك ما تصنع يا بيهس؟ فقال:

إِلَيْسَ لِكُلِّ عَيْشَةٍ لُبُوسُهَا إِمَّا نَعِيمُهَا وَإِمَّا بُوسُهَا
[الرجز]

فأرسلها مثلاً، فلما أتى على ذلك ما شاء الله جعل يتتبع قَتْلَةَ أخوته فيقتلهم، ويتقصّاهم، حتى قتل منهم ناساً كثيراً، فقال بيهس:

يَا لَهَا نَفْسًا يَا لَهَا إِنْ نِي لَهَا الطَّعْمُ وَالسَّلَامَةُ
فَقَدْ قَتَلَ الْقَوْمُ إِخْوَتَهَا بِكُلِّ وَاِدٍ زُقَاءً هَامَةً
فَلَا طَرُقْنَ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ وَأَبْرُكُنْ بِرُكَّةِ النِّعَامَةِ
[المنسرح]

وبهذا البيت لُقِّبَ نعامه:

قَابِضَ رَجُلٍ بِأَسْطِ أُخْرَى وَالسَّيْفَ أَقْدِمَهُ أَمَامَهُ
[المنسرح]

ثم أخبر أن ناساً من أشجع في غار يشربون فيه، فانطلق إلى خال له يقال له: أبو حشر، فقال له: هل لك في غارٍ فيه ظباء لعلنا نصيب منهم؟ فقال: نعم، فانطلق بيهس بأبي حشر، حتى إذا قام على فم الغار دفع أبا حشر في فم الغار، فقال: ضَرْباً أبا حشر، فقال بعض قومهم: إن أبا حشر لبطل، فقال أبو حشر: مكره أخوك لا بطل، فكان بيهس مثلاً في العرب، فقال بعض شعراء بني تغلب:

لَقَمَانٌ مِّنْتَصِرًا وَقَسٌّ نَاطِقًا وَلَأَنْتَ أَجْرًا صَوْلَةٌ مِّنْ بَيْهَسٍ
[الكامل]

وقال الزبير بن بكار:

قتل إخوة بيهس نصر بن دهمان الأشجعي، وأراد قتل بيهس، ف قيل له: إنه

أحمق فوعد لأمه تسكن إليه، فلما بلغوا قال نصر: ظللوا ذلك اللحم، فذاك حيث يقول نعامه: لكن بالاثلاث لحم لا يُظلل، ففزع منه نصر، فقليل له: كلمة جاءت من أحمق.

قال الزبير: الاثلاث: شجر، وهو الطرفاء.

قال أبو عبيد: الاثلاث موضع.

من قائل هذا المثل؟

وقد روي أن هذا المثل: مكره أخوك لا بطل لغير نعامه أو خاله أبي حشر.

روي أن عبيد بن شرية الجرهيمي، وهو أحد المعمرين، حديث معاوية بن أبي سفيان في حديث فيه طول.

أن مالك بن جبير سأل حارثة بن عبد العزى في مجلس علقمة بن علاثة الجعفري عن أول من قال: مكره أخوك لا بطل، فقال حارثة: أول من قال ذلك جرول بن نهشل بن دارم بن كعب، وكان جباناً هيوباً، قد عرف الناس ذلك منه، غير أنه كان ذا خلق كامل. وإن حياً من أحياء العرب أغاروا على بني دارم وهم خلوف، فاستاقوا أموالهم ونساءهم، وسيدهم يومئذ نهشل بن دارم أبو جرول، فخرج واجتمع إليه قومه، فنادى فيهم: أيما رجل لم يأتنا برأس أو أسير أو طعينة فهو نفي منّا. ولحقتهم بنو دارم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً، وأصحابه في ذلك يأتونه بالرؤوس والأسرى والظعائن، وكان لنهشل ستة إخوة وهو سابعهم: عبد الله، ونهشل، ومجاشع، وأبان، وجرول، وفقيم، وخيبري، هؤلاء بنو دارم بن كعب، فساد القوم كلهم يومئذ مجاشع، وذلك لأنه أتاه بما فرض على ثلاثين رجلاً: بعشرة رؤوس، وعشرة أسارى، وعشرة ظعائن، فقسمها فيمن لم يكن قتل ولا أسر ولا استنقذ، وأن جرولاً أتى عمه مجاشعاً فقال: يا عم أعطني منها رأساً، فقال له عمه: يا جرول، إن الهمام يصدق الحسام، فسار جرول متذمراً، حتى حمل على ناحية الجمهور على رجل يسوق طعينة، فلما رآه الرجل خشيه، لكمال خلقه، وهو لا يعرفه، وكان قد سمع بخبر جرول وجبنه، فلما دنا منه جرول همّ الرجل بترك الطعينة، فقال: أنا جرول بن نهشل، في الحسب المؤثّل، فعطف عليه الرجل فقال: يا جرول بن نهشل، إن الوهل^(١) فشل، وليس هكذا العطل^(٢)، والقول يرفعه العمل،

(١) الوهل: الفزع.

(٢) العطل: قوام الشخص.

ثم إنه طعن فرمى جروول طعنة كَبَا بِهِ^(١) فأخذه وكتفّه، ثم ساقه وهو يقول:

إذا ما لقيت امرأً في الوغى فذكر بنفسك يا جروول
[المتقارب]

حتى انتهى به إلى قائد الجيش ورئيس القوم، وكان قد عرف جبن جروول، فقال له: يا جروول، ما عهدناك تقاتل الأبطال، ولا تحب النزال، فقال جروول: مكره أخوك لا بطل، فأعطاه رأس رجل من بني دارم، ثم قال: انطلق، فالجبن شرٌّ من الإسار، فعمد إليه الذي كان أسره فجرحه، وقال له: جئت تستنقذ الطعائن، يا لها من طعينة ما كان أضيعها، ثم خلّى سبيله. وجروول يرى أن الرأس الذي أُعطي من رؤوس حزبه، فأتى أباه فقال: يا أبت هكذا تُلقي الأبطال وتسلم الأنفال، الجدع^(٢) خير من النفي. ثم قال: هذا رأس رجل قتلته، فنظر إلى الرأس فإذا رأس رجل من أصحابه، فجاء إخوة المقتول فقالوا: أقيدونا جروولاً بأخينا، فإنه قتله، فلما رأى جروول الشر وما وقع فيه أخبر أباه والقوم الخبر، فعرفه جبنه وأنه لم يكن يقتل الرجال، فخلوا عنه، وقالت عمرة أخت المقتول ترثي أخاها وتذكر جروولاً:

ألا يا قتيلاً ما قتل معاشراً
وقد يُصبح الخيل المغيرة فيهم
ويُهْدِي ضلّول القوم في ليلة السرى
فأدّى إلينا رأسه ثم جروول
فشلت يده يوم يحمل رأسه
إلى نهشل والقوم حضرة نهشل
ثوى بين أحجار صريعاً وجندل
ويُسرع كزّ المهر في كلّ جحفل
أمين القوى في القوم ليس بزُمّل^(٣)
فلله ماذا كان من فعل جروول
[الطويل]

رجع الخبر إلى حديث المثلث

المثلث يهجو عمرو بن هند:

وروى أبو محمد عبد الله بن رستم عن يعقوب بن السكيت قال:

قدم المثلث وطرفة بن العبد على عمرو بن هند فقال:

قولا لعمرو بن هند غير مُتَّبِعٍ^(٤) يا أحنس الأنف والأضراس كالعدس
[البسيط]

(١) كَبَا بِهِ: أي إنكب على وجهه.

(٢) الجَدْع: الحبس.

(٣) الزُمْل: الضعيف الجبان.

(٤) المُتَّبِع: المستحي.

شبه أضراسه بالعدس في صغرها وسوادها .

مَلِكُ النَّهَارِ وَأَنْتَ اللَّيْلُ مُومَسَةٌ مَاءُ الرِّجَالِ عَلَى فَخْذَيْكَ كَالْقَرَسِ^(١)
لَوْ كُنْتُ كَلْبَ قَنِيصٍ كُنْتُ ذَا جُدَدٍ تَكُونُ أُرْبُتَهُ فِي آخِرِ الْمَرَسِ
لَعَوًّا حَرِيصًا يَقُولُ الْقَانَصَانِ لَهُ قَبَحَتْ ذَا أَنْفٍ وَجْهَهُ ثُمَّ مُنْتَكِسِ
[البسيط]

المومسة: الفاجرة . وأراد بالقَرَس: القريس، وهو الجامد، والقنيص: القانص،
والقنيص أيضاً الصيد، والأربة: العقدة، والمرس: الحبل: أي هو أخس الكلاب،
فقلاذته أخس القلائد .

وقال ابن الكلبي:

هذا الشعر لعبد عمرو بن عمار يهجو به الأبيرد الغساني، وبسببه قُتِلَ عبد
عمرو .

صحيفتا طرفة والمتلمس :

وكان طرفة قد هجا عمرو بن هند أيضاً بعدة قصائد، فلما قدما عليه كتب لهما
إلى عامله على البحرين وهَجَرَ، وكان عامله عليهما فيما يزعمون ربيعة بن الحارث
العبدى، وقال لهما: انطلقا فاقبضا جوائزكما، فخرجا، فزعموا أنهما لما هبطا النجف
قال المتلمس: يا طرفة، إنك غلام حديث السن، والملك مَنْ عَرَفَتْ جِفْدَهُ وَغَدْرَهُ،
وكلانا قد هجاه، فلستُ آمناً أَنْ يكون قد أمر بشرٍّ، فهلمَّ فلننظر في كُتُبنا هذه، فإن
يكن قد أمر لنا بخير مضيئنا فيه، وإن تكن الأخرى لم نهلك أنفسنا . فأبى طرفة أَنْ
يفكَّ خاتم الملك، وحرص المتلمس طرفة فأبى، وعدل المتلمس إلى غلام من غلمان
الحيرة عبادي، فأعطاه الصحيفة، ولا يدري ممن هي، فقرأها فقال: ثكلت المتلمس
أُمُّهُ، فانتزع المتلمس الصحيفة من الغلام، واكتفى بذلك من قوله، واتبع طرفة فلم
يلحقه، وألقى الصحيفة في نهر الحيرة، ثم خرج هارباً إلى الشام، فقال المتلمس في
ذلك:

وَأَلْقَيْتُهَا بِالْثُّنْيِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلٍ
رَضِيَتْ لَهَا بِالماءِ لَمَّا رَأَيْتُهَا يَجُولُ بِهَا التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدُولٍ
[الطويل]

(١) القَرَس: بمعنى القريس أي الجامد .

قال أبو عمرو: كافر: نهر بالحيرة، وقال غيره: كافر: نهر قد ألبس الأرض وغطاها. وقال أبو عمرو: أقنؤ: أحفظ، وقال غيره: أقنؤ: أجزي، يقال: لأقنؤنك قناتوك، أي لأجزيك بفعلك، والقِطُّ: الصحيفة، فيقول: حفظي لهذا الكتاب أن أرمي به في الماء.

وقال المتلمس أيضاً، وقد كان فيما يقال قال لطرفة حين قرأ كتابه: تَعَلَّمَنَ أن الذي في صحيفتك مثل الذي في صحيفتي، قال طرفة: إن كان اجترأ عليك فلم يكن ليَجترئَ عليَّ ولا ليَغرنِّي ولا لِيُقَدِّمَ عليَّ، فلما غلبه صار المتلمس إلى الشام وقال:

من مبلِّغُ الشعراءِ عن أخويهِمُ	نَبَأُ فَتَضُدُّقَهُمُ بِذَلِكَ الْأَنْفُسُ
أودَى الذي علق الصحيفة منهما	ونجا حِذَارَ حِبَائِهِ المتلَمِّسُ
ألقى صحيفته ونجَّتْ كُورَهُ	وجنأ مُجْمِرَةَ المناسمِ عَرْمِسُ
عيرانة طَبَخَ الهواجرُ لحمَها	فكأن نُقِبتَها أديمٌ أَمَلَسُ
أُجْدٌ إذا ضَمَرْتُ تعزَّزَ لحمُها	وإذا تُشَدُّ بِنِسْعِها لا تَنْبِسُ
وتكاد من جنع يطير فؤادها	إن صاح مُكَّاءُ الضُّحَا مُتَنَكِّسُ

[الكامل]

الوجناء: الضخمة الغليظة الصلبة كأنها لصلابتها ضربت بمواجن القَصَّار، واحداثها مِيَجَنَة، وهي مدقته، ومُجْمِرَة المناسم: مجتمعة لطيفة في صلابه، وعظم الأخفاف من الهُجَنَة، وليس من صفة النجائب، والعِرمس: الناقة الصلبة، شبهت بالعرمس وهي الصخرة الصلبة، وتعزَّز: تشدد، وتنبس: تنطق وتصيح، وطبخ الهواجر لحمها: أي سافرت عليها حتى انجرد شعرها. ونُقِبتَها: لونها، والمُكَّاء: طائر يطير في الجو ثم يتنكس.

وقال محمد بن موسى الكاتب: زعموا أن الكتب لم تزل في قديم الدهر منشورة غير مختومة ولا مُعَنَوَنَة، فلما قرأ المتلمس صحيفته التي كتبها له عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين، واطلع على سره فيها، خُتِمت الكتب.

المتلمس وطرفة عند عمرو بن هند:

وروي عن الرياشي، عن عمرو بن بكير، عن الهيثم بن عدي، عن حماد الراوية، عن سماك بن عمرو قال: أخبرني عبيد راوية الأعشى، ورأيت بالبحيرة زمن معاوية شيخاً كبيراً قال:

أخبرني الأعشى قال: حدثني المتلمس قال: قدمت أنا وطرفة بن العبد على

عمرو بن هند، وكان غلاماً معجباً تائهاً يتخلّج^(١) في مشيته بين يديه، فنظر إليه نظرة كادت تقتلعه من الأرض - وكان عمرو لا يبتسم ولا يضحك، وكانت العرب تسميه: مضرّط الحجارة، وملك ثلاثاً وخمسين سنة، وكانت العرب تهابه هيبة شديدة، وله يقول الذّهّاب العجليّ:

أبى القلب أن يهوى السّدير وأهله وإن قيل عيش بالسّدير غريرُ
فلا أنذرُوا الحيّ الذي نزلوا به وإنّي لمن لم يأتَه لنذيرُ
به البقّ والحُمى وأسدّ خفيّةً وعمرو بن هندٍ يعتدي ويجورُ
[الطويل]

قال المتلمس: فقلت لطرفة: إنني لأخاف عليك من نظرته إليك هذه مع ما قلت، قال: كلا، فكُتِبَ لنا كتاباً إلى المُكعبر، كُتِبَ، ولم نره، وخُتِمَ ولم نره، لي كتاب وله كتاب، وكان المكعبر عامله على عمان والبحرين، فخرجنا حتى إذا هبطنا بذي الركاب من النجف إذا أنا بشيخ على يساري يتبرّز، ومعه كسرة يأكلها، وهو يقصع القمل، فقلت: تالله ما رأيت شيخاً أحق وأضعف وأقلّ عقلاً [منك] قال: وما تنكر؟ قلت: تتبرز وتأكل وتقصع القمل، قال: أدخل طيباً، وأخرج خبيثاً، وأقتل عدوّاً. وأحمق مني الذي يحمل حتفه بيمينه لا يدري ما فيه. قال: فبهني وكأنما كنت نائماً، فإذا غلام من أهل الحيرة، فقلت: يا غلام، تقرأ؟ قال: نعم، قلت: اقرأه، فإذا فيه: من عمرو بن هند إلى المكعبر، إذا جاءك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً. فألقيت الصحيفة في النهر فذلك حيث أقول:

وألقيتها بالشّئي من جنب كافر

(البيتان). وقلت: يا طرفة، معك مثلها، قال: كلا، ما كان ليفعل ذلك في عقر داري، قال: فأتى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً، ففي ذلك يقول المتلمس:

من مبلغ الشعراء عن أخويهم نبأ فتصدقهم بذاك الأنفسُ
أودى الذي علق الصحيفة منهما ونجا حذار حبائه المتلمسُ
ألقى الصحيفة لا أبالك إنه يُخشى عليك من الحباء النّقرسُ^(٢)
ألقى صحيفته ونجّت كوره وجنأء مُجمرة الفراسين عِرمسُ^(٣)

(١) يتخلّج: يغمز في مشيته.

(٢) النقرس: وجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين.

(٣) العِرمس: الناقة الصلبة.

أُجِدَّ إِذَا ضَمَرْتُ تَعَزَّزَ لَحْمُهَا وَإِذَا تُشَدَّ بِنَسْعِهَا^(١) لَا تَنْبِسُ^(٢)
[الكامل]

أحمق منه من يحمل حتفه بيده :

وقال ابن قتيبة: كان المتلمس ينادم عمرو بن هند هو وطرفة بن العبد، فهجوا، فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما بجائزة، وكتب إليه يأمره بقتلهما، فخرجا، حتى إذا كانا بالنَجَفِ إذا هما بشيخ عن يسار الطريق يُحَدِّث وَيَأْكُل من خبز في يده، ويتناول القمل من ثيابه فيَقْصَعُه، فقال المتلمس: ما رأيت كالיום شيخاً أحمق. فقال الشيخ: وما رأيت من حمقي؟ أخرج خبيثاً وأدخل طبيباً وأقتل عدوًّا، أحمق واللَّهِ مني من يحمل حتفه بيده، فاستراب المتلمس بقوله، وطلع عليهما غلام من الحيرة، فقال له المتلمس: أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم، ففك صحيفته ودفعها إليه، فإذا فيها:

أما بعد، فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيًّا، فقال لطرفة: ادفع إليه صحيفتك يقرأها، ففيها واللَّهِ ما في صحيفتي. فقال طرفة: كلا لم يكن لي جترئ عليّ. فقتل المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وقال:

قذفت بها بالثُّنَي من جنب كافر

وأخذ نحو الشام، وأخذ طرفة نحو البحرين فُضِرَ المثل بصحيفة المتلمس، وحرَّم عمرو بن هند على المتلمس حَبَّ العراق فقال:

أَلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَكَلَهُ وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ
[البسيط]

وَأَتَى بُصْرَى فَهَلَكَ [بها].

صحيفة الفرزدق:

وروى أبو بكر محمد بن علي الفارسي عن أبيه عن الغلابي عن ابن بكار.

أن الفرزدق قدم المدينة على سعيد بن العاصي، وهو واليها لمعاوية بن أبي سفيان، عند هربه من زياد، فدخلها وسعيدٌ يَعِشِي الناس، وهو جالس على منبر، والناس على كراسي، وكان الحطيئة وكعب بن جُعيل حاضرين، فتقدم الفرزدق وحدث

(١) النسع: سيرٌ يُنْسَج عريضاً على هيئة أَعْتَةِ التَّعَال تُشَدُّ به الرِّحَال.

(٢) تنبس: تَصِيح، تَنُطِق.

اللثام عن وجهه، ثم قال: هذا مقام العائذ بك، من رجل لم يُصَبْ دماً ولا مالاً، فقال سعيد: قد أجرتك، إن لم تكن أصبت دماً ولا مالاً. فمن أنت؟ قال: أنا همام بن غالب بن صعصعة، وقد أثنت على الأمير، فإن رأى أن يأذن لي لأُسمعه ثنائي فعل، قال: هات. فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

عليك بني أُميَّة فاستجرهُم وخذ منهم لما تخشى حبالا
فإن بني أُميَّة من قريش بنوا البيوتهم عمداً طوالا

[الخفيف]

حتى انتهى إلى قوله:

تري العُرَّ الجحاجح^(١) من قريش إذا ما الخطب في الحدثان عالا
بني عم النبي ورهط عمرو وعثمان الألى عظموا فعالا
قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

[الخفيف]

قوله: ورهط عمرو يريد بني هاشم واسم هاشم، عمرو بن عبد مناف، فقال مروان، وكان إلى جانب سعيد: يا فرزدق فهلاً قلت: قعوداً؟ قال: لا والله، إلا قائماً على رجلك يا أبا عبد الملك، فحقدها مروان، وقال كعب بن جعيل: هذه والله الرؤيا التي رأيتها البارحة، قال سعيد: وما رأيت؟ قال: رأيت كأنني في سكك المدينة، فإذا أنا ببن قثرة أراد أن يتناولني فاتقيته. وقام الحطيئة فشق ما بين رجلين حتى تجاوزهما إلى الفرزدق، فقال له: قل ما شئت، فقد أدركت من مضى ولا يدرك من بقي. ثم قال لسعيد: هذا والله الشعر لا ما كنا نعلل به أنفسنا منذ اليوم، وزاد الغلابي في حكايته هذه، قال: وقد ذكر محمد بن سلام، عن أبي يحيى الضبي:

أن الحطيئة لما قال للفرزدق هذه المقالة قال كعب بن جعيل: فضله على نفسك، ولا تفضله على غيرك. فقال الحطيئة: والله أفضله على نفسي وغيري. ثم قال له: يا غلام، أنجدت أمك؟ قال: بل أنجد أبي.

ثم أقام الفرزدق بالمدينة يختلف إلى بيوت القيان بها، فلماً وليها مروان بعد سعيد، وفي قلبه على الفرزدق ما فيه، وقد كان مروان نهاه في صدر ولايته عن المداخل التي كان يدخلها، وعن قول الخنن في شعره، فبعث إليه: ألم أنهك عن الإفصاح بالخنن والإقرار بالفسق؟ أخرج عن المدينة، فإني عاهدت الله لئن أصبتك

(١) الجحاجح: مفردا الجَحَجَح وهو السيد.

بها بعد ثلاثة لأقطعن لسانك .

وأخبرنا أبو بكر بن دريد ها هنا قال : فقال الفرزدق :

توعدني وأجلني ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمودُ
[الوافر]

قال الغلابي : فحدثني العباس بن بكار قال :

بعث إليه مروان بكتاب مختوم ، وقال : توصله إلى عاملي ، فقد كتبت إليه أن
يدفع إليك ثلاثمائة دينار ، فإذا أصبحت فأعُد حتى تودعني ، وكتب إلى عامله أن
يضربه مائة سوط ويحبسه ، ثم ندم مروان فقال : يعمد إلى الكتاب فيفتحه ويقرأ ما فيه
فيهجونني وأهل بيتي . فلما أصبح غدا عليه الفرزدق ، فقال له مروان : إني قد قلت في
هذه الليلة أبياتاً فاقراها ، فقال الفرزدق : وما قلت ؟ قال : قلت :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما نهيتك فاجلس
ودع المدينة إنها مذمومة واقصد لمكة أو لبيت المقدس
وإن اجتنبت من الأمور عظيمة فاعمد لنفسك بالزَّمَاع^(١) الأكيس
[الكامل]

ففطن الفرزدق لما أراد فقال :

يا مرو ، إن مطيتي محبوسة ترجو الحباء وربها لم يأس
وحبوتني بصحيفة مختومة يخشى عليّ بها حباء النقرس
ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن كدءاً مثل صحيفة المتلمس
[الكامل]

ثم رمى بالصحيفة في وجهه ، وخرج حتى أتى سعيد بن العاصي ، وعنده
الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليهم السلام ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كل
واحد منهم بمائة دينار وراحلة ، فأخذ ذلك وتوجه إلى البصرة .

وصار إلى مروان جماعة من أهله فندّموه على فعله ، وقالوا له : تعرّضت لشاعر
مُضر . فندم وبعث إليه رسولاً ، ومعه مائة دينار وراحلة ، فأوصل ذلك إليه وصار حتى
قدم البصرة .

رجع الخبر إلى حديث المتلمس .

(١) الزَّمَاع : المضاء في الأمر والعزوم عليه .

لا يدخل العراق حتى يموت :

وقال أبو عبيدة: لما بلغ النعمان بن المنذر لحوق المتلمس بالشام، وكانت غسان قتلت أباه يوم عين أباغ، شقَّ عليه لحوقه بغسان، وحلف ألا يدخل العراق ولا يطعم بها حتى يموت، فقال المتلمس - وروى أبو محمد بن رستم عن ابن السكيت: أن عمرو بن هند كتب إلى عماله على الريف ليأخذوا المتلمس ويمنعوه من الميرة فقال المتلمس -:

يا آل بكرٍ ألا لله أُمُكُمْ طال النَّوَاءُ وثوبُ العجزِ مَلْبُوسُ
أَغْنَيْتُ شَأْنِي فَأَغْنُوا الْيَوْمَ شَأْنَكُمْ واستحمُّوا في مراسِ الحربِ أوْ كَيْسُوا
وإنْ عِلَافاً وَهَمَ بِاللُّؤْذِ مَنْ حَضَنَ لما رأوا أَنَّهُ دِينَ خَلَابِيسُ

[البسيط]

عِلَاف هو زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وحضن: جبل معروف، وألواذه: نواحيه. يقول: قد ثويتم على العجز، لا تطلبون يومَ طرفة، ويقال: أمرٌ خلايس وهو الأمر فيه اختلاط، لا واحد لها، وقال ابن النحاس: حضن: جبل مُنجد، يقال: إن عِلَافاً كانوا بهذا الجبل، فلما أُذُوا تحولوا إلى عمان، وقال: خلايس أمر فيه عَوْرٌ واختلاط وفساد، ويقال: أمر خلايس إذا كان متفرقاً.

رَدُّوا عَلَيْهِمْ جِمالَ الحَيِّ فارتحلوا والظلمُ يَنْكُرُه القومُ الأكاييسُ

[البسيط]

ويروى:

شَدُّوا الجِمالَ بِأكوارِ على عَجَلٍ والضيمُ يُنكرُه القومُ المكايسُ
كانوا كَسَامَةً إِذْ شَغِفَ مَنازِلُهُ ثم استمرَّتْ به البُزْلُ القنَاعِيسُ

[البسيط]

وروى يعقوب:

كونوا كسامة إذ خَلَّى مساكنه.

يريد سامة بن لؤي بن غالب.

قال ابن الكلبي: وكان من سببه أنه جلس هو وأخواه كعب وعامر ابنا لؤي يشربون، فوقع بينهم كلام، فقأ سامة عين عامر، وخرج إلى عمان مغاضباً.

وقال أبو عبيدة: بل قفاً عين سعد أخيه. وقال أبو العباس الأحول: لما غاضب سامه بن لؤي قومه خرج إلى عمان، فأبى الضيم، وكان ينزل بكبكب، وهو الجبل الأحمر وراء عرفة، فتركه ومضى.

والمكاييس: جميع مكياس، قال: وشعاف الجبل: أعاليها، وأراد أنه كان منزله بمكة، وهي أعلى البلاد، وقال غيره: شعف موضع بالبحرين:

حَنَّتْ قَلُوصِي بِهَا وَاللَّيْلُ مُطَرِّقٌ بَعْدَ الْهَدُوءِ وَشَاقَتْهَا النَّوَاقِيسُ
[البسيط]

مُطَرِّق: يقال: تطارق أي ركب بعض ظلمته بعضاً، يقول: حنت ناقتي إلى الشام، وشاقتها النواقيس، لأن غسان كانوا نصارى:

مَعْقُولَةٌ يَنْظُرُ التَّشْرِيقَ رَاكِبُهَا كَأَنَّهُ مِنْ هَوَىِّ لِلرَّمْلِ مَسْلُوسٌ
[البسيط]

ويروى: كأنه طَرَفٌ للرمل مسلوس، يريد التشريق أيام التشريق أي ينظرها لرمي الجمار، ثم يذهب إلى الشام، وكان حجّ حين هرب. والمسلس والمألوس: الذهاب العقل، وقال ابن النّحاس: يريد بالتشريق: إشراق الشمس:

وَقَدْ أَضَاءَ سُهَيْلٌ بَعْدَ مَا هَجَعُوا كَأَنَّهُ ضَرَمَ بِالْكَفِّ مَقْبُوسٌ
إِنِّي طَرَبْتُ وَلَمْ تَلْحَيَّ عَلَى طَرَبٍ وَدُونَ الْفِكَ أَمْرَاتُ أَمَالِيسُ
حَنَّتْ إِلَى نَخْلَةِ الْقُصُوى فَقَلَّتْ لَهَا بَسْلٌ حَرَامٌ أَلَا تَلِكِ الدَّهَارِيسُ
[البسيط]

الأمرات والأماليس: التي لا نبات بها. ونخلة: معرفة غير مصروف، وهو وادٍ مما يلي نجدًا. ونخلة القصوى: طريق الشام، وبسل: حرام. والدهاريس: الدواهي، ولا واحد لها، وحكى علي بن سليمان الأخفش عن أبي العباس الأحول أن واحدها دهرس:

أُمِّي شَامِيَّةٌ إِذْ لَا عِرَاقَ لَنَا قَوْمًا نُوَدُّهُمْ إِذْ قَوْمُنَا سُوسُ
[البسيط]

أُمِّي: أي اقصدي، شَامِيَّة: أي ناحية شامية، والأشوس: الذي ينظر إليك نظر البغضة:

لَنْ تَسْلُكِي سُبُلَ الْبُوبَةِ مُنْجِدَةً مَا عَاشَ عَمَرُو وَلَا مَا عَاشَ قَابُوسُ
[البسيط]

وروى الأصمعي:

ما عشتَ عمرُو ولا ما عشتَ قابوس

على النداء. والبوبة: ثنية في طريق تجد ينحدر منها إلى العراق، وعمر و قابوس: ابنا المنذر:

آليت حَبَّ العراق الدهرَ آكله والحَبُّ يأكله في القرية السوسُ
لم تَدْرِ بُصرى بما آليت من قَسَمٍ ولا دَمَشقُ إذا ديسَ الكَدَديسُ
[البسيط]

يقول: لم تدر بلاد الشام بيمينك فتبرها وتمنعني حبها كما منعني حب العراق. والكداديس: جمع كُدس على غير قياس، ويروى: إذا ديس الفراديس:

والفراديس درب يقال له درب الفراديس. وقال ابن النحاس: الفراديس: موضع بدمشق، أي إذا درست الزروع التي عند الفراديس. وقال الأصمعي: الفراديس: البساتين واحدها فِرْدوس، أي لم تبلغ الشام يمينك لهوانك عليها، يهزأ به. وقوله: والحَبُّ يأكله في القرية السوس، لكثرة عندهم:

فإن تبدلتُ من قومي عَدِيكُم إني إذا لضعيفُ العقلِ مَسْلوسُ
كم دون مِيَّةٍ من مستعملِ قُدْفٍ ومن فَلَاةٍ بها تُستودَعُ العيسُ
ومن ذُرَى عَلمِ ناءٍ مسافَتُهُ كأنه في حَبابِ الماءِ مَغْموسُ
جاوزتُهُ بأُمونٍ ذاتِ مُعْجَمَةٍ تَرْمِي بِكُلْكِهَا والرأسُ معكوسُ
[البسيط]

ويروى:

من دَوِيَّةٍ قُدْفٍ.

ويروى: تنجو بكلكلها.

والمستعمل: الطريق الموطأ. والقُدْفُ: البعيد. يقول: إن العيس لبعدها هذا الطريق تسقط فيه فيتركونها، ويريد: كأن العَلم إذا انغمس في السراب مغموس في الماء، والأُمون: التي يؤمن عثارها وخَوَرُها، ومُعْجَمَتُها خُبَرُها، من عجمت العود إذا عضضته لتنظر صلابته، ويقال المُعْجَمَةُ الصلابة، ومعكوس بالزمام لنشاطها.

ورُوي أن أبا عمرو بن العلاء لقي الفرزدق فاستشده بعض شعره فأنشده:

كَمْ دُونَ مِيَّةٍ مِنْ مُسْتَعْمَلٍ قُذِفِ وَمِنْ فَلَاحٍ بِهَا تُسْتَوْدَعُ الْعِيسُ
[البسيط]
فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو: أَوْ هَذَا لَكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ؟ فَقَالَ: اكْتَمَهَا عَلَيَّ، وَاللَّهِ لَضَوَّالُّ
الشَّعْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ضَوَّالِّ الْإِبِلِ.

يَذْكُرُ لِحَاقِهِ بِالشَّامِ وَيَحْرُضُ قَوْمَ طَرْفَةِ عَلَى الثَّأْرِ: وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ:

لَمَّا لَحِقَ الْمُتَلَمِّسُ بِالشَّامِ هَارِباً مِنْ عَمْرٍو بْنِ هَنْدٍ - وَهَنْدُ أُمُّهُ، وَهِيَ بِنْتُ
الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حُجْرٍ أَكَلَ الْمُرَّارِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْكَنْدِيِّ. وَهُوَ عَمْرٍو بْنُ الْمَنْذَرِ بْنِ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ النِّعْمَانِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
سُعُودِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمَمٍ وَهُوَ عَدِيُّ بْنُ ثُمَارَةَ بْنِ لَخَمٍ، وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: إِنَّمَا سَمِيَ
عَمَمًا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَعَمَّمَ - وَذَلِكَ حِينَ كَتَبَ لَهُ عَمْرٍو بْنُ هَنْدٍ وَلَطَرْفَةَ، فَقَرَأَ الْمُتَلَمِّسُ
كِتَابَهُ، فَلَمَّا رَأَى الدَّاهِيَةَ هَرَبَ، وَسَارَ طَرْفَةَ إِلَى عَامِلِ الْبَحْرَيْنِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ الْمُتَلَمِّسُ
يَذْكُرُ لِحَاقَهُ بِالشَّامِ، وَيَحْرُضُ قَوْمَ طَرْفَةَ عَلَى الطَّلَبِ بَدْمَهُ:

إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ كَانُوا الْهَوَى فَاِذَا نَأَنِي^(١) وَدُّهُمْ فَلْيَبْعِدِ
فَلْتَتْرُكْنَهُمْ بَلِيلِ نَاقَتِي تَدْعُ السَّمَاءَ وَتَهْتَدِي بِالْفَرْقَدِ
[الكامل]

فَإِنَّ السَّمَاءَ يَمَانٍ وَالْفَرْقَدَ شَامِيَّ:

تَعْدُو إِذَا وَقَعَ الْمُمَرُّ بِدَفْقِهَا عَدَوُ النُّحُوصِ تَخَافُ ضَيْقَ الْمَرْصَدِ
أَجْدُ إِذَا اسْتَنْفَرْتَهَا مِنْ مَبْرُكٍ حَلَبَتْ مَغَابِنُهَا بِرُبٍّ^(٢) مُعْقَدِ
[الكامل]

الْمُمَرُّ: السُّوْطُ الْمَفْتُولُ، وَالنُّحُوصُ: الْحَائِلُ مِنَ الْأَتْنِ. وَالْأَجْدُ: الْمُوثَّقَةُ
الْخَلْقِ. وَمَغَابِنُهَا: أَرْفَاقُهَا. شَبَّهَ عَرَقَ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ بِالرُّبِّ:

وَإِذَا الرِّكَابُ تَوَاكَلَتْ بَعْدَ السُّرَى وَجَرَى السَّرَابُ عَلَى مَتُونِ الْجَدَجِدِ
مَرِحَتْ وَصَاحَ الْمَرْوُ مِنْ أَخْفَافِهَا جَذَبَ الْقَرِينَةَ بِالنَّجَاءِ الْأَجْرِدِ
[الكامل]

(١) نَأَنِي: أَبْعَدَنِي.

(٢) الرُّبُّ: هُوَ مَا يَخْتَرُ مِنْ عَصِيرِ الثَّمَارِ.

الجُدُجْد: الصلب من الأرض، يقال: جَدَّدُ وَجَدَّجَد. والمرؤ، حجارة بيض،
والقرينة: بغيران في حبل فإذا أفلت أحدهما لم يألُ جهداً. والأجرد: الحثيث
السريع:

لِبِلَادٍ قَوْمٌ لَا يُرَامُ هَدْيُهُمْ وَهَدْيُ قَوْمٍ آخِرِينَ هُوَ الرَّدِّي
كَطْرِيفَةِ بَنِي الْعَبْدِ كَانَ هَدْيُهُمْ ضَرَبُوا صَمِيمَ قَذَالِهِ بِمَهْنَدٍ
[الكامل]

الهدْيُ: الجار هنا، والهدْيُ أيضاً: الأسير، يقول إن جار غسان لا يُضام ولا
يرام بسوء:

إِنَّ الْخِيَانَةَ وَالْمَغَالَةَ وَالْحَنَى وَالْغَدْرَ تَتْرَكَهُ بِبِلْدَةِ مُفْسِدٍ
مَلِكٌ يُلَاعِبُ أُمَّهُ وَقَطِينَهُ رَخُو الْمَفَاصِلِ أَيْرُهُ كَالْمِرْوَدِ
[الكامل]

يريد عمرو بن هند. والقطين: الحشم، رماه بالمجوسية ونكاح الأمهات،
ويقال: بل أراد أن به تأسفاً.

بِالْبَابِ يَرْضُدُ كُلَّ طَالِبِ حَاجَةٍ فَإِذَا خَلَا فَالْمَرْءُ غَيْرُ مُسَدِّدٍ
وَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ بَيْتِي غَاوَةٌ فَابْرُقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَارْعُدِ
[الكامل]

غاوة: موضع بالشام أو باليمامة، ويقال هي أرض دون بني حنيفة، يقول:
تهدّدني ما بدا لك، فإني لا أبالي بوعيدك:

أُبْنِي قِلَابَةً لَمْ تَكُنْ عَادَاتُكُمْ أَخَذَ الدَّنِيَّةَ قَبْلَ خُطَّةٍ مُعْضَدٍ
لَمْ يَرْحُضِ السَّوَاءَ عَنْ أَحْسَابِكُمْ نَعَمُ الْحَوَاثِرِ إِذْ تُسَاقُ لِمُعْبَدٍ
فَالْعَبْدُ دُونَكُمْ اقْتُلُوا بِأَخِيكُمْ كَالْعَيْرِ أَبْرَزَ جَنْبَهُ لِلْمُطَرَدِ
[الكامل]

قال يعقوب: قال ابن الكلبي: قلابة: بنت الحارث بن قيس بن الحارث بن
ذهل من بني يشكر، تزوجها سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، فولدت له
مرثداً وكهفاً وقميئةً ومرقساً الشاعر الأكبر:

وقال غير ابن الكلبي: قلابة: امرأة من بني يشكر، وهي بعض جدات طرفة،
وهي بنت عوف بن الحارث الإشكري، ويقال: هي قلابة بنت رهم، ومعضد بن
عمرو الذي ولي قتل طرفة وهو ابن الحوثر من عبد القيس.

وقال غيره: معصود: الذي جاء بالإبل لدية طرفة، فدفعها إلى قومه.
وقال يعقوب: إن الذي قتل طرفة رجل من عبد القيس ثم من الحوثر يقال له:
أبو ريشة. وإن الحوثر وَدَّته إلى أبيه وقومه لما كان من قتل صاحبهم إياه.
وقال ابن الكلبي: الحوثر: هم ربيعة وجبيل ابنا عمرو بن عوف بن وديعة بن
لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وعمرو بن عوف بن عمرو بن عوف بن بكر بن
عوف بن أنمار، وحوثره هو ربيعة بن عمرو، وإنما حضر هؤلاء معه فسموا الحوثر،
والحوثر: حشفة الرجل، وإنما سمي حوثره لأنه ساوم بقدح بعكاظ أو بمكة
فاستصغره، فقال لصاحبه: لو وضعت فيه حوثرتي لملاّته، فبذلك سمي حوثره.
ومعبد بن العبد أخو طرفة.

وقال ابن الكلبي: كان عمرو بن هند وَدَى طرفة من نعم كان أصابه من
الحوثر.

يقول: لن يغسل عنكم العار أخذكم الدية دون أن تتأروا به وتقتلوا عمرو بن
هند الذي هو كالحمار أعرض جنبه للرمح أي أمكن.
وروى أبو عبيدة: قبل خطة مُعْصِد.

بالصاد غير معجمة، أي يُفَعِّل به، من العصد وهو النكاح، يريد به عمرو بن
هند.

وقال غيره: إن عمرو بن هند انتفى من قتل طرفة، وزعم أنه لم يأمر الحوثر
بقتله، فأخذت ديته من الحوثر لأنه قُتل بيده، فدُفعت إلى معبد بن العبد أخي
طرفة.

استنوق الجمل:

وروى ابن الكلبي عن خراش بن إسماعيل العجلي. ورواه المفضل الضبي
قالا:

كان المتلمس شاعر ربيعة في زمانه، وأنه وقف على مجلس لبني ضبيعة بن
قيس بن ثعلبة، فاستنشدوه فأنشدهم شعراً فقال فيه:

وقد أتناسى الهمم عند احتضاره بناجٍ عليه الصُّيعرية مُكْدَم
[الطويل]

والصُّيعرية: سِمة تكون للإناث خاصة، فقال له طرفة وهو غلام: استنوق

الجمال، أي وصفتَ الجمَلَ بوصف الناقة، وخلطت. فذهبت كلمته مثلاً، وقال الكميّ بن زيد:

هزرتكم لو أن فيكم مهزّة وذكرتُ ذا التانيث فاستنوقَ الجمَلَ
[الطويل]

وقال ابن السكيت في كتاب الأمثال:

زعموا أن المتلمس صاحب الصحيفة كان أشعر أهل زمانه، وهو أحد بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وأنه وقف ذات يوم على مجلس لبني قيس بن ثعلبة، وطرفة بنُ العبد يلعب مع الغلمان يستمعون، فزعموا أن المتلمس أنشد هذا البيت:

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناجٍ عليه الصيعرية مُكْدَم
[الطويل]

والصيعرية فيما يزعمون: سمة توسم بها النوق باليمن دون الجمال، فقال طرفة: استنوق الجمَلَ، فأرسلها مثلاً، فضحك القوم، فغضب المتلمس ونظر إلى لسان طرفة وقال: ويل لهذا من هذا، يعني رأسه من لسانه.

وقال أبو محمد بن رستم: حدثني أبو يوسف يعقوب بن السكيت قال:

عاب طرفة وهو غلام على المسيّب بن علس بيتاً قاله في قصيدته وهو قوله:

وقد أتناسى الهمّ عند احتضاره بناجٍ عليه الصيعرية مُكْدَم
[الطويل]

الصيعرية: سمة تكون على الأنث خاصة. مُكْدَم: غليظ:

كُمَيْتٍ كِنَازِ اللَّحْمِ أَوْ حَمِيرِيَّةٍ مُوَاشِكَةٍ تَنْفِي الْحَصَى بِمُلْتَمٍ
[الطويل]

كناز: مكتنز اللحم، مواشكة: سريعة، وملثم: خُفٌّ قد لثمته الحجارة:

كأن على أنسائه عَذَقُ خَصْبَةٍ تدلّي من الكافور غير مُكَمِّم
[الطويل]

شبه هلب ذنبه بكُبَاسَةِ الخَصْبَةِ وهي الدَّفْلَةُ والجمع الخِصَاب. وغير مكَمِّم: غير مغطى. فقال طرفة وهو لا يعرفه: استنوق الجمَلَ، أي أن هذه السمة لا تكون إلا على الناقة، فقال له المسيّب: ارجع إلى أهلك بوامئة وهي الداهية، فقال له طرفة: لو عاينت هنَ أُمك هناك. فقال له المسيّب: من أنت؟ قال: طرفة بنُ العبد. فأعرض عنه المسيّب.

من الفحول :

وقال ابن النحاس : قال الأصمعي :

المتلمس من الفحول .

وقال أبو عبيدة :

لم يُسبق المتلمس إلى قوله :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا
وما كنت إلا مثل قاطع كَفِّه
يداه أصابت هذه حَتَفَ هذه
فلما استقاد الكف بالكف لم يجد
فأطرق إطراق الشُّجاع ولو يَرَى
وما عُلِمَ الإنسان إلا ليعْلَمَا
بكفُّ له أخرى فأصبح أجْذَمَا
فلم تَجِدِ الأخرى عليها تقدُّمًا
له دَرَكًا في أن تبينا فأحْجَمَا
مَسَاغًا لنابيه الشُّجاع لَصَمَمَا
[الطويل]

قرع العصا :

قال : وذو الحلم : عامر بن الظرب العدواني ، لما كبر قال لأهله : إن جُرْتُ في حكومتي فافرعوني بعصا .

وقال أبو ريش : قرعُ العصا مثْلُ تدَّعيه دَوس ، وهم من أزد السَّراة ، لعمر بن حُمَمة ، وتدعيه قيس لعامر بن الظرب العدواني ، وتدعيه بنو قيس بن ثعلبة لسعد بن مالك بن ضبيعة .

فأما ما تدعيه دوس لعمر بن حممة فالخبر فيه وفي عامر بن الظرب واحد ، وهو أنه كان كل واحد منهما حكماً للعرب يتحاكمون إليه في كل معضلة ، وعمر بن حُمَمة في هذا الحديث أشهر ، وذلك أن العرب أتوه يتحاكمون إليه ، فغلط في بعض حكومته ، وكان الشيخ قد أسنَّ وتغيَّر ، فقالت له بنته : إنك قد صرت تَهْم في حكمك - يقال : وهم الرجل إذا غلط ، وذهب وهمي إلى كذا أي ظني ، وأوهم إذا أسقط - فقال لابنته : إذا رأيت ذلك فافرعي لي العصا ، وكانت إذا قرعت له بالعصا ثاب إليه حلمه فأصاب في حكمه .

وأما ما تدعيه بنو قيس بن ثعلبة فيزعمون أن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس أتى النعمان الأكبر ، ومعه خيل بعضها يُقَادُ وبعضها أعراء مهملة ، فلما انتهى إلى النعمان سأله عنها ، فقال له سعد : إني لم أقد هذه لأمنعها ، ولم أعرِ هذه لأهبها ،

فسأله النعمان عن أرضه: هل أصابها غيث يحمد أثره، أو روى شجره؟ فقال سعد: أما المطر فغزير، وأما الورق فشكير، وأما النافذة فساهرة، وأما الحازرة فشبعي نائمة، وأما الرمثاء فقد امتلأت مساربها، وابتلت جنائبها - ويروى الدهناء بدل الرمثاء - وأما النبائط فغدر لا تطلع، وأما الحذف فعراب لا تنكع، تقتز إذا ترتع.

- الشكير: ساعة نبتة. والنافذة: ضرب من الغنم، وكذلك الحازرة أيضاً، والرمثاء: أرض، والنبائط: تراب، والحذف: غنم صغار. وتنكع: تمنع، وتقتز: تطلب القرارة وهي بقية القدر، ويقال: تقتز: تطلب القرار وهي صغار الغنم - فقال النعمان، وحسده على ما رأى من ذرابة لسانه، وأبيك إنك لمفوه فإن شئت آتيك بما تعي عن جوابه، فقال سعد: شئت إن لم يكن منك إفراط ولا إبعاط. والإبعاط مجاوزة القدر. فأمر النعمان وصيفاً له فطمه، وإنما أراد أن يتعدى في القول فيقتله، فقال له: ما جواب هذه؟ قال سعد: سفيه مأمور، فأرسلها مثلاً، فقال النعمان للوصيف: أطمه أخرى، فطمه، فقال: ما جواب هذه؟ قال: لو نهي عن الأولى لم يعد للأخرى، فأرسلها مثلاً، فقال النعمان للوصيف: أطمه أخرى، ففعل، فقال له: ما جواب هذه؟ قال: ملك يؤدب عبده، فقال: أطمه أخرى، ففعل، فقال: ما جواب هذه؟ قال: ملكت فأسجج، فأرسلها مثلاً، فقال له النعمان: أجبت فأقعد. فمكث عنده ما مكث ثم بدا للنعمان أن يبعث رائداً يرتاد له الكلاء، فبعث عمرو بن مالك أخا سعد بن مالك، فأبطأ عليه فأغضبه ذلك، فأقسم إن جاء حامداً أو ذاماً ليقتنه، فلما قدم عمرو على النعمان دخل عليه والناس عنده، وسعد قاعد لديه مع الناس، وقد كان سعد عرف بما أقسم به النعمان من يمينه، فقال سعد: أتأذن لي أيها الملك فأكلمه؟ قال: إن كلمته قطعت لسانك، قال: فأشير إليه؟ قال: إن أشرت إليه قطعت يدك، قال: فأومئ إليه؟ قال: إذا أنزع حدقتك، قال: فأقرع له العصا؟ قال: وما يدريه ما تقول العصا؟ فأقرع له. فتناول عصا من بعض جلسائه، فوضعها بين يديه، وأخذ عصاه التي كانت معه، وأخوه قائم، فقرع بعصاه العصا قرعة واحدة، فنظر إليه أخوه، ثم أوماً بالعصا نحوه، فعرف أنه يقول له: مكانك، ثم قرع العصا قرعة واحدة ثم رفعها إلى السماء، ومسح عصاه بالأخرى، فعرف أنه يقول له: لم أجد جذباً، ثم قرع العصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً، فعرف أنه يقول: ولا نباتاً، ثم قرع العصا قرعة، وأقبل بها نحو النعمان، فعرف أنه يقول له: كلمه، فأقبل عمرو بن مالك حتى قام بين يدي النعمان، فقال له النعمان: هل حمدت خصباً أو ذممت جذباً؟ فقال عمرو: لم أذمم جذباً، ولم أحمد خصباً، الأرض مُشكلة، لا خصبها يُعرف ولا جذبها يُوصف، رائدها واقف، ومنكرها عارف، وأمنها خائف، فقال له

النعمان: أولى لك، بذلك نجوت، فنجأ. وهو أول من قرعت له العصا.

وعمره هذا هو الحشام أخو سعد، فقال سعد لقرعه العصا:

قرعتُ العصا حتى تبينَ صاحبي ولم تَكْ لولا ذاك للقوم تُقرعُ
فقال: رأيت الأرض ليس بمُجَلٍّ^(١) ولا سارح فيها على الرعي يشبُعُ
سواء، فلا جذب فيُعرف جذبها ولا صابها غيثٌ غزير فتُمرعُ^(٢)
فنجى بها حوباء نفسٍ كريمة وقد كاد لولا ذاك فيهم يُقطّعُ
[الطويل]

وقد روى عبيد بن شربة الجرهمي:

أن حارثة بن عبد العزى سأل مالك بن جبير عن أول من قرع العصا وقرعت له، وعن قول الشاعر:

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذي الحِلْمِ
[الكامل]

فقال مالك: على الخبر سقطت، وبالعليم أحطت، إن أول من قرع العصا سعد بن مالك، أخو بني كنانة حين أتى الملك المنذر بن النعمان، ومعه خيل، بعضها تُقاد مهياة، والأخرى مُهملة.

وذكر الخبر نحو ما ذكره أبو ريش، وفي الألفاظ زيادة ونقصان والمعنى واحد.

وذكر الجاحظ أن عامر بن الظرب العدواني حَكَمَ العرب في الجاهلية، لما أسن واعتراه النسيان أمر بنته أن تقرع بالعصا إذا هَوَّفه عن الحُكْم وجار عن القصد، وكانت من حكيماوات العرب، حتى جاوزت في ذلك مقدار صحر بنت لقمان، وهند بنت الخس، وجمعة بنت حابس بن مليل الإياديين، وكان يقال لعامر: ذو الحلم، ولذلك قال الحارث بن ويلة:

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذي الحِلْمِ
[الكامل]

وقال المثلث:

لذي الحِلْمِ قبل اليوم ما تُقرع العصا وما عُلِمَ الإنسان إلا ليَعْلَمَا
[الطويل]

(١) المُمَجِّل: المُجَدِّب، منقطع المطر. (٢) تُمرع: تُخصب.

وقال الفرزدق بن غالب :

فإن كنتُ أستاذي حُلومَ مجاشعٍ فإن العصا كانت لذي الحِلْمِ تُقرعُ
[الطويل]

ومن ذلك حديث سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، واعتزام الملك على قتل أخيه إن هو لم يُصَبْ ضميمه، فقال له سعد: أبيت اللعن، أتدعني حتى أقرع العصا له بهذه العصا أختها؟ فقال له الملك: وما علمه بذلك؟ أي بما تقول العصا، ففرع بها مرة، وأشار بها مرة، ثم رفعها، ثم وضعها، ففهم المعنى، فأخبره ونجا من القتل.

رجع الحديث إلى خبر المتلمس.

المتلمس يهجو عمرو بن هند:

وروى أبو حاتم عن الأصمعي.

أن المتلمس هجا عمرو بن هند بعد لحاقه بالشام فقال:

أطردتني حذر الهجاء ولا واللاتِ والأنصابِ ما تئِلُ^(١)
ورهننتني هنداً وعرضك في صُحُفٍ تلوح كأنها خللُ
شرّ الملوكة شرّها حسباً في الناس من علموا ومن جهلوا
بئس الفحولُ حين جدّ بهم عرّك الرّهان وبئس ما تَجَلّوا
أعني الخؤولة والعُموّمَ فهُم كالطُّبْنِ ليس لبيته جَوْلُ
[الكامل]

قال: والطُّبْنُ: لعبة يلعب بها الصبيان في الأعراب، وهي بالفارسية السِّدْر، وإنما يصفه بالضعف، قال أبو النجم:

من ذكر آيات ورسمٍ لاح كالطُّبْنِ^(٢) في مختلف الرياح
[الرجز]

ويروى أيضاً الطُّبْنُ.

وروي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله جلس يعترض الناس ويكتب الزماني، فوقف عليه أعرابي فأنشأ يقول:

(١) تئِلُ: تطلب النجاة.

(٢) الطُّبْنُ: الجمع الكثير وهي أيضاً لعبة يلعب بها الصبيان.

إِنْ تَكْتَبُوا الزَّمَنِي فَإِنِّي لَزِمَنْ مِنْ ظَاهِرِ الدَّاءِ وَدَاءِ مُسْتَكِنٍ
أَبَيْتَ أَهْوَى فِي شَيَاطِينِ تُرِنٍ مَخْتَلِفِ نَجَوَاهُمْ حِنٍّ وَجِنٍّ
فَبِتَنٍ يَلْعَبُنَ حَوَالِيَّ الطُّبْنِ

[الرجز]

فقال: زَمَنُوا هذا. ثم وقف عليه شيخ منهم، فقال له: ما زَمَانُكَ؟ فقال الأعرابي:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَدْرَكَتْ أُمَّةٌ عَلَى عَهْدِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَمْ كُنْتُ أَقْدَمًا؟
مَتَى تَنْزَعَا عَنِي الْقَمِيصَ تَبَيَّنَا جَنَاجِنٌ^(١) لَمْ يُكْسَيْنِ لَحْمًا وَلَا دَمًا
[الطويل]

فقال عمر: زَمَنُوا هذا، فإنه لا يدري متى وُلِدَ.

وقوله حِنٍّ وَجِنٍّ، فَإِنَّ الْحِنَّ سَفْلَةُ الْجِنِّ، وَقَالَ الْجَاحِظُ، الْجِنُّ ضَرْبَانِ: حِنٍّ وَجِنٍّ، كَمَا يَقَالُ نَاسٌ وَنَسْنَاسٌ.

بين أخواله وأعمامه:

والشعر الذي فيه الغناء المذكور بسببه خبر المتلمس يقوله المتلمس حين فارق أخواله من بني يشكر، وروى أبو حاتم عن الأصمعي أن المتلمس ولد في أخواله من بني يشكر، ونشأ فيهم، حتى كادوا يَعْلِبُونَ عليه، فسأل الملك عنه الحارث بن التوأم اليشكري والحارث بن جِلْدَةَ فقال: ممن المتلمس؟ فقالا: هو منوط في بني عمرو بن مرة، أي إنه من ضُبَيْعَةٍ مُرَّةٍ، ومُرَّةٍ مَنَا، وهو ساقط بين الحَيَّين.

ففارق أخواله، ولحق بقومه بنى ضبيعة، وقال في ذلك:

تَفَرَّقَ أَهْلِي مِنْ مَقِيمٍ وَظَاعِنٍ فَلَلَّهُ دَرِيَّ أَيِّ أَهْلِي أَتَبِعُ
أَقَامَ الَّذِينَ لَا أَحَبَّ جَوَارِهِمْ وَبَانَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَتَوَقَّعُ
[الطويل]

قال الرياشي: الذي أعرف:

أقام الذين لا أبالي فراقهم.

على كُلِّهِمْ آسَى وَلِلْأَصْلِ زَلْفَةٌ فَزَحْزَحْ عَنْ الْأَدْنَيْنِ أَنْ يَتَصَدَّعُوا
[الطويل]

(١) الْجَنَاجِنُ: عظام الصدر، الواحد جَنْجَنٌ وَجَنْجَنَةٌ.

يقول: لا تتباعد عن الأذنين فيصدعوا عنك ويفارقوك، وأنما عنى أخواله من بني يشكر وقومه من بني ضبيعة:

أَلَكُنِي إِلَى قَوْمِي ضُبَيْعَةَ إِنَّهُمْ أَنَاسِي فَلُومُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ دَعُوا
وَقَدْ كَانَ أَخُوَالِي كَرِيماً جَوَارَهُمْ وَلَكِنَّ أَصْلَ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يَنْزَعُ
[الطويل]

يقول: أخوالي كانوا كراماً، ولكنني أذهب إلى أعمامي كما ينزع العرق إلى أصله:
وَلَا تَحْسَبْنِي خَاذِلاً مَتَخَلِّفَا وَلَا عَيْنُ صَيْدٍ مِنْ هَوَايَ وَلِلْعَلِّ
[الطويل]

عين صيد ولعلع: من آخر السواد إلى البر، فيما بين البصرة والكوفة، ولعلع: كان سجن الحجاج بن يوسف. وقال المتلمس في ذلك أيضاً:

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ يَسْرُكَ أَنَّنِي شَهِدْتُ وَقَدْ رَمَتْ عِظَامِي فِي قَبْرِي
وَتَصْبَحَ مَظْلُومًا تَسَامُ ذَنْيَةً حَرِيصًا عَلَى مِثْلِي فَقِيرًا إِلَى نَصْرِ
وَيَهْجُرَكَ الْإِخْوَانُ بَعْدِي وَتَبْتَلِي وَيَنْصُرْنِي مِنْكَ الْإِلَهِ وَلَا تَدْرِي
وَلَوْ كُنْتُ حَيًّا يَوْمَ ذَلِكَ لَمْ تُسَمِّ لَهُ خُطَّةٌ خَسَفًا وَشُورَةٌ فِي الْأَمْرِ
[الطويل]

قال: وفي ذلك يقول:

وَلَوْ غَيْرَ أَخُوَالِي أَرَادُوا نَقِیْصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعِرَانِينَ مِیْسَمًا
أَحَارَثُ إِنَّا لَوُ تُسَاطِ دِمَاؤُنَا تَزَايِلُنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمًا
[الطويل]

يقول: لو خلطت دماؤنا ودماءكم لتزايلت وتميزت من بُعد ما بيننا، وهذا كما قال الآخر:

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَأَبَا رِيَّاحٍ عَلَى طُولِ التَّهَاجِرِ مِنْذُ حِينِ
لِيَبْغُضَنِي وَأَبْغُضَهُ وَأَيْضًا يِرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي
فَلَوْ أَنَّنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدِّمَانُ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ
[الوافر]

قال ابن قتيبة: ومما يعاب من قول المتلمس قوله:

أَحَارَثُ إِنَّا لَوُ تُسَاطِ دِمَاؤُنَا تَزَايِلُنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمًا
[الطويل]

وهذا من الكذب والإفراط، ومثله قول رجل من بني شيبان: كنت أسيراً مع بني عمّ لي، وفينا جماعة من موالينا في أيدي التغالبة، فضربوا أعناق بني عمّي وأعناق الموالي على وَهْدَةٍ من الأرض، فكنت واللّه أرى دم العربيّ يمتاز من دم المولى، حتى أرى بياض الأرض من بينهما، فإذا كان هجيناً قام فوقه ولم يعتزل عنه.

الأمثال في شعر المتلمس:

قال ابن قتيبة: ويتمثل من شعر المتلمس بقوله:

وأعلم علم حق غير ظنّ وتقوى اللّه من خير العتاد
لحفظ المال أيسر من بغاه وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير على الفساد
[الوافر]

وقال أبو علي الحاتمي: أشرد مثل قيل في البغض قول المتلمس:

أحارث إنالوئساط دماؤنا تزايّلن حتى لا يمسن دمّ دما
[الطويل]

حكى ذلك أبو عبيدة، وزعم أنه أسير مثل في البغض.

قال: وأشرد مثل قيل في الفخر بالأمهات قوله أيضاً:

يعيرني أمي رجال ولن ترى أخا كرم إلا بأن يتكرّما
وهل لي أم غيرها إن تركتها أبى اللّه إلا أن أكون لها ابنما
[الطويل]

قال: وأشرد مثل قيل في اعتداد بني العم والكفّ عن مقاتلتهم بفعلهم قوله:

وما كنت إلا مثل قاطع كفّه بكفّ له أخرى فأصبح أجذما
يداه أصابت هذه حتف هذه فلم تجد الأخرى عليها تقدّما
فلما استقاد الكفّ بالكفّ لم يجد له دركاً في أن تبينا فأحجما
فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساعاً لنابيه الشجاع لصمّما
[الطويل]

قال أبو عبيدة: يريد أنه فيما صنع به أخواله بمنزلة من قطع إحدى يديه بالأخرى، فلو هجاهم وكافأهم كان بمنزلة من قطع يده الأخرى، فبقي أجذم، فأمسك عنهم، قال أبو علي: والبيت الأخير يضرب مثلاً للرجل يقصر إلى أن تمكنه الفرصة.

قال أبو عبيدة: ولم أسمع لأحد بمثل هذه الأبيات حكمة وأمثالاً من أولها إلى آخرها، وفيها من الأمثال السائرة ما يضرب مثلاً للحكيم يذكر عند نسيانه:

لذي الحِلْمِ قبل اليوم ما نُقِرْعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعَلِّمًا
[الطويل]

وفيها من شارد الأمثال:

إذا لم يزل حَبْلُ القرينين يَلْتَوِي فلا بدَّ يوماً من قُوَى أن تَجْذَمَا^(١)
[الطويل]

قال أبو علي: وأشَرْدُ مثل قيل في حفظ المال وتثميته قوله:

قليلُ المالِ تُصلِّحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفسادِ
وحفظُ المالِ أيسرُ من بُغاه وسيرُ في البلادِ بغير زادِ
[الوافر]

وبحمدٍ من الله انتهى إلى هنا كتاب الأغاني بعد تبويبه وتصحيح ما فيه من أخطاء.

ونسأل الله العلي القدير التوفيق والعفو عن الخطأ

إنه غفورٌ رحيم

(١) تجذَّم: تَقَطَّعَ.

الفهرس العام



فهرس المحتويات

٥	 أخبار سليمان بن وهب وجمل من أحاديثه تصلح لهذا الكتاب
٥	 ينكر الانتساب إلى الحارث
٥	 الوزير
٥	 ينصفه ويعطيه
٦	 يزيد المهلبى يمدح سليمان
٧	 رجل من ذوي حرفته يطلب عملاً
٧	 أعجب خبر
٧	 العباس بن ثوابة
٩	 يذكر نكبته أيام الواثق
٩	 جفوة واعتذار
١٠	 سليمان يتعشق إبراهيم بن سوار
١١	 ولاية ومائتا دينار
١١	 ما الذي تخطب أيها الباذل؟
١٢	 يهدي سلال رطب
١٢	 القلم يصّر في يده
١٣	 يرثي أخاه
١٣	 المال يتلف ربه
١٣	 البحترى يرثى سليمان
١٥	 أخبار أبان بن عبد الحميد اللاحقى ونسبه
١٥	 اسمه ونسبه
١٥	 يُنقل كتاب كليلة ودمنة
١٦	 إبان وأبو نواس يتهاجيان
١٦	 شرهما بينهما
١٧	 يكسر الشعر ويقول هذا في اللغة
١٨	 في ستر المثنوي

- ١٨ بين رجليه ورأسه شبر
- ١٩ إتصاله بالبرامكة
- ٢٠ اتصاله بالرشيد
- ٢٠ عند عنان
- ٢١ حاجتهم
- ٢٢ هو في كيت وكيت
- ٢٢ محمد زوّج عمارة
- ٢٣ أطبأؤه على الطرق
- ٢٤ هو وأهله يهود
- ٢٤ كان كافراً
- ٢٤ يرجف بموت جاره فيموت
- ٢٧ أخبار تويت ونسبه
- ٢٧ اسمه ونسبه
- ٢٧ يهوى سعدى
- ٢٨ يأخذ بخطام بعيرها
- ٢٨ يهجو زوجها يحيى
- ٢٩ من شعره في سعدى
- ٣٢ أخبار محمد بن الحارث
- ٣٢ أبوه رفيع القدر
- ٣٢ من المتعصبين لإبراهيم بن المهدي
- ٣٣ قليل الصنعة
- ٣٤ يستضيف عبد الله بن العباس الرعي
- ٣٥ الزم عجائز الحارث
- ٣٦ أخبار ماني الموسوس
- ٣٦ اسمه ونسبه
- ٣٦ مليح الإنشاد رقيق الشعر
- ٣٧ عطعط ولا تمطمط
- ٣٨ عند محمد بن عبد الله بن طاهر
- ٤٠ يهيم بغلام جميل

٤٢	أخبار بكر بن خارجة
٤٢	ورّاق
٤٢	يتعشق هدهداً
٤٢	كأنه من كبدي مقدود
٤٣	كيف صبري عن بعض نفسي؟
٤٣	الخمير تفسد عقله
٤٣	يخاف أن يظنه الكلب غزلاً
٤٤	منزلة القراطيس
٤٤	عدوه بين أضلاعه
٤٦	أخبار إسماعيل القراطيبي
٤٦	مألف للشعراء
٤٦	أنظر إلى وجهك ثم اعشق
٤٧	وإد غير ذي زرع
٤٧	إلى بيت القراطيبي
٤٩	أخبار أبي العبر ونسبه
٤٩	اسمه ونسبه
٤٩	كسب بالحمق أضعاف ما يُكسب بالجد
٥٠	كذب المأبون
٥١	مجلس عجيب
٥١	ماذا يعمل بالسمكة؟
٥٢	كلام ليس في الدنيا أحق منه
٥٢	يصطاد بجميع جوارحه
٥٢	المتوكل يعبث به
٥٣	امتخط حوت
٥٣	يخاطب غلاماً أمرد
٥٣	يحيي موته قبلة
٥٤	كان أديباً ثم تحامق
٥٤	نصيحة
٥٥	سبب ميته

- أخبار يوسف بن الحجاج ونسبه ٥٦
- اسمه ونسبه ٥٦
- ستون ألف درهم من الهادي ٥٦
- نسبة هذا الصوت الذي غناه ٥٧
- يكنى للرشيد ٥٧
- يجاهر باللواط ٥٨
- يهجو القيان ٥٩
- ثلاثة آلاف دينار ٥٩
- أخبار مروان بن أبي حفصة الأصغر ٦٢
- اسمه ونسبه ٦٢
- مائة ألف درهم من المتوكل ٦٢
- المتوكل يحشو فاه بالجواهر ٦٣
- من كان الرسول؟ ٦٣
- يمدح المتوكل وولاة العهود الثلاثة ٦٣
- ما القصة؟ ٦٤
- المتوكل يأمر بإحضاره ٦٥
- الكافر ابن الزانية ٦٦
- بين علي بن الجهم وأبي السمط ٦٧
- ابن الجهم لا يجيبه أنفة منه ٦٨
- مروان ينشد ابن أبي دواد ٦٨
- خمسون ألف درهم من ابن طاهر ٦٩
- خبر عبد الله بن يحيى وخروجه ومقتله ٧١
- نبوءة ٧١
- يشاور الإباضية في الخروج ٧١
- طالب الحق ٧٢
- خطبته بعد أن استولى على اليمن ٧٣
- عبد الله يوجه المختار إلى مكة ٧٣
- أول أمر المختار ٧٤
- الهدنة بينهم وبين عبد الواحد ٧٤

٧٥	شاعر يهجو عبد الواحد
٧٥	إنتصار أبي حمزة في قديد
٧٦	أهل اليمن يشمتون بقريش
٧٦	لهف غير نافعة
٧٦	غاق باق
٧٧	أيهما أصبر
٧٧	أبو حمزة ينصح أصحابه
٧٨	أبو حمزة يرسل بلجاً ليدعو أهل المدينة
٧٨	حلّ قتالهم
٧٩	قتلى قديد
٧٩	نائحة أهل المدينة تبكيهم
٧٩	عمرو بن الحصين يذكر وقعة قديد
٨١	أبو حمزة يدخل المدينة ويخطب فيها
٨٧	مروان يرسل له جيشاً
٨٨	مقتل بلج وهزيمة أصحابه
٨٩	المدينة تخلو من الشراة
٨٩	هزيمة الخوارج وصلب أبي حمزة
٩٠	سبلت وصعتره
٩٠	نأكل مال اليتيم ونفجر بأمه !!
٩١	أبو حمزة يودع أهل المدينة
٩١	عبد الله يقاتل ابن عطية
٩٢	ابن عطية يبعث رأس عبد الله إلى مروان
٩٥	ابن عطية يتتبع الخوارج
٩٦	مقتل ابن عطية
٩٦	حمارة ينتقم للخوارج
٩٧	خبر عبد الله بن أبي العلاء
٩٧	ظريف شكل
٩٧	أحمد بن يوسف يتعشقه
٩٨	أبوه سالم السقاء

- ٩٩ نسب أمية بن أبي عائذ وأخباره
- ٩٩ اسمه ونسبه
- ٩٩ يمدح عبد العزيز بن مروان
- ١٠٠ يتشوق إلى البادية
- ١٠٢ أخبار عبد الله بن أبي معقل ونسبه
- ١٠٢ اسمه ونسبه
- ١٠٢ عمه يدرك التبيي ويصلي معه
- ١٠٣ محسود في قومه
- ١٠٣ مريم ومريم
- ١٠٣ كثير الأسفار
- ١٠٤ غزوة زرنج وما أصاب منها
- ١٠٦ ذكر نسب القطامي وأخباره
- ١٠٦ اسمه ونسبه
- ١٠٦ الأخطل يود أن يسبقه
- ١٠٦ صريع الغواني
- ١٠٦ أسوأ ليلة
- ١٠٧ أول ما رفع من ذكره
- ١٠٨ لو
- ١٠٨ البطء والاستعجال
- ١٠٩ زفر يغير على أهل المصباح
- ١١٠ ابن الحباب يغير على كلب
- ١٢٠ زفر يطلق سراح القطامي
- ١٢٥ أخبار عمارة بن عقيل
- ١٢٥ أحسن الناس ابتداء قصيد
- ١٢٦ تكلت القطامي أمه
- ١٢٨ سبب قول أبي نجدة هذا الشعر
- ١٣٠ خبر وقعة ذي قار التي فخر بها في هذا الشعر
- ١٣٩ يوم انتصفت فيه العرب من العجم
- ١٤٣ أخبار القحيف ونسبه

١٤٣	اسمه ونسبه
١٤٣	يشبب بخرقاء
١٤٣	أصبح من القبس
١٤٤	لا تزدد إلا ملاحه
١٤٤	يهيم بامرأة من عبس
١٤٥	علي بن المهاجر والمهير بن سلمى
١٤٧	أما تتقي الله؟
١٤٩	أخبار الفند ونسبه
١٤٩	اسمه ونسبه
١٤٩	شيطانتان
١٥١	أخبار عبد الله بن دحمان
١٥١	تعصبه لإبراهيم بن المهدي
١٥٣	أخبار المتنخل ونسبه
١٥٣	اسمه ونسبه
١٥٣	مقتل ابنه أثيلة
١٥٥	يرثي أباه
١٥٥	محمد بن علي يتمثل بشعره
١٥٦	أجود طائية
١٥٧	أخبار أبي صخر الهذلي ونسبه
١٥٧	اسمه ونسبه
١٥٧	تعصبه لبني مروان
١٥٧	خبره مع ابن الزبير
١٥٩	يرثيه وهو حي
١٦٠	جزعه على ابنه
١٦١	رجل من قومه يعيبه
١٦١	يهوى امرأة من قضاة
١٦٣	الهادي يطرب من شعره
١٦٥	النظام والغلام
١٦٦	أحسن الناس غناء

- أخبار يحيى بن طالب ١٦٩
- يركبه دين فيهرب ١٦٩
- الرشيد يأمر بقضاء دينه ١٦٩
- ظريف غَزَل ١٦٩
- يأبى ركوب البحر ١٧٠
- يموت قبل وصول البريد ١٧٠
- هجرانها أمر من الصبر ١٧١
- أهل قرقرى ١٧١
- أمنية يحيى ١٧١
- جواد حمال للمغارم ١٧٢
- أخبار عروة بن حزام ١٧٤
- اسمه ونسبه ١٧٤
- عروة وعفراء ١٧٤
- أم عفراء تريد ذا مال ١٧٥
- ابن عمّه يعطيه مائة من الإبل ١٧٥
- نقضوا عهد الإله ١٧٥
- عروة يرحل إلى الشام ١٧٦
- خلوة ثم فراق ١٧٧
- وفاة عروة وعفراء ١٧٩
- مفاجأة ١٧٩
- دواء العراف لا يفيد ١٨٠
- يلصق صدره بحياض الماء ١٨٠
- يموت خوف أن يتوب الله عليه ١٨٠
- فَاطَ ورَبِّ محمد ١٨١
- عفراء تندبه ثلاثاً وتموت في الرابع ١٨٢
- تُعرض عليه فيرفضها!! ١٨٢
- يطاف به حول البيت ١٨٣
- لم يبق منه إلا خياله ١٨٣
- أخبار القتال ونسبه ١٨٥

١٨٥	اسمه ونسبه
١٨٥	يقتل ابن عمه ويهرب
١٨٧	يصاحب نمرأ!!
١٨٨	وليمة أبي سفيان
١٨٩	المسيب وعبد السلام
١٨٩	يعير أخواله
١٩٠	يغتال السجن ويهرب
١٩١	يقتل ابن هبار مقابل تهريبه
١٩٢	أم الهنير
١٩٣	يشبه الحطيئة
١٩٣	يهجو قومه
١٩٤	بنت ورقاء
١٩٥	جرير يضرب أنف القتال
١٩٦	أخرجوه من السجن بشرط
١٩٧	يقتل أمة عمه حتى لا تلد
١٩٧	أراد أن يتزوج بنت المحلق
١٩٨	يحض أخاه وعشيرته
٢٠٠	نسب الراعي وأخباره
٢٠٠	اسمه ونسبه
٢٠٠	يمدح سعيد بن عبد الرحمن
٢٠١	يفضل الفرزدق على جرير
٢٠٣	فضحته ورب الكعبة
٢٠٣	ما تقول بنو نمير؟
٢٠٤	عنفقة الفرزدق
٢٠٤	يموت كمداً من هجاء جرير
٢٠٥	أولام أن يغلبني هذا؟!
٢٠٥	يعتسف الفلاة بغير دليل
٢٠٦	ينسب بامرأة من بني عبد شمس
٢٠٦	عند عبد الملك بن مروان

- ٢٠٧ لست من أحد
- ٢٠٧ يأبى أن يطلب حاجة لنفسه
- ٢٠٧ الراعي والعنبري
- ٢٠٩ وجندل بن الراعي شاعر
- ٢٠٩ بخيل
- ٢١١ أخبار عمار ذي كُبار ونسبه
- ٢١١ اسمه ونسبه
- ٢١١ نشأ في دولة بني أمية
- ٢١٣ امرأته أم عمار
- ٢١٥ سائق الرّوس
- ٢١٦ حال وحال
- ٢١٧ عمار ودندان
- ٢١٧ بين عمار وخالد القسري
- ٢١٩ يمدح عاصم بن عقيل
- ٢٢٠ القصيدة التي استحسناها الوليد
- ٢٢٠ من صالح شعره
- ٢٢١ خذوا آذان القوم
- ٢٢٣ أخبار عبد الله بن مصعب ونسبه
- ٢٢٣ اسمه ونسبه
- ٢٢٣ المهدي يكتب شعره على الأرض
- ٢٢٤ يهوى جارية من بني أبي بكر
- ٢٢٥ يخاصم رجلاً من ولد عمر
- ٢٢٦ عائد الكلب
- ٢٢٦ يحسد الأحيي على إقبال المهدي عليه
- ٢٢٨ أخبار أبي العيال ونسبه
- ٢٢٨ اسمه ونسبه
- ٢٢٨ يكتب إلى معاوية في وصف غزاة
- ٢٢٩ بين أبي العيال وبدر بن عامر
- ٢٣٣ أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه

٢٣٣	اسمه ونسبه
٢٣٣	عظيم الشهرة
٢٣٣	شاعر بني أسد
٢٣٤	عبيد يخاطب امرأ القيس
٢٣٦	الخبر يبقى
٢٣٧	يوما المنذر
٢٣٩	خبر مقتل عبيد
٢٤٠	المنذر يقتل نديمه
٢٤١	عمر يبيكي على خالد
٢٤٢	كلب يغني شعر عبيد
٢٤٥	أخبار عمارة ونسبه
٢٤٥	اسمه ونسبه
٢٤٥	الفصاحة والشعر
٢٤٦	هجاء خيث اللسان
٢٤٦	عمارة والعكلي
٢٤٦	في مجلس المأمون
٢٤٧	شعره يقتل فروة
٢٤٨	عمارة ومفداة
٢٤٨	يستشفع ليؤذن له في الانصراف
٢٥٠	الأرياح والأرواح
٢٥٠	ما يصنع بالسيف؟
٢٥٠	المأمون يعطيه عشرين ألف درهم
٢٥١	خالد بن يزيد وتميم بن خزيمة
٢٥٢	أشد ما هُجى به
٢٥٢	أوجب على خالد حقاً
٢٥٣	أجود شعره
٢٥٣	البيت القاتل
٢٥٣	أكرم هجاء
٢٥٤	يرجع إلى قديم شعره لينقل منه

- ٢٥٤ من المائة المختارة
- ٢٥٥ أخبار حارثة بن بدر ونسبه
- ٢٥٥ اسمه ونسبه
- ٢٥٥ أنجب ثلاثة
- ٢٥٥ قول الفرزدق في بني غدانة
- ٢٥٦ من فرسان تميم ووجوهها
- ٢٥٦ حارثة وعبيد الله بن زياد
- ٢٥٧ رجل من بني كليب يهجو
- ٢٥٧ احتراق داره
- ٢٥٧ يهجو بني سليط
- ٢٥٨ أنس بن زنيم وحارثة يتهاجيان
- ٢٦١ في عرس ابن مسمع
- ٢٦٢ الأحنف يعاتبه على معاورة الشراب
- ٢٦٣ فرصة
- ٢٦٤ مَنْ أخطب الناس؟
- ٢٦٤ قشْرُوهُ وأكلته بقشره
- ٢٦٤ حارثة يرثي زياداً
- ٢٦٥ البادي أظلم
- ٢٦٦ ثأر
- ٢٦٧ الأحامرة
- ٢٦٧ يهجو الخلع
- ٢٦٧ نحن أحق بهذا الشعر
- ٢٦٨ أكفر من حمار
- ٢٦٨ البغلة أطلال
- ٢٦٨ سليمان يمدح حارثة
- ٢٦٩ قوله في أنس بن زنيم
- ٢٧١ أبو الأسود الدؤلي يوصيه
- ٢٧٢ غوث بن الحباب يهجو لفرار
- ٢٧٢ الأحنف يغرمه

- ٢٧٣ ابن عيينة يتمثل بشعر حارثة
- ٢٧٣ عليّ يهدر دمه ثم يعفو عنه
- ٢٧٤ ابن زياد يستحليه
- ٢٧٥ يطلق السماء
- ٢٧٥ ميسة ترثيه
- ٢٧٦ ما أراد إلا تَبْكَيْتَكَ
- ٢٧٨ ابن زياد يستعمله على جند نيسابور
- ٢٧٨ من الدهاة
- ٢٧٨ حظي عند زياد
- ٢٧٨ يوم دولاب
- ٢٧٩ أي الشراب أطيب؟
- ٢٧٩ من يجيز هذا البيت؟
- ٢٨٠ الأبيرد يهجوّه
- ٢٨٠ أبيات حارثة تحمل على المجاهرة بالشراب
- ٢٨١ نديم حارثة
- ٢٨٢ يصر على شرب الخمر
- ٢٨٣ حمام فيل
- ٢٨٣ حارثة ينفس على الأحنف
- ٢٨٣ شعره في ميسة
- ٢٨٤ من الشقاء تفردى بالسؤدد
- ٢٨٤ اكسروا رجل كعب
- ٢٨٦ أخبار منظور بن زبان
- ٢٨٦ حملت به أمه أربع سنين
- ٢٨٦ يتزوج امرأة أبيه
- ٢٨٧ الحسن يتزوج خولة
- ٢٨٧ رجع الخبر إلى رواية ابن الكلبي
- ٢٨٩ أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة
- ٢٩١ أخبار المخبل القيسي ونسبه
- ٢٩١ أم عمرو وميلاء

- شامي يدلّ أهله عليه ٢٩١
- هذا الصوت يهيج الواثق ٢٩٤
- الواثق ينكب ابن وهب وابن الخصيب ٢٩٥
- أخبار المتلمس ونسبه ٢٩٨
- اسمه ونسبه ٢٩٨
- ضبيعات العرب ٢٩٨
- (تكملة المتلمس وهي لغير أبي الفرج) ٢٩٨
- المتلمس في أخواله ٢٩٩
- من أشعر المقلّين في الجاهلية ٣٠٠
- المتلمس يعاتب بني ذهل ٣٠٠
- حديث بيهس ٣٠١
- من قائل هذا المثل؟ ٣٠٤
- رجع الخبر إلى حديث المتلمس ٣٠٥
- المتلمس يهجو عمرو بن هند ٣٠٥
- صحيفتا طرفة والمتلمس ٣٠٦
- المتلمس وطرفة عند عمرو بن هند ٣٠٧
- أحمق منه من يحمل حتفه بيده ٣٠٩
- صحيفة الفرزدق ٣٠٩
- لا يدخل العراق حتى يموت ٣١٢
- يذكر لحاقه بالشام ويحرض قوم طرفة على الثأر ٣١٥
- استنوق الجمل ٣١٧
- من الفحول ٣١٩
- قرع العصا ٣١٩
- المتلمس يهجو عمرو بن هند ٣٢٢
- بين أخواله وأعمامه ٣٢٣
- الأمثال في شعر المتلمس ٣٢٥